
صحاح اللغة

كتاب

صهاريج اللؤلؤ

تأليف

صاحب السماحة والسيادة السيد محمد توفيق البكرى

وشرحه

العالمان الفاضلان احمد بن امين الشنقيطى

والشيخ ابو بكر محمد لطفى المصرى

الطبعة الثانية منقحة مصححة على النسخة الاصلية للمؤلف

ملتزم الطبع محمود حجاج الكتبى
باذن من حضرة صاحب السماحة
السيد عبد الحميد البكرى

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على اشرف المرسلين ، وعلى آله واصحابه اجمعين (اما بعد) فانني منذ فارقت شنقيط ، ووصلت الى البحر المحيط ورحلت من المغربين الى المشرقين ، وطفت الشام والحرمين ، وأنا اتطلب طرف الادب ، وفصيح كلام العرب ، وأدأب فى ذلك كل الدأب ، حتى كانت الرحلة الى مصر ، والنزول بهذا القطر ، فقصدت حضرة الفضل . ومصرع الجهل . وباحة الادباء . وساحة العلماء والشعراء . وهى حضرة امام الادب . وفصيح العجم والعرب . مولانا صاحب السماحة . والفضل والرجاحة . الندب الغطريف . والشريف بن الشريف . السيد محمد توفيق البكرى نقيب اشراف الديار المصرية . وشيخ مشايخ الطرق الصوفية

فاطلعني حفظه الله من مؤلفاته على كل مصنف غريب . وتأليف عجيب . فرأيت بينها كتاباً اسماه (صهاريج اللؤلؤ) وضمنه طائفة من نثره . وجملة من شعره . فاذا حكمة لقمان . وبيان سحبان . وفصاحة معد بن عدنان . كلم ليس مما تثني اواخره على اوائله . ويموت من قبل قائله . بل مما يبقى على الاحقاب والاحوال. بقاء الثريا فى جبين الليال . وبلاغة ترتفع عن مساجلة فضلاء هذا الزمان . ومناظرة أدباء العصر والاوان . وتلتحق باشرف ما صنعه بلغاء الدولتين الاموية والعباسية . وأنفس ما وضعه فصحاء الفرقتين . المشرقية والأندلسية (جَرَى الوَادِى فَطَمَّ على القُرِىّ) ولا والله لولا خشية ان أحمل على المغالاة

أو التشيع والموالاة . لقلت انه ماخط قلم من الاقلام . منذ الف عام . مثل هذا الكلام . وهب انه وجد فى متقدمي الشعراء من أتى بمثل هذا الشعر فأنى لنا من علية الكتاب من أتى بمثل هذا النثر . ولو نظرنا فيما دوّنه البلغاء لألفينا ان من رزق اللفظ حرم المعنى . ومن اجاد المفهوم لم يجد المبني ومن احسن فى الشعر لم يحسن فى النثر • ومن اتفق لهم بعض هذى الخصال . حرموا قوة الخيال . ومقابلة الحقيقة بالمثال . فلم يجتمع لاحدمنهم ما اجتمع لهذا السيد الشريف من أركان البلاغة .وأصول هذه الصياغة . فسبحان واهب القوى والقدر . ومصور الأشباح والصور

فلما وقفت عليه أنا والفاضل الجليل الدراكة النبيل (الشيخ ابو بكر لطفي)احببنا خدمته بهذا الشرح ليبين معضله . ويفصل مجمله . ويشير الى ما فيه من لطيف الاشارات • وبعيد التاميحات . وغرائب الامثال.ونفائس الاقوال . كل مناسائل الله ان يجعل هذا الشرح كمتنه مشمولا بالافادة . موصوفا بالاجادة . آمين



الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وما في الارضِ وله الحمدُ فِي الآخرةِ وهوُ الحكيمُ الخبيرُ . بارىءِ النَّسمِ مالنَا مِنْ دوُنه من وليٍّ ولا نصيرٍ (١) . والصلاة والسلامُ علىَ السيِّدِ العَاقبِ . صفْوةِ لُؤَىٍّ بن غالبٍ . سيدِنَا ومولانَا أبى القاسمِ . محمَّدٍ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المطلبِ بنِ هاشمٍ . وعلى آلهِ وصحابتهِ . وخاصتِهِ وعامتِهِ (٢)

(أمَّا بعْدُ) فهذهِ كلماتٌ منَ النَّثرِ . وأبياتٌ منَ الشِّعرِ . ضمَّنتُهَا نُخباً مِنَ الحكمِ . وأقاويلَ مِنْ جوَامعِ الكلمِ . وذِكرى مِن مُغرِّبةِ الأخبارِ . وَنُعُوتاً لِبَعْضِ الاناسىِّ وَالآثار . ومَثُلاتٍ فى المواعظِ والاعتبارِ (٣) وشَعْشَعْتُهَا بأَنْظَارِ الجهابذَةِ المتقدِّمينَ . وَالحكماءِ المتأخرينَ .. كمَا

---

(١) بارىء خالق . النسم الروح .

(المعنى) — . الجملة الاولى آية من كتاب الله تعالى وهى أول سورة سبأ .

(٢) العاقب من اسمائه صلى الله عليه وسلم أى آخر الانبياء . صفوة الشيء ماصفا منه . لؤى بن غالب أحد أجداده صلى الله عليه وسلم

(٣) نخب جمع نخبة وهى المختار من الشيء . مغربة أى الاخبار الغريبة يقال أغرب اذا أتى بالغريب . أناسى جمع أنسى ومنه قول الله تعالى (وأنزلنا من السماء ماء طهوراً لنحيى به بلدة ميتاً و نسقيه مما خلقنا أنعاماً وأناسى كثيراً) مثلات جمع مثلة عن ابن اليزيدى أن المراد فى قوله بالمثلات الامثال . الآثار جمع أثر وهو هنا الخبر

(المعنى) ـ: أنه ضمن هذا الكتاب طائفة من شعره و نثره وأتى فيه بكل حكمة عالية وكلمة بليغه وغريبة مستملحة وصفة لبعض الاعاظم من الرجال وعظة مؤثرة وعبرة بالغة

تُشَعشعُ الرَّاحُ بثُغْبَانِ البطَاحِ (١) . فجاءتْ بحمدِ اللهِ منَ البلاغةِ في القرَارِ المكينِ . والرُّكنِ الرَّكينِ . وقد التزَمْتُ في أكثر عبارتهَا فُصحَ الحجَّاج ولسَانَ رؤبةَ بن العجَّاج . وأنا أَعلمُ أَنّ منَ الأُدباءِ اليَومَ منْ ينفُرُ منَ الغريب ولا ينفرُ منَ الدَّخيلِ ، لاستيلاءِ العجْمةِ على هذا الجيلِ (٢) فلمْ يثنِني ذلك عن أن

(١) شعشعتها أي مزجتها . الجهابذة جمع جهبذ بالكسر وهو النقاد الخبير. ثغبان جمع ثعب وهو المستنقع في صخرة أو صلابة من الارض

(المعنى)ـ أنه مزج أفكاره وأنظاره بأفكار وخواطر الحكماء والجهابذة المتقدمين في هذا المؤلف النفيس وقد قال بعضهم

واحفظ تقل ماشئته ان الكلام من الكلام

وكان أبو العلاء المعرى يفضل المتنبي على الشعراء وسمي شرحه لديوانه معجز احمد فقيل له ان كل معنى للمتنبي نجده منقولا عن غيره فقال هذه ما خذه من سواه لديكم فليصنع كل منكم مثل ديوانه ان كان ذلك في امكانه . وقيل عن البحترى

كل بيت له يجود معنـاه فمعناه لابن أوس حبيب

فلم يضع ذلك من الوليد ولم يهجن ماصاغه من قصيد

(٢) فصح جمع فصحى ككبر جمع كبرى والمراد بها أفصح كلمات الحجاج . الغريب البعيد عن الفهم. الدخيل الكلمة الاعجمية تدخل في كلام العرب. العجمة عدم الافصاح في الكلام الحجاج هو ابن يوسف بن أبي عقيل الثقفي ولد سنة ٤١ هـ ونشأ بالطائف وكان منطيقا مفوها وخطيباً بليغاً وسياسياً محنكا ـ قد اتصل في أول أمره بروح بن زنباع ثم بعبد الملك بن مروان ولم يزل يترقى الى أن ولي العراق وطار ذكره وعظم سلطانه وعند دخوله العراق دخل الكوفة وبدأ بالمسجد وخطب خطبته المشهورة التي يقول فيها

ياأهل العراق والنفاق والله لاعصبنكم عصب السلمة ولانحو بكم نحو العصا فطالما أوضعتم في الضلالة وتماديتم في الجهالة ياعبيد العصا أنا الغلام الثقفي لا أعد الا وفيت ولا اخلق الا فريت انما مثلكم كما قال الله تعالى (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة ياتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون شاهت الوجوه فانكم أشباه ذلك فاستوثقوا واستقيموا اقسم بالله لتدعن الارجاف ولتقبلن على

أُوَدِّعَ كَلامَ الأعرَابِ . بهذا الْكِتابِ . وَأَحدُوَ في إِثْرِ تلْكَ الرِّفاقِ . بِمافي هذه الأَوْراقِ .

أينَ امرُوءُ القَيْسِ وَالعَذَارَى
إِذْ مَالَ مِن تَحْتِهِ الْغَبِيطُ
إِستَنْبَطَ العُرْبُ في الْمَوَامِى
بَعْدَكَ وَاستَعْرَبَ النَّبِيطُ

وَاللهُ سبحانه المسؤُولُ أَنْ يجعَلَ هذَا العَمَلَ نافِعاً مَقبُولاً بمَنِّهِ وكَرَمِهِ ١

الانصاف ولتنزعن القيل والقال وكان وكان والهن وما الهن أو لاهبرنكم بالسيف هبرا يدع النساء أيامي والولدان يتامي والله لكاني أنظر الى الدماء تترقرق بين اللحى والغلاصم.
وتوفى بواسط سنة ٩٥ ﻫ وهي مدينته التي انشأها

ورؤبة هو ابو محمد رؤبة بن العجاج والعجاج لقب واسمه ابو الشعثاء عبدالله بن رؤبة البصرى التميمى السعدى هو وابوه راجزان مشهوران وكان رؤبة بصيرا باللغة عالما بحوشيها وغريبها وكان يقيم بالبصرة فلما ظهر بها ابرهيم بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن على بن ابى طالب وخرج على ابى جعفر المنصور وجرت الواقعة المشهورة خاف رؤبة على نفسه وخرج الى البادية ليتجنب الفتنة فلما وصل الى الناحية التي قصدها ادركه اجله بها فتوفى هناك سنة ١٤٥ ﻫ ولما مات قال الخليل دفنا الشعر واللغة والفصاحة ومن اراجيزه

تسئلنى عن السنين كم لى فقلت لو عمرت سن الحسل
اوعمر نوح زمن الفطحل كنت رهين اجل أو قتل

(المعنى) —: انه استعمل في اكثر هذا الكتاب فصيح الكلام وغريب اللغه وجزل الالفاظ وضخم التراكيب فسلك في ذلك مسالك الفصحاء المفوهين كالحجاج ورؤبة بن العجاج :

(١) الرفاق الجماعة ترافقهم في سفرك. امرؤ القيس هو الشاعر الجاهلى المشهور صاحب المعلقة. الغبيط الرحل يشد عليه الهودج. استنبط اى صاروا نبيطا. والنبيط او النبط جيل من العجم ينزلون البطائح بين العراقين ومن كلام ابن القريه) اهل عمان عرب استنبطوا واهل

القُسْطَنْطِينِيَّةُ (١)

نَهضْتُ من القَاهرةِ المُعِزِّيَّةِ . قاصداً القُسْطَنْطِينِيَّةَ . وَهِى بَلدُ الإِمامِ . وَمدينة السلامِ . وَدَارُ خلافةِ الاسلامِ . فركبْتُ سفينةً عدَوْلِيَّةً . الى الثُّغُورِ الفرنجية فجرى بنا الفُلكُ فى خِضَمٍّ عَجَّاجٍ . مُلتَطِمِ الامواجِ . أخضرِ الماءِ . كأنَّهُ افرِنْدٌ ، بحرٌ عُبابٌ لا يُقَطِّعُهُ الخاطِلُ بأوتادٍ وأسبابٍ ، تَصْطَخِبُ فيه

البحرين نبط استعربو) استعرب اى صاروا عربا . الموامي جمع موماة وهى الصحراء ولقد قال الاعشى

وطوفت للمال افاقه عمان فحمص فاؤريشلم

اتيت النجاشى فى داره وأرض النبيط وارض العجم

(المعنى)ـ البيتان لابى العلاء المعرى وقد اشار بهما الى ماجاء لامرىء القيس فى معلقته من قوله

ويوم عقرت للعذارى مطيتى فواعجبا من رحلها المتحمل

تقول وقد مال الغبيط بنا معا عقرت بعيرى ياامرىء القيس فانزل

ومنعاها اين زمن امرىء القيس وعهد تلك الفصاحة العربية والبلاغة اليعربية فقد صرنا الى زمن استولت عليه العجمة وعمت بين ابنائه البكمة

(١) القسطنطينية كانت دار ملك الروم وهى الآن قاعدة ملك الاسلام ومقر السلاطين من آل عثمان وفاتحها السلطان المجاهد الغازى ابو الفتوحات محمد الفاتح وهذه الرسالة كتبها السيد السند والاجل الاوحد منذا كثر من اثنتى عشرة سنة وقد نشرت اذ ذاك فى بعض الكتب ثم بدا له نحورها الى هذا الشكل الذى نشرت به الان وتلك سنة الادباء المؤلفين قال حماد الراوية ماتمم ذو الرمة قصيدته التى مطلعها (مابال عينيك منها الماء ينسكب) حتى آخر حياته وقال العماد الكاتب ماالف احد كتابا الا قال فى غده لو قدمت او اخرت وهو مايدل على عجز عموم البشر والتفرد بالكمال لواهب القوى والقدر

(٢) المعزية نسبة للمعز لدين الله ابى تميم معد بن اسماعيل بن محمد بن عبد الله المهدى العبيدى رابع الخلفاء الفاطميين واول من ملك مصر منهم وعمر القاهرة

(٣) عدولية منسوبة الى عدولى وهى بلدة بالبحرين او الى عدول وهو رجل كان يتخذ

النِّينَانُ ؛ وَتَضطرِبُ الدعَامِيصُ وَالحِيتَانُ ١ وأخذَتِ السفِينَةَ تَشُقُّ اليَم شق الجَلَمِ . في ريحٍ رُخَاءٍ . أَوْزَعزعٍ وَنكبَاءٍ . فهى تارةً فى طريقٍ مُعَبَّدٍ . وَميثٍ مُطرَّدٍ . وَطوراً فوقَ حزنٍ وقردَدٍ . وَصَرْحٍ ممرَّدٍ . فبيْنما هي تنْسَابُ كالحُبابِ إذا هى تلحقُ بالربابِ . وَتُحلِّقُ كالعُقابِ فتحسَبها تارةً تحتَ القَتَامِ . جبلا تَقَشَّعَ عنه الغَمَامُ . وَتخالها مرَّةً عائما على شفا . قد غاب إلاَّ هامةً أو كتفا وَالبَحرُ آونةً كالزجاج النَّدِيِّ . أوِ السيفِ الصَّدِيِّ يَلوحُ كالصفيحة

السفن أو الى قوم كانوا ينزلون هجر والمراد سفينة ضخمة. الخضم البحر. العجاج الكثير الاصوات. الافرند السيف شبه البحر به فى الخضرة

(١) العباب البحر: الخليل المراد به الخليل بن احمد الفراهيدى كان أماما فى النحو وهو الذى استنبط علم العروض واخرجه الى الوجود وكانت له معرفة بالايقاع والنغم وتلك المعرفة احدثت له علم العروض فانهما متقاربان فى المأخذ وقد كان رجلا صالحا عاقلا وقورا حليما وله من التصانيف كتاب العين فى اللغة وكتاب العروض وكتاب الشواهد وكتاب النقط والشكل وكتاب فى العوامل وكتاب النغم واخبار الخليل كثيرة وعنه اخذ سيبويه علوم الادب وكانت ولادته فى سنة مائة للهجرة وتوفى سنة مائة وسبعين ودفن بالبصرة — :الوتد ماكان فى العروض على ثلاثة احرف كعلى . السبب من مقطعات الشعر حرف متحرك وحرف ساكن جمعه اسباب . تصطخب تصوت وتضطرب . النينان جمع نون وهو الحوت. الدعاميص من دواب البحر وكان الامير خليل بن عرام فاضلا ثم رخاوتولى نيابة الاسكندرية واتهم بقتل الامير بركة فحكم بقتله فوثب عليه مماليك بركة فضربوه بسيوفهم وقطعوه وتلاعبت ايديهم بجسده فقال احمد بن العطار فى ذلك

بدت اجزاء عرام خليل   مقطعة من الضرب الثقيل
وأبدت أبحر الشعر المراثى   محررة بتقطيع الخليل

(المعنى) — : ان هذا البحر ليس من أبحر العروض التى وضعها الخليل وقطعها باوتاد واسباب وانما هو بحر لجى تضرب دوابه وتصطخب.

(٣) اليم البحر . الجلم المقراض . الرخاء الريح اللينة. الزعزع التى تزعزع الاشياء اى



المَدْحُوَّةِ ، أو المِرْآةِ المَجْلُوَّةِ ١ وحيناً يضربُ زَخَّارُهُ . ويَموجُ مَوَّارُهُ .
فكأنما سُيِّرَتِ الجبالُ . وكانما ترى قِباباً فوقَ أفيالٍ (٢) وكأنَّ قبوراً في اليَمِّ
تُحفَر . وأَلوِيَةً عليهِ تُنشَرُ . وكأنَّ العِدَّ . يَمخَضُ عن زُبْدٍ (٣) وكأنَّ الدَّوِيَّ .
مِنْ جَرْجَرَةِ الآذِيِّ . زَئيرُ الأسدِ وَهزيمُ الرَّعْدِ (٤)

يَكُبُّ الخَلِيَّةَ ذَاتَ القِلاَ ع وقد كادَ جُؤجُؤها يَنحَطِمُ

تحركها . النكباء ريح انحرفت ووقعت بين ريحين . المعبد المذلل . الميث الارض السهلة . المطرد المحدد المستقيم . الحزن ماغلظ من الارض . القردد الارض الغليظة . الصرح البيت الواحد يبنى منفرداً طويلا ضخما : المرد المملس : تنساب تمشى مسرعة . الحباب الحية . الرباب السحاب . حلق ارتفع . العقاب طائر معروف . القتام المراد به هنا الدخان . تقشع انكشف . الهامة العنق

«المعنى» ـ يقول أن السفينة أخذت تشق وجه الماء كما يشق المقراض الثوب وهى فى يد الرياح تقلبها كيف شاءت فهى تارة تستقيم فى سيرها وأخرى تنخفض وترتفع وآونة تخالها كجبل عظيم تحت الغمام وطوراً كالسابح فى لج الماء ولم يبن لاعين النظارة منه الا هامته او كتفه

(١) الصفيحة السيف ، المدحوة المبسوطة ، المجلوة المصقولة

«المعنى» ـ ان البحر فى سكونه يشبه السيف والمرآة فى استوائه وخضرته

(٢) زخاره طاميه . وموجه المضطرب

«المعنى» ـ ان البحر اذا ارتفعت امواجه كانت كالجبال رفعة وكان زبدها كقباب بيضاء فوق افيال

(٣) العد بالكسر البحر ، يمخض يحرك

«المعنى» ـ ان البحر يفتح بين كل موجة واختها قبراً وينشر من موجه ألوية فى الهواء وكأن زبده زبد يمخض فى السقاء

(٤) الجرجرة الصوت . الآذى الموج . الهزيم صوت الرعد . الزئير صوت الاسد

« المعنى » ـ ان صوت الموج فى اضطرابه يشبه زئير الاسد وهزيم الرعد

(٥) يكب يميل . الخلية السفينة العظيمة . القلاع شراع السفينة . الجؤجؤ الصدر . ينحطم ينكسر

***

فاذا كانَ الأصيلُ . وسَرَى النَّسيمُ العَليلُ . رأيتَ البحرَ كأنهُ مِبردٌ . أوْ دِرعٌ مُسَرَّدٌ أو أنَّهُ ماويةٌ . تنظرُ السَّماءُ فيهاوجهها بكرةً وعشيَّةً . وكأنما كُسِّرَ فيه الحُلِيُّ . او مُزِجَ بالرَّحيقِ القُطرُبُلِّيِّ (١) . وكأنما هو قلائدُ العقيان . أو زُجاجةُ المُصَوِّرِ يُؤَلِّفُ عليها الاصباغَ والالوانَ (٢) حتى اذا اخضَلَ الليلُ . وارخى الذَّيلَ . بدَا الهلالُ كأنَّهُ خِنجَرٌ من ضياءٍ . يشُقُّ الظَّلماءَ . او قلادَةٌ . أوْ سِوَارُ غَادَةٍ . اوْ سِنَانٌ لَوَاهُ الضِّرَابُ . اوِ الَّليلُ فيلٌ وَهو نَابٌ (٣) او

وأيسر اشفاقى من الماء اننى	أمر به فى الكوز مر المجانب
وأخشى الردى منه على كل شارب	فكيف بامنيه على نفس راكب

وكان أبو نواس يخشى النيل أيام اقامته بمصر وقال

أضمرت للنيل هجرانا ومقلية	اذ قيل لى انما التمساح فى النيل
فمن رأى النيل رأى العين عن كثب	فما أرى النيل الا فى البراقيل

والبراقيل الجرار التى يشرب فيها الماء

«المعنى» — : ان الموج فى اضطرابه يميل بالسفينة العظيمة فيكاد يكسرها . ولقد كان ابن الرومي يخاف ركوب البحر لمثل هذه الاهوال الموصوفة فى الرسالة ومن شعره

(١) الاصيل وقت مابعد العصر الى المغرب . المسرد المثقب . الماوية المرآة . القطربلى خمر منسوب الى قطربل وهو موضع بالعراق تنسب اليه الخمر

«المعنى» — : يقول انه اذا صفا البحر فى الاصيل وسكن أصبح كأنه درع وكأن الوان الشمس وضوءها فيه حلى من فضة وذهب مكسرة أو أن ماءه قد مزج بالرحيق الاصفر

(٢) العقيان الذهب

«المعنى» — : شبه الماء تحت ضوء شمس الاصيل بقلائد الذهب والزجاجة التى يضع عليها المصور الوان الاصباغ من أحمر وأصفر وأخضر ثم يرسم بها مايشاء من الصور

(٣) اخضل أظلم الليل وأقبل طيب برده . السنان نصل الرمح . الضراب [illegible] المضاربة

عُرْجُونٌ قديمٌ . او نونٌ من خطِّ ابن العديمِ (١) . أو بُرْثُنُ ضَيْغَمٍ . أو مِخْلَبُ قَشْعَمٍ (٢) أو ماءٌ خرَجَ من أُنبوبٍ في رَوْضٍ . أو ثَمَدٌ في أسفلِ حَوْضٍ . أو وَشْيٌ مَرقُومٌ . أو دِمْلَجٌ من فِضَّةٍ مَفصُومٌ . او قُلامَةُ ظُفرٍ . أو صِنَّارٌ في شبكٍ في بحرٍ (٣)

أيا ضَوءَ الهلالِ لَطُفْتَ جِدًّا
كأنّكَ في فمِ الدنيا ابْتِسَامُ
يُحَبِّبُ لي سَناكَ العِشقَ حتى

---

(١) العرجون أصل العذق الذى يعوج وتقطع منه الشماريخ فيبقى على النخل يابساً ، وابن العديم هو كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبى جرارة الصاحب العلامة رئيس الشام العقيلى الحلبى ولد سنة ٥٨٦ ﻫ وكان محدثاً فاضلا حافظاً مؤرخا صادقا فقيها مفتياً منشئاً بليغا كاتبا محموداً وكان رأسا فى الخط المنسوب لاسيما النسخ والحواشى له من المصنفات تاريخ حلب. وكتاب الدرارى فى ذكر الذرارى وكتاب الاخبار المستفادة فى ذكر بنى جرادة وكتاب فى الخط وعلومه وآدابه ووصف ضروبه وأقلامه وكتاب رفع الظلم والتجرى عن أبى العلاء المعرى وكتاب تبريد حرارة الاكباد فى الصبر على فقد الاولاد وكانت وفاته سنة ٦٦٦ ﻫ ودفن بسفح المقطم فى القاهرة

«المعنى» ـ هذه كلها تشبيهات للهلال فى اعوجاجه والتوائه

(٢) الضيغم السبع . المخلب ظفر كل سبع من الطائر والماشى. القشعم النسر الكبير.

(٣) الانبوب كعب القصب. الثمد الماء القليل لامادة له . الوشى نقش الثوب ويكون من كل لون ونوع . المرقوم رقم الكتاب أعجمه وبينه والثوب خططه وأعلمه. والدماج كدرهم وقنفذ حلى يلبس فى المعصم . مفصوم مكسور . القلامة ماسقط من طرف الظفر. الصنار بالكسر الحديدة المعقفة الدقيقة التى فى رأس المغزل ويستعمل مثلها لصيد السمك

« المعنى» ـ شبه الهلال فى نوره والتوائه باشياء مختلفة منها دماج مكسور نصفين وأحد النصفين هو الهلال ومنها صنار فى شبك فى بحر أى الهلال هو الصنار والنجوم هى الشبك والبحر هو السماء

يصاحبني وأصحبه الغرام !

للمؤلف

ثم إذا غاب الهلال ، وتوارى في الحجال . ألفيت الكون من السواد ، في لبوس حديد أو لباس حداد . وكأنما الماء سماء . وكأن السماء ماء ، وكأن النجوم در . يموج في بحر ، أو ثقوب في قبة الديجور ، يلوح منها النور ، أو سكاك دلاص . أو فلق رصاص . أو عيون جراد . أو جمر في رماد ، أو الماء ، صفائح فضة بيضاء . سمرت بمسامير صغار . من نضار ، فلا تفتؤ السفينة تكابد الويل .. من البحر والليل . حتى يلوح من الأفق الضياء . كأ بتسام

---

(١) هذان البيتان هما للسيد المؤلف يصف بهما الهلال وضوءه والشطرة الثانية من البيت الاول هي لابي الطيب المتنبي وصدرها

لقد حسنت بك الايام حتى   كأنك في فم الدنيا ابتسام

واستعملها السيد هنا اشارة الى لألاء نور الهلال في الليل

(٢) الحجال الستر . لبوس الدرع ومنه « وعلمناه صنعة لبوس » أي عمل الدرع الحداد ثياب المأتم

(المعنى) يقول اذا أظلم الليل رأيت الكون كانه في عدة الحرب من الحديد أو في لباس الحزن من السواد وقد اختلط البحر بالسماء في لونه واخضراره فكان السماء ماء وكان النجوم فيها در وقال امرؤ القيس

وليل كموج البحر أرخى سدوله   على بانواع الهموم ليبتلى

(٣) الديجور الليلة المظلمة . السكاك المسامير . الدلاص الدرع الملساء اللينة . الفلق جمع فلقة وهي القطعة

(٤) النضار الذهب أو الفضة

«المعنى» شبه النجوم في الماء بمسامير من ذهب مضروبة على صفائح من فضة

الشفةِ اللمْيَاء ١ . فإذا السفينةُ كأنها سِرٌّ كتمَهُ الظلامُ . وكشفه ٢ الضِّرام*

* * *

وكان غِذاؤُنا فيها قِطعاً من نونٍ . ولحمَ طيرٍ مما يشتهون . وفاكهةً وأَبًّا
وماءً عذباً ، وفانيذاً مُرَوَّقاً . وجُلاَّباً مُصَفَّقاً .

يَظَلُّ فى درمكٍ وفاكهةٍ

وفى شِواءٍ ماشئْتَ أومرقه

إلى رُدُحٍ من الشِّيزَى مِلاَءٍ

لُبَابَ البُرِّ يُلبَكُ بالشِّهادِ ٣

أما الشَّرْبُ من الرَّكْبِ . فيطوفُ عليهِمْ سُقَاةٌ كجُمَّاعِ الثُّريَّا . بأقداح

---

(٥) اللمياء الشفة التى بها سمرة والعرب تمدح ذلك
(المعنى) شبه ظهور الفجر من الظلام بالثغر البراق اذا بدأ من الشفة السمراء
(٦) الضرام الضوء
«المعنى» يقول كان السفينة فى خفائها فى الظلام سرٌّ كتمه صدر كتوم واخفاء حتى كشفه نور الصباح وأبداه
(١) النون الحوت. الاب المراد به هنا الخضر. الفانيذ نوع من شراب السكر. الجلاب العسل أو السكر عقد بوزنه من ماء الورد فارسى معرب. المصفق المصفى. الدرمك دقيق الحوارى قال الاعشى :

له درمك فى رأسه ومشارب وقدر وطباخ وكاس وديسق

وفى الحديث فى صفة الجنة وتربتها الدرمك وهو الدقيق الحوارى . الردح جمع رداح وهى الجفنة العظيمة . الشيزى شجر تعمل منه القصاع والجفان: اللباب الطحين المرقق. يلبك يخلط . الشهاد جمع شهد وهو العسل مادام لم يعصر من شمعه

الحُمَيّا (١) وفي كلِّ مكانٍ . أرائكُ وإيوانٌ . وأضواءٌ تبهرُ . وشموعٌ تزهرُ . ونايٌ ومزهرٌ . وحديثٌ وسمّرٌ (٢) . فكأنما نحنُ في المدينةِ لا في السفينةِ . وفي أندرينَ أو جدرٍ . لا في ذاتِ ألواحٍ ودُسُرٍ (٣) وبعدَ ثلاثةِ أيامٍ وكسرٍ . قضيناها في البحرِ . وصلنا إلى أوروبا فإذا أرضٌ أريضةٌ وبلادٌ عريضةٌ وجنّةٌ وحريرٌ ومُلكٌ كبير

كَبَّرْتُ حَوْلَ دِيَارِهِمْ لَمَّا بَدَتْ
مِنْهَا الشُّمُوسُ وليسَ فِيهَا المَشْرِقُ (٤)

«المعنى» يريد أن غذاءهم في السفينة كان من أطيب مأكل وأنفس مشرب والبيت الاخير لامية بن أبي الصلت يمدح به عبد الله بن جدعان لما أطعم العرب الفالوذج ولم يعرفوه من قبل

(١) الشرب جماعة الشاربين جماع بالضم كل ماتجمع وانضم بعضه الى بعض الثريا سبعة كواكب في عنق الثور . الحميا الخمر

«المعنى» يقول ان من كان يشرب الطلا من ركاب السفينة كان يطوف عليهم سقاة باقداحها

(٢) الارائك جمع اريكة وهي السرير المنجد المزين: الايوان الصفة العظيمة فارسي معرب. الناي آلة تتخذ للملاهي معرب • المزهر بالكسر عود يضرب به. سمر جمع سامر تزهر أي تضي

(٣) اندرين قرية بالشام كثيرة الخمر .جدر محركة بلدة مثلها بين حمص وسلميه • الدسر جمع دسار وهو المسمار والمراد بذات الالواح والدسر السفينة

(٤) اوربا قسم من أقسام الدنيا الخمس مشهور بما فيه من الحضارة والمدنية «المعنى» يقول أنه قد تهيأت جميع الاسباب في السفينة حتى كأنهم في مدينة عامرة. هذا البيت من قصيدة لابي الطيب المتنبي قالها في صباه يمدح بها ابا المنتصر شجاع ابن محمد بن اوس الازدي ومطلعها

أرق على ارق ومثلي يأرق   وجوى يزيد وعبرة تترقرق

وَلا واللهِ ماَ الفَرْخُ نُقِلَ منَ الغرْقِىءِ الىَ اللُّوحِ . ولاَ من كانَ فى غَبَشٍ فَبدَتْ لهُ يُوحُ . ولا بدَوِىٌّ طرَقَ احدَى اللَّيَالى . قَرْيَةَ بكرِ بنِ عاصِمٍ الهلالىِّ . بأحيرَ نظراً . وأدهَشَ ممَّا رأيتُ فكراً (١) .

جهـد الصبابة ان تكون كما ارى عـين مسـهدة وقلب يخفق

ومنها ابنوا أوس بن معن بن الرضى فاعز من تحدى اليه الاينق

كبرت حول ديارهم لما بدت منها الشموس وليس فيها المشرق

وقد استشهد السيد بهذا البيت حينما رأى حضارة أوربا وأبصر شمس العلم مشرقة فى المغرب وهو ليس موضع شروقها وهو غاية فى حسن الاستشهاد

(١) الغرقىء القشرة الملتصقة ببياض البيض أو البياض الذى يؤكل . اللوح الفراغ الذى بين السماء والارض . الغبش بقية الليل او ظلمة اخره . يوح الشمس

(المعنى) يقول ان من انتقل الى حضارة اوربا وما فيها من ضخامة العمران كان مثله مثل الفرخ الذى تفلقت عنه البيضة فخرج من ذلك المكان الى سعة الدنيا ويقول ان من رأى ذلك وهلة حار نظره كانما خرج من ظلمة الى نور ويقول ايضاً ان مثله مثل ذلك البدوى الذى دخل حضر المسلمين فصار يعجب من كل شىء رآه ولا يدرك مغزاه لعدم سبق معرفته بمثل ذلك ولهذا البدوى قصة لطيفة جدا نوردها هنا من لطيف اخبار الاعراب ما رواه محمد بن يزيد قال كنت نازلا بحلب على الهيثم بن عدى فبعث الى ضيف له من عذرة اعرابى فقال له حدث ابا عبد الله عما رأيت فى حضر المسلمين من الاعاجيب قال نعم رأيت اموراً معجبة منها اننى دخلت قرية بكر ابن عاصم الهلالى واذا انا بدور متباينة واذا خصاص بيض بعضها الى بعض واذا بها ناس كثير مقبلون مدبرون وعليهم ثياب حكوا بها انواع الزهر فقلت لنفسى هذا احد العيدين الفطر او الاضحى ثم رجع الى ماعزب من عقلى فقلت خرجت من اهلى فى عقب صفر وقد مضى العيدان قبل ذلك (والذى رآه هو احتفال بعرس) فبينا انا واقف اتعجب أتانى رجل فأخذ بيدى وادخلنى بيتا قد نجد وفى وجهه فرش ممهدة وعليها شاب ينال فرع شعره كتفيه وقد اصطفت الناس حوله سماطين فقلت فى نفسى هذا الامير الذى يحكى لنا جلوسه وجلوس الناس حوله فقلت وانا ماثل بين يديه السلام عليك ايها الامير ورحمة الله قال فجذب رجل بيدى وقال ليس بالامير اجلس قلت فمن هو قال عروس قلت واثكل اماه لرب

ثم بعدَ برهةٍ منَ الزمَنِ . نهضْنَا للظعَنِ . ورَحَلْنَا الى القُسْطَنْطِينيَّةِ .

عروس بالبادية قد رأيته اهون على اصحابه من هن امه فلم ألبث ان ادخلت الرجال علينا آنات مدورات من خشب اماماخف منها فيحمل حملا واماماثقل فيدحرج فوضعت امامنا وحلق القوم عليها حلقاثم اتينا بخرق بيض فالقيت علينا فهممت والله أن أسأل القوم خرقة منها أرقع بها قيصي وذلك انى رأيت لها نسجامتلاحماً لايتبين له سدى ولا لحمة فلما بسط القوم أيديهم اذا هو يتمزق سريعا واذا هو صنف من الخبز لاأعرفه ثم اتينا بطعام كثير من حلو وحامض وحار وبارد فا كثرت منه وانا اعلم مافى عقبه من التخم والبشم ثم اتينا بشراب احمر فى عساس بيض فلما نظرت اليه قلت لاحاجة لى به لانى اخاف ان يقتلنى وكان الى جانبى رجل ناصح لى احسن الله جزاءه كان ينصحنى بين اهل المجلس فقال لى يااعرابى انك قد اكثرت من الطعام فان شربت الماء همى بطنك فلماذ كر البطن ذكرت شيئاً اوصانى به الاشياخ قالوا لاتزال حياً ما دام بطنك شديداً فان اختلفت فاوص فلم أزل اتداوى بذلك الشراب ولا امله حتى داخلنى . صلف لااعرفه من نفسى ولاعهد لى به وكان الى جانبى الرجل الناصح لى فجعلت نفسى تحدثنى بهتم اسنانه مرة وهشم أنفه أخرى واهم احيانا أن اقول له ياابن الزانية فبينا نحن كذلك اذ هجم علينا شياطين اربعة أحدهم قد علق جعبة فارسية مفتحة الطرفين قد شبكت بالخيوط وقد ألبست قطعة فرو كأنهم يخافون عليها القر ثم بدا الثانى فاستخرج من كفه هنة كأذن الحمار فوضع طرفها فى فيه فصاح فيها ثم جلس على حجر تها فاستخرج منها صوتا مشا كلا بعضه بعضا (هؤلاء هم المغنون ولم يعرفهم لبداوته) ثم بدا الثالث وعليه قيص وسخ وقد غرق رأسه بالدهن ومعه سرتان فجعل احداهما على الاسرى ثم بدا الرابع عليه قيص قصير وسراويل قصيرة فجعل يقفز صلبه ويهز كتفيه ثم التبط بالارض فقلت معتوه ورب الكعبة (هذا هو الراقص) ثم مابرح مكانه حتى كان اغبط القوم عندى ثم ارسلت الينا النساء ان امتعونا من لهوكم فبعثوا بهم اليهن وبقيت الاصوات تدور فى آذننا وكان معنا فى البيت شاب لا آبه له فعلت الاصوات له بالدعاء فخرج فجاء بخشبة فى يده عيناها فى صدرها فيها خيوط اربعة فاستخرج من جوانبها عوداً فوضعه على اذنه ثم زم الخيوط الظاهرة فلما احكمها عرك اذنها فنطق فوها فاذاهى احسن قينة رأيتها قط فاستخفنى حتى قمت من مجلسى فجلست اليه فقلت بابى انت وامي ماهذه الدابة قال يااعرابى هذا البربط (أى العود) قلت فما هذه الخيوط قال أما الاسفل فزير والذى يليه مثنى والذى يليه مثلث والذى يليه بم فقلت آمنت بالله

فَرَكِبْنا اليها وابُورَ البرِّ فى ليلةٍ عريَّةٍ (١) فسَرَى بنَا وكأنَّهُ ثعبانٌ . لهُ عَينَانِ تقِدَانِ . ينْسَابُ فى القِيعانِ . ويلتَوِى على الرِّعَانِ (٢) أو أنَّهُ مُبْتَداءٌ متعدِّدُ الاخْبَارِ . أو كلِمٌ مجْرُورَةٌ بحَرْفٍ جارٍّ أو انَّهُ بيْتٌ ذُو تقطيعٍ من البَحرِ السَّرِيعِ (٣) فتارةً وَعِلٌ على الجِبَالِ وَأُخرى جَدْوَلٌ بينَ الادْغالِ وَاوِنةً ينطلِقُ كالجوَادِ . ومرَّةً يثِبُ كالجرَادِ (٤) وقد يَدورُ فى الصعِيدِ كَخَذْرُوفِ الوليدِ إنِ ارتقَى فَدَعْوَةُ المظْلومِ أوِ انْحَطَ فرُوحُ الظَّلومِ

---

(١) البرهة الزمان الطويل . الظعن السير . العرية الباردة

(٢) ينساب يمشى مسرعا . القيعان جمع قاع وهو ارض سهلة مطمئنة . الرعان جمع رعن وهو انف يتقدم الجبل والجبل الطويل

(المعنى) شبه الوابور فى سيره والتوائه بالثعبان وشبه السراجين الموضعين فى مقدمه بعينى الثعبان

(٣) المبتداء هو الاسم المجرد عن العوامل اللفظية . الاخبار جمع خبر والخبر هو الجزء الذى حصلت به الفائدة مع مبتداء والصحيح تعدد الخبر كقوله تعالى (وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد) حرف جار مشى السيد المؤلف على ان العامل فى التابع للمجرور بحرف الجار هو العامل فى المتبوع على ما هو الصحيح . البحر السريع هو أحد أبحر العروض الستة عشر ومن أعاريضه واضربه مستفعلن مستفعلن فاعلن مرتين ومثاله

هاج الهوى رسم بذات الغضى مخلولق مستعجم محول

(المعنى) شبه الوابور وجره لعرباته بمبتداء متعدد الاخبار وبكلم مجرورة بحرف جار وكذلك شبه القطار فى تركبه من غرف متباينة بالبيت الشعر اذا قطعت كلماته بالوزن العروضى وخصص البحر السريع للتورية بسرعة الوابور

(٤) الوعل تيس الجبل . الادغال جمع دغل وهو الشجر الكثير الملتف

(٥) الصعيد وجه الارض الخذروف شىء يدوره الصبى بخيط فى يديه فيسمع له دوى وهى اللعبة التى تسميها العامة النحلة

هزِجٌ يَحُكُّ ذِراعَهُ بذِراعِهِ
فعلَ المُكِبِّ على الزِّنادِ الاجذَمِ(١)

أسرَى فى اللَّيالِ من طيفِ الخيَالِ وأمضَى فى الذَّهابِ من العُقَابِ (وترى الجبالَ تحسَبُها جامِدَةً وهى تَمُرُّ مرَّ السَّحابِ (٢) كأنَّهُ غرابُ البَيْنِ إنْ نعَبَ ففُرْقةٌ بينَ اثنينِ راحلةٌ لا ترْعَى الشِّيحَ والسَّعْدانَ ولا تسيرُ الذَّميلَ والوَخَدانَ . ولا ترِدُ عَيْنَ أُثالٍ . ولا تعقرُها الرِّحالُ (٣) فمازالَ يَطوِى

(المعنى) ان هذا الوابور سريع فى صعوده سريع فى انحداره فان صعد كان فى سرعة دعوة المظلوم وان انحدر كان فى سرعة روح الظالم فى انحطاطها

(١) الهزج المترنم المتتابع الصوت • المكب الدائم النظر الى الارض • الزناد جمع زند وهو العود الاعلى الذى يقتدح به النار الاجذم هو المقطوع اليد وقيل الذاهب الانامل جمعه جذمي على حدا حمق وحمقى قال عويف القوافى

ولم ار قتلى لم تدع لى بعدها   يدين فما ارجو من العيش أجذما

(المعنى) انه شبه الوابور الجار للعربات فى تحريكه يديه عند السير بالذباب فى تحريكه يديه او بالاجذم اذا اكب على الزناد والبيت من معلقة عنترة التى مطلعها

يادار عبلة بالجواء تكلمى   وعمى صباحا دار عبلة واسلمى

(٢) هذه آية من القرآن الكريم

(٣) الراحلة النجيب الصالح لان يرحل من الابل والقوى على الاسفار والاحمال يقال للمذكر والمؤنث والهاء للمبالغة والجمع رواحل. الشيح نبت. السعدان نبت من افضل مراعى الابل ومنه (مرعى ولا كالسعدان) الذميل السير اللين للابل . الوخدان الاسراع أثال كغراب ماء لعبس وواد يصب فى ماء الستارة. تعقرها تجرحها

(المعنى) يقول ان الوابور اذا صفر يكون كغراب نعب اذ يعقب ذلك فراق وسفر كما ان نعيب الغراب يعقبه ذلك كما تزعم العرب وشبه الوابور بالناقة فى سيرها وانما قال انه ناقة لا ترعى الشيح والسعدان الذى هو من مراعى الابل ولا يسمى سيرها بالذميل و الوخدان وهما من



المَنَازِل طَيَّ السِّجِلِّ. بينَ ارتحالٍ وَحِـلٍّ.

يَوْمًا بِحُزْوَى ويَوْمًا بالعَقِيقِ وَبالْ
عُذَيْبِ يَوْمًا وَيَوْمًا بالْخُلَيصَاءِ
وتارَةً يَنْتَحِى نَجْدًا وآونَةً
شِعْبَ الحزُونِ وأخرى قصرَ تيماءِ (١)

الى أن وصلْنَا دَارَ السَّعادَةِ وألْقَيْنَا بها عصا الوِفادَةِ.

نَؤُمُّ بها ابْنَ ذى يَزَنٍ وَتفْرِى

سماء سير الابل ولا ترد المنهل المشهور عند العرب المسمى بأثال ولا يجرح ظهرها الرحل

(١) السجل الكتاب والجمع سجلات. حزوى تقصوى موضع. العقيق موضع بالمدينة العذيب كزبير موضع الخليصاء موضع. نجد موضع معروف اعلاه تهامة اليمن واسفله العراق والشام واوله من جهة الحجاز ذات عرق. الشعب الطريق بين الجبلين. الحزون موضع. قصر تيماء قال ياقوت بليد فى اطراف الشام بين الشام ووادى القرى على طريق حاج الشام ودمشق والابلق الفرد حصن السموأل مشرف عليها فلذلك كان يقال لها تيماء اليهودى ولما بلغ اهلها سنة ٩ هجرية قدوم النبى صلى الله عليه وسلم الى وادى القرى ارسلوا اليه وصالحوه على الجزية واقاموا ببلادهم فلما اجلى عمر اليهود عن جزيرة العرب اجلاهم معهم وقال بعض الاعراب الى الله أشكو لا الى الناس اننى بتيماء تيماء اليهود غريب

وقال الاعشى

ولا عاديا لم يمنع الموت ماله ووِرد بتيماء اليهودى أبلق

وكانت تيماء حصنا اعمر من تبوك وحاضرة بنى طى.

(المعنى) يقول ان الوابور ينتقل كل ساعة من مكان لآخر فى سيره فهو اليوم فى بلد وغدا فى اخرى وهكذا

(٢) نؤم نقصد. ابن ذى يزن ملك حمير. الخف للبعير والنعام بمنزلة الحافر والجمع اخفاف او خفاف صنعاء مدينة باليمن. العتيق القديم من كل شىء والكريم

بُطُونَ خفافِها أُمُّ الطَّريقِ
فامّـا واقَعَتْ صَنْعاءَ صارَتْ
بدَارِ المُلكِ والحسبِ العتيقِ (٢)

* * *

فما تبالَةُ مُخْصِبًا أهضَامُها . ولا بَابلُ مُعلَّقةً أَجامُها . ولا دمشقُ فى مُلك الوليدِ . ولا بغدادُ فى زمنِ الرَّشيد . بأَضْخَمَ رُفَهْنيَةً وحضَارَةً وأَروعَ زبرجًا وشارَةً (١) برُحُوُّ تِلاعهُ خُضرٌ آكامُهُ وأجراعهُ مُعشِبٌ محاجرُهُ منبثقٌ

(١) تبالة بلدة باليمن خصبة . الاهضام جمع هضم وهو المطمئن من الارض وبطن الوادى . بابل هى مدينة قديمة فيما يعرف الآن بتركية آسيا واقعة على الضفة الشرقية من نهر الفرات نفسه والذى بناها هو بختنصر الذى قال عنها انها بابل الكبرى التى بنيتها البيت ملك دولتى وقيل ان بختنصر جعلها نزهة لزوجته أميتيس فانشأ بساتينها مؤلفة من جبل صناعى اتساع كل من جوانبه أربعمائة قدم وكان مرتفعا بسطوح متوالية أكثر من اسوار المدينة وكانت السطوح نفسها مؤلفة من أبنية متعاقبة يغشى رؤوسها حجارة مسطحة طولها ستة عشر قدما وعرضها أربعة اقدام وكانت فوق تلك الحجارة موادمما تستقف بها البيوت يعلوها طبقة من القار ويغشى هذه الطبقة صفائح من الرصاص وكان التراب يعرش فوق ذلك ويجعل بعض الجاميع متخلخلا بحيث تتخللها أصول اكبر الاشجار وكان الماء يجر من النهر لسقى تلك البساتين فباتت أشبه بجبل رافل بحلل الخضرة تعلوه حدائق غلباء ورياض غناء . الاجام الجنان والغابات • دمشق هى المدينة المشهورة قصبة الشام وهى جنة الدنيا بلا خلاف لحسن عمارة ونضارة بقعة وكثرة فاكهة ونزاهة رقعة وغزارة مياه وهى مدينة قديمة وقد فتحها المسلمون فى رجب سنة ١٤ للهجرة فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومن أشهر مبانيها الجامع الاموى كان قد بناه الوليد بن عبد الملك بن مروان وابتدأ فى عمارته سنة ٨٧ هجرية ويقال ان الوليد انفق على عمارته خراج المملكة سنة حكى موسى ابن حماد قال ، رأيت فى مسجد دمشق كتابة بالذهب فى الزجاج محفورة سـورة

بالمياه مفاجره يشقه خليج (١) كأنه سيف مسلول (٢). أو سجنجل مصقول. وعلى شاطئيه قرى ودساكر. ورساتيق ومقاصر. وقصور بيض على الخضراء. كالنجوم في السماء. أو أشرعة فلك في ماء

الها كم التكاثر الى آخرها ورأيت جوهرة حمراء ملصقة فى القاف فى قوله تعالى حتى زرتم المقابر فسألت عن ذلك فقيل لى انه كانت للوليد بنت وكانت هذه الجوهرة لها فماتت فامرت امها ان تدفن هذه الجوهرة معها فى قبرها فامر الوليد بها فصيرت فى قاف المقابر ثم قال لامها انه قد اودعها المقابر فسكتت ، بغداد هى مدينة شهيرة بالعراق من تركية اسيا وهى قاعدة ولاية باسمها والذى بناها هو ابو جعفر المنصور ثانى الخلفاء العباسيين شرع فى تخطيطها سنة ١٤٥ هجرية وأتم بناءها سنة ١٤٩ هجرية وجعلها مدورة لئلا يكون بعض الناس اقرب اليه من بعض وسماها مدينة السلام وكانت هذه المدينة قديما جليلة الشأن عظيمة الشهرة والعمارة والتجارة والزخرفة وقد اخذ العلم فيها كل مأخذ ولا سيما فى ايام الرشيد والمأمون فالمأمون انشأ فيها مرصدا فلكيا وامر باستخراج كتب الحكمة من اليونانية فزهت بالعلماء والفضلاء وخرج منها فطاحل الائمة فى كل العلوم وبلغ عدد سكانها فى تلك الايام سنة ٢١٦ هـ نحو مليونين من الانفس وكانت مقر الخلافه لبنى العباس فلما سقطت الخلافة سقطت بغداد وامتد فيها الخراب واشتدت بها الفتن وكثر الحريق والتخريب فخمدت نار عزها وتهدمت اسوار مجدها واندرست رسوم مدارسها وتقوضت قباب مصانعها ، الرفهنية كبلهنية رغد الخصب ولين العيش أروع من راعه اعجبه ، الزبرج الزينة ، الشارة الحسن والجمال والهيئة

(المعنى) يقول ان القسطنطينية فى حدائقها المرتفعة المشرفة على بيوتها كبابل فى جناتها وانها فى عمرانها كدمشق فى ايام الوليد وبغداد فى زمن الرشيد

(١) حوخضر ، التلاع جمع تلعة وهو مسيل الماء من أعلى الوادى الى أسفله ، الاجراع جمع اجرع وهو الرملة الطيبة المنبت ، المحاجر جمع محجر كمجلس وهو الحديقة ، منبثق منفجر ، المفاجر مواضع انفجار الماء

(٢) السجنجل المرآة

فِي قِبَابٍ حَوْلَ دَسْكَرَةٍ
حَوْلَهَا الزَّيْتُونُ قَدْ يَنَعَا (١)

وكانَ كلُّ شاطِئٍ منهُمَا قد انتهتِ المحاسنُ إليهِ . فلا يفضُلُ أحدُهُما على الآخرِ إلا لكَوْنِهِ يَظَلُّ عليهِ . فإذا رأيتَ ثم رأيتَ حينَ دُلوكِ الشَّمْسِ . وقد شعشعَ نورُهَا كلَّ بناءٍ وغرسٍ . وقد عكسَ في الماءِ . صُوَرُ ما يُحيطُ به من الاشياءِ . أبصرتَ في الماءِ قِبَاباً من ذهبٍ . وأَمْهاةً من لهبٍ . وكُثبانًا من زُمُرُّدٍ ووِدْيانًا من زبرجدٍ . وجبالاً وأيفاعًا . وحصونًا وقِلاعًا . وسِدْرًا ودُلاَّعًا . وسُقُوفًا من جَوْهَرٍ . وعُمُدًا من مَرْمَرٍ . وصَرْحًا من قواريرَ . وتماثيلَ وتصاويرَ . ودُورًا وحُورًا . ونارًا ونورًا . وحُللاً تُطوى وتُنشرُ . وسيوفًا تُغمدُ وتُشهرُ . وأقمارًا تُصاغُ وتُكسرُ (٢) فكأنَّما تقرأُ في البرِّ . قصيدةً من

---

(١) الشاطىء للنهر شطه . الدساكر جمع دسكرة وهى الارض المستوية وبيوت الاعاجم يكون فيها الشراب والملاهى او بناء كالقصر حوله بيوت . الرساتيق جمع رستاق وهو القرية فارسى معرب المقاصر جمع مقصورة وهى الناحية من الدار على حيالها ومنها قوله (ومن دون ليلى مصمتات المقاصر) والمصمت المحكم . الاشرعة جمع شراع وهو شىء كالملاءة الواسعة فوق خشبة تصفقه الريح فيمضى بالسفينة . ينع الثمر حان قطافه

(٢) الدلوك غروب الشمس او اصفرارها وميلانها . شعشع اضاء . الكثبان جمع كثيب وهو التل من الرمل سمى به لانه انكثب اى انصب فى مكان فاجتمع فيه . الزمرد جوهر معروف الزبرجد يشبه الزمرد وهو الوان كثيرة والمشهور منها الاخضر المصرى والاصفر القبرسى ايفاع جمع يفع وهو التل . الدلاع كرمان ضرب من محار البحر . الصرح القصر وكل بناء عال القوارير اوان من زجاج فى بياض الفضة

(المعنى) خليج القسطنطينية احد شاطئيه يسمى الروملى والآخر يسمى الاناضول وهما من

شِعرٍ . وتنظرُ في البحرِ . فانوسًا من سِحرٍ (١). أمّا المدينةُ العتيقةُ فتلوحُ كأنّها جبلٌ ذو طولٍ وعرضٍ . أو غمامٌ مُطبقٌ على الارضِ . وكأنّ ما دونها أجمةٌ منَ القصبِ والاسَلِ . بأعلى الجبلِ (٢) فإن دخلتها وجدتها واسعةَ الرُّقعةِ جيِّدةَ البُقعةِ ورأيتَ اختلافًا في البقاعِ ، وتباينًا في الأوضاعِ ، اذ ترى القصرَ ذي الشُّرُفاتِ مِنْ سِنْدادٍ . والجوسقَ كأنهُ إرَمُ ذاتُ العِمادِ (٣) بينهما

احسن منازه الدنيا لا تزال تميل بهما الاشجار وتتدفق الانهار وتتغنى الاطيار فهو يقول انه لا يمكن تفضيل احدهما على الآخر الا ان يقال ان هذا يفضل هذا لانه يطل عليه والثانى يفضل الاول لانه ينظر اليه على حد قولهم فلان عقله اكبر من علمه وعلمه اكبر من عقله ثم وصف مناظر جانبى الخليج منعكسة فى مائه وصورها بصور العجائب والغرائب التى لا توجد الا فى اقاصيص القصاص والكهان وقد أبدع فى ذلك ووصل الى غاية لا يبلغها قول قائل ولا تنالها يد متناول

(١) الفانوس النمام عن المازرى وكأن فانوس الشمعة منه

(٢) الاجمة الشجر الكثير الملتف . الاسل محركة نبات الواحدة بهاء والرماح والنبل وشوك النخل وعيدان تنبت بلا ورق يعمل منها الحصر

(٣) الرقعه القطعة من الارض . البقعة بالضم وقد تفتح القطعة من الارض ومنه قوله تعالى (فلما أتاها نودى من شاطىء الوادى الايمن فى البقعة المباركة) القصر ذى الشرفات من سنداد هو اسم قصر بالعذيب وقيل هو من منازل اياد اسفل سواد الكوفة وكان عليه قصر تحج العرب اليه ومنه قول الاسود ابن يعفر النهشلى

ماذا اؤمل بعد آل محرق ... تركوا منازلهم وبعد أياد
اهل الخورنق والسدير وبارق ... والقصر ذى الشرفات من سنداد

الجوسق القصر . ارم قيل موضع بفارس . وقال المتلمس لعمرو بن هند

ألك السدير وبارق ... ومرابض ولك الخورنق
والقصر ذو الشرفات من ... سنداد والنخل المبسق
والتغلبية كلها ... والبدو من عان ومطلق
وتظل فى دوّامة المـ ... ـولود يظلمها تحرق

دُورٌ كنافقاءِ اليربوعِ أو الاطلالِ الباليةِ فى الربوعِ (١) وَيتخلّلُ المدينةَ طُرُقٌ بعضُهَا كأفاريزِ البساتينِ . والبعضُ كرؤوسِ الشياطينِ (٢) وفيها أسواقٌ كلُّ سُوقٍ أضيقُ من جحاظٍ . وأحفلُ من عكاظٍ لا تزالُ تنهقُ بطُرَفِ الهندِ ومُلَحِ فارسَ والسِّنْدِ . وتحفِ فرنجةَ والتركمانِ . وأفلاذِ البحرينِ وعُمانٍ

وَترَى الروَاسمَ تختلِفْنَ وفوقَهَا
وَرَقُ العراقِ سبائكٌ وحريرُ (٤)

يقول له لك هذا الملك الكبير وهذه القصور وانت تتحرق غضبا اذا اخذ منك دوامة اى لعبة

(١) النافقاء احدى حجرة اليربوع يكتمها ويظهر غيرها فاذا أتى من جهة القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفق . اليربوع نوع من الفار طويل الرجلين قصير اليدين جدا

(المعنى) يقول ان المدينة القديمة فى القسطنطينيه لا تناسب بين بعض مبانيها والبعض الاخر اذ ترى بها القصور الكبيرة يتخللها ابنية حقيرة

(٢) الافاريز جمع افريز وهو من الحائط طنفه فارسى معرب

(المعنى) ان طرق الاستانة اغلبها مفروش بالاحجار الكبيرة الناتئة ولهذا شبهها برؤوس الشياطين وقد جاء فى القرآن (طلعها كانه رؤوس الشياطين) قال الزجاج وجهه ان الشىء اذا استقبح شبه بالشياطين فيقال كانه وجه شيطان وكانه رأس شيطان والشيطان لا يرى ولكنه يستشعر انه اقبح ما يكون من الاشياء ولو رؤى لرؤى فى اقبح صورة ومثله قول امرىء القيس يقتلنى والمشرفى مضاجعى ومسنونة زرق كانياب اغوال

ولم تر الغول ولا انيابها ولكنهم بالغوا فى تمثيل ما يستقبح من المذكر بالشيطان وفيما يستقبح من المؤنث بالتشبيه له بالغول

(٣) جحاظ محجر العين . عكاظ كغراب سوق بصحراء بين نخلة والطائف كانت تقوم هلال ذى القعدة وتستمر عشرين يوما فتجتمع قبائل العرب فيتعا كظون اى يتفاخرون ويتناشدون

(٤) تنهق تعلو . الطرف جمع طرفة وهى الملحة والغريب المستحسن المعجب . الهند

وقد يَخَالُ منْ يجُوزُ فيها . وَيتقلَّبُ فى نَوَاحيها . أَنَّهُ في دُنيَا صغيرةٍ . لا فى بلدةٍ كبيرةٍ . فَثَمَّ عَرَبِيٌّ وأعْجَميٌّ . وَرُوميٌّ وَكُرْديٌّ . وطَماطِمَةٌ صُفْرٌ . وَصقالبةٌ حُمرٌ . والعمامةُ والسَّربُوشُ ةِ والقُبعةُ والكَنبُوشُ . ولسانُ التُّرْكمان . وَفصاحةُ قحطَانٍ . وَرَطانَةُ الزُّطِّ والسُّودَانِ . وَسُنةٌ وشيعيَّةٌ ونصْرَانيَّةٌ ويهوديَّةٌ (١)

ارض متسعة من قارة آسيا يقطنها جيل من الناس يقال لهم الهنود . فارس ارض يقطنها جيل من الناس يقال لهم الفرس . السند بالكسر بلاد وطائفة من الناس يتاخمون الهند والواحد سندى . الافرنجة جيل معرب افرنك . التركمان بالضم جيل من الترك سموا به لانهم آمن منهم مأتا الف فى شهر واحد فقالوا ترك اعان ثم خفف فقيل تركمان . الافلاذ جمع فلذة وهى الذهب والفضة . البحرين بلد والنسبة اليه بحرانى على خلاف القياس . عمان بلد آخر الرواسم الابل السائرة رسيما الواحدة راسم وراسمة . الورق المال من ابل ودراهم وغيرها وهذا البيت من قصيدة للاخطل يمدح بها الحجاج بن يوسف الثقفى ومطلعها

صرمت حبالك زينب وقدور — وحبالهن اذا عقدن غرور
يرمين بالحدق المراض قلوبنا — فغويهن مكاف مضرور
وزعمن انى قد ذهلت عن الصبا — ومضى لذلك اعصر ودهور
واذا أقول صحوت من أدوائها — هاج الفؤاد دمى او انس حور

ومنها يحس الخليفة على التمسك بالحجاج

فعليك بالحجاج لا تعدل به — أحداً اذا نزلت عليك أمور
ولقد علمت وأنت اعلمنا به — ان بن يوسف حازم منصور
واخوا الصفاء فما تزال غنيمة — منه يجيء بها اليك بشير
وترى الرواسم تختلفن وفوقها — ورق العراقى سبائك وحرير
وبنات فارس كل يوم تصطفى — يعلونهن ومالهن مهور

ومعنى هذا البيت الاخيران قتيبة بن مسلم لما قتل فيروز بن كسرى بن يزدجرد بعث الى الحجاج بابنتيه فامسك احداهما وبعث بالاخرى الى الوليد فأولدها يزيد الناقص

(١) العرب هم سكان الامصار أو عام . الاعجمى من لا يفصح الروم بالضم جيل من

وجُندٌ مُشاةٌ ورُكبان ، كأنهم في يوم المَهرَجانِ

رجالٌ يُعَدُّ الفردُ منهم بجَحفل
كما صرفَ الدينارُ كسرَ الدّراهم

فما تصفُ المرآةُ يوماً وُجُوههُم (١)
ولكن صِفاحُ المرهَفَاتِ الصوّارِم

ومشيخَةٌ حلَبُوا الزَّمانَ شَطراً عن شطرٍ . كأنَّ الشَّيبَ عليهم غُبارُ وقائعِ الدّهرِ . وشبابٌ . في أولَقِ الصّبا والتصابِ . ورِقّةِ الحضَرِ وفطنةِ الاعرابِ .

الناس ، الكرد جيل جدهم كرد بن عمر مريقياء بن ماء السماء ، الطماطمة جمع طمطم بكسرهما وطمطاني بالضم وهو الذى فى لسانه عجمة ، الصقالبة جيل تتاخم بلادهم بلاد الخزر بين بلغار وقسطنطينية ، القبعة كسكرة خرقة تخاط كالبرنس يلبسها الرهبان الكمبوش كالسربوش ، قحطان بن عام بن شارخ ابو حى ، الرطانة ويكسر الكلام بالعجمية ، الزط بالضم جيل من الهند وانشد بعضهم

حديث بنى زط اذا ما لقيتهم   كنزو الدبى فى العرفج المتقارب

(المعنى) يقول ان القسطنطينية حوت الناس من سائر الاجناس فكأنها دنيا لا بلدة

(١) المهرجان عيد الفرس وهو أول الشتاء عند نزول الشمس أول الميزان ، الجحفل الجيش والجمع جحافل ، الصفاح جمع صفح وهو من السيف عرضه ، المرهفات جمع مرهف وهو السيف المحدد المرقق الحد ، الصوارم جمع صارم وهو السيف القاطع

(٢) اولق الجنون او شبهه

(المعنى) يقول ان هذه الشيوخ كأنهم اعتركوا مع الدهر وكأن هذا الشيب الذى علق بهم غبار تلك المعركة ويقول ان شبابها مع انهم فى رفهنية الحضارة قد حازوا فطانة الاعراب والاعراب توصف بالفطانة والحذق ويظهر ذلك فى كلامهم وما تضمنه من الحكمة العالية والعظة البالغة فمن ذلك ان اعرابيا مدح رجلا فقال ذاك والله فسيح النسب مستحكم الادب من اى اقطاره اتيته انتهى اليك بكرم فعال وحسن مقال

وقَسَاوِسَةٌ في المِسْحِ وَالطَّيْلسَان ، كَالحِداءِ وَالغِرْبانِ ، قدتَزَنَّرُوا بالحبلِ
وأسْمَعُوا دَوِيَّ النَّحل (١) وحَسَانٌ غِيدٌ ، كالامَاليدِ ، في وُجُوهٍ كالدَّنانير
وأوساطٍ كَأَوْسَاطِ الزَّنابير. (٢) عَليهِنَّ مطَارِفُ كأَلوَانِ الحِرباءِ ، وأزهَارِ
الرَّوضِ من حمَرَاءَوَصَفرَاءَ. (٣) خَدٌّ تحْتَ النِّقابِ ، كالخَمْرِ في كأسِ الشَّرَابِ ،

وقال العتبي خرجت ليلة حين انحدرت النجوم وشالت ارجلهافما زلت اصدع الليل حتى انصدع الفجر فاذا انا بجارية كانها علم فجعلت اغازلها فقالت ياهذا اما لك ناه من كرم ان لم يكن لك زاجر من عقل قلت والله مايرانى الا الكواكب قالت فاين مكوكبها وهو قليل من كثير من الآثار الدالة على فطنتهم وشدة زكائهم

(١) القساوسة جمع قسيس وهو رئيس النصارى ، المسح الكساء من شعر تلبسه الرهبان. الطيلسان كساء مدوّر اخضر ، تزنروا شدوا الزنار على اوساطهم

(المعنى) يقول ان القسيسين فى ارديتهم السود كالغربان وان اصواتهم فى البيع والكنائس وهم يرتلون الاناجيل كاصوات الزنابير ومنه قول بن المعتز

سقى المطيرة ذات الظل والشجر   ودير عبدون هطال من المطر
فطالما نبهتنى للصبوح بها   فى غرة الفجر والعصفور لم يطر
اصوات رهبان دير فى صلاتهم   سود المدارع نعارين فى السحر
مزنرين على الاوساط قد جعلوا   على الرؤوس اكاليلا من الشعر

(٢) الغيد جمع غيداء وهى المنثنية لينا ، الاماليد جمع املود وهى الناعمة اللينة الزنابير جمع زنبور وهو ذباب لساع

(المعنى) شبه اوساطهن باوساط الزنابير لدقتها ورقتها

(٣) المطارف جمع مطرف وهو ثوب معروف ، الحرباء ذكر ام حبين او دويبة نحو العظاية تستقبل الشمس برأسها وهى مشهورة بالتلون قال المتنبى

يتلون الخريت من خوف التوى   فيها كما تتلون الحرباء

(المعنى) ان نساء الاستانة يرتدين المطارف ذات الالوان البهجة فكانها الازهار فى الوانها

وَوجهٌ يُخفيه ويُبْدِيهِ اللِّثَامُ • كالشَّمْسِ تحتَ الْغَمَامِ • (١) وَذِمِّيٌّ يترَمَّزُ هلُوعاً (يبكي اليهِ شِبعاً وَجُوعاً) وَفرِنجِيٌّ يُحْلي ويمرُّ • (هيِّجْ عَلَى غيٍّ وذَرْ) (٢) .
وبينما ترَى المدِينة منْ هؤلاءِ كَقريةٍ من قُرَى النمَل • بينَ الضُّحَى والطَّفَل • اذَا هيَ في اللَّيْلِ خاليةٌ • علي عُرُوشِهاَ خاويةٌ • (٣) لاجرْسَ ولا ترجيعَ حسٍّ • الاَّ قرْعُ الحارِس بالقضيبِ • ونُباحُ الْكليبِ فكأَنَّ أهْلَها على غيرِ ماقَالَ حَسَّانٌ • في آل جفْنَة وغَسَّانٍ

يُغشَوْنَ حتى مَا تَهِرُّ كلابُهُم
لايَسـألُونَ عنِ السَّوادِ المُقبلِ (٤)

***

---

(١) النقاب القناع على مارن الانف تستر به المرأة وجهها
(المعنى) شبه خد الحسناء بكاس من الخمر الاحمر فى اناء من الزجاج الابيض ووجهها تحت اللثام بالشمس يسترها الغمام تارة وينقشع عنها اخرى
(٢) الذمي الذى أعطى الذمة وهو الذى يؤمن على ماله وعرضه ودمه ممن يعطون الجزية واهل الذمة المعاهدون من النصارى وغيرهم ممن يقيم بدار الاسلام. يترمز يشير. هلوعا الهلوع من يفزع ويجزع من الشر ويحرص ويشح على المال . (يبكى اليه شبعاً وجوعا) هذا مثل عربى ويضرب لمن عادته الشكاية ساءت حاله أو حسنت . يحلى يلين . يمر يشد . (هيج على غى وذر) وهذا ايضا مثل عربى يضرب للمتسرع الى الشر اى هيج بينهم حتى اذا التحمت الحرب كف عن المعونة

«المعنى» ان اهل الذمة هناك من روم وارمن ونحوهم لايزالون فى رهب من المسلمة وانهم لايزالون يشتكون من الحكومة احسنت اليهم ام اساءت وان الفرنج القاطنين هناك لايزال اكثرهم يبذر بذر الشقاق بين الطوائف
«٣» الطفل قرب الغروب . خاوية خوت الدار خلت من أهلها
«٤» الجرس الصوت اوخفيه . الحس الحركة . الكليب جماعة الكلاب . حسان هو

وفى القُسطَنْطِينِيَّةِ اليَوْمَ مَحَالٌّ تُشَدُّ اليها الرِّحَالُ ، وتُضرَبُ بها الأمْثالُ ،

حسان بن ثابت الانصارى الخزرجى احد فحول الشعراء قيل انه اشعر اهل المدر كان يفضل الشعراء بثلاث فقد كان شاعر الانصار فى الجاهلية وشاعر النبى عليه الصلاة والسلام وشاعر اليمن فى الاسلام وهو المؤيد بروح القدس وكان له عند أولاد جفنة حظ عظيم ومقام كريم وطالما انشد فيهم القصائد البليغة والمدح العاليه ومن مدائحه فيهم قوله

لله در عصابة نادمتها ... يوما بجلق فى الزمان الاول
أولاد جفنة عند قبر أبيهم ... قبر بن مارية الكريم المفضل
يسقون من ورد البريص عليهم ... كأسا يصفق بالرحيق السلسل
يغشون حتى ماتهر كلابهم ... لا يسألون عن السواد المقبل
بيض الوجوه كريمة احسابهم ... شم الانوف من الطراز الاول

وقد ادرك حسان ملوك بنى امية ومات فى اول خلافتهم . آل جفنة هم ملوك من اهل اليمن كانوا قد استوطنوا الشام وفيهم يقول حسان «اولاد جفنة عند ابيهم» واراد بقوله عند قبر ابيهم انهم فى مساكن آبائهم التى كانوا ورثوها عنهم . غسان اسم ماء نزل عليه قوم من الازد فنسبوا اليه ومنهم بنو جفنة رهط الملوك قال الحسان

اما سألت فانا معشر نجب ... الازد نسبتنا والماء غسان

ويقال غسان اسم قبيلة . تهر تنبح . سواد الناس عامتهم

«المعنى» ليست الاستانة من كثرة الحركة والعمران فى الليل كالمدائن الغربية فلا تكاد ترى فيها بعد العشاء حانوتا مفتوحا او جماعة سائرة ولا يزال يسمع السارى بها قرع الحارس الارض بعصاه أو نبح كلب اذ الكلاب بها كثيرة جداً يقول فكأن تلك الكلاب ليست ككلاب آل جفنة الذين لا ينبحون السارى والطارق من الضيوف لتعودها كل يوم على رؤيتها الكرم اصحابها والكلاب كثيرة بالاستانة اذ لا يعدمونهم نفعاً كما يفعل فى البلدان الاخرى فلا تزال تهارش وتتقاتل وتنبح ومن ملح النوادر فى ذلك ماذكر من ان الربيع العامرى كان وليا باليمامة فأتى بكلب قد عقر كلباً فقاده فقال الشاعر

شهدت بان الله حق لقاءه ... وان الربيع العامرى رقيع
اقاد لنا كلب بكلب فلم يدع ... دماء كلاب المسلمين تضيع

وقال المرار الحمانى فى كلبه

فمِنْ ذلكَ (أَيَا صُوفيةُ) . ومَا ادراكَ مَاهِيَهْ . مَسْجِدٌ كأنَّهُ هَيكلٌ . لجبلٍ . قد طُرِحَ تُرْبُهُ ورضَامُهُ . ورُكبت أحجَارُهُ وَعِظَامُهُ (١) قبّةٌ جَوفَاء . كأنها قبّةُ السّماء . فإن أوقدَتْ رأيتَ بها الكواكبَ غيرَ سائرةٍ . وَالأفلاكَ غيرَ دَائرَةٍ . ودعائِمُ كلٌّ دِعَامةٍ . كالحقّ استقامةً (٢) . وأرضٌ من مرمرٍ ألاّقٍ وحَجرٍ برّاقٍ . يَصِفُ ما يحيطُ بهِ من الأشياء . فكأنّهُ وجهُ مِرآةٍ وَضاءْ .

ألف الناس فما ينجبهم   من اسيف يبتغى الخير وحر

وقال عمران بن عصام

لعبد العزيز على قومه   وغيرهم منن غامره

فبابك ألين ابوابهم   ودارك مأهولة عامرة

وكلبك آنس بالمعتفين   من الام بابنتها الزائرة

«١» أياصوفية هو مسجد عظيم بالاستانة كان كنيسة للروم قبل فتح القسطنطينية فلما دخلها المسلمون جعلوه مسجداً تقام فيه الصلوات وحسبنا من وصفه ماذكره السيد المؤلف فى الرسالة . والرضام بالكسر صخور عظيمة

« المعنى » الهيكل فى اصطلاح الاطباء يطلق على عظام الانسان اذا اخذت بعدموته وركبت كما كانت عليه تحت الجلد والعصب حتى يرى الانسان منها ماثلا وانما ينقصه اللحم والدم فهو يقول كانما فعل بجبل عظيم مثل هذا الفعل فطرح ترابه الذى هو بمنزلة الجلد والعصب وركبت احجاره على بعضها التى هى بمنزلة العظام فكان من ذلك هيكل هائل لهذا الجبل وكأن هذا الهيكل هو هذا المسجد العظيم

«٢» جوفاء مؤنث الاجوف وهى من الدلاء الواسعة ومن القنا والشجر الفارغة والجمع جوف قال الشاعر

نصبنا له جوفاء ذات صبابة   من الدهم مبطانا طويلا ركودها

الدعامة عماد البيت

« المعنى » يقول ان عمد هذا المسجد فى الاستقامة كالحق لازيغ فيه ولا ميل

وكأنما تلتمعُ السيوفُ . في تلكَ السقوفِ ويكادُ يُرَى القمرُ . في ماء ذلكَ الحجرِ . إلى محاريبَ وحنايا . وخبايا وزوايا . كأنها مما صنعَ الجنُّ لسليمانَ بالصفاحِ والصفوانِ (٢) فإنْ دخلتَهُ في العشاء الاخرة ابصرتَ الشموعَ صنواناً وغيرَ صنوانٍ كأنها رماحٌ وفي كلِّ رمحٍ سنانٌ ، وكأنَّ أقباسَها نضنضةُ الحيَّاتِ . أو اشارةُ السبَّابةِ في التحياتِ (٣) ورأيتَ النَّاسَ بينَ ركَّعٍ وسجَّدٍ وايقاظٍ وهُجَّدٍ . شيبٌ مازالوا يغتسلونَ بالوضوء السوادَ حتى محيَ محوَ المدادِ وشبابٌ قيامٌ للصلاة كسطرٍ في كتابٍ (٤) والكلُّ يجأرونَ بدعوةِ الإسلامِ تحتَ استارِ الظلامِ

* * *

«١» الاق اى لاع واصل الالاق البرق الكاذب . الوضاء الحسن النظيف

«٢» الحنايا اصل الحنية القوس وجمعها الحنايا . سليمان بن داود نبى الله الذى سخرت له الجن والانس والطير الريح . الصفاح حجارة عراض رقاق . الصفوان جمع صفوانة وهى الحجر

« المعنى » كان سليمان يستعمل الجن لاقامة المبانى العظيمة قال النابغة

الا سليمان اذ قال الاله له   كن فى البرية فاحددها عن العند

وخيس الجن انى قد أذنت لهم   يبنون تدمر بالصفاح والعمد

«٣» الصنوان اصله النخلتان . اقباس جمع قبس وهى الشعلة تؤخذ من معظم النار النضنضه يقال حية نضناضة ونضناض لا تستقر فى مكان ونضنضتها تحريكها لسانها . السبابة الاصبع التى تلى الابهام لانه يشار بها عند السب يقال اشار اليه بالسبابة

«٤» الهجد جمع هاجد وهو المصلى بالليل

« المعنى » ان هؤلاء الشيوخ لا يزالون يتوضأون كل يوم من زمن الشباب الى ان ادركهم المشيب فكأن سواد الشباب كان مداداً فمازال به الوضوء حتى محاه

«٥» جأر رفع صوته بالدعاء وتضرع واستغاث

وكم على سيفِ الخليجِ . من رَوْضٍ وَثيجٍ . ومَرْأى بَهيجٍ . ورَساتيقَ ورِعانٍ . وخُلُجٍ وَغُدْرانٍ . فكأنَّما هذا المكانُ . شِعْبُ بوَّانَ . او روضةٌ من رياضِ الجِنانِ (١) ومن ابهرِ ما يُجلَى للنظرِ . من تلكَ المياهِ والخُضَرِ . مُنتزَهُ « البَنْدِلِرَ » وهوَ رياضٌ في رياضٍ . وبساتينُ وحِياضٌ وَوِهادٌ وأنجادٌ . ونِجافٌ وأسنادٌ

حُفَّتْ بأطوادٍ جبالٍ وَسَمُرْ
في أشبِ الغيطانِ مُلتفِّ الحُظُرْ (٢)

وأطيارٌ تصدَحُ . وأمواهٌ تنضَحُ ، وأعطارٌ تنفَحُ ، وكأنَّما في كل ناحيةٍ لوحٌ ، مُصَوَّرٌ ، أو بُرْدٌ مُحَبَّرٌ ، أو طِرْزٌ على خَزٍّ ، أو وَشْيٌ على قَزٍّ . أو فُسيفِساءُ مفروشةٌ . أو دَنانيرُ منقوشةٌ

بنفسيَ تلكَ الارضُ ما أطيبَ الرُّبى

(١) السيف بالكسر ساحل البحر وساحل الوادي او لكل ساحل سيف . الرساتيق جمع رستاق وهو السواد أو القرى وقد تقدم معناه . الرعان انف الجبل او الجبل الطويل . الوثيج الكثير الملتف . شعب بوان احد المنتزهات المشهورة

(٢) البندلر هو روض وارف الظلال ملتف الاشجار مهدل الاغصان منبثق المياه قد اورقت اغصانه واينعت ازهاره وقد اتخذته اهالي الاستانة منتزها لهم في اوقات فراغهم فيخرجون اليه ذرافات ووحدانا ليستنشقوا صحيح هوائه وليمتعوا انظارهم بصفاء مائه . الوهاد جمع وهدة وهي الارض المنخفضة . الانجاد جمع نجد وهو ما أشرف من الارض . النجاف جمع نجف وهو مكان لا يعلوه الماء . الاسناد جمع سند وهو ما قابلك من الجبل وعلا . السمر شجر معروف الاشب الشجر الملتف . الحظيرة هي المحيط بالشيء خشبا او قصبا

المعنى يقول ان على ضفتي خليج القسطنطينية اماكن متعددة مشهورة بمياهها وخضرها ولا يزال يخرج للانتزاه فيها في كل يوم من ايام الاسبوع لكل منتزه يوم مخصوص

ومَا أحسنَ المُصْطَافَ والمُترَبَّعَا [1]

وقد حَفَّ الشَّجرُ الدَّوَّاحُ ، بتلكَ البطَاحِ . فمِنْ شُوعٍ ودَرْمَاءَ ، وخلافٍ وطَحْمَاءَ ، وريحَانٍ نَضرٍ ، وعَيْدَانَةٍ مُرجَحِنَّةٍ من سِدْرٍ [2] وقد تلاحقَتْ غُصُونُهَا ، وتعرَّشَتْ خيطَانُهَا وفُنُونُهَا ، وخَضَبَ بينهَا العَرفَجُ ، وأزْهرَ الياسمينُ والبنَفسَجُ [3] فكأنَّ تحتَ كلِّ عَرشٍ إيوَانًا ، وفوقَ كلِّ فرشٍ ديوَانًا ، وفى كلَّ تُرْبٍ جَوْنَةُ عَطّارٍ . أومسكٌ بينَ أفْهَارٍ [4] وقد عَلقَتِ الطَّيرُ بهذا الشَّجرِ ، كأنها ثَمَرٌ ، فمِنْ فَواختَ وقَطامىٍّ ، وحُبارى وقَمارِىٍّ ، وكأنَّ

---

(١) المحبر المزخرف . الطراز علم الثوب معرب . الخزمن الثياب معروف . القز هوما يسوى منه الابريسم . الفسيفساء قطع صغيرة من الرخام ملونة يؤلف بعضها الى بعض ثم تركب فى حيطان البيوت من داخل

(٢) الدواح الشجر العظيم . الشوع بالضم شجر البان وقيل ثمره ينبت فى السهل والجبل ويقال لثمره حب البان ولزيته دهن البان . الدرماء نبت احمر الورق . الخلاف صنف من الصفصاف . الطحماء نبت اوهو النجيل . العيدانة اطول مايكون من الشجر . المرجحنة المائلة المهتزة . السدر شجر معروف . ثم ان كثيرا من الاشجار والازهار الموجودة فى تلك البلاد لم تكن معروفة عند العرب ولا اسماء لها فى اللغة والظاهر ان السيد المؤلف اطلق على كثير منها اسماء الازهار المنبتة القديمة

(٣) الخيطان جمع خوط وهو الغصن الناعم لسنة اوكل قضيب . العرفج شجر سهلى واحدته بهاء . البنفسج نبات جميل اللون طيب الرائحة

(المعنى) يقول ان كل شجرة قد تلاحقت اغصانها واشتبكت وقد اينع العرفج بينها وأزهر البنفسج والياسمين

(٤) الجونة سليلة مغشاة اوما تكون مع العطارين . الافهار جمع فهر وهو حجر يدق به

(٥) الفواخت جمع فاختة وهى من ذوات الاطواق من الحمام قيل لها ذلك للونها لانه يشبه الفخت اى ضوء القمر . القطامي ويضم الصقر . الحبارى طائر معروف . القمارى جمع قمرية

كلٌّ وَرْقَاءَ علي عُودٍ • حَسْنَاءُ فى يَدِهَا عُودُ • تُرَجِّعُ من كتابِ الأَغَانى . ضُرُوبَ الخفيفِ الأوّلِ والثقيلِ الثّانى وَتَفُوقُ فى الغناءِ أصواتَ مَعبَدٍ والمِيْلاَءِ وألحانَ عِنَانٍ وَالذّلفاءِ[1] وقدشُهِرَ رَوضُ (البَنْدِلَرَ) بمَائِهِ فى عُذُوبَتِهِ وصَفَائِهِ

نوع من الحمام

«١» الورقاء الحمامة التى يضرب لونها الى خضره . كتاب الاغانى هو لابى الفرج على بن الحسين الاصفهانى المتوفى سنة ست وخمسين وثلثمائة وهو كتاب لم يؤلف مثله اتفاقاً الفه صاحبه فى خمسين سنة وكتبه فى عمره مرة واحدة بخطه واهداه الى سيف الدولة فانفذ له الف دينار ولما سمع الصاحب بن عباد قال لقد قصر سيف الدولة وانه ليستحق اضعافها اذ كان مشحونا بالمحاسن المنتخبة والفقر الغريبة فهو للزاهد فكاهة وللعالم مادة وزيادة وللكاتب والمتأدب بضاعة وتجارة وللبطل رحلة وشجاعة وللمضطرب رياضة وصناعة وللملك طيبة ولذاذة ولقد اشتملت خزائنى على مائة الف وسبعة عشر الف مجلد مافيها سميرى غيره ولقد عنيت بامتحانه فى اخبار العرب وغيرهم فوجدته قد ألف جميع مافرقه العلماء فى كتبهم ففاز بالسبق فى جمعه وحسن وضعه وتأليفه ولقد كان عضد الدولة لايفارقه فى سفره ولافى حضره ولقد بيعت مسودته ببغداد باربعة آلاف درهم . معبد هو معبد بن وهب وقيل قطن وابوه اسود وكان هو خلاسياً مديد القامة احول غنى من اول الدولة الاموية وتوفى ايام الوليد بن يزيد وكان اطبع المغنين المتقدمين وقد برز فى صنعة الغناء حتى صار يضرب به المثل فى حسن صوته ودقة توقيعه وعلمه بالغناء . الميلاء هى عزة المغنية الشهيرة كانت مولاة للانصار ومسكنها المدينة وهى اقدم من غنى الغناء الموقع من النساء بالحجاز قال معبد كانت عزة الميلاء ممن احسن ضربا بعود وكانت مطبوعة على الغناء لا يعيبها ضربه ولا تأليفه ولا اداؤه وكان المشايخ من اهل المدينة اذا ذكروا عزة قالوا لله درها ما كان احسن غناءها ومد صوتها واندى حلقها واحسن ضربها بالمعازف والمزاهر وسائر الملاهى واجمل وجهها واظرف لسانها واقرب مجلسها واكرم خلقها واسخى نفسها واحسن مساعدتها . عنان هى عنان جارية الناطفى كانت حاذقة الغناء والشعر واشتهرت بهما شهرة فائقة وقد اشتراها الرشيد من مولاها الناطفى بثلاثين الفا دخل عليها بعض الشعراء وهى عند الناطفى قبل صيرورتها الى الرشيد فامرها مولاها ان تغنى فابت فمال عليها بالسوط فالمها وبكت فقال الشاعر

فلا يَفْتأُ به يَتَحدَّرُ ، كما تكسّرَ المرْمَرُ . وَيَلْتَوى على الاشجار ، كالسوّار وينبثقُ من غُدُر . وأفواهِ أُسُودٍ ونُمُرٍ (١) ويذهَبُ في الهواءِ كلِسَانِ السّرَاج ويعُودُ كقبّةٍ من زُجاجٍ . كأنّهُ في الصّفاءِ دَمْعٌ جرَى ، أو بَرقٌ سَرَى . أو بلورٌ مُذابٌ . أونصلُ قرضَابٍ . أو سبيكةُ فضّةٍ . او معصمُ بَضّةٍ . وكأنَّ الحصباءَ تحتَ الماءِ . عقدٌ منثورٌ . أوجوْهرٌ منشُورٌ (٢)

لَعِبَ السّيُولُ به فأصبحَ ماؤُهُ
غَلَلاً يُقطّعُ في أُصُولِ الخِرْوَعِ (٣)

هذى عنان اسبلت دمعها كالدر اذ ينسل من خيطه
وقال لها اجيزى فقالت
فليت من يضربها ظالما تجف كفاه على سوطه

الزلفاء هى جارية سعيد بن عبد الملك الاموى كانت حاذقة فى صنعة الغناء بارعة فى الجمال ثم بعد وفاة سعيد صارت الى اخيه هشام بن عبد الملك

(المعنى) كأن كل حمامة قابضة على عود اخضر من الشجر قينة فى يدها عود الغناء المعروف ترتل عليه الالحان المشهورة الواردة فى كتاب الاغانى

وقد استعمل صاحب السماحة المؤلف عبارة الثقيل الاول تورية فى شعر له من قصيدة لم تنشر فى هذا الكتاب وهو

واقمت فى افرنجة يعتادنى همان مغتربى وبعد المنزل
ما بين ذى ثقل كثير هتره أو آخر مثل الثقيل الاول

«١» انبثق انفجر . غدر جمع غدير . نمر . جمع نمر على غير قياس

«٢» النصل الرمح والسهم والسيف ما لم يكن له مقبض . القرضاب السيف القطاع السبيكة كسفينة القطعة المذوبة . البضة الرخصة الجسد الرقيقة الجلد

«٣» الغلل الماء الذى يجرى بين الاشجار والجمع اغلال . الخروع شجر معروف

وَكَثِيراً مَا يَهطُلُ المَطَرُ • على هذا المَاءِ وَالشَّجَرِ . فاذَا مَعرَكَةٌ شَعوَاءُ بَينَ الخَضرَاءِ وَالزَّرقَاءِ . فالوَبلُ نَبلٌ . وَالقَنَا أَسَلٌ . والبُرُوقُ ظُبىً وَأَسِنَّةٌ . وفى كلِّ غَدِيرٍ جُنَّةٌ(١)

وَأَبهَى مايكونُ هذا المكانُ وقتَ الأَصيلِ حيثُ يَفِيءُ الظِّلُّ الظَّليلُ فترَى فيه أَسرَابَ الغِزلانِ . والرَّعابيبَ الحِسَانَ • يمشِينَ مَشيَ القَطَا الكُدرِيِّ فى الدَّمثِ النَّدِيِّ(٢) فتارَةً وُقُوفًا على شريعة ماءٍ وحينًا جُلُوسًا تحتَ رَفرَفِ أَيكَةٍ خَضرَاءَ . وَآونَةً يَبدُونَ لِلنّظَرِ . وَطَوراً يختَفِينَ فى الشَّجَرِ(٣) وكأَنَّ الثَّوبَ طَاوُوسٌ . وَصَلِيلَ الحُلِيِّ نَاقُوسٌ . وَالوُجُوهَ أَقمَارٌ وَشُمُوسٌ . وَكَأَنِّى بِكَ وَقَدْ

---

(١) الشعواء المنتشرة ، الخضرا الاخضر ما فيه لون الخضرة يريد الارض ، الزرقاء لقب للسماء يقال ما تحت الزرقاء خير منه ، الوبل المطر الشديد الضخم القطر ، الظبا جمع ظبة وهى حد السيف او سنان ونحوه ، الاسنة جمع سنان وهو نسل الرمح ، الجنة بالضم كل ما وقى « المعنى » يقول اذا نزل المطر على هذه الرياض خلت ان حربا وقعت بين الارض والسماء اذ ترى الوبل فى سقوطه كانه النبل وقنا الروضة وقصبها فى اهتزازها كانهما الرماح وكان البروق فى الجو سيوف تخترط وكان الحبك المتجعد فوق وجه الماء من تأثير الهواء دروع يتقى بها نبل الوبل

«٢» يفى يرجع واصل الفى ما كان شمسا فينسخه الظل • الاسراب جمع سرب وهو القطيع من الظباء والنساء الرعابيب جمع رعبوب ورعبوبة وهى الجارية الحسناء اللينة الكدرى كتركى ضرب من القطا غبر الالوان رقش الظهور صفر الحلوق • الدمث المكان السهل

(٣) الشريعة مورد الشاربة • الرفرف ما تهدل من اغصان الايكة

«٤» الطاووس • طائر معروف • الصليل صوت الحلى • الناقوس شىء يضرب به النصارى لاوقات صلاتهم

رَأَيْتُ مِنْهُنَّ ذَاتَ دَلٍّ لَعُوبًا. فَيْنَانَةً خُرْعُوبًا. غَرَّاءَ فَلْجَاءَ. خَدَلَّجَةً لَفَّاءَ. أُمْلُودًا خُمْصَانَةً شَمُوعًا خُوطَانَةً ١. فِى وَجْهٍ كَالوَذِيلَةِ. وَخَدٍّ كَالْجَلِيلَةِ. وَقَوْسِ حَاجِبٍ. كَأَنَّهُ قَوْسُ حَاجِبٍ ٢. وَشَعْرٍ كَاللَّيْلِ. أَوْ أَذْنَابِ الْخَيْلِ. وَثَغْرٍ أَشْنَبَ كَأَنَّمَا ذُرَّ عَلَيْهِ الزَّرْنَبُ. وَثَنَايَا غُرٍّ. ذَاتِ أَشَرٍ. وَمُبْتَسَمٍ بَرَدٍ. وَشِفَاهٍ كَأَنَّهَا وَرَقُ الوَرْدِ. وَعَيْنَيْنِ كَسَيْفَيْنِ فِى جَفْنَيْنِ. أَوْ سَهْمَيْنِ فِى قَوْسَيْنِ. وَقَدٍّ كَالرُّمْحِ. وَفَرْقٍ كَالصُّبْحِ ٣. حُسْنٌ لِلتُّرْكِ وَالجُرْحِ لَا يُوجَدُ عِنْدَ الإِفْرِنْجِ أَللَّهُمَّ إِلَّا صُوَرًا فِى أَلْوَاحِ رَفَائِيلَ. مَثَّلَ بِهَا إِسْرَافِيلَ وَمِيكَائِيلَ. أَوْ صِفَاتٍ فِى أَشْعَارِ

---

(١) الدل دل المرأة غنجها • اللعوب الحسنة الدل • الفينانة الكثيرة الشعر • الخرعوب الشابة الحسنة الخلق الرخصة او البيضاء اللينة الجسيمة اللحيمة الرقيقة العظم • الغراء البيضاء الفلجاء امرأة فلجاء الاسنان متباعدتها قال ابن دريد لا بد من ذكر الاسنان. الخدلجة مشددة اللام المرأة الممتلئة الذراعين والساقين • اللفاء الضخمة الفخذين • الاملود الناعمة • الشموع المزاحة اللعوب • الخمصانة الضامرة البطن الخوطانة امرأة خوطانية وخوطانة بضمهما كالغصن طولا ونعومة

«٢» الوذيلة المرآة والقطعة من الفضة المجلوة او اعم : الجليلة الثمامة : قوس حاجب هو ابن زرارة التميمي يقال انه اتى كسرى فى جدب اصابهم بدعوة النبى صلى الله عليه وسلم يستأذنه فى قومه ان يصيروا فى ناحية من بلاده فقال انكم معاشر العرب قوم غدر حرص فان اذنت لكم افسدتم البلاد واغرتم على العباد قال حاجب انى ضامن للملك ان لا يفعلوا قال فمن لى ان تفى قال ارهنك قوسى فضحك من حوله فقال كسرى ما كان ليسلمها ابداً فقبلها منه واذن لهم

اشنب الشنب ماء ورقة وبرد وعذوبة فى الاسنان او نقط بيض فيها او وحدة الانياب والزرنب طيب او شجر طيب الرائحة والزعفران الاشر حدة ورقة فى اطراف الاسنان. الجفن الغمد ويكسر. الفرق الطريق فى شعر الرأس

« المعنى » يقول ان عين الحسناء فى جفنها كالسيف القاطع فى جفنه

دانتي وَلامَارْتِين ، صَوَّرُوا بها الْخُلْدَ وَالْحُورالعِينَ [١] فلَمَا لَمَحْتُهَا أَشَرْتَ إِلَيْهَا بِالْكَفِّ . فاوْمَتْ لكَ بالطَّرْفِ . فَحَسِبْتَهَا اقْرَبَ مِنْ مُدَارَكَةٍ ، فاذَا هِيَ أَمْنَعُ مِنْ عاتِكَةَ . وتخيَّلْتَ أنها مِنكَ على طَرَفِ الثُّمَامَةِ . وإذَا بها طارَتْ كالحمامةِ

تقارَبُ حتى تُطْمِعُ التَّابعَ الصِّبَا
وليست بأَدْنى من إِيَابِ المُنَخَّلِ (٢)

«١» الجرج جيل من الترك مشهور بالجمال . رفائيل هو اكبر المصورين وقد ظهر فى القرون الوسطى وفى صوره كثير من صور الملائكة وآخر صورة له رسمها هى صورة الملك ميكائيل وهى الآن فى متحف اللوفر بباريس . اسرافيل اسم ملك من الملائكة وميكائيل اسم ملك ايضا . دانتى شاعر طليانى مشهور ولد سنة ١٢٦٩ ميلادية وله كتاب فى وصف الجنة والنار وتكلم فيه على ماتخيل رؤيته فى كل منهما . لامارتين شاعر فرنساوى من اكبر الشعراء المتأخرين ولد سنة ١٧٩٠ وله كتب جليلة واشعار كثيرة ومن مصنفاته كتاب التفكر وهو الذى شهره شهرة عظيمة — الخلد الجنة . الحور جمع حوراء والحور بالتحريك ان يشتد بياض بياض العين وسواد سوادها وتستدير حدقتها وترق جفونها ويبيض ماحواليها او شدة بياضها وسوادها فى بياض الجسد او اسوداد العين كلها مثل الظباء ولا يكون فى بنى آدم بل يستعار لها : العين بالكسر بقر الوحش

«المعنى» يقول ان الحسن الصحيح انما يوجد عند الترك والجرج وامثالهم من الامم الشرقية ولا يوجد عند الافرنج الا فى مثل صور رفائيل عند تمثيله اشكال الملائكة فانه يبالغ فى تحسين صورهم وكذلك فى اشعار شعرائهم عند توصيفهم الكمال فى الحسن او حسن اهل الجنان

«٢» الطرف العين لا يجمع لانه فى الاصل مصدر وقيل اطراف . المداركة السهلة القياد عاتكة كانت عاتكة تضع خمارها بين يدى اثنى عشر خليفة كلهم لها محرم ابوها يزيد بن معاوية واخوها معاوية بن يزيد وجدها معاوية بن ابى سفيان وزوجها عبد الملك بن مروان وابو زوجها مروان بن الحكم وابنها يزيد بن عبد الملك وبنو زوجها الوليد وسليمان وهشام بنو عبد الملك وابن ابنها الوليد بن يزيد وابنا بن زوجها يزيد بن الوليد وابراهيم بن الوليد . الثمامة نبت

وَفِي هذِهِ الْبَلْدَةِ اليومَ نَفَرٌ مِنَ الْاَعلامِ . وَأَساطينِ الإِسلامِ . فمنهم السيد فُلانٌ وهو رجلٌ رفيعُ العِمادِ . كثيرُ الرَّمادِ . رحبُ الصَّدْرِ رحبُ الفُؤَادِ (١) . قد صُرِفتْ اليهِ وُجوهُ الآمالِ . فكأنَّ بيتَهُ قُبَّةٌ أطنابُها السُّبُلُ . مِعطاءٌ غِطْريفٌ . يرى أنّ شقًّا في باطنِ البُرَّةِ قسمٌ بينهُ وبينَ الضَّعيفِ . أياد قتلن دَفْرًا والدُّهَيمَ بالفواضلِ . فأُمُّ دَفْرٍ وأُمُّ الدُّهَيمِ ثاكِلٌ (٢) غياثُ الْمُرْمِلِ الْمُمْتَاحِ . وَعصمَةٌ في الزَّمنِ الكُلاحِ . عربيٌّ في سجايا مُضَرٍ وزَيدِ مَناةٍ . أجودُ بالجاهِ من المالِ وَبالمالِ من الْجاهِ . كعبٌ في الكرمِ . وَالسَّمَوْأَلُ في الذِّمَمِ . وعمرو

ضعيف معروف البيت لذى الرمة والمنخل هو ابن عمرو اليشكرى كان نديم النعمان مع النابغة الذبيانى ثم غضب عليه النعمان فطرحه فى الحبس ثم غاب خبره حتى ضرب العرب المثل بغيابه فيقال لا يكون هنا حتى يؤوب المنخل مثل حتى يؤوب القارظان وللمنخل فى وصف حالته فى السجن والشقاء قوله

يطوف بى عكب فى معد ويطعن بالصميلة فى قفيا
فان لم تثأروالى من عكب فلا رويتم ابداً صديا

وعكب هذا هو حارسه

«١» الاساطين حكماء الزمان وافراده ، كثير الرماد كناية عن كثرة الضيوف

«٢» الاطناب جمع طنب وهو حبل طويل يشد به سرادق البيت ، الغطريف بالكسر السيد الشريف والسخي السرى ، أم دفر وأم الدهيم اسمان من اسماء الداهية

«المعنى» يريد بهذا السيد الامام الكبير والصدر الشهير سماحة السيد محمد ابى الهدى نقيب الاشراف بالاقطار الحلبية وصدر الصدور فى الدولة العليه يقول ان بيته مقصود من الناس كل جهة شرقا وغربا وشمالا وجنوبا فكان ذلك البيت خيمة وحبالها الطرق الآتية منها القصاد لان تلك الطرق ممتدة من كل جهة كما تمتد الحبال الى جهة الخيمة ، ثم يقول انه لحبه للكرم يكاد يشاطر الفقراء والضعفاء ماله ويرى لذلك ان الشق الذى فى باطن حبة القمح اشارة الى انها يجب ان تقسم بين الغنى والفقير ويقول ان اياديه ومكارمه قد أزالت الدواهى والمصائب من الناس والداهية تسمى أم دفر فكأنه قتل دفراً هذا وأثكل أمه وأم الدهيم مثلها

ابْنُ العاصِ فى الرَّأيِ . والمغيرَةَ فى الدَّهْيِ . والشّعبيُّ فى العِلْمِ . وابنُ أبى دُؤادَ

---

(١) المرمل المحتاج . الممتاح طالب العطية . الكلاح الدهر الشديد — مضر هو مضر بن نزار بن معد بن عدنان — زيد مناة هو ابو قبيلة من العرب ومن أولاده سعد وسعد قد خلف خمسة أبناء وهم عبد شمس ومالك وعوف وعوانة وجشم — كعب هو كعب بن مامة الايادى وكان كريما واحد أجواد الجاهلية الثلاثة وهم حاتم وهرم بن سنان وكعب بن مامه ومن نوادر كرمه انه آثر رفيقه السعدى بالماء حتى مات عطشا ونجا السعدى وله يقول حبيب

يجود بالنفس اذضن البخيل بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

السموأل هو السموأل بن عاديا يضرب به المثل فى الوفاء وقصة وفائه أن أمرأ القيس لما الح المنذر فى طلبه لجأ بعمرو بن جابر يستجير به فقال له يا ابن حجر الا أدلك على رجل لم أر أحسن جوارا منه فدله على السموأل و بعث معه الربيع بن ضبع فلما نزلوا على السموأل عرف حقهم وانزل هنداً بنت امرىء القيس فى قبة من أدم وطلب منه امرء القيس ان يكتب للحارس بن أبى شمر الغسانى ليوصله الى قيصر ففعل فاستودعه بنته وادراعه الخمس وأقام عند قيصر حتى البسه الحلة المسمومة فمات فلما بلغ المنذر خبر موته قصد تيماء حصن السموأل و بعث اليه أن يعطيه ادراع امرىء القيس وما ترك عنده من المال فقال أدفع كل ماله لورثته فحاصره المنذر فى الحصن وأخذ ابناله صغيرا وقال للسموأل أما تعطينى ما أطلبه أو أقتل ابنك وأنت تنظر اليه فقال له والله لا وفيت له فى حياته وأغدره بعد وفاته انت وشأنك بابنى فافعل به ماشئت فذبحه وهو ينظر اليه ولم يرض بالغدر فلما جاء الموسم ذهب بالدروع فدفعها الابنته وورثته وقال

وفيت بادرع الـكندى أنى اذا ما خان أقوام وفيت
وقالوا أنه كنز عظـيم ولا والله أغدر ماحييت
بنى لى عاديا حصـنا حصينـا وبئرا كلما شئت استقيت

فضرب به المثل فى الوفاء — عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم كان من رجال الاسلام المشهورين المعدودين وكان حسن الرأى عالى الهمة أسلم عام خيبر سنة ثمان قبل الفتح بستة أشهر وولى فلسطين لعمر بن الخطاب رضى الله عنه وسيره عمر فى جيش الى مصر فافتتحها ولم يزل واليا عليها الى أن مات عمر فابقاه عثمان اربع سنين اونحوها ثم عزله عنها فلما قتل عثمان لحق بمعاوية وعاضده وشهد معه صفين ومقامه فيها مشهور وهو أحد الحكمين وقد أبدى فى هذه الواقعة

فى الحُكم (١) فى فصاحةٍ لا تبلغها مقاولُ هذيلٍ فى أكلائها · وقراضبة نجدٍ فى

من الدهاء والحيلة ما جعله فى مصاف دهاة الرجال بما هو مشهور وكان أيضا واليا لمعاوية على مصر فما زال بها حتى مات ودفن بسفح المقطم ـ المغيرة بن شعبة احد دهاة العرب الاربعة وهم معاوية ابن ابى سفيان وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وزياد أسلم المغيرة عام الخندق وتولى البصره فى خلافة عمر بن الخطاب والكوفة ايضا فلم يزل عليها حتى قتل عمر فامره عثمان عليها ثم عزله ومن دهائه أن معاوية كان جاعلا عمرو بن العاص على مصر وابنه عبدالله على الكوفة وكان المغيرة خاليا من المناصب فقال لمعاوية أتجعل عمرا على مصر وابنه على الكوفة فتكون بين فكى اسد فعزل عبدالله عن الكوفة واستعمل عليها المغيرة فلم يزل عليها الى ان مات سنة خمسين ـ الشعبي هو عامر بن شراحيل ولد سنة عشرين للهجرة وهو كوفى تابع جليل القدر وافر العلم روى ان ابن عمر مر به وهو يحدث بالمغازى فقال شهدت القوم وانه لاعلم بها منى وقد ادرك خمسمائة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال ان الحجاج قال يوما كم عطاءك فى السنة فقال الفين فقال ويحك كم عطاؤك فقال الفان قال كيف حتى لحنت او لا قال لحن الامير فلحنت فلما اعرب اعربت وما امكن ان يلحن الامير وأعرب أنا فاستحسنها منه واجازه وكان كثيرا ما يتمثل بقول سكين الدارمى · ليست الاحلام فى حال الرضا · انما الاحلام فى حال الغضب وقد توفى فجأة سنة اربع ومائة ـ ابن ابى دؤاد هو ابو عبدالله احمد بن ابى دؤاد ولد سنة ستين ومائة وكان معروفا بالمروءة والعدل فى الاحكام ومن اعظم الادلة على مروءته وعدله فى احكامه أن المعتصم غضب على محمد بن الجهم فأمر بضرب عنقه فلما رأى ابن ابى دؤاد ذلك وان لا حيلة له فيه وقد شد براسه وأقيم فى النطع وهز له السيف قال للمعتصم وكيف تأخذ ماله اذا قتلته قال ومن يحول بينى وبينه قال يأبى الله تعالى ذلك ويأباه رسوله صلى الله عليه وسلم ويأباه عدل امير المؤمنين فان المال للوارث اذا قتلته حتى تقيم البينة على ما فعله فقال احبسه حتى يناظر فتأخر امره الى أن تشفع فيه فشفعه وخلص محمد وكان مشهورا بالحكومة فى الاسلام وأما فى الجاهلية فمشاهير حكامهم أكثم بن صفى وحاجب بن زرارة وعبد المطلب والعاصى بن وائل وربيعة بن ضرار والاقرع بن حابس وربيعة بن مخاشن وغيلان بن سلمة الثقفى وكان جميل الهيئة وجاء الاسلام وعنده عشر نسوة فخيره النبى صلى الله عليه وسلم فاختار اربعا وكانت وفاة ابن ابى دؤاد بمرض الفالج فى المحرم سنة اربعين ومائتين

(المعنى) يقول انه عربى فى سجايا العرب الاولين من الفضل والكرم والال والذمم

بَطْحَائِهَا (١) وَقَرِيضٌ كَاللآلِ . كُلُّ بَيْتِ شعرٍ خيرٌ من بيتِ مَالٍ فكأنَّ أَبْيَاتَهُ رِمَاحٌ وَالْقَوَافِي أَسِنَّةٌ . وَكَأَنَّ شَطْرَيْ كُلِّ بَيْتٍ مِنْهُ مِصْرَاعَا بَابِ قَصْرٍ مِنْ قُصُورِ الْجَنَّةِ (٢) . حَمَاسٌ وَسَمَاحٌ . كَالْمَاءِ وَالرَّاحِ . وَبَأْسٌ فِي جُودٍ كَالنَّارِ فِي الْعُودِ

وَدَعَاكَ حُسَّدُكَ الرَّئِيسَ وَأَمْسَكُوا
وَدَعَاكَ خَالِقُكَ الرَّئِيسَ الْأَكْبَرَا
خَلَفَتْ صِفَاتُكَ فِي الْعُيُونِ كَلَامَهُ
كَالْخَطِّ يَمْلَأُ مِسْمَعَيْ مَنْ أَبْصَرَا (٣)

***

والمروءات والهمم

(١) مقاول جمع مقول وهو الحسن القول او كثيره - هذيل احدى قبائل العرب المشهورة بالفصاحة ، الاكلاء جمع كلأ وهو المرعى ، القراضية هم اعراب البادية

«٢» المصراع مصراع الباب احد غلقيه

«٣» الحماس الشجاعة ، السماح الكرم

« المعنى » يقول وان له شجاعة وكرما قد اختلطا بنفسه وامتزجا بها كما يمتزج الماء بالخمر فيصيران واحداً وان له لبأساً وجودا قد اشتهر بهما بين الخاص والعام وعرفهما الناس فيه كما يعرفون رائحة الند اذا مسته النار ، فالبأس هو النار والجود هو الند ويقول ان اعداءك وحاسديك مع عداواتهم لك يدعونك الرئيس والله سبحانه وتعالى يدعوك الرئيس الاكبر لان سجاياك وصفتك قد خلفت كلام الله وقامت مقامه فى الهداية والرشد فمثلها كمثل الخط فى ابلاغ معانيه لسمع من يقراه

ومنْ هؤلاءِ فُلانٌ . وهو عقلُ لُقْمَانٍ . وحكمةُ يُونَانَ . فى جُبَّةٍ وَقَباءٍ وعِمَامَةٍ عَجراءَ (١) عالمٌ قلبُه كتابُه وعَيْنُه اسطُرْلابُه . كأنَّ بين فكّيْهِ حُسَامَ علىّ وَصمْصَامَةَ عمْرو بنِ مَعدِى كَرِبَ الزَّبِيدِىّ (٢) قد بَذَّ الأوائلَ والأواخرَ . شاعرٌ الا أنّه فيلسُوفٌ وفيلسُوفٌ إلاّ أنّهُ شاعِرٌ . فِكْرُهُ عالمُ الحقيقةِ

«١» لقمان هو لقمان الذى اثنى عليه الله تعالى فى كتابه فقيل فى التفسير انه كان نبيا وقيل كان حكيما لقوله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة وهو الصحيح ، يونان هم الجيل من الناس المسمى باليونانيين ، قباء كسحاب درع مفرج ، العجراء الغليظة الضخمة

« المعنى » يقول وممن رأيتهم بالاستانة فلان ونكره لزيادة التعظيم ثم أخذ يصفه فقال انه لعقلا كعقل لقمان الحكيم حصافة رأى وتوقد ذهن وان له لحكمة كحكمة اليونان والمراد حكما ؤهم الماضون كأفلاطون وخلافه ممن دونوا فى الحكمة ، ثم أخذ يصف لباسه فقال انه فى جبة وهى مايلبسه علماء المشرق اليوم وفى عمامة ضخمة غليظة

«٢» الاسطرلاب آلة يتوصل بها الى معرفة كثير من احوال الكواكب على اسهل طريق واقرب مأخذ كارتفاع الشمس وسمت القبلة واعراض البلاد وغير ذلك ، الفك هو اللحى او مجمع الخطم او مجمع اللحيين ، حسام على المسمى بذى الفقار ، الصمصامة سيف عمرو ابن معدى كرب الزبيدى وعمرو بن معدى كرب هو احد الصحابة ومن مشاهير العرب فى الباس والنجدة

« المعنى » يقول انه حافظ فكأن قلبه وعاء للعلم وله عين كاسطرلاب الفلكى فان كان هذا يرى به الظواهر الجوية فان الثانى يرى بعينه الفواعل الطبيعية فى الكون ، ويقول انه فصيح العبارة قوى الحجة فكأن لسانه على أعدائه حسام على رضى الله عنه صرامة وقطعا وصمصامة ابن الزبيدى رضى الله عنه مضاء ونفوذا

وَالْمِثَالِ لأَنَّ الْفَلْسَفَةَ شِعْرٌ إِلاَّ أَنَّهَا حَقِيقَةٌ وَالشِّعْرَ فَلْسَفَةٌ غَيرَ أَنَّهُ خَيَالٌ (١)

مَنْ مُبْلِغُ الْأَعْرَابَ أَنِّي بَعْدَهَا
شَاهَدْتُ رَسْطَالِيسَ وَالْإِسْكَنْدَرَا
وَلَقِيتُ كُلَّ الْفَاضِلِينَ كَأَنَّمَا
رَدَّ الْإِلَهُ نُفُوسَهُمْ وَالْأَعْصُرَا (٢)

ضَرَّارٌ نَفَّاعٌ • شَرَّابٌ بِأَنْقَاعٍ • أَمْضَى مِنْ نَصْلٍ • وَأَشْجَعُ مِنْ لَيْثٍ جُؤْجُؤُهُ عَبِلٌ (٣) إِلَى زُهْدِ ابْنِ أَدْهَمَ

«١» بذ . غلب ، الفليسوف الحكيم والفلسفة الحكمة هي اعجمية

«٢» رسطاليس هو بن نيقوماخس الطبيب المشهور كان اعظم الحكماء الاقدمين ورأس الحكماء المعروفين بالمشائين ويعرف بالمعلم الاول لانه اول من وضع التعاليم المنطقية واخرجها من القوة الى الفعل وحكمه حكم واضع النحو وواضع العروض — الاسكندر هو بن فيلبس المقدوني الملقب عند الافرنج بالكبير وعند العرب بذي القرنين وقد كان شجاعا باسلا فاتحاً شهيرا قد اتسع ملكه اتساعا عظيما وهو مؤسس مدينة الاسكندرية

«٣» انقاع جمع انقع وانقع جمع نقع وهو الماء المستنقع « يقال انه لشراب بأنقع » مثل يضرب لمن جرب الامور او للداهي المنكر لان الدليل اذا عرف الفلوات حذق سلوك الطرق الى الانقع الجؤجؤ الصدر العبل الغليظ

« المعنى » كانت العرب تمدح الرجل بانه يضر وينفع لان الذى لا يضر ولا ينفع لغو قال الشاعر

اذا انت لم تنفع فضر فانما حياة الفتى فى ان يضر وينفعا

قال حبيب بن اوس

ولم ار نفعاً عند من ليس ضاررا ولم ار ضرا عند من ليس ينفع

وَالرَبِيعِ بِنْ خَيْثَمٍ (١) . يَقُولُ الْحَقَّ وَلَوْ أَغَصَّهُ الْحَقُّ بِرِيقِهِ . وَلَمْ يَتْرُكْ لَهُ احَدًا مِنْ صَدِيقِهِ

القَائِلُ الصِّدْقَ فِيهِ مَا يَضُرُّ بِهِ
وَالْوَاحِدُ الْحَالَتَيْنِ السِّرِّ وَالْعَلَنِ (٢)

وَلَا تَثْنِيهِ الصِّعَابُ . عَنْ بُلُوغِ الْأَسْبَابِ

وقال آخر

قبح الاله عداوة لاتتقى   وقرابة يـدلى بها لاتنفـع

وقال احدهم ما اتى فلان بيوم خير فقيل له ان لا يكون اتى بيوم خير فقد اتى بيوم شر ونخر رجل فقال اين الذى قتل الملوك وعصف المنابر وفعل وفعل فقال له رجل لـكنه اسر وقتل وصلب فقال دعنى من اسره وقتله وصلبه ابوك حدث نفسه بشيء من هذا قط وقال الحسن ابن هانى

يرجو ويخشى حالتيك الورى   كأنك الجنـــة والنار

«١» ابن ادهم هو ابو اسحق ابراهيم بن ادهم بن منصور بن اسحاق البلخى من كورة بلخ وهو من شيوخ الصوفية ومن اكبر من اشهر بالزهد والتقشف واخلص لله فى جميع اعماله — الربيع ابن خيثم كان امام الزاهدين توفى سنة ٦٧ هجرية ومن كلامه لو ان لى نفسين اذا علقت احداهما سعت الاخرى فى فـكاكها ولـكنها نفس واحدة فان انا اوثقتها من يفـكها

(٢) هذا البيت من قصيدة المتنبى يمدح بها محمد بن عبدالله الخطيب الخصيبى ومطلعها

افاضل الناس اغراض لذى الزمن   يخلو من الهم اخلاهم من الفطن
وانمـا نحـن فى جيل سواسية   شر على الحر من سقم على بدن

ومنها

قد هون الصبر عندى كل نازلة   ولين العزم حد المركب الخشن
كم مخلص وعلى فى خوض مهلـكة   وقتلة قرنت بالذم فى الجبن
لا يعجبن مضيما حسن بزته   وهل تروق دفينا جودة الـكفن

لَوْلا المشقَّةُ سادَ النّاسُ كُلُّهُمُ
الْجُودُ يُفْقِرُ وَالإِقْدَامُ قتّالُ [١]

لذَّتُهُ في تعَبِهِ وَراحَتُهُ في نَصَبِهِ

سُبْحانَ خالِقِ نفسى كيْفَ لذَّتُها
فيما النُّفوسُ تَراهُ غايةَ الالمِ [٢]

---

(١) هذا البيت أيضاً من قصيدة للمتنبي يمدح بها أباشجاع فاتكا ومطلعها

لا خيل عندك تهديها ولا مال ... فليسعد النطق ان لم يسعد الحال

وفيها يقول

كأن نفسك لا ترضاك صاحبها ... الاوانت على المفضال مفضال
ولا تعدك صوانا لمهجتها ... الاوانت لها فى الروع بذال
لولا المشقة ساد الناس كلهم ... الجود يفقر والاقدام قتال
وانما يبلغ الانسان طاقته ... ما كل ماشية بالرحل شملال

(٢) هذا البيت من قصيدة للمتنبي يرثى بها أبا شجاع ومطلعها

حتام نحن نسارى النجم فى الظلم ... وما سراه على خف ولا قدم
ولا يحس باجفان يحس بها ... فقد الرقاد غريب بات لم ينم

ومنها

هون على بصر ماشق منظره ... فانما يقظات العين كالحلم
ولا تشك الى خلق فتشمته ... شكوى الجريح الى الغربان والرخم
وكن على حذر للناس تستره ... ولا يغرنك منهم ثغر مبتسم
غاض الوفاء فما تلقاه فى عدة ... واعوز الصدق فى الاخبار والقسم
سبحان خالق نفسى كيف لذتها ... فيما النفوس تراه غاية الالم
الدهر يعجب من حملى نوائبه ... وصبر نفسى على أحداثه الحطم
وقت يضيع وعمر ليت مدته ... فى غير أمته من سالف الامم
أتى الزمان بنوه فى شبيبته ... فسرهم وأتيناه على الهرم

على أنَّهُ قضى العُمرَ الا الأَقَلَّ. وكادَ يحُولُ الاجَلُ دُونَ الامَلِ. وهو شمْلٌ لم يؤتلفْ. وكَنزٌ لم يُكتَشَفْ

أَضنٌّ أخلاّءٌ وضنٌّ أحبّةٌ
فلاخلَّةٌ تصغي ولا خَلَّةٌ تجدِي
أَيذهبُ هذا الدّهرُ لم يرَ موضعي
ولم يدرِ مامقدارُ حلِّي ولا عقدِي(١)

* * *

أمّا اميرُ المؤمنينَ . وخليفةُ رسُولِ ربِّ العالمينَ . السُّلطانُ بنُ السُّلطانِ . سَليلُ الغَرانيقِ العُلاَ من آلِ عثمانَ . فقد دَعاني الى حَضرتِهِ . والقربِ من

---

(١) الخلة بالضم الخليلة . والخلة بالفتح الخصلة

(المعنى) يقول هل الصحب والاخلاء ضنوا على وهل كذلك كل حبيب فأصبحت ولا حبيب يصغي الى قولي ولا خلة من خلالي تجدي لديهم نفعا وهل ينقضي هذا الدهر وتذهب الايام وتمضي سنو العمر ولم ير ذلك الدهر موضعي من بنيه ووجودي في مقدمتهم بل ينقضي ولا يري ايضا مقدار حلي للامور وعقدي لها وهو يشبه قول ابي الطيب في وصفه لمعاندة الدهر له

أهم بشيء والليالي كأنها تطاردني عن كونه واطارد
وحيد من الخلان في كل بلدة اذا عظم المطلوب قل المساعد

وقوله

ضاق صدري وطال في طلب الـ رزق قيامي وقل عنه قعودي
أبدا أقطع البلاد ونجمي في نحوس وهمتي في صعود

ويقول ان هذا العالم لم ينتفع به في حياته فكانه كنز بقي ركازا في الارض لم يكتشف

سُدَّتِهِ (١). وَبَلَغَ مِنْ حُسْنِ اللُّقْيَا . وَكَرَمِ المثوَى . ما لو أعطيتُ لَسَنَ النابغةِ في النُّعْمانِ . وزُهَيْرٍ في هَرِمِ بْنِ سِنَانٍ (٢). لما قُمْتُ فيهِ بحقِّ الشُّكرانِ . فأيّ دُرٍّ أنثرُ . وأيّ مدحٍ أذكرُ . وقدْ جلَّ المقامُ عنِ المقالِ . وَتَرَفَّعَتِ الحقيقة عنِ الخيالِ

اذَا نحْنُ أَثْنَيْنا عليكَ بِصالحٍ
فأنتَ الَّذِي نُثْنِي وَفوْقَ الَّذِي نُثْنِي
وإنْ جرتِ الالفاظُ مِنا بِمدْحةٍ
لِغَيْرِكَ إِنْسانًا فأَنْتَ الَّذِي نَعْنِي (٢)

ولا جرَمَ فقد ورِثَ المجدَ جدًّا عنْ جدٍّ . في الأُسْرَةِ الصَّيْداءِ والعيص

---

(١) الغرانيق جمع غرنيق وهو طير ابيض . السدة بالضم باب الدار
(٢) اللسن الفصاحة . النابغة هو زيد بن معاوية ومن شعره

حلفت فلم اترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنت قد بلغت عني خيانة لمبلغك الواشي اغش واكذب
ولست بمستبق اخاً لا تلمه على شعث اى الرجال المهذب

النعمان هو ابن المنذر آخر ملوك العرب بالحيرة — زهير بن ابى سلمى هو احد الثلاثة المقدمين على الشعراء وهم امرؤ القيس وزهير والنابغة وهو القائل فى هرم بن ابى سنان

قد جعل المبتغون الخير فى هرم والسائلون الى ابوابه طرقا
من يلق يوما على علاته هرما يلق السماحة منه والندى خلقا

ويقال ان هرم بن سنان كان قد حلف ان لا يمدحه زهير الا اعطاه ولا يسأله الا اعطاه ولا يسلم عليه الا اعطاه عبداً او لبدة او فرسا فاستحى زهير مما كان يقبل منه فكان اذا رآه فى

الأَشدّ ١ . وَالمجْدُ كالخمْرِ كلَّمَا طَالَتْ عليْهِ الآمادُ . جادَ . وَكالحديثِ كلما علا في الاسْنَادِ . سادَ (٢)

وَما بلغتْ كفُّ امرىءٍ مُتَناولٍ ... بهَا المجْدَ الاَّ حَيْثُ مانِلْتَ أطْوَلُ

وَما بلغَ المهْدُون فى القَوْل مدْحةً ... وَانْ أَطنَبُوا إِلاَّ وَمافيكَ أفضلُ ٣

أمير المؤمنين

أَمَا وَيَمِينِ اللهِ حلفَـةَ مُقسم

لَقَدْ قمْتَ بالْإِسـلاَمِ عَنْ كلّ مُسْلِمِ

ملاً قال عموا صباحا غير هرم وخيركم استثنيت . وقد مات ولم يدرك الاسلام — هرم بن سنان بن ابى حارثة المرى من بنى مرة بن عوف وهو صاحب زهير الذى يقول فيه

ان البخيل ملوم حيث كان ولكـ ... ـن الجواد على علاته هرم

وهو احد اجواد العرب المشهورين وقد بالغ الخليفة أمير المؤمنين السلطان عبد الحميد فى اكرام المؤلف عند وفادته عليه فى القسطنطينية سنة ١٨٩٢ ميلادية وقد اعطاه رتبة الوزارة العلمية وهى قضاء العسكر ولم يسبق فى تاريخ الدولة العلية ان اعطيت هذه الرتبة لاحد مرة واحدة أو أخذها احد وهو فى سن المؤلف اذ كان سنه فى ذلك الوقت نحو ٢٢ عاما

(١) الاسرة الرهط الادنون . الحصداء يقال درع حصداء ضيقة الحلق محكمته وشجرة حصداء كثيرة الورق . العيص بالكسر الشجر الكثير الملتف

(٢) الآماد جمع امد محركة وهو الغاية

(٣) يقول ان كل امرىء مها تناولت كفه من المجد فما نلته اطول وكل ماقاله مادحوك وان اطنبوا فما فيك افضل

فَلَوْ لاَكَ بَعْدَ اللهِ أمْسَتْ دِيَارُهُ
بِأَيْدِي الاعادي مِثْلَ نَهْبٍ مُقَسَّمِ
لَقَدْ سَرَّ هَذَا النَّصْرُ قَبراً بِطَيْبَةٍ
وَبَيتاً ثَوَى عِنْدَ الحطِيمِ وَزَمْزَمِ (١)
امَامٌ لَهُ فِي آلِ عُثْمَانَ لُحْمَةٌ
تَبَحْبَحَ منها فى الذُّرَى والمُقَدَّمِ
أُولئكَ فُتَّاحُ البلادِ وذادَةُ الثُّـ
غُورِ وَقُوَّادُ الْخَمِيسِ الْعَرَمْرَمِ

---

(١) النهب الغنيمة وفى الحديث فأتى بنهب اى بغنيمة والجمع نهاب ونهوب قال العباس ابن مرداس

كانت نهابا تلافيتها بكرى على المهر بالاجرع

— طيبة على وزن شيبة وهى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وفيها قبره وقبرا ابى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم وقد أمر النبى صلى الله عليه وسلم ان تسمى طيبة لانها كانت تسمى يثرب فنهى النبى ان تسمى بهذا الاسم وقال الشاعر. فاصبح ميموناً بطيبة راضياً — الحطيم حجر مكة والذى فيه الميزاب لانه رفع البيت وترك ذلك حطيما اى محطوماً — زمزم بالفتح بئر مكة ولها اثنا عشر اسما . زمزم . مكتومة . مضنونة . شباعة . سقيا . الرواء . ركضة جبريل هزمة جبريل. شفاء سقم . طعام طعم . حفيرة عبد المطلب

(٢) اللحمة بالضم القرابة اوالرهط الادنون وفى الحديث الولاء لحمة كلحمة النسب تبحبح تمكن فى المقام والحلول. الذرى جمع ذروة بالضم او بالكسر أعلى الشيء. المقدم مقدم الشيء

لَهُ فِي الأعَادِي حَمْلَةٌ يَعْرِفُونَهَا
وَأَكْبَرُ مِنْهَا حَمْلَةٌ فِي التَّكَرُّمِ
عَطَايَا تَظُنَّاهَا لإِعْظَامِ قَدْرِهَا
أَمَانِيَّ نَفْسٍ أَوْ رُؤًى مِنْ مُهَوِّمِ (١)
أَيَادِيهِ أَبْدَتْ خَافِيَ الشِّعْرِ لِلْوَرَى
وَكَانَ مُجَنًّا مِثْلَ سِرٍّ مُكَتَّمِ

أوله · الذادة جمع ذائد وهو الحامى الدافع وفى الحديث واما اخواننا بنو أمية فقادة ذادة · الثغر من البلاد الموضع الذى يخاف منه هجوم العدو . الخميس الجيش لانه خمس فرق المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساقة · العرمرم الجيش الكثير

(المعنى) يقول ان هذا الممدوح هو من آل عثمان الفاتحين البلاد والدافعين عن الثغور والقائدين الجيوش الكثيرة الى معمعان الضرب والقتال وانه قد تمكن من الذروة العليا منهم ومن اكبر الفتوحات فى الاسلام فتح القسطنطينية وكانت دار ملك الروم وهى الآن دار ملك المسلمين وفاتحها السلطان المجاهد الغازى ابو الفتوحات محمد بن السلطان مراد بن السلطان محمد ابن السلطان بايزيد بن السلطان مراد الاول بن اؤرخان بن عثمان المستقر على كرسى مملكته سنة ٨٥٥ والمتوفى سنة ٨٨٦

«١» تظنى أعمل ظنه . الرؤى جمع رؤيا وهو ما رأيته فى منامك . التهويم والتهوم هز الرأس للنعاس

(المعنى) يقول كما انه يحمل على الاعادى فيمزق شملهم كذلك يحمل على الاموال فيفرقها فى ابواب المكارم ويقول ايضا ان عطاياه من عظمها كانها الامانى والآمال او الاحلام فى المنام وكلاهما عظيم اذ النفس اذا استرسلت مع الامل فربما طلبت ما هو فوق القدر والطاقة والنائم يرى نفسه اميراً كبيرا وهو وضيع حقير ومثله شارب الخمر قال الشاعر

فاذا سكرت فاننى رب الخورنق والسدير
واذا صحوت فاننى رب الشويهة والبعير

كَذَلِكَ زَهْرُ الرَّوْضِ يَبْدُو مِنَ الثَّرى
إِذَا مَا سَقَاهُ مُسْجِمٌ بَعْدَ مُسْجِمِ [١]
وَقَدْ رَاضَ مِنْ أَقْوَامِهِ كُلَّ أُمَّةٍ
وَمِنْ قَبْلُ كَانَتْ مُقْرَمًا لَمْ تُخَطَّمِ

---

(١) أياديه نعمه وعطاياه . المجن المستور . المسجم المطر

(المعنى) يقول أن أياديه ومكارمه على الافاضل أخرجت الشعر الذى كان مخباء فى صدورهم فشكروه به وكانوا يضنون به على غيره وان مثل ذلك مثل الغيث الذى اذا صب على الارض أخرج ما استكن فيها من ذخائر النبات وألوان الزهر — وقد جرت عادة الشعراء من القديم أن يمدحوا ملوك وقتهم بفاخر الشعر وجيده فمن ذلك ماروواه سعيد بن مسلم الباهلى قال قدم على الرشيد اعرابى من باهلة وعليه جبة حبرة ورداء يمان قد شده على وسطه ثم ثناه على عاتقه وعمامته قد عصبها على فوديه وأرخى لها عذبة من خلفه فمثل بين يدى الرشيد فقال سعيد يااعرابى خذ فى شرف أمير المؤمنين فاندفع فى شعره فقال الرشيد يااعرابى أسمعك مستحسنا وأنكرك متهما فقل لنا بيتين فى هذين يعنى محمداً الامين وعبد الله المأمون ابنيه وهما حفافاه فقال يا أمير المؤمنين حملتنى على الوعر والتردد وارجعتنى على السهل الجدرد روعة الخلافة وبهر الدرجة ونفور التوافى على البديهة فأمهلنى تتألف لى نوافرها ويسكن روعى قال قد فعلت وجعلت اعتذارك بدلا من امتحانك قال يا أمير المؤمنين نفست الخناق وسهلت ميدان السباق وانشاء يقول

بنيت لعبد الله ثم محمد ذرى قبة الاسلام فاخضر عودها
هما طنباها بارك الله فيهما وأنت أمير المؤمنين عمودها

فقال الرشيد وأنت يااعرابى بارك الله فيك نسل ولا تكن مسئلتك دون احسانك قال فالهنيدة ياأمير المؤمنين فأمر له بمائة ناقة وسبع خلع — ولقد كان الشريف الرضى نقيب اشراف بلده مثل المؤلف وكانت له المدائح الكثيرة فى خليفة وقته الطائع بالله العباسى ومن مدائحه فيه قوله

جزاء أمير المؤمنين ثنائى على نعم ما تنقضى وعطاء
رمنها وادنى اقاصى جاهه لوسائلى وشد أواخى جوده برجائى

وَأَرْسَى عَمُودَ الْمُلْكِ فِي مُسْتَقَرِّهِ
وَثَبَّتَ رُكْنًا مِنْهُ لَمَّا يُهَدَّمِ

وَلاَ غَرْوَ إِمَّا شُذِّبَتْ مِنْهُ أَفْرُعٌ
هُوَ ٱلدَّوْحُ إِنْ تُشْذَبْ نَوَاحِيهِ يَعْظُمِ [١]

***

رَمَى الرُّومَ لَمَّا أَنْ عَتَوْا بِكَتِيبَةٍ
تَمِيلُ بِأَعْطَافِ الْوَشِيجِ الْمُقَوَّمِ

أَمَدَّ لَهُمْ فِي الْحِلْمِ بَاعًا رَحِيبَةً
فَزَادُوا طِمَاحًا فِي عُتُوٍّ وَمَلأَمِ

كَذَاكَ مَرَارُ النَّبْتِ إِمَّا سَقَيْتَهُ

وعلمنى كيف الطلوع الى العلى وكيف نعيم المرء بعد شقاء

(١) راض ذلل . المقرم البعير الذى لم يذلل ولم يحمل عليه • يخطم يوضع الخطام فى أنفه شذبت شذب الغصن قشر ما عليه

(المعنى) يقول أن الامة العثمانية لتالفها من عناصر مختلفة وأديان متباينة واجناس متنوعة كانت من الدهر الاول كثيرة الخروج على الملوك والفتوق فى الجهات حتى جاء هذا الملك العظيم فاسلس قيادتها بسياسته حتى اصبحت كالبعير الذلول بعد ان كانت كالبعير الهائج ويقول ايضا انه وان انتقصت بعض اطراف الملك فى زمن هذا الملك فذلك لا ييأس منه بل الامل معقود والنفس مطمئنة بانه سيعظم ويكبر عما كان كالشجرة التى اذا أخذ من أطراف فروعها زادت ونمت ولا جرم فا كثر ما نقص من الدولة فى هذا الزمن انما كان من بلاد الاقوام الذين لا تربطهم واياها رابطة جنس ولا دين ولا لسان ومثل هؤلاء نقصهم زيادة لقوة الدولة بل هم كالعضو المجذوم الذى قطعه أولى لصحة البدن

مِنَ العَذْبِ يَزْدَدْ طَعمَ صابٍ وعلقمِ ٢

وَزَجُّوا جُمُوعًا كالدَّبى فى عديدها

فَأَلْقاهُمُ فِى جَوْفِ دَهياءَ صَيْلَمِ

أسَالَ فِجَاجَ الأَرْضِ بِالْجُنْدِ يلتوى

كَأغدْرِةِ الوِدْيَانِ فِى كلِّ مَخْرِمِ

يَمُوجُ بِها الماذِيُّ فِى رَوْنَقِ الضُّحَى

كَما ماجَ لُجٌّ بَيْنَ أَرْجَاءِ عيلَمِ (٢)

فمِنْ كلِّ مِغْوارٍ تَرَىَ الرُّومَ دونَه

طرَائِدَ وَحْشٍ بَيْنَ أَظْفَارِ قَشْعَمِ

«٢» الروم جيل وهم اليونان · عتوا استكبروا وتجاوزوا الحد . الكتيبة الجيش الوشيج شجر الرماح . المقوم المعدل ، الملائم يقال لؤم الرجل لؤما وملائمة ضد كرم كان دنى ء الاصل ، المرار بالضم شجر مر ، الصاب جمع صابة وهو شجر مر ، العلقم الحنظل وكل شىء مر

(المعنى) يقول انه كثيرا ما قابل طغيان الروم بالحلم والاناة فلم يزدهم ذلك الا عتوا كشجر المر الذى كلما تسقيه بالماء العذب يربوا ويخضر فيزيد مرارة ومن هذا قال المتنبى

اذا انت اكرمت الكريم ملكته   وان انت اكرمت اللئيم تمردا

«١» الدبى الجراد والنمل ، دهياء صيلم هى الداهية الشديدة القاطعة ، فجاج جمع الفج وهو الطريق الواسع الواضح بين جبلين ، مخرم الجبل انفه ، الماذى كل سلاح من حديد العيلم البحر الخضم

(المعنى) يقول ان الاعداء ساقوا الجموع العديدة الى معترك الحرب فارسل عليهم جيشا عرمرما قد ملأ الارض والتوى فى طرقها وسبلها كما تلتوى الغدران فى مسالك الجبال ومشاعبها فكأن الحديد الاخضر وقد رفعته جنوده وهى سائرة امواج خضر تتدفق بها بحر فاقترب الجمعان واقتتل الفريقان فما هى الا لفتة حتى القتهم جيوشه فى جوف دهياء شديدة قاطعة — قال ابن

وَمِنْ كُلِّ ذَيالٍ كَأَنَّ هُوِيَّهُ
هُوِيُّ شِهَابٍ أَوْ عُقَابٍ مُحَوِّمِ
وَمِنْ كُلِّ حَصْدَاءٍ دِلاصٍ كَأَنَّهَا
عَلَى عَاتِقِ الْاجْنَادِ بُرْدَةُ أَرْقَمِ (١)

عبد ربه

سيوف يقيل الموت تحت ظباتها   لها فى الكلى طعم وبين الكلى شرب
اذا اصطفت الرايات حمرا متونها   ذوائبها تهفوا فيهفو لها القلب
ولم تنطق الابطال الا بفعلها   فألسنها عجم وافعالها عرب
اذا ماالتقوا فى مأزق وتعانقوا   فلقياهم طعن وتعنيفهم ضرب

«٢» المغوار الكثير الغارات ، القشعم النسر الكبير ، الذيال الطويل الذيل المتبختر فى مشيته يريد الفرس ، الهوى السقوط من أعلى لاسفل ، الحصداء الدرع الضيقة الحلق المحكمة الدلاص الدرع الملساء اللينة ، الارقم الافعى

«المعنى» يقول ان جيشه مؤلف من شجعان كل شجاع كانه نسر عظيم والرومى فريسة فى يده فكأنه اعناهم ابو تمام بقوله

قوم اذا لبسوا الحديد حسبتهم   لم يحسبوا ان المنية تخلق

ويقول ايضا ان فى جيشه خيولا صافنات كأن كل فرس منها عقاب فى سرعته وشهاب فى انحداره على الاعداء

وقال ابن المعتز

ولقد وطئت الغيث يحملنى   طرف كلون الصبح حين وقد
يمشى ويعرض فى العنان كما   صدف المعشق بالدلال وصد
وكأنه موج يسيل اذا   أطلقته واذا حبست جمد

ويقول ان على جنوده دروعا كل درع كانها ثوب ثعبان فى نقشه ورقشه وقد اجاد المعرى فى وصف الدرع بقوله

هينمة الخرصان فى عطفها   هينمة الاعجم للاعجم

وَبيضٍ كلونِ الملحِ أمَّا متونُها
كنملٍ على نِهْيٍ من الماءِ عُوَّمِ
وَمن مَنْجَنِيقٍ يَستطيرُ شُوَاظُهُ
بِفُوَّهَةٍ فيه كبَابِ جَهَنَّمِ
عَليهِ دُخانٌ يقطُرُ الجمرُ بينَهُ
كأسْوَدِ دَجنٍ بالصواعِقِ يَرْمِي
وَجاءَوَاءَ حَرَّى كالوطيسِ أَقامَهَا
عليْهِمْ فكانَتْ كالقضاءِ المحتَّمِ
يطيرُ قُشَارِيُّ الحَديدِ بأفقِهَا

مستخبرات ما حوى صدرها فأعرضت عنها ولم تفهم
تزاحم الزرق على وردها تزاحم الورد على زمزم

(١) المتن الظهر . النهى الغدير

(المعنى) يقول ان سيوف هذا الجيش كالملح فى ابيضاض لونه وان سواد الافرندفى صفاحها اشبه بنمل عائم على غدير ماء وقال الشاعر

وذى شطب تقضى المنايا لحكمه وليس لما تقضى المنية دافع
فرند اذا ما اعتن للعين راكد وبرق اذا ما اهتز بالكف لامع
يسلل ارواح الكماة انسلاله ويرتاع منه الموت والموت رائع
اذا ما التقت امثاله فى وقعية هنالك ظن النفس بالنفس واقع

(٢) المنجنيق والمنجنوق آلة ترمي بها الحجارة . الشواظ لهب لادخان فيه. الفوهة من السكة والطريق والوادى فمه . الدجن الباس الغيم الارض

(المعنى) يريد بالمنجنيق المدفع ويقول ان دخانه المعقود عليه وناره المستطيرة خلال هذا الدخان اشبه بالسحب السود تلمع فيها البروق والصواعق

بحبل وَتينٍ أو بِكَفٍّ وَمِعْصَمِ

كَأنَّ النِّصَالَ الْبِيضَ وَسْطَ عَجَاجِها
شَرَارٌ تعالى في دُخانٍ مُخَيِّمِ [١]

وَلاَ شَيءَ فيها غَيْرُ ضَرْبٍ مُفَلِّقٍ
لِهَامٍ وَرَمْيٍ مِثْلِ تَهْطَالِ مرزَمِ

وَطَعْنٍ دِرَاكٍ يسبِقُ الحسَّ للرَّدَى
فَلَيْسَ وانْ أفْنَى النُّفُوسَ بِمُؤْلِمِ [٢]

أمالَ (بِلاَرِيسا) عُرُوشَ عُدَاتِهِ
وأَشْرَقَ من (فِرْسَالَةَ) الأَرضَ بالدمِ

كَأنَّ الإِكَامَ الأُدْمَ لمَّا تَصَبَّغَتْ
بِهِ أنْبَتَتْ نَبْتَيْ شَقِيقٍ وَعَنْدَمِ (٣)

الجأواء الحرب واصلها من الجأوة وهي المجاعة وانما سميت الحرب بذلك لانها تأكل اهلها. الوطيس التنور واستعير للحرب فيقال حمي الوطيس اى اشتدت الحرب . قشارى الحديد ماتناثر منه وتطاير. الوتين عرق في القلب اذا انقطع مات صاحبه. العجاج الغبار والدخان
« المعنى » يقول كأن النصال في الغبار المثار شرار نار في دخان

« ٢ » الهامة رأس كل شيء والجمع هام . المرزم الرعد الشديد. دراك متتابع ومتلاحق
« المعنى » يقول ان رمي الرصاص بها كوقع حبات المطر وان طعن الاسنة والرماح بها تقتل قبل ان تؤلم لسرعتها

« ٣ » لاريسا مدينة باليونان وكانت بها الواقعة المشهورة بين جنود الاتراك واليونان. العرش سرير الملك . اشرق بالغ في صبغها . فرسالة مدينة ايضا باليونان وكانت بها موقعة شهيرة . الاكام جمع اكمة وهي الربوة المرتفعة من الارض. الادم البيض. الشقيق نبت احمر

وَيَوْمَ «فَاسْطِينُو» أَقَامَ نَعِيمُهُمْ
بِشَعْوَاءَ تَنْفِي حِدَّةَ الْمُتَعَشْرِمِ
فَأَصْلاَهُمُ نَاراً فَقَوَّمَ دَرْأَهُمْ
كَمَا قَوَّمَ التَّثْقِيفُ مِعْوَجَّ لَهْذَمَ
فَأَمْسَوْا حَدِيثاً فِي الْبِلَادِ وَعِبْرَةً
وَبَادُوا كَطُسْمٍ فِي الْأَنَامِ وَجُرْهُمِ
له الْفَضْلُ إِنْ خَاضَ الْوَقَائِعَ قَائِدٌ
فَآبَ بِنَصْرٍ مِنْ جَنَاهَا وَمَغْنَمِ
أَصَابَ الذي قَدْ مَدَّ السَّهْمَ أَوْ رَمَى
إِذَا مَا اصَابَ السَّهْمُ شَاكِلَةَ الرَّمِي

العندم نبت احمر

(١) فلسطينو بلد باليونان كانت بها موقعة عظيمة فى الحرب اليونانية. الشعواء المنتشرة المتعشرم الخشن الشديد · الدرأ الميل والعوج · التثقيف التقويم. لهذم كجعفر القاطع من الاسنة. طسم قبيلة من عاد انقرضوا . جرهم كقنفذ ابو حى من اليمن من العرب البادية

(المعنى) يقول انه فى يوم فلسطينو اصلاهم نارا فقوم عوجهم كسن الرمح اذا اعوج ادخل النار ليعدل ويسمى هذا التثقيف

(٢) شاكلة الناحية والنية والطريقة والمذهب. الرمى الهدف الذي ترمى عليه السهام

«المعنى» يقول اذا انتصر القائد وغلبت الجيوش فان الفضل له لانه هو الذى انتخب هذا القائد بل هو رب الجند فالقائد كالسهم اذا اصاب الغرض فالفضل لراميه لاله

نابوليون

وَقَفْتُ عَلَى قَبْرِ نَابُلْيُونَ أَمْسِ . أُحَدِّثُ النَّفْسَ . بِمَا فِي ذَلِكَ

«١» فتح نابوليون مصر سنة ١٢١٣ ه وكان دخوله فى مدينة الاسكندرية فى ١٥ محرم من هذه السنة المذكورة وهو قائد لجيوش فرنسا قبل ان يصل الى الملك ولم يكرم من اهل مصر أحدا اكرامه لاسرة السادة البكرية بها وقد كان رئيس هذه الاسرة الشريفة فى ذلك الوقت السيد خليل البكرى فكان نابليون يزوره كثيراً فى بيته وفى مواسمه ويبالغ فى اكرامه وقبول قوله وشفاعته الى غير ذلك وقد ولاه رئاسة الديوان الذى أنشأه وكانت تصدر منه جميع احكام مصر فى ذلك الوقت بعد عزل الشيخ عبدالله الشرقاوى . وقد ولد نابوليون سنة ١٧٦٩ ميلادية وكان فى اول امره ضابطاً فى الجندية ثم وطد العزم على ان يسود امته ويجلس على عرش فرنسا ويفتح البلدان ويدوخ الممالك كما فعل يوليوس قيصر امبراطور الرومان فسعى الى غايته وورى بغيرها فخدم الجمهورية اولا ثم قلبها ونال مآربه فى ١٨ مايو سنة ١٨٠٤ حيث صار امبراطورا . وقد خاض جملة وقائع وحروب مع دول اوربا وتصرف فيها فمن ذلك موقعة استرليز وييناوفريدلاندوواجرام وغيرها وقد تحالفت عليه اخيرا دول اوربا فقهرته فى واقعة واترلو وارسلته منفيا الى جزيرة هيلانة حيث مات فيها سنة ١٨٢١ وقد كان نابليون رجلا شجاعاً عاقلا مفكراً مدبراً حكيما باحثاً فى الاديان عالماً بها وقد روت مجلة المقتطف التى تصدر بمصر القاهرة فى عددها الصادر فى يناير سنة ١٩٠٥ تحت حديث نابوليون قالت « وكانت الديانة من اهم المواضيع التى يحدث رفاقه بها ويكثر من قراءة التوراة ويعجب ببولس الرسول ويقال انه قابل مرة بين قيصر والاسكندر وبين السيد المسيح وقال ان المسيح لا يمكن ان يكون انسانا . ولكن يظهر مما كتبه غورغو عنه انه كان اميل الى الاسلام منه الى النصرانية وكان يقول ان الديانة التى تكفر سقراط وافلاطون والانكليز لا يستطيع ان يدين بها ثم هو لا يفهم لماذا يكون العقاب ابديا وقال ايضاً . انه لا يزال يفكر فى حجة مشايخ الاسلام فى مصر على النصارى وهى انهم يعبدون ثلاثة آلهة فهم مشركون وان الاسلام ابسط الاديان وهو اقوى من النصرانية لان اصحابه تغلبوا على نصف المسكونة فى عشرة اعوام اما النصرانية فمضى عليها مائة سنة قبلما رسخت قدمها . وقال مرة «نحن معاشر المسلمين» وقد مات نابليون فى منفاه كما ذكرنا وقد كان اوصى ان تنقل رفاته الى باريس وتدفن على شط نهر السين المار بها . فبعد مضى سنين نقله

الرَّمْسِ . فإِذَا ٱسْتِكَانَةٌ بَعْدَ صَوْلَةٍ . وَقَبْرٌ فِى جَوْفِهِ دَوْلَةٌ . وَصَوْلَجَانٌ كُرَتُه الارضُ . أَمْسَى مِخْرَاقَ لاَعِبٍ. وَسَرِيرٌ كَانَ فَوْقَهُ الْبَسْطُ وَالْقَبْضُ . اضحَى مُلْتَقَى نَاعٍ وَنَاعِبٍ

أَضْحَتْ قُبُورُهُمُ مِنْ بَعْدِ عِزِّهِمُ
تَسْفِى عَلَيْهَا الصَّبَا وَالْحَرْجَفُ الشَّمَلُ

لاَ يَدْفَعُونَ هَوَاماً عَنْ وُجُوهِهِمُ
كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ بِالْقَاعِ مُنْجَدِلُ

اللَّهُمَّ غَفْراً :هَذَا غَلاَّبُ الْقَيَاصِرَةِ. وَقَهَّارُ الْجَبَابِرَةِ . دَفَعَ عَنْهُ سُلْطَانَهُ الأَبْطَالَ

الفرنساويون الى عاصمتهم كما أوصى ودفنوه فى محل هناك مشهور وأقاموا عليه قبرا مزخرفا من أنفس القبور ونصبوا حول قبره الاعلام والبنود التى أخذها فى حروبه من الاعداء وله تمثال مشهور فى باريس أيضا على عمود مرتفع صيغ من حديد المدافع التى ظفر بها فى وقائعه —

(١) الرمس القبر قال الشاعر

وبينما المرء فى الاحياء مغتبط ‏ ‏ ‏ اذا هو الرمس تعفوه الاعاصير

(٢) الاستكانة الخضوع والذل. الصولة الوثبة. الصولجان عصا يعطف طرفها ويضرب بها الكرة على الدواب والجمع صوالجة وهو فارسى معرب ومنه صولجان الملك . الكرة هى ما ادرت من شئ والتى يلعب بها واصلها كروة حذفت الواو والجمع كرات وكرون وأكر قالت ليلى الاخيلية تصف قطاة تدلت على فراخها

تدلت على حص ظماء كأنها ‏ ‏ ‏ كراة غلام فى كساء مؤرنب

مخراق لاعب الجمع مخاريق وهو ماتلعب به الصبيان من الخرق المفتولة قال عمر بن كلثوم

كأن سيوفنا منا ومنهم ‏ ‏ ‏ مخاريق بايدى لاعبينا

البسط والقبض أى النهى والامر .الناعى الذى يأتى بخبر الموت والجمع ناعون ونعاة . الناعب المصوت بالبين

«المعنى» يقول أن حال الرجل تبدلت من حركة الى سكون ومن عزة الملك الى ذلة الموت

وَالْأَقْيَالَ[2] وَلَمْ يَدْفَعْ عَنْهُ الْآرَضَ وَالنِّمَالَ. وَكَانَتِ الْأَرْضُ تَضِيقُ عَنْ نَفْسِهِ فَأَمْسَى تَسَعُهُ حُفْرَةٌ مِنْ رَمْسِهِ. [2]فَوَاهًا لِهَذَا الْمَوْتِ الَّذِي يَخْبِتُ الْاسُودَ. وَيَقْتَلِعُ أَنْيَابَ الْحَيَّاتِ السُّودِ. وَيَفُكُّ النِّطَاقَ عَنِ الْجَوْزَاءِ. وَيُسَاوِي عَمْرَو بْنَ دَرْمَاءَ بِالدَّرْمَاءِ

وَغَايَةُ الْمُفْرِطِ فِي سِلْمِهِ
كَغَايَةِ الْمُفْرِطِ فِي حَرْبِهِ
فَلاَ قَضَى حَاجَتَهُ طَالِبٌ

«١» تسفى التراب تذره وتحمله. الصباريح مهبهامن مطلع الثريا الى بنات نعش مؤنثة ويقابلها الدبور مثناها صبوان والجمع صبوات واصباء . الحرجف الريح الباردة الشديدة الهبوب قال الفرزدق

اذا اغبر أفاق السماء وهتكت ستور بيوت الحى نكباء حرجف

الشمل والشمال والشمل والشمأل والشأمل الريح التى تهب من ناحية القطب قال الشاعر

ثوى مالك ببلاد العدى وتسفى عليه رياح الشمل

الهوام جمع هامة وهو طائر صغير من طيور الليل يألف المقابر. القاع أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام والجمع أقواع وأقوع وقيع وقيعان وقيعة وفى التنزيل كسراب بقيعة وفى الحديث أنه قال لاصيل كيف تركت مكة قال تركتها قد ابيض قاعها أراد أن ماء المطر غسله فابيض . المنجدل الصريع الذى على الارض

«٢» القياصرة جمع قيصر وهو لقب لكل ملك من ملوك الروم. الاقيال الملوك. الارض جمع أرضه بفتحتين وهى دويبة صغيرة تأكل الخشب. النمال جمع نملة ونملة بسكون وضم وهو حيوان صغير حريص على جميع الغذاء

«المعنى» أن هذا الملك الذى كان يدفع عنه جيوش الاعداء والجبابرة أمسى لا يستطيع دفع دود القبر عن جسمه وانه كان لطموح آماله تكاد الارض تصغر فى عينه ولا تسعه فاصبح وقد وسعته تربة ضيقة وهذا لا يملأ عين ابن آدم الا التراب

«٣» يخبت يذل . النطاق مايشد به الوسط . الجوزاء برج فى السماء . عمرو بن درماء

فُؤادُهُ يَخْفِقُ مِنْ رُعْبِهِ

عَلَى أنَّهُ لَوْلاهُ لاسْتَوَى الشُّجَاعُ . وَالجَبَانُ الوَعْوَاعُ . إِذْ لَوْ أمِنَ الْمَفْؤُودُ الْحِمَامَ . لأَمْسَى كَفَارِسِ خَصَافٍ أَوْ كَبِسْطَامٍ

* * *

نَابُلْيُونُ وَمَا أدْرَاكَ مَا هُوَ . أسْمٌ مَلأ كُلَّ مَكانٍ وَاسْتَغْنَى عَنِ التَّعْرِيفِ

رجل من ثعل وكان عزيزاً فى قومه كريما لديهم . الدرماء الارنب . وتوصف بالضعف قال الاعشى

ارانى لدن انغاب رهطى كانما　　يرانى فيكم طالب الضيم أرنبا

وقال الشاعر يصف روضة كثيرة النبات تمشى بها الارنب ساحبة قصبها حتى كأن بطنها حبلى

تمشى بها الدرماء تسحب ذيلها　　كأن بطن حبلى ذات اونين متئم

« المعنى » يقول ان الموت يذل كل جبار فلا يقى نفسه منه الاسد الغضنفر ولا الحية التامة ولا الجوزاء فى رفعتها بل الصغير والكبير سواء فى حكمه وعمر بن درماء بعظمته وعزته فى حكم الموت كالدرماء التى هى الارنب

«١» هذان البيتان من قصيدة للمتنبى يرثى بها عمة عضد الدولة ومطلعها

آخر ما الملك معزى به　　هذا الذى اثر فى قلبه

لا جزعا بل انفا شابه　　ان يقدر الدهر على غصبه

ومنها

يموت راعى الضان فى جهله　　ميتة جالينوس فى طبه

وربما زاد على عمره　　وزاد فى الامن على سربه

وغاية المفرط فى سلمه　　كغاية المفرط فى حربه

فلا قضى حاجة طالب　　فؤاده يخفق من رعبه

«٢» الوعواع المهذار . المفؤود الجبان — فارس خصاف كان من اشد الناس بأساً

بِابْنِ فُلَانٍ . إِذْ لَمْ يَرِثِ الْمَجْدَ . عَنْ أَبٍ وَجَدٍ

وَلَوْ لَمْ تَكُونِي بِنْتَ أَكْرَمِ وَالِدٍ

فَإِنَّ أَبَاكِ الضَّخْمَ كَوْنُكِ لِي أُمَّا «٢»

واقداماً وذلك ان جندا مالك من ملوك الفرس غزت قبيلته التى هى غسان وكان عندهم ان جنود الملك لا يموتون فشد فارس خصاف على رجل منهم فطعنه فخر صريعا فرجع الى اصحابه فقال ويلكم القوم امثالكم يموتون كما نموت فتعالوا نقارعهم فشدوا عليهم وهزموهم فضرب بفارس خصاف المثل لاقدامه عليهم وصار من عداد فرسان العرب المشهورين وخصاف اسم فرسه.
بسطام هو بسطام بن قيس احد شجعان العرب المشهورين

« المعنى » يقول ان الموت وان كان مذموماً ممقوتاً الا انه يمدح لكونه يميز بين الفضائل والرذائل وضرب لذلك مثلا فقال انه لولا الموت لكان كل جبان شجاعا اذ لو امن الجبان الموت لم يبق له داعية للخوف وحينئذ تضيع مزية الشجاع ولا يكون للشجاع فضل على الجبان — وفى لولاك ولولاى ولولاه خلاف فمذهب سيبويه ان الضمائر مجرورة بلولا وهى عنده حرف جر قال لان الياء لم تقع الا منصوبة او مجرورة والنصب هنا ممتنع لخلوها عن نون الوقاية فتعين الجر وقال الاخفش الضمائر مرفوعة بالابتداء ولكن انابوا ضمير الخفض عن ضمير الرفع كما عكسوا فى ما أنا كانت ولا أنت كأنا وقال المبرد هذا التركيب لم يسمع من العرب وهو مردود بقول عمرو بن العاص

انطمع فينا من يريق دماءنا ولولاك لم تعرض لأحسابنا عبس

وروى لم يعرض لأحسابنا حسن وبقول يزيد بن الحكم

وكم موطن لولاى طحت كما هوى باجرامه من قنة النيق منهوى

وقال ابو على الفارسى اتفق أئمة البصريين والكوفيين كالخليل وسيبويه والكسائى والفراء على رواية لولاك عن العرب فانكار المبرد هذيان وان يك يزيد بن الحكم لحانا كما قال رؤبة

لولا كما لخرجت نفسا كما

«١» « المعنى » يقول انه ليس من بيت ملك أو امارة ونحوها فينسب فى الفضل الى آبائه ولكن فضله بنفسه.

«٢» هذا البيت من قصيدة للمتنبى يرثى بها جدته لامه وكان قد ورد عليه كتاب منها

وَرَجُلٌ جَادَ بِهِ الدَّهْرُ وَهُوَ الْبَخِيلُ بِالرِّجَالِ . كَمَا تَجُودُ الصَّخْرَةُ بِالْمَاءِ الزُّلَالِ .[١] وَسَمَحَ الزَّمَانُ مِنْهُ بِمَا هُوَ فَوْقَ قَدْرِهِ . كَمَا يَسْمَحُ التُّرْبُ بِتِبْرِهِ[٢] ومَلِكٌ جَاءَ أَخِيراً فَتَقَدَّمَ على الْمُلُوكِ الْأُلَى . كَالْعِنْوَانِ يُكْتَبُ آخِراً وَيُقْرَأُ أَوَّلاً[٣]

أَلْفَاعِلُ الْفِعْلَ الَّذِي
يَعْجَزُ عَنْهُ الْقَائِلُ[٤]

طَالَبَ مُلْكَ الثَّقَلَيْنِ وَرَغِبَ أَنْ يَكُونَ الْإِسْكَنْدَرَ لَادُيُوجَيْنَ وَآزَرَهُ

تشكوا شوقها اليه وطول غيبته عنها فتوجه نحو العراق ولم يمكنه دخول الكوفة على حالته تلك فانحدر الى بغداد وكانت جدته قد يئست منه فكتب اليها كتابا يسألها المسير اليه فقبلت كتابه وحمت لوقتها سرورا به وغلب الفرح على قلبها فقتلها ومطلع القصيدة

ألا لا أرى الاحداث حمدا ولا ذما فما بطشها جهلا ولا كفها حلما
الى مثل ما كان الفتى مرجع الفتى يعود كما أبدى ويكرى كما أرمى

ومنها

اتاها كتابى بعد يأس وترحة فماتت سروراً بى ومت بها غما
حرام على قلبى السرور لاننى أعد الذى ماتت به بعدها سما

ومنها البيت ومعناه ان لم يكن لك عراقة فى المجد لكفاك أنك لى أم

«١» «المعنى» ان الدهر البخيل بالعظماء من الرجال جاد به كالصخرة التى قد ينفجر منها الماء

«٢» «المعنى» يقول انه اكبر من الزمان الذى جاد به كما ان التبر اشرف من التراب على انه منه يأخذ ويجمع

«٣» «المعنى يقول هو وان جاء بعد كثير من مشاهير عظماء التاريخ الا انه يتقدم عليهم فى الرتبة وذلك كعنوان الكتاب فان كاتبه يكتبه فى الآخر وقارئه الذى يصل اليه الكتاب يبدأ به فى القراءة ويقدمه على غيره مما فى سائر الكتاب كما هى العادة

(٤) (المعنى) يقول انه لا يفعل الافعال الكبيرة التى يعجز غيره عن فعل مثلها فقط بل

على ذَلِكَ عزْمٌ يَمحوا الشَّرَّ بالشَّرِّ . كما يداوَى شَارِبُ الخمْرِ بالخمرِ . [١] وَطَبْعٌ فيهِ نفعٌ وَضررٌ . كالغَمامَةِ فيهَا صاعقةٌ وَمطرٌ . أو البحْرِ انْ صَدَمَ أغْرَقَ . وَانْ طُلِبَ جَوْهَرُهُ أغْدَقَ [٢] . وَجَدٌّ لو صَحِبَ الإدْبارَ لاربَى على الإقْبالِ . وَلوحالَفَ النَّقصَ لَشأَى الكَمالَ [٣] . فسَارَ الى غايَتهِ القُصوَى . بَسَيْرٍ لايُرى . كَسَيْرِ ذُكاءٍ

التى يعجز سواه عن القدرة على وصفها بالكلام وهذا البيت من قصيدة للشريف الرضى التى مطلعها ‌‌ ‌ اين الغزال الماطل ‌ ‌ بعـدك يامنازل

قد بان حالى سر به ‌ ‌ فلم اقام العاطل

(١) الثقلين الانس والجن . آزره موازرة واساه وعاونه — وديوجين هذا المقلب بالكلبى الفيلسوف المشهور صاحب النوادر الفلسفية اللطيفة وحكايته مع الاسكندر المقدونى ان الاسكندر سمع به فاراد مقابلته وسار اليه فرآه جالسا فى الشمس بقرب برميله الذى كان يحمله دائما فقال له انا الاسكندر فقال وانا الكلب ديوجين قال اماتهابنى قال انت صالح ام شرير قال صالح قال أو أهاب الصالح فعجب الاسكندر من ذلاقة لسانه ثم قال سلنى حاجتك قال حاجتى أن تحول من هذه الجهة فقد حلت بينى و بين الشمس فزاد تعجب الاسكندر ثم قال ديوجين اينا اغنى اصاحب العباءة والخرج أو الذى لم يقنع بعظم سلطانه فتعجب خواص الاسكندر من احترامه لهذا الرجل مع قحته وشعر الاسكندر بذلك فالتفت اليهم وقال لولم اكن الاسكندر لتمنيت انا كون ديوجين

(المعنى) انه ثبت ان من زهد فى الدنيا جميعها مثل ديوجين يساوى من ملك الدنيا مثل الاسكندر لان قولك لااريد تساوى قولك أملك كل شىء فنابليون اختار ان يكون احد الرجلين وهو الاسكندر ثم يقول انه ساعده على حصول بغيته عزم يفل الحديد بالحديد والعرب تقول ان شارب الخمر يداوى خمارها باعادة شربها وقال الشاعر

تداويت من ليلى بليلى من الهوى ‌ ‌ كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

اغدق المطر كثر قطره

(٣) الجد الحظ . اربى زاد . شأى سبق والمشهور عن نابليون انه كان يعتمد على حظه وبخته اكثر من اعتماده على مقدرته

فى السَّماءِ ١ . لايُصادِفُهُ فى طريقهِ دَولةٌ الاَّ قلبَها . ولا رَايةٌ الاَّ نصبَها . ولا حِصنٌ ثغرٍ . يَحُومُ مِنهُ نَسْرُ السَّماءِ على وَكْرٍ . الاَّ تدَلَّى عليهِ معَ الظلامِ . كَما تدلَّتْ عُقَابٌ مِنْ شَماريخِ الأعلامِ ٢ . ولايَمٌّ طَمٌّ . أو بَحْرٌ خِضَمٌّ . الاّ خَاضهُ بالقدَمِ . وَشرِبَ ماءَهُ بدمٍ ٣ . ولاوَقائعَ الاَّ خَاضَها . ولامَلاحِمَ الاَّ رَاضَها فَترَكَ بِها أيَّاماً كيَوْمِ رَحْرَحانٍ ٤ . أو يوْمِ جَبَلَةَ بينَ عَبْسٍ وَذُبيانٍ . حَتى

(١) القصوى البعيدة . ذكاء من اسماء الشمس

(المعنى) يقول كما ان الشمس تشرق من المشرق واذابها تغرب فى المغرب من غير ان تدرك العين لها مسيرا فكذلك هو كان يسير الى غايته من غير ان يدرك ذلك منه فان غايته كانت الملك وقد تظاهر بخدمة الجمهورية وما زال ينتقل بخطواته الخفية حتى قلبها واسس ملكه

(٢) الثغر كل فرجة فى جبل او بطن واد او طريق مسلوك . النسر المراد به هنا نسر السماء الوكر عش الطائر اين كان فى جبل او شجر وان لم يكن فيه . تدلى نقل واسترسل . العقاب طائر معروف . الشماريخ رؤس الجبال الاعلام جمع علم وهو الجبل الطويل

(المعنى) يقول ان صادفه حصن مرتفع حتى كانه لارتفاعه وكر لنسر السماء الذى هو نجم من نجومها أو غير ذلك من العقبات لم يحله عن مقاصده بل تخطاه اليها

(٣) اليم البحر . الطم الغامر . الخضم البحر . خاض الماء دخله

(٤) الملاحم جمع ملحمة وهى الوقعة العظيمة القتل . راض ذلل — يوم رحرحان كان لعامر على تميم وذلك ان خالد بن جعفر قدم على الاسود بن المنذر أخى النعمان بن المنذر ومع خالد عروة الرجال بن عتبة بن جعفر فالتقى خالد بالحارث بن ظالم الذبيانى فدعاهما الاسود بتمر فقال خالد للحارث ألا تشكر يدى عندك ان قتلت عنك سيد قومك زهيرا وتركتك سيدهم قال سأجزيك شكر ذلك فلما خرج الحارث قال الاسود لخالد ما دعاك الى ان تحترش بهذا الكلب وانت ضيفى قال خالد انما هو عبد من عبيدى لو وجدنى نائما ما يقظنى وانصرف خالد الى قبته فلامه عروة الرجال ثم ناما وقد اشرجت عليهما القبة وكان مع الحارث تبيع من بنى محارب يقال له خراش فلما هدأت العيون اخرج الحارث ناقته وقال لخراش كن لى بمكان كذا فان طلع كوكب الصبح ولم آتك فانظر اى البلاد احب اليك فاعمد لها وأتى الحارث قبة

خالد فهتك شرجها ثم ولجها وقال لعروة اسكت فلا بأس عليك واتى خالدوهو نائم فقتله ونادى عروة عند ذلك واجوار الملك واقبل اليه الناس وسمع الهتاف الاسود وعنده امرأة من بنى عامر يقال لها المتجردة فشقت جيبها وصرخت وفى ذلك يقول عبدالله بن جعدة

شقت عليك العامرية جيبها   أسفاً وما تبكى عليك خلالا
ياحار لو نبهتــه لو جدته   لا طائشاً رعشاً ولا معزالا
واغرورقت عيناى لما ابصرت   بالجعفرى واسبلت اسبالا
فلنقتلن بخالد سرواتــكم   ولنجعلن للظالمين نــكالا
فاذا رأيتم عارضاً متلببا   منـا فانا لا نحاول مالا

وهرب الحارث ونبت به البلاد فلجأ الى معبد بن زرارة وقد هلك زرارة فأجاره فقالت بنو تميم مالك آويت هذا المشؤوم الانــكد واغريت بنا الاسود وخذلوه غير بنى ماوية وبنى عبدالله ابن داوود وبلغ الاخوص بن جعفر بن كلاب مكان الحارث بن ظالم عند معبد فاغزا معبدا فالتقوا (برحرحان) فانهزمت بنو تميم وأسر معبداً سرده عامر والطفيل ابنا مالك بن جعفر بن كلاب فوفد لقيط بن زرارة عليهم فى فدائه فقال لهما لـكما عندى مائتا بعير فقالا يا ابانهشل انت سيد الناس واخوك سيد مضر فلا تقبل فيه الادية ملك فأبى ان يزيدهم وقال ان ابانا اوصانا ان لا نزيد احداً فى ديته على مائتى بعير فقال معبد للقيط لا تدعنى يالقيط فوالله ان تركتنى لا ترانى بعدها ابداً قال صبراً اباالقعقاع اين وصاة ابينا ان لا تؤكاوا العرب انفسكم ولا تزيدوا بفداءكم على فداء رجل منــكم فتذؤب بكم ذؤبان العرب ورحل لقيط عن القوم قال فمنعوا معبدا الماء وضاروه حتى مات هزالا وقيل أبى معبد ان يطعم شيئاً أو يشرب حتى مات وفى ذاك يقول عامر ابن الطفيل

قضينا الحزن من عبس وكانت   منية معــبد فينا هزالا

وقال جرير

وليلة وادى رحرحان فررتم   فراراً ولم تلووا زفيف النعائم
تركتم أباالقعقاع فى الغل مصفدا   واى اخ لم يسلموا فى الاداهم

وقال آخر

وبرحرحان غداة كبل معبد   نــكحوا بناتــكم بغير مهور

وَكِسْرَى . هوَ كُرَةُ الارْضِ قامَرَ بِها الرَّجُل فَكَسبَها في

(يوم جبله) كان بين عبس وذبيان وهو أعظم أيام العرب وذلك أنه لما انقضت وقعة رحرحان جمع لقيط بن زرارة لبني عامر والب عليهم وبين أيام رحرحان ويوم جبلة سنة كاملة وكان يوم جبلة قبل الاسلام باربعين سنة وهو عام ولد النبي صلى الله عليه وسلم وكانت بنو عبس يومئذ في بني عامر خلفاءهم فاستعدى لقيط بني ذبيان لعداوتهم لبني عبس من أجل حرب داحس والغبراء فاجابته غطفان كلها غير بني بدر وتجمعت لهم تميم كلها غير بني سعد وخرجت معه بنو أسد لحلف كان بينهم وبين غطفان حتى أتى لقيط الجون الكلبي وهو ملك حجر وكان يجبي من بها من العرب فقال له هل لك في قوم عادين قد ملؤا الارض نعما وشاء فترسل معي ابنيك فما اصبنا من مال وسبي فلهما وما اصبنا من دم فلي فاجابه الجون الى ذلك وجعل له موعداً رأس الحول ثم اتى لقيط النعمان بن المنذر فاستنجده واطمعه في الغنائم فاجابه وكان لقيط وجيهاً عند الملوك فلما كان على قرن الحول من يوم رحرحان انهات الجيوش الى لقيط واقبل سنان بن ابي حارثة في غطفان وهو والد سنان بن هرم الجواد وجاءت بنو اسد وأرسل الجون ابنيه معاوية وعمرا وارسل النعمان أخاه لامه حسان بن وبرة الكلبي فلما توافوا خرجوا الى بني عامر وقد انذروا بهم وتأهبوا لهم فقال الاحوص بن جعفر وهو يومئذ رحاهوازن لقيس بن زهير ماترى فانك تزعم أنه لم يعرض أمر ان الا وجدت في أحدهما الفرج فقال قيس بن زهير الرأى أن نرتحل بالعيال والاموال حتى ندخل شعب جبلة فنقاتل القوم دونها من وجه واحد فانهم داخلون عليك الشعب وان لقيطا رجل فيه طيش فسيقتحم عليك الجبل فأرى لك أن تأمر بالابل فلا ترعى ولا تسقى وتعقل ثم نجعل الزرارى وراء ظهورنا ونأمر الرجال فتأخذ باذناب الابل فاذا دخلوا علينا الشعب حلت الرجالة عقل الابل ثم لزمت أذنابها فانها تنحدر عليهم وتحن الى مرعاها وورودها ولا يرد وجوهها شيء وتخرج الفرسان أثر الرجالة الذين خلف الابل فانها تحطم مالقيت وتقبل عليهم الخيل وقد حطوا من عل . فقال الاحوص نعم مارأيت واخذ برأيه ومع بني عامر يومئذ بنو عبس وغني في بني كلاب وباهلة في بني صعب والابناء أبناء صعصعة وكان رهط المعقر البارقي يومئذ في بني تميم بن عامر وكانت قبائل بجيلة كلها فيهم غير قيس . وأقبل لقيط والملوك ومن معهم فوجدوا بني عامر قد دخلوا الشعب فنزلوا على فم الشعب فقال لهم رجل من بني أسد خذوا عليهم فم الشعب حتى يعطشوا ويخرجوا فوالله ليتساقطن عليكم تساقط البعر من است البعير فأتوا حتى دخلوا الشعب عليهم وقد عقلوا الابل وعطشوها ثلاثة اخماس وذلك

ساعَةٍ وَخَسرَها فى أُخرى [١]

***

كَأَنّى أنظُرُ اليهِ يومَ (أُسْتِرْلِيزَ) [٢] وَقَدْ خرَجَ لِقتالِهِ القيْصَرانِ . فى يومٍ أرْوَنانٍ (فَصابتْ بقُرٍّ [٣]) (وَمايومُ حَليمةَ بِسرٍّ [٤]) . فاصْطفَّ حِيالَهُ الرُّوسُ

اثنتاعشرة ليلة ولم تطعم شيئاً فلما دخلوا حلوا اعقلها فاقبلت تهوى فسمع القوم دويها فى الشعب فظنوا أن الشعب قد هدم عليهم والرجالة فى اثرها آخذين باذنابها فدقت كلما لقيت وفيها بعير أعور يتلوه غلام أعسر آخذ بذنبه وهو يرتجز ويقول

أنا الغلام الاعسر . الخير فى والشر . والشر منى اكثر

فانهزموا لايلوون على أحد وقتل لقيط بن زرارة واسر حاجب بن زرارة وأسره ذوالرقيبة واسر سنان بن ابى حارثة المرى اسره عروة الرجال فجز ناصيته وأطلقه فلم تشنه واسر عمرو بن عومن وقتل معاوية بن الجون ومنفذ بن طريق ومالك بن نهشل وقالت دختنوس أخت لقيط ترثيه

فرت بنو اسد فرار الطير عن أربابها
عن خير خندف كلها من كهلها وشبابها
وأتمها حسباً اذا ضمت الى احسابها

(١) قيصر لقب كل ملك من ملوك الروم واشهرهم يوليوس . وكسرى اسم كل ملك من ملوك الفرس واشهرهم انوشروان . قامره أى راهنه ولاعبه فى القمار

(٢) (استرليز) هى قرية قهر بجوارها نابليون جيوش الروس والنمساويين فى اليوم الثانى من شهر دسمبر سنة ١٨٠٥ وهى أشهر وقائعه وقد حضرها قيصر الروس والنمسا وقد صور هذه الموقعة صور جميلة المصور جيرارد وتوجد فى متحف فرساى فى فرنسا ومنها نقل المؤلف وصفه لها فى هذه الرسالة الارونان الصعب الشديد

(٣) فصابت بقر هذا مثل عربى . أى نزل الامر فى قراره فلا يستطاع له تحويل وصابت من الصوب وهو النزول والقر القرار يضرب عند شدة تصيبهم أى صارت الشدة فى قرارها ويرى وقعت بقر قال عدى بن زيد

وجيها وقد وقعت بقر كما ترجو اصاغرها عتيب

(٤) ومايوم حليمة بسر هذا مثل عربى يضرب لكل أمر متعالم مشهور وحليمة هذه

كالسُّطور في الطُّروس . وثبتُوا في الاخاديد . كالجلاميد : وابذَعرُّوا في السُّهول . كالوُعُول . وأقبلَ النِّمساويُّونَ في كتيبةٍ جأْواءَ . وململمةٍ شملاءَ . ينزِلُ أُولاَها وَليسَ بنازلٍ . ويرْحلُ اخْراها وليسَ براحلٍ ١ . فقاباهم من جيشٍ

هي بنت الحارث ابن أبي شمر وكان أبوها وجه جيشاً الى المنذر بن ماء السماء فأخرجت لهم طيباً من مركن فطيبتهم قال المبرد هو أشهر أيام العرب يقال ارتفع في هذا اليوم من العجاج ماغطى عين الشمس حتى ظهرت الكواكب وقال عبد الرحمن بن المفضل عن أبيه أنه لما غزا المنذر بن ماء السماء غزاته التي قتل فيها وكان الحارث بن جبلة الاكبر ملك غسان يخاف وكان في جيش المنذر رجل من بني حنيفة يقال شمر بن عمرو وكانت أمه من غسان فخرج يتوصل بجيش المنذر يريدان يلحق بالحارث فلما تدانوا سار حتى لحق بالحارث فقال اتاك مالا تطيق فلما رأى ذلك الحارث ندب من اصحابه مائة رجل اختارهم رجلا رجلا فقال انطلقوا الى عسكر المنذر فاخبروه انا ندين له ونعطيه حاجته فاذا رأيتم منه غرة فاحملوا عليه ثم امرا بنته حليمة فاخرجت لهم مركنا فيه خلوق فقال خلقيهم فخرجت اليهم وهي من اجمل مايكون من النساء فجعلت تخلقهم حتى مر عليها فتى منهم يقال له لبيد بن عمرو فذهبت لتخلقه فلما دنت منه قبلها فلطمته وبكت وأتت أباها فاخبرته الخبر فقال لها ويلك اسكتي فهو ارجاهم عندي ذكاء فؤاد ومضى القوم ومعهم شمر بن عمرو الحنفي حتى اتوا المنذر فقالوا له اتيناك من عند صاحبنا وهو يدين لك ويعطيك حاجتك فتباشر اهل عسكر المنذر بذلك وغفلوا بعض غفلة فحملوا على المنذر فقتلوه فقيل ليس يوم حليمة بسر فذهب مثلا

(المعنى) يقول انه انتصر في يوم استرليز انتصاراً باهراً طار ذكره في الامم الفرنجية كما طار ذكر يوم حليمة في الامم العربية ايام الجاهلية

(١) الحيال حيال الشيء قبالته يقال قعد حياله وبحياله اي ازائه . الاخاديد جمع اخدود وهي الحفرة المستطيلة في الارض قال الشاعر

ركبن من فلج طريقاً ذا قحم ضاحي الاخاديد اذا الليل ادلهم

الجلاميد والجلمد والجلمود الصخر . ابذعروا تفرقوا . السهول جمع سهل وهو ضد الحزن الوعول جمع وعل وهو تيس الجبل

(٢) الكتيبة الجيش . جأواء اي كدراء اللون في حمرة وهو ضداء الحديد . الململمة

الفَرَنسِيسِ بِالدَّهياءِ الدَّرْدَبيسِ . دَوْسَرٌ بَسطَ جنَاحَيهِ على الشِّعَابِ . كما بَسطت جناحَيها العُقابُ[1] . فلا ترَى ثَمَّةَ الاَّ أعلاماً تخفُقُ . وحَديداً يبرُقُ . وجنوداً فى الماذِيِّ كأنَّها صُخورٌ فى مَاءٍ . أوْ أفاعِي عَرْماءَ . أو أُسودٌ والسُّيوفُ أنيابٌ . أوْ عقاربُ شائلاتُ الاذْنابِ[2] . ثمَّ حُمَّ القتالُ . وزُلزِلَ الزِّلزالُ : واتَّقدَ الوَهَجُ

الكتيبة المجتمعة . الشعلاء أى الكتيبة المشعلة بكسر العين المتفرقة
الدهياء الداهية من شدائد الدهر قال الشاعر

اخو محافظة اذا نزلت به دهياء داهية من الازم

الدردبيس الداهية قال جري الكاهلي

ولو جربتني فى ذاك يوماً رضيت وقلت أنت الدردبيس

(١) دوسراى جيش واصلها كتيبة كانت للنعمان بن المنذر ملك العراق وهى أشد كتائبه بطشاً حتى قيل المثل (ابطش من دوسر) وكانت له خمس كتائب وهى الرهائن والصنائع والوضائع والاشاهب ودوسر . أما الرهائن فانهم كانوا خمسمائة رجل رهائن لقبائل العرب يقيمون على باب الملك سنة ثم يجىء بدلهم خمسمائة أخرى وينصرف أولئك الى احيائهم فكان الملك يغزوا بهم ويوجههم فى أموره . وأما الصنائع فبنو قيس وبنو تيم اللات ابنى ثعلبة وكانوا خواص الملك لا يبرحون بابه . وأما الوضائع فانهم كانوا الف رجل من الفرس يضعهم ملك الملوك بالحيرة نجدة لملك العرب وكانوا أيضاً يقيمون سنة ثم يأتى بدلهم الف رجل وينصرف أولئك . واما الاشاهب فأخوة ملك العرب وبنو عمه ومن يتبعهم من أعوانهم وسموا الاشاهب لانهم كانوا بيض الوجوه . واما دوسر فانها كانت أحسن كتائبه وأشدها بطشاً ونكاية وكانوا من كل قبائل العرب وأكثرهم من ربيعة وسميت دوسراً اشتقاقا من الدسر وهو الطعن بالثقل لثقل وطأتها قال الشاعر

ضربت دوسر فيهم ضربة أثبتت أوتاد ملك فاستقر

وكان ملك العرب عند رأس كل سنة وذلك أيام الربيع يأتيه وجوه العرب وأصحاب الرهائن وقد صير لهم أكلا عنده وهم ذوو الآكال فيقيمون عنده شهراً ويأخذون آكالهم ويبذلون رهائنهم وينصرفون الى أحيائهم. الشعاب النواحى

(٢) الماذى الدرع اللينة السهلة والسلاح كله . العرماء الحية الرقشاء. شائلات رافعات

وَسَطَعَ الرَّهجُ . فكأنَّما ترى جانّاً منْ مارجٍ منْ نارٍ . أو إعصاراً يدورُ فوْقَ إعْصَارٍ [١] . وَكأنَّا مدينةٌ فى حريقٍ وسَماءٌ تَهطُلُ برحيقٍ [٢] . وَكانَّمَا فُكَّتِ الشيَاطينَ . وانْسابتِ الثعابينُ [٣] . وكانَّما فى قَلْبِ الارْضِ وَهلٌ . وعَلى خدِّها مِنَ الدِّماءِ خَجِلٌ [٤] . وكانَّمافي الجوِّ مِنَ الدُّخانِ والنارِ . لَيْلٌ وَشرُوقٌ . وَمِنَ

(المعنى) شبه الجنود تحت رقرقة الدروع بالصخور فى الماء وشبههم تحت ألوان الحديد بالافاعى المرقطة

(٢) حم القتال اتقد . الوهج اتقاد النار والشمس . الرهج بالتحريك الغبار أو ما اثير منه . المارج الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد وفى القرآن (وخلق الجان من مارج من نار) أى من نار بلا دخان . الاعصار ريح ترتفع بتراب بين السماء والارض وتستدير كانها عامود ومنه (ان كنت ريحاً فقد لاقيت اعصاراً) مثل يضرب للمدل بنفسه اذا صلى بنار من هو ادهى منه واشد

(١) الرحيق الخمر

(المعنى) يقول أن الدم كثر انصبابه على الارض حتى كان السماء امطرت الارض رحيقا أحمر

(٢) انساب مشى مسرعاً .

(المعنى) يشير الى القصة المشهورة فى انفكاك الشياطين من التسخير بعد موت سليمان عليه السلام وقد أشار الكتاب الكريم الى شىء من ذلك فى قوله تعالى « ومن الجن من يعمل بين يديه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير . يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داوود شكرا وقليل من عبادى الشكور . فلما قضينا عليه الموت مادلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب المهين »

(٣) الوهل الفزع

(المعنى) يقول قد رجفت الارض بالمقاتلة حتى كان ذلك الرجفان خفقان قلبها من

الرَّصاصِ والشِّفارِ [١] . وَبْلٌ وَبُرُوقٌ . وكأنَّما كُسِرَتْ قُبَّةُ السَّماءِ . فَهوَتْ بِمَا فيها مِنْ نُورٍ وَظَلَامٍ [٢] . وكأنَّما كلُّ صَفٍّ مِنَ الجُنودِ يَميلُ بِحائِطٍ مِنْ جَهَنَّمَ . فَيلْقاهُ الآخَرُ مِنَ الحديدِ بِلُجٍّ مِنْ يَمٍّ . فَما يَنكَفِئُ حَتَّى يَنْطَفِئَ [٣] وبينَ ذلكَ خُيولٌ تَكَدَّسُ . وَسِلاحٌ يَضْرَسُ . وَجَماجِمُ تُفلَّقُ . وَأَشلاءٌ تَفَرَّقُ . وَمُنًا وَمُنونٌ وَطَعْنٌ كأنَّهُ طاعونٌ . وَشَهيقٌ وَزَفيرٌ . وَعيرٌ وَنَفيرٌ [٤] . وَصَرْعى كأنَّما غالَتْهُم

الخوف من هول ذلك اليوم وان حمرة الدم على خدها كانها حمرة الخجل مما يفعله الانسان بالانسان من بنيها

«١» الشفار جمع شفرة وهى حد السيف . الوبل المطر الشديد

« المعنى » شبه سقوط الرصاص بسقوط حبات المطر

«٢» (المعنى) يقول انه لاختلاط ضوء النور المنبعث من فوهات المدافع و البنادق بدخانها كان قبة السماء انكسرت وسقط مافيها من نور وظلمة

«٣» اليم البحر . ينكفئ ينكب

« المعنى » يقول ان الكتيبة اذا مالت على اختها فكانما تميل عليها من مقذوفاتها النارية بحائط من جهنم فتقابلها الثانية من دروعها وصفاح صوارمها المائية اللون بلج من يم فما تندفع حتى تخمد

«٤» تكدس تركب بعضها بعضا تضرس تكل . الجماجم جمع جمجمة وهى عظم الرأس المشتمل على الدماغ . تفلق تشقق . أشلاء الانسان أعضاؤه بعد البلى والتفرق . المنا الموت . المنون المنية مؤنثة وتكون مفرداً وجمعاً . الطاعون الوباء والجمع طواعين ومن نوادر الطاعون أن الاصمعى قال رأيت رجلا قاعداً على قصر أوس فى الطاعون يعد الموتى فى كوز فعد فى أول يوم عشرين ومائة ألف فلما كان فى اليوم الثانى عد خمسين ومائة الف فمر قوم بعيتهم وهو يعد فلما رجعوا اذا عند الكوز غيره فسألوا عنه فقال لهم هو فى الكوز . الشهيق تردد البكاء فى الصدر الزفير ادخال النفس . العير القافلة والنفير قيام عامة الناس لقتال العدو ويقال لمن لا يصلح لمهم لا فى العير ولا فى النفير وأول من قال ذلك أبو سفيان بن حرب وذلك أنه أقبل بعير قريش وكان

الـكُؤُوس . وَوَادٍ يَسيلُ علي العَامِينِ فَقَاقيعُهُ الرُّؤُوس[1] . ومُقلَةٌ في مِخلَبِ طَائر.

رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تحين انصرافها من الشام فندب المسلمين للخروج معه واقبل أبو سفيان حتى دنا من المدينة وقد خاف خوفاً شديداً فقال لمجدى بن عمرو هل أحسست من أحد من أصحاب محمد فقال ما رأيت من أحد أنكره الا راكبين أتيا هذا المكان وأشار له الى مكان عدى وبسبس عيني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ أبو سفيان أبعاراً من أبعار بعيريهما ففتها فاذا فيها نوى فقال علائف يثرب هذه عيون محمد فضرب وجوه عيره فساحل بها وترك بدراً يساراً وقد كان بعث الى قريش حين فصل من الشأم يخبرهم بما يخافه من النبي صلى الله عليه وسلم فاقبلت قريش من مكة فارسل اليهم أبو سفيان يخبرهم أنه قد أحرز العير ويأمرهم بالرجوع فأبت قريش أن ترجع ورجعت بنو زهرة من ثنية أجدى عدلوا الى الساحل منصرفين الى مكة فصادفهم أبو سفيان فقال يا بنى زهرة لا فى العير ولا فى النفير قالوا أنت أرسلت الى قريش أن ترجع ومضت قريش الى بدر فواقعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاظفره الله تعالى بهم ولو يشهد بدراً من المشركين من بنى زهرة أحد . وروى أن عبد الله بن يزيد بن معاوية أتى اخاه خالدا فقال يا أخي لقد هممت اليوم أن أفتك بالوليد بن عبد الملك فقال والله بئسما هممت به فى ابن أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين فقال ان خيلي مرت به فتعبث بها وأصغرها وأصغرنى فقال خالد أنا أكفيكه فدخل خالد الى عبد الملك والوليد عنده فقال يا أمير المؤمنين ان الوليد مرت به خيل ابن عمه عبد الله بن يزيد بن معاوية فتعبث بها وأصغره وعبد الملك مطرق فرفع رأسه وقال (ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة اهلها أذلة) الى آخر الآية فقال خالد (واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها) الى آخر الآية فقال عبد الملك أفى عبد الله تكلمنى والله لقد دخل على فما أقام لسانه لحناً فقال خالد افعلى الوليد تعول فقال عبد الملك ان كان الوليد يلحن فان خاه سليمان لا فقال خالد وان كان عبد الله يلحن فان أخاه خالدا لا فقال له الوليد اسكت يا خالد فوالله ماتعد فى العير ولا فى النفير فقال خالد اسمع يا أمير المؤمنين ثم أقبل عليه فقال ويحك من فى العير والنفير غيرى وجدى أبو سفيان صاحب العير وجدى عتبة بن ربيعة صاحب النفير ولكن لو قلت غنيمات وحبيلات والطائف ورحم الله عثمان قلنا صدقت . عنى بذلك طرد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم الى الطائف الى مكان يدعى غنيمات وكان يأوى الى حبيلة وهى الكرمة وقوله رحم الله عثمان لرده اياه

(١) الصرعى جمع صريع وهو المطروح على الارض . غالب قاهر . الفقاقيع جمع فقاعة

وَكَبِدٌ فِي رِجلِ عاثِرٍ وبنَانٌ فى نابِ وَحْشٍ كاسِرٍ [١]

كَمْ رأسِ شَخصٍ بكَى منْ غيرِ مُقلتهِ
دَماً وتَحسبُهُ بالقاعِ مُبْتسماً [٢]

هذَا وَنابليونُ قدْ أشرَفَ على المَرْقَبِ فوْقَ نهدٍ سابِحٍ . ثَبتٌ فى المَعمعانِ . كأنَّهُ خِنذِيذَةٌ منْ كَتفيْ ثهلانِ [٣] . لا تَهولهُ كثرَةُ البُهمِ . ولا جمُوعُ الامَمِ . كانَّ جنْدَهُ قليلٌ منْ ضرَمٍ . فى كثيرٍ منْ فَحمٍ [٤] . يقلِّبُ عينهُ يمنةً وشامةً . ويخبرُ اخبارَ زَرقاءَ اليمامةِ . فتَطوى الجُنودُ لامرِهِ وتُنشرُ . وتقدّمُ وتؤخّرُ كأنه

وهى تفاخة الماء

(المعنى) يقول كان الموتى فى الدماء سكارى قد طرحوا بين أقداح ودنان مصبوبة وكان الرؤوس السائرة يحملها أتى الدم السائل فقاقيع على ماء نهر جار

(١) المقلة العين . المخلب ظفر كل سبع من الماشى والطائر . العاثر المنكب الساقط . الكاسر الذى يكسر ما يصيده

(٢) القاع أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والا كام والجمع أقواع وأقوع وقيع وقيعان وقيعة

(المعنى) يقول كان الجروح فى جسم المقتول عنهم عيون تبكى بالدم وكان القتيل وقد فتح الموت فاه باسما وليس بباسم

(٣) المرقب والمرقبة الموضع المشرف يرتفع عليه الرقيب والجمع مراقب النهد الفرس الحسن الجميل الجسيم اللحيم المشرف . السلهب الجواد الطويل على وجه الارض والجمع السلاهبة المعمعان شدة الحر والبرد . الخنذيذة رأس الجبل المشرف . ثهلان جبل معروف

(٤) البهم جمع بهمة وهو الشجاع الذى يستبهم على أقرانه مأتاه . الضرم النار

(المعنى) يقول كما أن قليل النار يكفى لكثير الفحم فكذلك كان نابليون لا تهوله الكثرة مع شجاعة جنده

(٥) اليمنة جهة اليمين . الشامة بالفتح اليمنة — زرقاء اليمامة يضرب بها المثل فى حدة بصرها فيقال أبصر من زرقاء اليمامة واليمامة اسمها وبها سمى البلد وهى امرأة من جديس

فى هذا الهَرْجِ والمرْجِ . امامَ رِقعةٍ منَ الشَّطرَنْج [1] . الى أنْ يبدُو لهُ النَّصرُ من

كانت تبصر الشيء من مسيرة ثلاثة أيام فلما قتلت جديس طسما خرج رجل من طسم الى حسان بن تبع فاستجاشه ورغبه فى الغنائم فجهز اليهم جيشاً فلما صاروا من جو على مسيرة ثلاث ليال صعدت الزرقاء فنظرت الى الجيش وقد أمروا ان يحمل كل رجل منهم شجرة يستتروا بها ليلبسوا عليها فقالت ياقوم قد أتتكم الشجر أو أتتكم حمير فلم يصدقوها فقالت على مثال رجز

أقسم بالله لقد دب الشجر　　أو حمير قد أخذت شيئاً يجر

فلم يصدقوها فقالت

أحلف بالله لقد أرى رجل　　ينهش كتفاً أو يخصف النعل

فلم يصدقوها ولم يستعدوا حتى صبحهم حسان فاجتاحهم فأخذ الزرقاء فشق عينيها فاذا فيهما عروق سود من الأثمد وكانت أول من اكتحل بالأثمد من العرب وهى التى ذكرها النابغة فى قوله　　واحكم كحكم فتاة الحى اذ نظرت　　الى حمام سراع وارد الثمد

تطوى ضد تنشر : تنشر تبسط

وقد أتينا بهذه الحكاية على علاتها كما وردت فى كتب التاريخ ولا يخفى ما فيها من الشيء الذى لا يتصوره العقل

(١) الهرج القتال والاختلاط . المرج محركة القلق والاختلاط وانما يسكن مع الهرج مزاوجة تقول العرب بينهم هرج ومرج أى اختلاط وفتنة . الرقعه اللوح الذى تصف عليه أدوات الشطرنج . الشطرنج ولا يفتح أوله لعبة مشهورة والسين لغة فيه وممن كان يجيد اللعب بالشطرنج المأمون . والفضل بن يحيى . والصولى وأبو مسلم الخراسانى . وزيرب . وجابر الكوفى . وعبد الغفار الانصارى . وكان هؤلاء من الاساتذة المتقدمين فيه وكانوا يلعبون فى حضرة المأمون وكانوا يتوقرون بين يديه فأمرهم بترك ذلك وان يقولوا مايقولون اذا خلوا ومن المجيدين فيه أيضاً أبو القاسم التوزى الشطرنجى وكان يلعب الشطرنج غيباً غير ناظر اليه وفيه يقول ابن الرومي

يا أخى يا أخا الدماثة والرقـ　　ـة والظرف والحجى والدهاء

أترى الضربة التى هى غيب　　خلف خمسين ضربة فى وحاء

ثاقب الرأى نافذ الفكر فيها　　غير ذى فترة ولا ابطاء

ويلاقيك سبعة فيظلو　　ن على ظهر آلة حدباء

تهزم الجمع أوحديا وتلوى　　بالصناديد أيما الواء

خَلَلَ القَتام كما تلوحُ الشمسُ مِنْ تحتُ الغمامِ[1]

***

وتحط الرخاخ بعـد الفرازيـن فتزداد شدة استعلاء
ربما هالنى وحير عقـلى أخذك اللاعبـين بالبأساء
ورضاهم هناك بالنصف والربع وأدنى رضاك فى الارباء
واحتراس الدهاة منك وأعصافك بالاقوياء والضعفاء
عن تدابيرك اللطاف اللواتى هن أخفى من مستسر الهباء
بل من السر فى ضمير محب أدبتـه عقوبة الافشـاء
فأخال الذى تدير على القوم حروباً دوائر الارحاء
وأظن افتراسك القرن فالقرن منـايا وشـيكة الارداء
وأرى أن رقعة الادم الاحمر أرضـاً عللتها بدماء
غلط الناس لست تلعب بالشطرنج لـكن بأنفس اللعباء
لك مكر يدب فى القوم أخفى من دبيب الغناء فى الاعضاء
أودبيب الملال فى مستهام ن الى غاية من البغضاء
أو مسير القضاء فى ظلم الغيب الى من يريده بالتواء
تقتل الشاه حيث شئت من الرقعة صبا بالقتلة النكراء
غير ماناظر بعينيك فى الدست ولا مقبل على الرسلاء
بل تراها وأنت مستدبر الظهر بقلب مصور من ذكاء
مارأينا سواك قرنا يولى وهو يردى فوارس الهيجاء
رب قوم رأوك ريعوا فقالوا هل تكون العيون فى الاقفاء
تقراء الدست ظاهراً فتؤديه جميعاً كأحفظ القراء

وقال بعضهم الشطرنج معتزلى والنرد مجبر وذلك أن اللاعب بالشطرنج موكول الى اختياره واللاعب بالنرد مجبر على مايخرج منه

(١) الخلل منفرج ما بين الشيئين . القتام الغبار والدخان — هذا وقد قرأنا فى مجلة المقتطف فى عددها الصادر فى شهر ينا ير سنة ١٩٠٠ ميلادية قصيدة لفكتور هوجو أشعر شعراء

وَكانى أنظرَ اليهِ بَعدَ ذلكَ وقدْ جارَ عليهِ الزّمانُ الجائرُ . وَدارَتْ عليهِ الدّوَائرُ وأمْسى جيْشهُ الذي قهرَ الارْضَ وهو مقهورٌ كآنيةُ الزّجاجِ قابلتْ غيرَها فالكلُّ كاسرٌ مكسورٌ . وانتهَى بِهِ السيرُ . من خيرٍ الى ضَيرٍ . كما يصيرُ الهلالُ

الفرنسيس اسمها (واترلوا) يصف بها موقعة واترلو الشهيرة التى وقعت بين نابليون وملوك أوربا ويصف فيها نابليون واقدامه وقد عربها بعض الادباء فاردنا أن نجىء بها هنا لنبين فضل الشاعر العربى صاحب السماحة السيد محمد توفيق البكرى على الشاعر الفرنجى فى الاقتدار على وصف الموقعة وهى

« لقد وقع فى هذا السهل موقعة كبرى خلط الموت فيها الجيوش فماجت به كما يموج الماء فى حوض مفعم وكانت فرنسا فى ناحية وأوربا تقاتلها فى ناحية فخاب ثمة امل الشجعان وحقت عليه الواقعة . أبكى على هذه الموقعة وحق لى البكاء اذ هؤلاء الشجعان كانوا اخيرة الرجال وقد فتحوا الارض ودوخوها وطردوا عشرين ملكا وجازوا جبال الالب ونهر الرين . وقد كانوا الى المساء هاجمين ومنتصرين ومضايقين لو لنجتون القائد الانكليزى اذحازوه الى الغابه وكان نابليون والنظارة فى يده يقلب نظره تارة فى وسط الجيش اذ يراه كانه حصيد وتارة يتأمل الافق كانه البحر فى ظلامه وبينما كان يؤمل مقدم الجرنال جروش لنجدته اذرأى قدوم الجرنال بلوخر عدوه فانقطع الرجاء وتغير الامر فى الحرب واخذت المدافع الانكليزية تحصد مربعات الفرنسيس واصبح السهل بعافيه من الدماء والقتل المستحر كفوهة متقدة تسقط فيها الفيالق كانها قطع من حائط فلما رأى ذلك نابليون وادرك الخطر بحذقه العجيب وحسن نظره امر جيش الحرس وهو اعظم فيالق الجيش الفرنسوى وعلى رؤسهم الخوذ اللامعة بالتقدم فحيوا امليكهم وتقدموا للموت باسمين على انغام الموسيقى فلم يلبث نابليون حتى نظر الى هؤلاء الابطال وقد التحموا فى الموقعة وصاروا يتساقطون فى تلك الفوهه المحرقة صابرين فريقا بعد فريق حتى لم يبق منهم احد وعندها انقطع الرجاء وامر جنوده بالتقهقر فانهزم هذا الجند الذى طالما هزم العالم باسره قبل » «١» دارت عليه الدوائر اى نزلت به الدواهى

« المعنى » يقول كما ان آنية الزجاج اذا اصطدم بعضها فى بعض كسر الكاسر المكسور فكذا كان حال جند نابليون بعد ان اصطدم مع اعداه فى وقائع عديده ولقد قالت حرقة بنت النعمان

فبينا نسوس الناس والامر أمرنا ... اذا نحن فيهم سوقة تتنصف
فاف لدنيا لا يدوم نعيمها ... تقلب حالات بنا وتصرف

بسَيْرِهِ بدْرًا . وَيُمحَقُ بهِ تارَةً أُخْرَى [1] . وزَالَ مُلكُهُ الضَّخْمُ . فغَابَ مَغيبَ الشمْسِ فى أفْقٍ منْ دَمٍ [2] . وأصبحَ ولاَ دوْلة . ولا بأسَ ولا صوْلة . كَصَنَمِ الجَاهِلية . فى الملةِ الإِسلامية . كانَ بالامْسِ رَبّاً . فأَصْبحَ حجَراً صلْباً [3] . واذَاهوَ

وقال الحسين بن مطير الاسدى

وقد تخدع الدنيا فيمسى غنيها	فقيراً ويغنى بعـد بؤس فقيرها
فـلا تقرب الامر الحـرام فانه	حـلاوته تفـنى و يبقى مريرها
فكم قد رأينا من تـكدر عيشة	وأخرى صفا بعدا كدرار غديرها
وكم طامع فى حاجـة لا ينالها	وكم آيس منها أتاه بشـيرها

«١» الضير الضر . يمحق البدر محاقاً اذا استسر فلا يرى غدوة ولا عشية وقيل المحاق ثلاث ليال من آخره ويسمى محاقاً لانه طلع مع الشمس فمحقته

«المعنى» يقول وان سير نابليون للحروب ومقاتلة الامم بعد ان كان يؤدى به للـكمال كسير القمر الى ان يصير بدرا أدى به اخيرا الى النقص كما يؤدى سيره الى المحاق فقد كان سيره لمقاتلة الروس سبب كل بؤس وبعدها توالت عليه الهزائم

«٢» الضخم العظيم من كل شيء

« المعنى » يقول فـكما ان الشمس عند الغروب تغيب فى الشفق الاحمر كان تغوص فى يم من دم كـذلك انتهت دولته وغابت فى بحر من دماء

«٣» الباس الشدة والقوة . الصولة الوثبة صنم الجاهلية الاصنام فى الجاهلية كثيرة جداً . ولنذكر منها هنا شيئاً فمنها الانصاب وهى حجارة كانت حول الـكعبة تنصب فيهل عليها ويذبح لغير الله تعالى والـكعبات بيت لربيعة كانوا يطوفون فيه والربة كعبة لمذحج وبس بيت لغطفان بناها ظالم بن أسعد لما رأى قريشا يطوفون بالـكعبة ويسعون بين الصفا والمروة فذرع البيت واخذ حجراً من الصفا وحجراً من المروة فرجع الى قومه فبنى بيتاً على قدر البيت ووضع الحجرين فقال هذان الصفا والمروة واجتزأ به عن الحج فأغار زهير بن جناب الـكلبى فقتل ظالما وهدم بناءه وعبدة مرحب صنم كان بحضرموت والعبعب صنم ويغوث لمذحج والبجة والسجة وسعد كان لبنى ملـكان وودوا زر وباجر صنم عبدته الازدوجهار كان لهوازن والدوار والدار صنم سمى به عبد الدار ابو بطن وسعير والاقيصر وكثرى صنم لقديس وطسم كسره نهشل بن الرئيس

مُعتقلٌ في جَزيرةٍ قاصيةٍ وَصخْرةٍ عاريةٍ . كأنّهُ قَسْوَرٌ نُقلَ مِن بَيْداءَ أو غِيلٍ قَصْباءَ . الى قُيودٍ وأصفادٍ . وَبَيْتٍ مِن صَنعةِ الحَدَّادِ . فهُوَ فيه يدُورُ . وَيَحُورُ

يَطَأُ الثَّرَى مُتَرَفِّقاً مِن تِيهِهِ
فكأنّهُ آسٍ يَجُسُّ عَليلا [١]

ولحق بالنبي فاسلم والضمار صنم عبده العباس بن مرداس وورهطه ونسر كان لذى الكلاع بارض حمير والشمس صنم قديم وعميانس صنم خولان والفلس لطيء وجريس كان في الجاهلية والخلصة كان في بيت يدعى الكعبة اليمانية لخثعم وعوص لبكر بن وائل والشارق صنم في الجاهلية واليعل كان لقوم الياس وسواع صنم عبد في زمن نوح والكسعة والعوف وذى الكفين كان لدوس ومناف ويعوق صنم لقوم نوح أو كان رجلا من صالحي زمانه فلما مات جزعوا عليه فاتاهم الشيطان في صورة انسان فقال امثله لكم في محرابكم حتى تروه كلما صليتم ففعلوا ذلك به وبسبعة من بعده من صالحيهم ثم تمادى بهم الامر الى ان اتخذوا تلك الامثلة أصناما يعبدونها والاشهل صنم ومنه بنو عبد الاشهل لحي من العرب وهبل صنم كان في الكعبة وياليل والبعيم والاسحم ونهم صنم لمزينة وبه سموا عبد نهم وعائم والضيزن والمدان والجبهة واللات لثقيف وذى الشرى لدوس والعزى ومناة والآلاهة والطاغوت والزون والجبت

(المعنى) يقول كما ان الصنم كان يراه الجاهلي ربا يعبده ثم أصبح يراه المسلم حجراً يكسره ولا قيمة له فكذلك صار نابليون بعد الهزيمة

(١) الجزيرة ارض في البحر ينفرج عنها ماء البحر فتبدو . قاصية بعيدة . العارية التي انحسر عنها النبات : القسور الاسد . البيداء الفلاة جمع بيدو بيداوات . الغيل بالكسر الشجر الكثير الملتف ويفتح . القصباء جماعة القصب قال سيبويه واحد وجمع وكذلك الحلفاء والطرفاء . الاصفاد جمع صفد وهو الوثاق . يحور حار يحور تحير . الآس الطبيب والجمع أساة واساء ــ وهذه الجزيرة التي ذكرها السيد هي جزيرة (سنت هيلانة) في المحيط الاطلنطيقي بالجنوب الغربي من أفريقيا . اعتقل بها نابليون ومات فيها ــ وهذا البيت من قصيدة للمتنبي يصف بها الاسد ومطلعها

في الخد ان عزم الخليط رحيلا   مطر تزيد به الخدود محولا

تارةً يَبْسِمُ ويَعْجَبُ. مِن دَهرٍ يَكْسِرُ النَّبْعَ بِالْغَرَبِ. ويَصيدُ الصَّقْرَ بِالْخَرَبِ [١] ومرَّةً يُطْرِقُ ويتفكَّرُ. ويَفتَحُ عينَهُ فيرى كثيراً ويُغْلِقُها فيرى أكثر [٢] وحيناً يَحْني الرأسَ مِن اليأسِ وآونةً تَبْعَثُهُ الاوجالُ. الى الآمالِ. فيَوَدُّ لو قامَ شِبْلٌ مِن نَسْلِهِ. أو رَجُلٌ مِن أهلِهِ. فاستَرجَعَ مُلْكَهُ بعدَ الذَّهابِ. وحَفِظَ مِن نُورِ ذلكَ الجِدِّ بقدْرِ ما يَحفَظُ البَدْرُ نُورَ الشَّمْسِ بعدَ الغيابِ [٤]. وَهيْهاتَ أن يقُومَ

يا نظرة نفت الرقاد وغادرت	في حدقلبي ماحييت فلولا

ومنها في وصف الاسد

ورد اذا ورد البحيرة شاربا	ورد الفرات زئيره والنيلا
متخضب بدم الفوارس لابس	في غيله من لبدتيه غيلا
ماقوبلت عيناه الا ظنتا	تحت الدجى نار الفريق حلولا
في وحدة الرهبان الا انه	لا يعرف التحريم والتحليلا
يطأ الثرى مترفقا من تيهه	فكانه آس يجس عليلا
ويرد عفرته الى يافوخه	حتى تصير لرأسه أكليلا

(١) النبع شجر صلب. الغرب شجر ضعيف. الصقر كل طائر يصيد من البزاة والشهواهين الخرب ذكر الحبارى

(المعنى) يقول انه يعجب من دهر انقاب ظهر المجن فقهر الكبير بالصغير وأذل العزيز بالذليل

(٢) (المعنى) يقول انه اذا اغمض عينه رأى ببصيرته فوق مايراه ببصره اذا فتحها فانه اذا اغمضها رأى كل مامر عليه من العبر لامايراه امامه فقط

(٣) (المعنى) يقول انه حينا يحني رأسه حزنا على ماكان فيه من عزة الملك وأبهته ويجد اليأس الى نفسه طريقا

(٤) الوجل محركة الخوف والجمع أوجال. الشبل ولد الاسد اذا ادرك الصيد خلف نابليون ولدا صغيرا من ابنة امبراطور النمسا ولقب بنابليون الثاني ونشا في حجر جده ملك النمسا وتوفي شابا في سنة ١٨٣٢ وترك نابليون الاول ابن اخ له يدعى نابليون الثالث انتخب رئيسا للجمهورية ثم قلبها كعمه وصار امبراطوراً وحارب جرمانيا فقهر وعزل ومات

الأَفيلُ بِعبء الفيلِ . أو تَتَساوى الاشياءُ . اذا تساوت الاسماءُ . أينَ ذُبابُ السَّيفِ . مِن ذُبابِ الصَّيفِ . وأينَ السُّنبُلَةُ الخضراءُ . مِن سُنبُلَةِ السَّماءِ [١] وقد يَقِفُ بقامَتِه القصيرةِ . على قُنَّةٍ مِن قُنَنِ تلكَ الجزيرةِ . يُرَوِّحُ الفِكْرَ . في أمواجِ البحرِ . واذا بِظِلِّه قد طالَ على لُجَجِه . وامتدَّ بعيداً على ثَبَجِه . فيرى في قامَتِه وَهذا الخَيالِ فرْقَ مابينَ حالَتِه وماكان فيه مِن الدَّولَةِ والاجلالِ . فيبعُدُ مِن نَفْسِه الامالُ وَيقرُبُ الاجلَ * ٥

كان هـذا جميعُهُ يدُورُ في فكري ويتَمَثَّلُ لنـظري وانا واقفٌ ازاءَ

سنة ١٨٧٣ (المعنى) يقول كما ان نور القمر هو فى الحقيقة نور الشمس الا انه اضعف منه فكذلك كان يرجو ان يقوم واحد من آله فيحفظ من مجده ولو بقدر مايحفظ القمر من نور الشمس فى الكون ويؤديه للناس

(١) الافيل صغير الابل جمع افال وافائل . العبء الحمل والثقل من اى شيء كان . الفيل بالكسر حيوان عجيب من اعظم الحيوانات واضخمها وله خرطوم طويل يقوم مقام يد الانسان يرفع به العلف والماء الى فمه ويضرب ويجمع على أفيال وفيول وفيله . ذباب السيف طرفه الذى يضرب به . ذباب الصيف اصناف كثيرة وتجمع على اذبة وذبان وذب . السنبلة من الزرع معروفة والجمع سنابل وسنبلات . السنبلة برج فى السماء

(المعنى) يقول وهيهات ذلك فليس كل واحد يسمى بنابليون يمكنه ان يفعل افعال ذلك الرجل الكبير فان اشتراك الاسماء لاتفيد تساوى المسميات فان الذباب يطلق على اشرف شيء وهو لسان السيف والفراش وهو الطائر المعروف وكذلك كان نابليون الثالث فانه اضاع من مجد فرنسا بقدر ما كسبه عمه

(٢) القنة قلة الجبل وقيل الجبل السهل المستوى البسيط والجمع قنن وقنان وقنوذ وقنات . يروح ينعش ويطيب . الثبج معظم الشيء ومنه ثبج البحر اى معظمه . القامة من الانسان شطاطه وقده

(المعنى) يقول انه اذا وقف على الماء راى ظله طويلا عليه والظل يمتد بقدر الشخص مرارا فكأن هذا الظل لطوله وامتداده هو ماكان فيه من العز الاول الذى اصبح الآن كالظل

قَبرِهِ أتأمَّلُ فى مُبتَدَئه وخَبرِهِ . فيتْرُكَ فى قلبى عِبرَةً . وفى جَفْنى عَبرَةً [١]

لو يَعلمُ القبرُ مَن أُتيحَ لهُ

لانْحَفَرَ القَبرُ غيرَ مُحْتَفِرِ [٢]

مصر

أديارَ مَيّ تنظُرُ

فدُموعُ عَيْنِك تُمطِرُ

أمْ أبْرَقَ العَلَمَيْنِ أمْ

سَفْحَ اللّوَى تتذَكّرُ

الزائل وان قامته القصيرة هى حالته الحاضرة لضعفها وقلتها

(١) الازاء الحذاء . العبرة العظة يتعظ بها . العبرة الدمعة من العين

(٢) اتيح هيء وقدر . هذا البيت من قصيدة لعلى بن العباس بن الرومى وقد قالها فى فتاة اسمها بستان ماتت عقيب حفلة غناء وهى قصيدة مطولة ناتى منها بقوله

ياغضة السن ياصغيرته	امسيت احدى المصائب الكبر
انى اختصرت الطريق ياسكنى	الى لقاء الاكفان والحفر
ابعد ما كنت باب مبتهج	للنفس أصبحت باب معتبر
كل ذنوب الزمان مغتفر	وذنبه فيك غير مغتفر

ومنها

لله ماضمنت حفيرتها	من حسن مرأى وطيب مختبر
اضحت من الساكنى حفائرهم	سكنى الغوالى مداهن السرر
لو علم القبر من إتيح له	لانحفر القبر غير محتفر

أَمْ تامَ قلبَكَ جُؤذَرٌ

أَحْوَى المدامعِ أَحْوَرُ

أَمْ هَبَّ مِنْ مِصرَ صَبَا

أَمْ طارَ برْقٌ أَشقَرُ

أَمْ قدْ ذَكَرْتَ بِطاحَهَا

وهيَ البِساطُ الأخضَرُ

وَالنيلُ في لبَّاتِها

عِقْدٌ يلوحُ مُجَوْهَرُ

والجوُّ صَحْوٌ مُشرِقٌ

وكأَنمَا هُوَ مُمطِرُ

والظلُّ مِن خلَلِ الشُّمُوس مُدَرْهَمٌ وَمُدَنَّرُ

فَكأَنمَا جِلدٌ مِنَ النَّمِرِ المُرَقَّشِ يُنشَرُ

---

(١) مي ومية من اسماء النساء . الابرق جمع برق وأبارق غلظ فيه حجارة ورمل وطين . العلمان مثنى علم وهو الجبل أو المنار فى الطريق . السفح بالفتح عرض الجبل المضطجع . اللوى بالكسر ما التوى من الرمل أو مسترقه والجمع الواء والوية . تام عبد وذلل . الجؤذر ولد البقرة الوحشية وتشبه به الحسان لجمال عينيه الاحوى من به لون الحوة وهى سواد الى الخضرة الاحور من اشتد بياض بياض عينه وسواد سوادها . الاشقر ما كان له لون الشقرة وهى فى الانسان

وغُصونها لَدْنٌ تَمِيـ
دُ بِما تُقِـلُّ وَتُثْمِر
فكأنَّهنَّ وَلائدٌ
في حَلْيِهَا تتكَسَّرُ
هيَ نسجُ وَشْيٍ نيلُها

حمرة صافية مع ميل بشرته الى البياض . البطاح جمع بطحاء وهى مسيل واسع فيه دقاق الحصى اللبات جمع لبة وهى المنحر . الجو الصحو المنقشع عنه الغيم . الخلل منفرج ما بين الشيئين المدنر الذى يخالطه شهبة . المدرهم الذى صار كالدراهم . النمر بفتح النون وكسر الميم ويجوز اسكان الميم مع فتح النون وكسرها ضرب من السباع فيه شبه من الاسد الا أنه أصغر منه وأخبث واجراء وهو منقط الجلد نقطاً سوداً أو بيضاً المرقش المنقط بسواد وبياض . ينشر يبسط . النيل هو نهر مصر المشهور ومن أكبر أنهار الدنيا وأعذبها ماء وأكثرها نفعاً ولقد أكثر الشعراء فى وصف نيل مصر وخصوصاً فى تدريج زيادته وعظم منفعته فمن ذلك قول الحسن بن محمد الوزير

أرى أبداً كثيراً من قليل   وبدراً فى الحقيقة من هلال
فلا تعجب فكل خليج ماء   بمصر مسبب لخليج مال

(المعنى) يقول لم بكاؤك هل لكونك رأيت ديار الاحباب الخالية فذكرتهم أم تذكرت مواطنهم ومنازلهم فيشوقك ذلك ويبكيك أم عشقت حسناء فانتحبت لذلك أم شممت نسيم مصر فذكرت وطنك وآلك وأحبابك أم خطر على ذهنك بطاحها الخضراء أم عن فى خاطرك جوها الصافى المشرق وأشجارها الناضرة وظلالها الساقطة من بين أغصانها على الارض فاشبهت الدنانير المنتثرة أو كأنها جلد النمر فى رقشه ونقطه : هذا والبكاء على الديار أمر معروف عند الشعراء قال بعض بنى قشير

ولما تبينت المنازل باللوى   ولم يقض لى تسليمة المتزود
زفرت اليها زفرة لو حشوتها   سرابيل أبدان الحديد المسرد
لفضت حواشيها وظلت بحرها   تلين كما لانت لداود فى اليد

فيه الطِّرَازُ الاحمرُ

هِىَ مِثلَ لوْحٍ صوَّرَالْ

فِرْدَوسَ فِيهِ مُصَوِّرُ

ياجنَّةً يُجْنَى الَجنَى

فيهَا ويَجْرِى الكوثَرُ

أنا شاعِرٌ فى وَصفِهَا

لكِنَّها هيَ أشْعَرُ

أنِّى بمصْرَ وَدونَهَا

بَحرٌ يَعِجُّ وَيَذْخَرُ ١

ياسائِرَ الفُلْكِ المسَخْ

رِ فى خِضَارَةَ َمخَرُ

إقرَ التَّحيةَ جيرَةً

وقال الشريف الرضى

ولقد مررت على ديارهم وطلولها بيد البلا نهب

فبكيت حتى ضج من لغب نضوى وعج بعذلى الركب

وتلفتت عينى فمذ خفيت عنى الطلول تلفت القلب

(١) اللدن جمع لدن وهو اللين من كل شيء. تميد تلين. تقل تحمل وترفع. الولائد مفردها وليدة وهى الصبية والامة. تتكسر تتثنى. الوشى نقش الثوب ويكون من كل لون ونوع الطراز علم الثوب. الفردوس اسم الجنة. الجنى مايجنى من الشجرة مادام غضاً والجمع اجناء. يعج يصيح ويرفع صوته. يذخر ذخر البحر طمى وتملأ. المسخر كل مقهور لا يملك لنفسه

حيثُ الـكثيبُ الاعفرُ
فالنيلُ فالهرَمانِ من
غرْبيهِ فالازْهرُ
فالرَّوضةُ الغنّاءُ والمِ
قْيَاسُ فيهَا يُشبَرُ [١]

مايخلصه من القهر

(١) خضارة علم للبحر غير مصروف للعلمية والتأنيث تقول هذا خضارة طاميا . يعخر يشق الماءمع صوت . الجيرة مفردها جار وهو المجاور فى السكن ومنهاقوله

هم جيرة الاحياء أماجوارهم فدان وأما الملتقى فبعيد

الـكثيب هو التل من الرمل سمى به لانه انكثب أى انصب فى مكان فاجتمع فيه. الاعفر الرمل الاحمر . الهرمان هما ابنية قديمة ضخمة مرتفعة عظيمة الاسفل دقيقة الاعلى وقد اكثر الناس من التكلم عليها والتدوين فيها اعرباو عجما وذلك لفخامتها والتعجب فيها والاهرام كثيرة فى أرض مصر واشهرها الهرمان الموجودان بجانب الجيزة وهما من أعجب ما بنى البناة مما يدل على أن المصريين القدماء كانوا أعلم الامم قاطبة بفن العمارات وقد توالت عليهما السنين والاعوام وهما هما لم ينل منهما مر الحوادث وعصف الرياح وهطل السحاب ولقد قال أحد الحـكماء كل شىء يخشى عليه من الدهر الا الاهرام فان الدهر يخشى عليه منها . هذا وقد اكثر الشعراء فى وصف الاهرام فمن ذلك قول المتنبى

اين الذى الهرمان من بنيانه ماقومه مايومه ما المصرع
تتخلف الآثار عن سكانها حينا ويدركها الفناء فتتبع

وقال بعضهم

بعيشك هل أبصرت أعجب منظر على طول ماأبصرت من هرمي مصر
أنافا عنانا للسماء وأشرفا على الجو اشراف السماك أو النسر
وقد وافيا نشزاً من الارض عالياً كأنهما نهدان قاما على صدر

فالقَصْرُ قَصْرُ المُلْكِ وَالْـ
أوهامُ عَنْهُ تَقْصُرُ
فيـه المَقَـاصِيرُ التى
ألواحُهُنَّ المَرْمَرُ

الازهر هو الجامع المشهور وأول مسجد أسس بالقاهرة انشأه القائد جوهر الكاتب الصقلى مولى الامام ابى تميم معد الخليفة أمير المؤمنين المعز لدين الله لما اختط القاهرة وكان الشروع فى بنائه يوم السبت لست بقين من جمادى الاولى سنة تسع وخمسين وثلثمائة وكمل بناؤه لتسع خلون من رمضان سنة احدى وستين وثمانه وقد وقف عليه كثير من الملوك والامراء املاكا وغيرها ليصرف عليه من استغلالها ومن أول نشأته للآن وهو حافل بالعلماء والمدرسين وطلبة العلم من كل الاقطار الاسلامية وقد تخرج منه جماعة كثيرون من فطاحل العلم وأساطين الاسلام . وكان عدد الموجودين فيه من الطلبة سنة ٣٧٨ هجرية (٣٥) رجلا من أولى الفضل والعلم فما زال تزداد الطلبة رغبة فيه الى سنة ١٣١٩ هجرية فبلغ عددهم (١٠٤٠٣) وبلغ عدد المدرسين فيه (٢٥٠) مدرساً ما بين حنفية وشافعية ومالكية وحنابلة وتقرأ فيه جميع علوم اللغة العربية وكافة علوم الديانة الاسلامية وبالجملة فهو اكبر مدرسة للديانة الاسلامية فى العالم الاسلامي أجمع . الروضة هى جزيرة فى وسط النيل وهى من أحسن المواضع هواء ومنظراً وماء النيل يضرب فيها من جميع الجهات وبسبب استحكامها وقربها من التخت تقلبت بين امرين فتارة كانت تجعل حصناً منيعاً وجعله معقلا لماله وحرمه عند ماتحرك عليه موسى بن بفا يريد ابعاده عن عمل مصر وتارة تجعل منتزهاً وكان يسكنها الامراء والاعيان ولم تزل الى الآن عامرة بالدور الفاخرة والمبانى العظيمة وبها الحدائق والبساتين . المقياس هو مقياس النيل الموجود الى الآن بجزيرة الروضة وينسب الى سليمان بن عبد الملك الاموى الذى تولى الخلافة سنة ٩٦ هجرية وفى السنة الاولى من خلافته وقع المقياس الذى كان بحلوان وكان العامل على خراج مصر حينئذ امامة بن يزيد الملقب بالتنوخى فكتب الى الخليفة يعلمه بالحادثة فصدر له أمره بان لا يعيده ويبنى مقياسا فى الجزيرة الموجودة فى وسط النيل بين الفسطاط والجزيرة فامتثل لامره وأخذ فى وضع الاساس فى السنة التى وقع فيها مقياس حلوان واجتهد فى بنائه فتم

حِيطَانُهَا الذَّهَبُ الصَّقِيـ
لُ وَأَرْضُهُنَّ العَسْجَدُ
قَدْ صَوَّرَ التَّارِيخَ فِي
أَرجَائِهِنَّ مُصَوِّرُ
فَتَرَى الوَقَائِعَ مَنْظَراً
وَكَأَنَّمَا هِيَ مَخْبَرُ
وَالجُنْدُ تَخْطُرُ فِي الحَدِيـ
دِ فَدَارِعُونَ وَحُسَّرُ
وَالخَيْلُ بَيْنَ عَجَاجِهَا
تَخْفَى وَحِيناً تَظْهَرُ
وَتَظُنُّ أَحيَاءً بِهِ

في سنة سبعة وتسعين هجرية واتفق مؤرخو العرب على أن عمود المقياس الموجود الآن هو نفس العمود الذي وضعه امامة والذي يؤيد ذلك الكتابة الكوفية الموجودة عليه الى وقتنا هذا ومع ذلك قد وقع العمود مرارا واعادوه في كل مرة اوقات مختلفة وفي زمن الخليفة المأمون حصل للمقياس خلل وذلك من تهاون العمال وتلاشي الاحوال بالديار المصرية فامر الخليفة المأمون برده الى أصله سنة تسع وتسعين ومائة من الهجرة وبعض مؤرخي العرب ينسبون اليه مقياس الروضة والاصح هو ماقدمناه من نسبته الى الخليفة سليمان ابن عبد الملك • يشبر يقاس بالشبر

(١) القصر هو قصر الملك المسمى بعابدين وقد بناه الخديوي اسماعيل وهو كثير الزخرفة جميل الوضع حسن البنيان والتشييد وقد علقت في حيطان غرفه جملة رسوم تمثل وقائع تاريخية

فَتَمَسّ كيما تُخْبَرُ
قَدْ حلّه العبّاسُ يُنْـ
هِي فى الأَنام ويأْمُرُ
فَكأنه عرّيسة
وَبِهِ الامِيرُ غَضَنْفَرُ
مَلِكٌ بِضَوْءِ جبينه
تُسْقَى البِلادُ وتُمْطَرُ
السَّيِّدُ الْمَحْضُ الْعُلاَ
وَالْجَوْهَرُ الْمُتَخَيَّرُ
الْعَدْلُ مِمَّا يَنْشُرُ
وَالْمجدُ مِمَّا يَذْخَرُ
خُلُقٌ حَوَي كلَّ الفَضَا
ئِلِ فَهِيَ عنه تُؤْثَرُ

وغيرها تقصر تكلف عنه مع العجز . المقاصير جمع مقصورة وهى الحجرة من حجر الدار المنظر مانظرت اليه فاعجبك . المحبر خلاف المنظر

(المعنى) يقول انما فى هذا القصر من الواح الصور قد اتقن رسمها فصورت الوقائع والحوادث حتى كانك تشاهدها

(١) الدارع من عليه درع . الحسر مفردها حاسر وهو من لا مغفر له ولا درع . العجاج الغبار «المعنى» يقول ان الانسان قد يظن هذه الصور اشباحاً حية فيلمسها ليتحقق امرها

جُودٌ وَبأسٌ فى الورَى
بِهِما يُخَصُّ وَيُشْهَرُ
مِثلُ الصَّوَاعِقِ وَالْحيا
فى مُزنَةٍ تَتَحَدَّرُ [١]

***

ثُمَّ الْجَزِيرةُ تَسْتَبِيـ
ـكَ بِهاأَوَانِسُ نُفَّرُ [٢]
عَجَلاتُها فَلَكٌ بِأشْـ
ـبَاهِ النُّجومِ يُدَوَّرُ
مِن كلِّ خِرْكاةٍ بِحُسْـ

(٢) العباس هو مولانا الخديوى عباس الثانى بن توفيق بن اسماعيل بن ابراهيم بن محمد على امير مصر الحالى تولى ملك مصر فى يوم ٢٣ يوليه سنة ١٨٩٢ ولا يزال بها الى الآن حرسه الله وادام ملكه . العريسة مأوى الاسد . الغضنفر من اسماء الاسد . المحض العلى أى خالصه وصريحه . يذخر يخبأ . الصاعقة نار تسقط من السماء . الحيا المطر . المزنة القطعة من المزن

(٣) الجزيرة هى منتزه جميل الوضع بالجهة الغربية من النيل بجوار مصر القاهرة قد اخضرت أرضه واورقت اغصانه وتفتحت أزهاره واشتبكت فروع اشجاره يقصده سكان القاهرة فى كل يوم بعد العصر لترويح النفس واستنشاق نسيمه البليل ما بين فارس وراجل وممتط متن مركبته والكل غادون ورائحون تارة على شط النيل واخرى بين الاشجار والجداول . تستبيك تاسرك . الاوانس جمع آنسة وهى الطيبة النفس . النفر جمع نافرة وهى المعرضة الصادة

« المعنى » ان العادة ان المتنزهين فى هذا المنتزه يدورون حوله بعرباتهم مراراً لانه مستدير الشكل فيقول ان عربات الحسان فيه كانها فلك يدور بكواكبه

نَاءٍ تُضِيءُ وتُقْمِرُ

فـكأنّها المشـكاةُ والـ

مِصْبَاحُ فيهَا يَزْهَرُ

***

فالجِـيزةُ الخَضْراءُ يعْـ

بَقُ رَنْدُها والعَبْهَرُ

فيهَا النَّعَامَةُ والحُبَا

رَى والمَهَا والقَسْوَرُ

كسفين نوحٍ أظهرَتْ

ما كانَ فيهَا يُضْمَرُ

---

(١) الخركاة مركبة النساء فى المواكب وقد استعملها المقريزى وغيره من المؤلفين. المشكاة الانبوبة فى وسط القنديل. يزهر يضىء. الجيزة هى مدينة قديمة واقعة على الشاطىء الغربى للنيل تجاه مصر القديمة وهى جيدة الهواء وبجانبها جسر طويل ممتد من البحر النهر الى الجبل الغربى يعرف بجسر الاهرام تحفه الاشجار من الجانبين ويمر به المتفرجون على الاهرام وبجانبها ايضا حديقة متسعة جدا قد جمعت فيها صنوف جمة من انواع الحيوان. يعبق تنتشر رائحته. الرند شجر طيب الرائحة من شجر البادية. العبهر النرجس والياسمين. النعامة كسحابة حيوان مركب من خلقة الطير والجمل أخذ من الجمل العنق والوظيف والمنسم ومن الطير الجناح والمنقار والريش. الحبارى طائر يقع على الذكر والانثى والجمع حباريات. المها جمع مهاة وهى نوع من البقر الوحشى اشبه بالمعز الاهلية. القسور الاسد. سفين نوح هى السفينة التى اوحى الله الى نوح بصنعها حينما طغى قومه وأبوا ان يستمعوا نصيحته بعدما اكثر لهم منها وكثر بينه وبينهم الجدال فاوعدهم بعذاب الله ان لم يهتدوا بنور التوحيد فاستعجلوا العذاب وقالوا

وَترَى الغصُونَ على الأ رَا
ئِكِ تلتوى فتشجرُ
وَجدَاولٌ كسبائكٍ
بسَنا الأصيلِ تعصفرُ
ماءٌ كبلورٍ يذ
وبُ وأدمعٌ تتقطرُ
يروى القطا الكدرىُّ منْ
هُ وينتحيه الجؤذرُ
في حافتيه الوردُ والنسْ
رينُ والنيلوفرُ
وَعليْهِ مِنْ نسجِ الصَّبا
دِرْعٌ هناكَ وَمِغفرُ

(فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين) فقال الله تعالى (واصنع الفلك باعيننا ووحينا ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن ومن آمن معه الا قليل) فركب السفينة وحمل معه فيها زوجين اثنين من كل انواع الحيوان وسار بها فلما اراد الله ان يرسيها امر الارض ان تبلع الماء والسماء بأن تقلع واستوت السفينة على الجودى وخرج كل ما فيها من انسان وحيوان

(المعنى) — يقول حديقة الحيوانات التى فى الجيزة اشبه بسفينة نوح لاحتوائها على سائر الحيوانات من كل جنس ونوع

فالقَصْرُ وهوَ لِمَنْ مَضى

من أهْلِ مِصْرٍ مَقْبرُ

نشرتْ بهِ أمواتهم

فكأنَّما هوَ مَحْشَرُ (١)

رَمْسِيسُ أيْنَ مطارفُ الد

يباجِ أيْنَ الجوْهرُ

أيْنَ السَّريرُ وأيْنَ تا

جُ المُلكِ أيْنَ العَسْكَرُ

نَمْ في رُقادٍ ليسَ في

(١) الارائك جمع اراكة شجر من الحمض يستاك بقضبانه. شجرا ي يرفع ماتدلى من اغصانها . السبائك جمع سبيكة وهى القطعة المذوبة المفرغة فى القالب من الفضة ونحوها . الاصيل وقت ما بعد العصر الى المغرب. تعصفر اى تصبغ بنور الاصيل الذى يشبه لون العصفر . القطا جمع قطاة وهو طائر معروف فى حجم الحمام صوته قطاقطا. الكدرى نوع من القطا غبر الالوان رقش الظهور صفر الحلوق. ينتحيه يجد اليه. الجؤذر ولد البقرة الوحشية. النسرين وردا بيض عطرى قوى الرائحة فارسى معرب . النيلوفر ضرب من الرياحين ينبت فى المياه الراكدة المغفر نوع من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة . القصر هو قصر الجيزة كان قصراً صغيراً للمرحوم سعيد باشا فبعد موته جدد بنايته الخديوى اسماعيل وزاد عليه بأن اخذ أرضا بجانبه وألحقها به ووسع دائرته واحضر له صناعاً نظموا بستانه وفرشوا مماشيه وطوقه بالحصى الملون المجلوب من جزيرة رودس على رسوم اشكال مختلفة و بنوا به هضاباً مرتفعة تشبه الجبال بشكلها الطبيعى و بركا متسعة وانهرا وغدرانا واقفاصا واسعة للطيور الى جملة اشياء كثيرة وقد جعلته الحكومة اخيراً متحفاً جمعت فيه آثار المصريين القدماء ورفاتهم . المقبر موضع القبور

(المعنى) يقول ان قصر المتحف لاحتوائه على جثث المصريين القدماء وآثارهم كأنه

أحلامـه ما يذعر
فالموت نوم أكبر
والنوم موت أصغر
دنيا تشابه ماعباً
والليـل ستر يسـتر
والفصل يضحك والثرى
الشمس فيـه تنور
جند هناك وسوقة
ومتوج ومسخر
فاذا طرحت ثيابهم
ساوى الاعز الاحقر

*
* *

محشر نشرت فيه الاموات

(١) رمسيس هو رمسيس الثانى الشهير بسوزستريس ويلقب بالاكبر ولقب بذلك لانه اكبر وأعظم ملوك مصر سلطة وقوة وطالت مدة حكمه وكثرت فيها الآثار المصرية وتزايدت العمارات حتى لايكاد يوجد بوادى النيل أثر من الآثار القديمه والعمائر الشهيرة الاوعليه اسمه ورسمه وارتقى على كرسى الملك صغيراً فى حياة والده ويؤيد ذلك ماهو مؤرخ فى السنة الثالثة من حكمه بالنقوش على حجر مستكشف بقرب دكة ببلاد النوبة ونصها

(انك ايها الملك لما كنت طفلا صغيراً وكان لك جدائل مسبلة ماكان اثر يعمل بدون رسمك ولا أمر ينفذ من غيرك ولما صرت غلاما وبلغ سنك عشر سنين كانت كل العمارات فى يدك

فالأَزْهرُ الزَّاهِى يُدَوّ
ى بالعُلومِ وَيجْأَرُ
كَدَوِىّ نَحْلٍ وَهُوَ يَجْمَ
عُ شُهْدَهُ أَوْيَذْخَرُ
فَالأَزْبكِيَّةُ حيثُ تُطْ

وكنت انت الواضع لاساساتها) وهو ابن سيتى وقد تربى فى حجر الشجاعة والحماسة والرياسة وأراد ابوه أن يعلمه اقتحام الاهوال فارسله لغزو بلاد الشام وكان عمره عشر سنين فغزاهم بجنود والده حتى ادخلها تحت الطاعة ثم حارب جملة حروبات وفتح كثيراً من البلدان وخصوصاً فى آسيا الشمالية وهو الذى كان فى ايامه بنتاؤر الشاعر المصرى الشهير وله فيه جملة مدائح يصف شجاعته واقدامه فيها . المطارف جمع مطرف وهو رداء من خز مربع ذو اعلام وكان لباس المصريين القدماء كلباس قدماء العرب والرومان أشبه بالمطارف الملتفة على الجسم وليست على اساليب الثياب فى الازمنة الحديثة . الديباج الثوب الذى سداه ولحمته حرير جمع دبابج ودبابيج — الملعب محل ما يلعب فيه والجمع ملاعب والمراد به هنا دار التمثيل وهى التى تمثل فيها الوقائع التاريخية كما وقعت فى ازمنتها وأول من فعل ذلك اليونان ثم تبعهم الافرنج وتوسعوا فيه كثيرا وأتقنوه . الثريا المنارة تعلق فى البيوت . السوقة الرعية من الناس للواحد والجمع والمذكر والمؤنث سموا بذلك لان الملك يسوقهم ويصرفهم الى ما يشاء ومنه قول جبلة بن الايهم (ألا يفضل فى هذا الدين ملك على سوقة فقيل لا ان الملك والسوقة عندنا سواء) . المتوج الذى وضع التاج على رأسه . المسخر كل متهور لا يملك لنفسه ما يخاصه من القهر الاعز العزيز . الاحقر الحقير

(المعنى) —: يقول ان الدنيا أشبه بتياترو كبير والليل ستاره والشمس ثرياه التى توجد عادة فى وسط الملعب وما فيها من الناس فى الغالب كاللاعبين فيه فمنهم الامير والكبير بالاسماء والالقاب فقط فاذا نزعت ثيابهم عنهم تساوى الحقير والعظيم

(١) الازهر قد تقدمت ترجمته . يدوى أى يسمع له صوت كدوى النحل . يجأر يرفع صوته بالدعاء . الشهد بالضم والفتح العسل ما دام لم يعصر من شمعه والجمع شهاد . يذخر يخبا

وَى بالعَشِيِّ وَتَنْشُرُ
وَتَبيتُ تَسْجَعُ في الدُّجَى
وَرْقاؤُها وَالمِـزْهَرُ
وَالبِرْكَةُ الفَيحَاءُ فى
فَضْفَاضِها تَتَمَرْمَرُ
ماءٌ كَعَيْنِ الدِّيكِ يُنْ
ظَمُ بالنُّجُومِ وَيَنْثَرُ
وَتَرَى ضِياءَ البَدْرِ فِيـ
ـهِ كَمِثْلِ عيْنٍ تَفْجُرُ
وَإِذَا تَلُوحُ الشَّمسُ فى
لأْلائِهِ أَوْ تَسْفِرُ
أَلْفيتَهُ المِرْآةَ وَالحَسْـ
ـنَاءُ فيهَا تَنْظُرُ ١
فَالقَلْعَةُ العلْيـاءُ تَجْـ

(١) الازبكية منتزه بالقاهرة فى وسطها وهو حديقة متسعة الجوانب كثيرة الاشجار والنباتات جميلة النسق منتظمة الطرق تتوسطها بركة صافية الماء . الورقاء الحمامة التى يضرب لونها الى الخضرة. المزهر بالكسر العود يضرب به. البركة مستنقع الماء الفيحاء الواسعة. الفضفاض الارض التى يملأُها الماء تتمرمر تترجرج. تفجر تنشق. اللألاء الضوء. تسفر تكشف.
(المعنى) — : يقول كأن البدر وهذه البركة وجه حسناء ومرآة

لَى للعيان وَتبصرُ

بما آذنٍ كالحقِّ لا

جَنفٌ وَلا متأطرُ (١)

قُطرٌ تَمصَّرَ في الوَرَى

وَالأَرْضُ برٌّ أقفرُ

وَطَنُ الْغَرِيبِ وَدَارُهُ

وَقبيلهُ وَالمعْشَرُ

مُلْكٌ مُحِيطُ الأَرْضِ يَصْ

غُرُ عنْ مَدَاهُ وَيكبرُ

في كلِّ صَرْحٍ مَخْبَرٌ

وَلِكلِّ سَفحٍ مَنْظَرٌ

وَلِكلِّ لِبنَةٍ غُرْفَةٍ

---

(١) القلعة هي على قطعة من الجبل وتتصل بجبل المقطم وتشرف على القاهرة ومصر والنيل والقرافة فتصير القاهرة في الجهة البحرية منها والنيل الاعظم في غربيها وجبل المقطم من ورائها في الجهة الشرقية وكان موضعها يعرف أولا بقبة الهواء الى ان أنشأها السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وبجانب هذه القلعة بنى المغفور له محمد على باشا مؤسس الاسرة المحمدية الخديوية بمصر مسجداً رفيع البنيان جميل التشييد كثير الزخرفة والتنميق بدأ في عمارته سنة ست وأربعين ومائتين وألف هجرية وقد جعل فيه مدفنا له من أحسن المدافن وأجملها واغرب ما في هذا الجامع مأذنتاه اللتان يبلغ طول الواحدة منهما أربعة وثمانين متراً وهما في صنعتها عجيبتان . الجنف الجائر والمائل . المتأطر المنثنى .



فيهَا حديثٌ يُذْكَرُ ١

فِرْعَوْنُ والأنهارُ تجْ

رِى وَاللوَى وَالمنبرُ

ذَهبُوا فأمْسَوْا مِثلَ رُؤْ

يا في المنَامِ تعبَّرُ

هَرَمَانِ فيهِ كشَاهِدَيْ

نِ شَهادَةً لا تُنكَرُ

وَهيَاكِلٌ دُثِرَتْ وَذِكْ

رُ حدِيثهَا لا يُدْثَرُ ٢

(المعنى) —: يقول ان هذه المآذن فى استقامتها كالحق ليس به عوج

(١) تمصر أى صار مصريا . الصرح القصر وكل بناء عال . السفح عرض الجبل المضطجع . اللبنة مفرد اللبن وهو المضروب من الطين مربعاً للبناء

(٢) فرعون هو فرعون موسى الذى طغى وتجبر وأعمل الجهد فى تعذيب بنى اسرائيل وجعلهم خدماً وخولا فارسل الله لهم موسى لانقاذهم منه فذهب الى فرعون ومعه أخوه هارون بآيات من ربه وهى المذكورة فى القرآن فرهب فرعون لما رأى الآيات وأطلق سبيل بنى اسرائيل ولكن فرعون ندم على اطلاقهم فجمع جنوده وتبعهم ليعيدهم فأمر الله موسى أن يضرب البحر بعصاه فانفلق وعبروه على اليابسة حتى انتهوا الى الشاطىء الثانى فاتبعهم وجنوده فغشيهم من اليم ماغشيهم وأضل فرعون قومه وماهدى ولكن الله نجى فرعون ببدنه ليكون لمن خلفه آية وهو الذى أخذته العزة بالملك وأبهة الرئاسة فتاه على قومه وفخر عليهم (ونادى فرعون فى قومه قال ياقوم أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون) وحقاً ان من ملك مصر التى هى أم الدنيا ومهد العمران ومعلمة الامم والتى هى بلد قال فى وصفه الله تعالى (فاخرجناهم من

وَالمَجدُ مِثْلُ الخَمْرِ يكرُ
مُ ماتوَالَى الأَعْصُرُ
كانتْ سلاَطِينُ الوَرَى
فيهِ تَشِيدُ وتَعمُرُ
وَالغرْبُ منْ أَعْمالهِ
وَالقِبلَتانِ وَتدْمُرُ ١
وَالخيلُ خَيلُ اللهِ تَرْ
كَبُ والصوَّائفُ تَنْصُرُ
وَفِرنْجةٌ ومَليكُها
تُغزَي بِمِصْرَ وَتُؤْسَرُ
هَذِي مَنَاقِبُ مِصرَ تُرْ
وَى فى الأَنَامِ وتُسْطَرُ

جنات وعيون وكنوز ومقام كريم) لجدير أن يفخر وحق له أن يتيه — المنبر : قال المقريزى عند (ذكر الخلجان التى شقت من النيل) ان المراد من المقام الكريم فى قوله تعالى (كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم) (المنابر) كان بمصر الف منبر . الهيا كل جمع هيكل وهو بيت الاصنام . دثرت بليت .

(المعنى) يقول ان المجد كالخمر كلما قدم . زاد قيمة وعظم

(١) الغرب من أعماله لانه كان كذلك فى زمن الفاطميين وغيرهم . القبلتان هما المسجد الحرام ومسجد بيت المقدس فان أرض الشام وأرض الحجاز كانتا فى يد المصريين أيام الدولة الايوبية وما بعدها . تدمر قلعة مشهورة

وَلَسوْفَ يَرْجِعُ مَامَضَى

وَيَعُودُ ذاكَ المَفْخَرُ

وكذَا الزَّمانُ يَدُورُ والْ

قَدَرُ المُغيَّبُ مِحْوَرُ

وَالبدرُ انْ وَافى السِّرَا

رَفبعْدَ ذلكَ يَبْدُرُ

والعُودُ ييْبسُ بُرْهَةً

فَإِذَاهُ عُودٌ أخْضرُ (١)

---

(١) الصوائف جمع صائفة وهى الغزوة فى الصيف. وفرنجة يشير بذلك الى الواقعة المشهورة التى حصلت بدمياط بين الملك المعظم الايوبى وبين روادفرنس ملك الفرنجة فى سنة ثمان واربعين وستمائة حينما حاصر الفرنجة مدينة دمياط وشددوا عليها الحصار فتغلب عليهم المسلمون وقهروهم قهرا عظيما بعد قتال شديد يطول شرحه فانحاز روادفرنس وأكابر الفرنج الى تل ووقفوا مستسلمين وسألوا الامان فامنهم الطواشى جمال الدين محسن الصالحى ونزلوا على أمانه وأحيط بهم وسيقوا الى المنصورة فقيد روادفرنس واعتقل فى الدار التى كان ينزل فيها القاضى فخر الدين ابراهيم بن لقمان كاتب الانشاء واعتقل معه أخوه ووكل بهم صبيح العظمى ورتب لهم راتب يحمل اليه فى كل يوم وفى هذه الواقعة يقول الوزير جمال الدين يحيى بن مطروح

قل للفرنسيس اذا جئته مقال نصح عن قؤول نصيح
آجرك الله على ماجرى من قتل عباد يسوع المسيح
أتيت مصر تبتغى ملكها تحسب ان الزمر ياطبل ريح
فساقك الحين الى أدهم ضاق به عن ناظريك الفسيح

العزلة

كِتَابِى إِلى السَّيِّدِ أَيَّدَهُ اللهُ . وَكَلأَهُ وَرَعَاهُ . وأَنَا حِلٌّ بقُرَى السَّوَادِ . وَرِيفِ البِلادِ ^١ . بَعِيدٌ عن المَدِينةِ . وَمَا فيهامن الشِّينَةِ وَ الزِّينةِ . فى عُزْلَةٍ

وكل أصحابك أودعتهم ... بحسن تدبيرك بطن الضريح

خمسون الفاً لايرى منهم ... الا قتيل أو أسير جريح

وفقك الله لامثالها ... لعل عيسى منكم يستريح

ان كان باباكم بذا راضياً ... فرب غش قدأتى من نصيح

قل لهم ان اضمروا عودة ... لاخذ ثار أو لنقد صحيح

دار بنى لقمان على حالها ... والقيدباق والطواشى صبيح

المحورهوالخط الموصل بين قطبى الكرة . السرار آخر ليلة فى الشهر . يبدر أى يكون بدراً
(المعنى) يقول أنه سيرجع ان شاءالله لهذه البلادمجدهاوعزها بعدهذه الضعة والضعف كماأن البدر يصغر ويستسر حتى يصير هلالا فى أول الشهر الذي يليه ثم يعود بدراً كما كان وكالعود ييبس اخضراره فيسقط ورقه ثم يعود أخضر كما كان

(١) كلأ حفظ وحرس . الحل النازل بالمكان . السواد القرى والريف . الريف أرض فيهازرع وخصب ومنه ريف مصر : وأعظم شيء يسر النفس ويستهوى الفؤاد وينفس من كربة الحزين النظر الى الزرع والخضرة وقداعتنى آباؤنا من قديم الزمان بزرع الارض وجنيها واتخاذ الضياع والاعتناء بها قيل أن شيخاً كان يغرس شجرة النارجيل وهى لا تثمر الا بعد أربعين سنة فمر به كسرى وقال له أتعيش الى أن تأكل منها فقال الشيخ غرسوا واكلنا ونغرس فيأكلوا فقال كسرى زه زه وأمر له بأربعة آلاف درهم وكان من عادته ذلك لمن يقول له زه زه فقال الشيخ أيها الملك انغرس السابقين أثمر بعد أربعين سنة وغرسنا أثمر فى يومه فقال كسرى زه زه وأمر له بأربعة آلاف مثلها وقال الشاعر

اذا ما نقل الدهقا ... ن غلات الرساتيق

فكم من نعمة بيضا ... ء فى سود الجواليق

عَنِ النَّاسِ بينَ سقيٍ وَغِرَاس . سليمُ الجسم مِنَ السقَم . وَالنَّفْسِ منَ الألم .
وَالحميَةُ منَ الأنامِ . كالحميَةِ منَ الطَّعامِ . شِفاءٌ . من كلِّ دَاءٍ . وخليقٌ بمن
ارْتطمَ . في المزْدحَم . أنْ يُصابَ . ببعضِ الأوْصابِ [1]

بُعدِي عَنِ النَّاسِ بُرْءٌ مِنْ سَقامِهِمُ
وقربُهم للحِجى والدِّين أدْوَاءُ
كالبَيتِ أُفرِدَ لا إيطاءَ يُدركُهُ
وَلاَ سِنادَ ولاَ في اللفْظِ إقوَاءُ [1]

---

(١) السقي مايسقى ومنه سقي الفرات والزرع المسقى . الغراس مايغرس من الشجر :
الحمية الاسم من حمى المريض اذا منعه مايضره . ارتطم ازدحم وتراكم : المزدحم موضع
الزحام : الاوصاب جمع وصب وهو نحول الجسم من مرض أو تعب

(المعنى) أن السعادة في الدنيا مدارها على سلامة الجسم من الاسقام والنفس من الآلام
كما أجمع الحكماء على ذلك فهو يقول أنه حاصل عليهما جميعاً في هذه العزلة ويقول أن
التقليل من الاجتماع على الناس كالتقليل من الطعام فيه خير ومصلحة وان الذي يخوض غمار
الجماعات لايخلو من صدمة كالذي يحشر نفسه في الازدحام : ولقد قال بعض الحكماء ان كان
الفضل في الجماعة فان السلامة في الوحدة والعزلة وقال الشاعر

كن لقعر البيت جلساً وارض بالوحدة أنسا
لست بالواجد خلا أو ترد اليوم أمسا

وقال الشاعر

اذا خلوت صفا ذهني وعارضني خواطر كطراز البرق في الظلم
فان توالى صياح الناعقين على أذني عرتني منه حكلة العجم

والحكلة العجمة في الكلام

(٣) أدواء جمع دواء : الايطاء تكرير القافية لفظاً ومعناً وهو عيب : السناد كل
عيب يوجد في القافية قبل الروي : الاقواء مخالفة القوافي برفع بيت وجر آخر :

اذَا انفردَ الفتى أُمنَتْ عليـه
دَنَايَا ليسَ يُؤْمنُهَا الخِلاطُ
فلا كَذِبٌ يقالُ ولا نَميمٌ
وَلا غلطٌ يُخَافُ ولا غِـلاطُ
وَكَمْ نهضَ امْرُؤٌ من بَيْنِ قومْ
وَفى هادِيهِ منْ خِزْيٍ عِلاطُ[١]
عوَى الذِّئبُ فاستأنستُ للذِّئبِ اذعوَى
وَصوَّتَ إِنسانٌ فكدْتُ أطيرُ[٢]
وَصَارَ بالوَحْدَةِ مُستأنسًا
يُوحِشهُ الأقربُ والأبعدُ[٣]

* * *

يامَا أُحيلى الوَحدَةِ والرِّيف وَذلكَ المَشْتَى والمَصيفَ وَالجوُّ السَّجسَجَ

(المعنى) يقول كما ان البيت الفرد لا يكون فيه سناد ولا اقواء ولا أيطاء وهى عيوب فى الشعر لا تتحقق فى البيت الا اذا كان معه غيره فكذلك الفرد من الناس يسلم من الآفات ما كان وحده

(١) الخلاط الامتزاج والاختلاط . الغلاط الايقاع فى الغلط . العلاط حبل يجعل فى العنق

(٢) عوى لوى خطمه ثم صوت

(المعنى) يقول انه يانس لصوت الوحش وينفر من صوت الانس لخوفه من الانس وشره وغدره ومكره

(٣) (المعنى) يقول انه الف الوحدة حتى صار يألم من الاجتماع بالقريب والبعيد

وَالظِّلُّ الوَرِيفُ[١].

اذَا أشرَفَ المحزُونُ من رأسِ تَلْعَةٍ
على شِعْبِ بَوَّانَ استَرَاحَ مِنَ الهَمِّ[٢]

فَجرٌ يَلوحُ فى الأُفْقِ. كالنُّورِ فى الاعْيُنِ الزُّرْقِ. وَضياءٌ. يَنبَثِقُ فى الفَضَاءِ. كما يَنْبَثِقُ الماءُ[٣]. وَشمسٌ تَبدُو للإِشرَاقِ. فى الآفاقِ. كبُودَقَةٍ فيها ذهبٌ. أوقُنبلَةٍ تَرمِي باللَّهبِ. فَيَرتَفِعُ جَرْسُ كلِّ حَيوان. (كَممنُونَ) فى الأَوْثانِ. فَللإِنسَانِ تسبيحٌ وَتكبيرٌ وَلِلابلِ حَنينٌ وَهَدِيرٌ. وَلِلحَمامِ هَدِيلٌ. وَللخَيْلِ صَهِيلٌ. وَللبقَرِ خُوارٌ. وَللمَعزِ يُعَارٌ. وللغُرَابِ نَعيبٌ. وللارْنَبِ ضَغيبٌ وللذئْبِ ضُغَاءٌ. وللغَنَمِ ثُغاءٌ[٥]

---

(١) المشتى موضع الشتاء وزمانه. المصيف المكان يقام فيه صيفا. السجسج وقت لاحر فيه ولا قر وهو مابين طلوع الشمس وطلوع الفجر. الوريف المتسع الممتد

(٢) التلعة القطعة المرتفعة من الارض. شعب بوان مرج خصيب بفارس
(المعنى) يقول ان رؤية هذا المكان النزه تجلو الاحزان من قلب الانسان بحسن منظرها

(٣) (المعنى) شبه ضياء الفجر فى زرقاء السماء بالنور فى العيون الزرق ووضوح الضياء على الدنيا بمسيل الماء على الخضراء

(٤) البودقة هى آلة كروية الشكل يصنع الصائغ فيها الحلى ويفك الذهب. القنبلة لفظة مستحدثة يعبر بها عن الكرة المقذوفة من المدفع

(٥) الجرس الصوت. ممنون هو تمثال ذكره قدماء المؤرخين من المصريين وقالوا انه كان بجوار مدينة طيبة بالصعيد ومن خاصيته انه فى كل يوم اذا اشرقت الشمس يصيح صيحة واحدة وربما كان ذلك حيلة من الكهنة حيث يدخل أحدهم فى جوفه ويصيح فيوهمون العامة بذلك. الحنين حنين الناقة صوتها فى نزوعها الى ولدها: الهدير هدر البعير صوت فى غير شقشقة. الهديل صوت الحمام. الصهيل صوت الفرس. الخوار صوت البقر. اليعار صوت المعز. النعيب صوت

بَاكَرْتهمْ بسباءِ جَوْن مُترَعٍ
قبلَ الصَّباحِ وقبلَ لغوِ الطَّائِرِ

ووَرَاءَ ذَلكَ بِطاحٌ وتِلاعٌ . أتأَقَتْها منَ الأَشرَاطِ أسميةٌ تِباعٌ فأخرجَ حَبُّها شطأهُ فاعجَبَ الزُّرّاعَ . بَارِضٌ وَجَميمٌ . وَشميطٌ وغميمٌ وَسنابلٌ خضرٌ وَبَرَاعيمُ صُفرٌ . وعِهنٌ منفُوشٌ . وَيقْطينٌ وَمَردَقُوشٌ . وعِذقُ الخُذامَى . وعِرقُ الرُّخامَى وكرُومٌ وَأعْنابٌ . وبَارِقُ قد هَمَّتْ بأعْشابٍ [٣] ونخيلٌ مَوَاقِيرُ بالقِنيِّ

الغراب . الضغيب صوت الارنب . الضغاء صوت الذئب اذا جاع . الثغاء صوت الغنم

(المعنى) يقول اذا ظهرت الشمس وانتشر ضوؤها تحرك الحيون والانسان فكان كل منها التمثال المسمى بممنون الذى كان يصيح اذا طلعت عليه الشمس كل يوم

(١) السباء الخمر . الجون النبات يضرب الى السواد من خضرته . المترع الممتلىء . اللغو لغط الطائر .

(المعنى) يقول الشاعر انه اصطبح بالخمر قبل طلوع الصباح وخروج الطير من أوكارها

(٢) البطاح جمع بطحاء وهى مسيل واسع فيه دقاق الحصى . التلاع جمع تلعة وهى القطعة المرتفعة من الارض . اتأق امتلا : الاشراط ثلاثة كواكب فى السماء ينسب اليها المطر فيقال نوء اشراطى . تباع متتابعة : الشطأ فراخ النخل وورقه ومن الشجر ماخرج حول اصوله

(٣) البارض نبت الارض : الجميم ماغطى الارض من النبات . الشميط النبات بعضه هائج وبعضه اخضر . الغميم النبات الذى يعم الارض . السنابل السنبل من الزرع معروف: البراعيم اكمام ثمر الشجر: العهن شجرة لها وردة حمراء: اليقطين مالا ساق له من النبات كالحنظل والقثاء لكن غلب استعماله فى العرف على الدباء وهو القرع المستدير كالبطيخ الواحدة يقطينة . المردقوش او المرزنجوش الزعفران . العذق القنو وهو من النخل كالعنقود من العنب جمع اعذق وعذوق . الخزامى اطيب الازهار نفحة يتمثل به فيقال (اطيب من نفس النعامى بين ورق الخزامى) . عرق الرخامى نبت : الابارق جمع ابرق وهو أرض

منَ البرْنِيّ . لا تزالُ الغِربانُ واقعةً على رُطبه . وَاكرةً فى شَذَبِه .[1] وَشُوعٌ وألاءٌ
وغرْيَفٌ وأشاءٌ . لا يبرحُ بِها ظلٌّ وارفٌ . وطيرٌ عاكِفٌ يتقطّعُ عِنْدَها الماءُ الجارى
ويتفقّأ فوقها القَلَعُ السوّارى[2]

خلُّوا لنا رَاذَانَ وَالمزَارِعا
وَحِنْطَة طَيْساً وَكَرماً يانِعاً[3]
بِها قضُبُ الرَّيحَانِ تندَى وَحنْوةٌ
وَمِنْ كلِّ أفوَاهِ البقُولِ بها بَقْلُ[4]

---

(١) المواقير جمع موقرة وهى التى كثر حملها : القنى الكباسة وهى العذق من النخل : البرنى تمر معرب اصله برنيك اى الحمل الجيد . واكرة ساكنة فى داخل اوكارها : الشذب جمع شذبة وهى القطعة مما تفرق من اغصان الشجر

(٢) الشوع شجر البان ينبت فى السهل والجبل : الالاء شجر دائم الخضرة جمع الاءة وهو من اشجار العرب قال الشاعر

فانكم ومدحكم بجيراً ابا لجأ كما امتدح الالاء
يراه الناس اخضر من بعيد وتمنعه المرارة والاباء

الغريف شجر البردى : الاشاء كحساب صغار النخل : الوارف المتسع الممتد : يتفقأ يكسر او يقلع : القلع السوارى القطعة العظيمة من السحاب

(٣) رلذان موضع : الطيس الكثير : الكرم اشجار العنب : اليانع الزاهر

(٤) القضب جمع قضيب والمراد به هنا الغصن : الحنوة نبات سهلى طيب الريح. قال الشاعر

وكأن انماط المدينة حولها من نور حنوتها ومن جرجارها

وكل ما تقدم وصف للزرع وانواعه ولقد اكثر الشعراء من قديم وصف الرياض والازهار والاثمار والاشجار قال ابن الرومى

أصبحت الدنيا تروق من نظر بمنظر فيه جلاء للبصر

وَفي خِلال هذهِ الخُضَرِ . مِياهٌ وَنَهَرٌ . فمنْ جَدْوَلٍ في ظلالِ نَخْلٍ . وَحَوْضٍ تحتَ أَثْلٍ [١] وَشَرِيعةٍ كأسنَّةِ المبرَدِ . في جانبيها اليَنْبوتُ وَالخضَدُ [٢] وهي في الأصيلِ جَوْشَنٌ مُذْهَبٌ . وَسيفٌ بالدَّمِ مُشَطَّبٌ . فإنْ وَرَدَتِ الحمائمُ منها نُقَاخاً . حَسِبْتَهَا تَزُقُّ فِراخا . أو نَهَلَتْ منها المهارَى في الغَدَاةِ . ظَنَنْتَها حِساناً

واهالها مصطنعا لقد شكر · اثنت على الارض بالآء المطر
والارض فى روض كأفواف الحبر · تبرجت بعد حياء وخفر
تبرج الانثى تصدت للذكر

وقال آخر

اماترى الارض قد أعطتك عذرتها · مخضرة واكتسى بالنور عاريها
فللسماء بكاء فى جوانبها · وللربيع ابتسام فى نواحيها

وقال النمر بن تولب وذكر النخل

ضربن العرق فى ينبوع عين · طلبن معينه حتى روينا
بنات الدهر لايخشين محلا · اذا لم تبق سائمة بقينا

وقال البحترى

اتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا · من الحسن حتى كاد ان يتكلما
وقد نبه النيروز فى غلس الدجى · أوائل وردكن بالامس نوما
يفتقها برد الندى فكانه · يبث حديثا بينهن مكتما
ومن شجر رد الربيع لباسه · عليه كما نشرت وشيا منمنما
احل فابدى للعيون بشاشة · وكان قذى للعين اذ كان محرما

(١) الاثل شجر الطرفاء واحدته اثلة

(المعنى) يقول انه يتخلخل هذه الاشجار جدوال وحياض فهذه فى ظلال النخلات وتلك تحت الاثلات

(٢) الشريعة مورد الماء . الينبوت شجر الخشخاش وقيل الخروب جمع ينابيت . الخضد نبت

يَنظُرْنَ في مِرْآةٍ [١] . وَبِرْكَةٌ مُطَحْلَبَةُ الماءِ . كأنَّها سَجَنْجلٌ في غِشاءٍ [٢]

تعرَّضَتْ ذَا حدَبٍ جَرْجارَا

أَمْلسَ إِلا الضِّفْدِعَ النَّقَّارَا

يرْكُضْنَ في عُرْمُضِهِ الطُّرَّارَا

تَخالُ فيهِ الكوْكَبَ الزَّهارَا

لُؤْلُؤَةً في الماءِ أوْ مِسْمارَا

وَنواعيرُ كأنَّها عُشَّاقٌ . بعدَ فِراقٍ لمْ يبْقَ فيهَا غيرَ ضُلوعٍ . وَأَنينٍ ودُموعٍ [٤]

---

(١) الجوشن الدرع . المشطب اى الذى جعل الدم فى صفحته شطبا اى خطوطا . النقاخ الماء البارد العذب لانه ينقخ العطش اى يكسره . تزق تطعم فراخها بمناقيرها . نهلت شربت اول الشرب . المهارى نسبة الى مهرة بن حيدان حى من قضاعة من عرب اليمن وهى نجائب ابل تسبق الخيل

(المعنى) يقول اذا صبغ الاصيل لون الماء صار الماء كانه سيف عليه دم . و يقول ان الحمائم اذا وردت هذا الماء وضعت فيه مناقيرها فرأت خيالها فيه يفعل ذلك فتقابلت الحقيقة بالمجاز فصارت كلها حقيقة فكانها تطعم فراخها

(٢) المطحلبة التى علا ماءها الطحلب . السجنجل المرآة . الغشاء الغطاء

(٣) تعرضت اى اعترضت شربت . الحدب اعراف الماء ترتفع . الجرجار ذو الجرجرة . املس يعنى انه خلو من القذى . يركضن اى يضربن الماء حتى يذهب العرمض فيشربنه . العرمض الطحاب . الطرار جمع طرة وهى شفيره . هذه القطعة من ارجوزة للعجاج مطلعها (ياصاح ماذكرك الاذكارا مالمت من قاض قضى الاوطارا)

و يصف بهذه القطعة الحمر الوحشية وورودها الماء فيقول ان هذه الحمر حين وردن الماء ضربنه بارجلهن ليذهبن الطحلب المغشى عليه ورأين صورة البدر الزاهر فى الماء فتخيلنه لؤلؤة او مسماراً

(٤) النواعير جمع ناعورة وهى الدولاب ودلو يستقى بها اوما يديره الماء من المنجنونات

قدْ أوْشَمَ النَّبْتُ حوْلها وَطَرَّ . واْستدَارَ الحدَجُ وَاخضرَّ [١]

تَرَبَّعُ ليْلى بالمُضَيّحِ فالحِمي
وَتقتَاظُ من بطْنِ العقيقِ السوَّاقيَا

وَثَمَّ سائمةُ الانعَامِ . بيْنَ الحُقول وَالآجامِ . ترْتَعُ في مرَابضِهَا . وَتَمْرَحُ في مرَاكضِهَا [١] فمن بقرٍ مُوشِيٍّ أكرُعهُ . مُرَقّمٍ أذْرُعهُ . كأنَّهُ طُلِيَ بوَرْسٍ

(المعنى) شبه أعواد الساقيه بضلوع محب قد نحل وهزل من الغرام

(١) أوشم ابتداء يلون وقيل لان ونضج . طر طلع

(٢) المضيح موضع . الحمى موضع . تقتاظ تقيم به زمن القيظ . العقيق الوادى وكل مسيل شقه ماء السيل فوسعه

(المعنى) يقول أنها تكون فى الربيع فى محل وفى الصيف فى محل آخر رطب الواء كثير الماء كما هى عادة المترفين من تبديل الهواء بحسب الفصول وفى ذلك يقول الشاعر العربى أيضا

تشتو بمكة نعمة ومصيفها بالطائف

وكل ماتقدم وصف للمياه والانهار والغدران والجداول والحياض ولقد أكثر الشعراء من وصفها قديما فمن ذلك قول جابر بن دالان

فيا لهف نفسي كلما التحت لوحة على شربة من بعض أحواض مارب
بقايا نطاف أودع الغيم صفوها مصقلة الارجاء زرق المشارب
ترقرق ماء المزن فيهن والتقت عليهن أنفاس الرياح الغرائب

وقال أبو نواس

كأنما الماء عليه الجسر درج بياض خط فيه سطر
كأننا لما استتب العبر أسرة موسى يوم شق البحر

(٣) سائمة الانعام الابل الراعية التى لاتعلف فى العطن . الحقول جمع حقل وهو الزرع مادام أخضر . الآجام جمع أجمة وهى الشجر الكثير الملتف ترتع تأكل ماشاءت فى خصب وفى سعة . المرابض المواطن . تمرح تشتد فرحاً ونشاطاً حتى تجاوز القدر . المراكض مواضع الركض

أو غربت في أديمه الشمس . قد ضجع في حظر من لبن ودسر . عليه جنن من هداب الفنن . يشأزه السهر . ويسهده الوسواس والمطر . يرجع الأجرار ويأكل القت وخمان الاشجار [١] . ومن نوق كل دوسرة . كأنها تنطرة مقذفة بالنحض . مرقال زهوة المشى لاقح عن حيال اذا ارتفعت فكأنها يفاع وإن بركت خوت على مثل اليراع . ترمى اللغام [٢]

---

(١) الموشى المخطط الملون . الاكرع جمع كراع وهو من البقر والغنم بمنزلة الوظيف من الفرس ومن الانسان مادون الركبة . المرقم المخطط . الورس نبات كالسمسم اصفر يزرع باليمن ويصبغ به ويقصد به سماحة السيد المؤلف هنا أنه هذا البقر أصفر . الاديم الجلد ضجع وضع جنبه فى الارض : الحظر جمع خطيرة وهى بناء يجعل مواضع للماشية : اللبن المضروب من الطين مربعا للبناء : الدسر جمع دسار وهو المسمار · الجنن جمع جنة وهى كل ماوقى : الهداب جمع هدابة وهى الغصن وهداب الغصن طرفه . الفنن الغصن . يشأز يذعر ويقلق . الوسواس اسم من وسوس اليه الشيطان وصوت الحلى . الاجرار أى أتى بالجرة وهى مايخرجه البعير من بطنه ليمضغه ثم يبلعه . القت حب برى يا كله أهل البادية . خمان الشجر

(المعنى) يصف حالة البقر فى مرابضها وكيف تقيها أهداب الاغصان من حر الصيف وبرد الشتاء ويسهدها وقوع المطر ويقول انه لاصفرار لونها كانما غربت فى جلدها الشمس

(٢) الدوسرة الناقة الضخمة . المقذفة الكثيرة اللحم . النحض اللحم وقيل المكتنز منه كلحم الفخذ . مرقال مسرعة زهوة مشى أى تمشى مشية المعجب المتكبر لاقح عن حيال أى قبلت اللقاح ولم تحمل . اليفاع التل المشرف وما ارتفع من الارض ، خوت جافت بطنها عن الارض فى بروكها لانها أبقت بينها وبين الارض خواء . اليراع القصب . اللغام زبد أفواه الابل . البرس القطن النوار الزهر جمع نواوير . العضرس عشب أشهب الى الخضرة يحتمل الندى شديداً

(المعنى) يقول كل ناقة من هذه النوق ضخمة مكتنزة واذا بركت بركت على أرجلها التى كاليراع وهو مدح للنوق وترى اللغام على أشداقها كالقطن وتنظر بعين يشبه نوار هذا الزهر المسمى بالعضرس

كَالبِرْسِ وَتَنْظُرُ بِمِثْلِ نُوَّارِ الْعِضْرِسِ

إِذَا ذَابَتِ الشَّمْسُ اتَّقَتْ صَقَرَاتِهَا
بِأَفْنَانِ مَرْبُوعِ الصَّرِيمَةِ مُعْبِلِ [1]

وَخُيُولٌ . تَمْرَحُ فِي الْحُجُولِ وَالشُّكُولِ ، كَأَنَّ فِي صَهِيلِهَا جَرَساً . وَتَحْتَ حَوَافِرِهَا قَبَساً

يَتَحَلَّبُ الْيَعْضِيدُ مِنْ أَشْدَاقِهَا
صُفْرٌ مَنَاخِرُهَا مِنَ الْجَرْجَارِ [2]

---

(١) الصقرات حرور الشمس . الصريمة الرملة المنصرمة من الرمال ذات الشجر . المعبل الضخم (المعنى) يقول اذا وقدت الشمس استظلت بظل الايكة ولقدا كثر الشعراء من وصف الابل وسيرها وغدوها ورواحها قال بشامة بن الغدير

كان يديها اذا ارقلت ... وقد جرن ثم اهتدين السبيلا
يدا سابح خر فى غمرة ... وقد شارف الموت الاقليلا

وقا ابو تمام

اتينا القادسية وهى ترنو ... الى بعين شيطان رجيم
فما بلغت بنا عسفان حتى ... رنت بلحاظ لقمان الحكيم
وبدلها السرى بالجهل حلما ... وقد اديمها قد الاديم
بدت كالبدر وافى ليل سعد ... وآبت مثل عرجون قديم

٢) الحجول جمع حجل وهو البياض فى ارجل الفرس . الشكول وثاق يوضع فى رجل الدابة ويدها . الصهيل صوت الفرس . الحوافر جمع حافر وهو من الدابة بمنزلة القدم من الانسان

٣) اليعضيد بقلة تشبه الهندباء البرى . الاشداق جمع شدق وهو طفطفة الفم من باطنى الخدين . المناخر جمع منخر بتثليث الميم والخاء الانف ، الجرجار نبت طيب الريح

وَالضَّأنُ تَسْعَى بَينَ الحَافِرِ وَالْخُفِّ . مِنْ قَفٍّ لِقَفٍّ [١]
وَتَملا بَيْتَنَا أقِطًا وسَمْنًا [٢]
وَحَسْبُكَ مِنْ غِنًى شِبَعٌ وَرِيٌّ

(المعنى) يقول ان مناخرها اصفرت من اكل الجر جاروا نصباب عصارته عليها وماتقدم كله فى وصف الخيل ومن وصف الخيل قول الاشعر بن ابى حمران الجعفى

ولقد علمت على تجنبي الردى ان الحصون الخيل لامدر القرى
يخرجن من خلل الغبار عوابسا كاصابع المقرور اقعى فاصطلى

وقال زيد الخيل

جلبنا الخيل من اجأ وسلمى تخب نزائعاً خبب الذئاب
جلبنا كل اجرد اعوجى وسلهبة كخافية الغراب
ضربن بغمرة فخرجن منها خروج الودق من خلل السحاب

وقال البحترى

اما الجواد فقد بلونا يومه وكفى بيوم مخبراً عن عامه
جارى الجياد فطار عن اوهامها سبقا وكاد يطير عن اوهامه
مالت نواحى عرفه فكأنها عذبات اثل مال تحت حمامه
مالت معاطفه فخيل انه للخيزران تناسب بعظامه
وكأن صهلته اذا استعلى به رعد تقعقع فى ازحام غمامه

وقال الببغاء

ان لاح قلت أدمية أم هيكل أوعن قلت أسابح أم أجدل
تتخاذل الالحاظ فى ادراكه ويحار فيه الناظر المتأمل
فكأنه فى اللطف فهم ثاقب وكأنه فى الحسن حظ مقبل

(١) الحافر من الدابة بمنزلة القدم من الانسان . الخف للبعير والنعام بمنزلة الحافر لغيرهما القف بالفتح يبيس احرار القبول ويريد بالحافر والخف الخيل والابل

(٢) الاقط بالتثليث الجبن المتخذ من اللبن الحامض

وَبَيْنَ ذَلِكَ بُيُوتٌ مِنْ قِرْمِيدٍ . وَسُقُوفٌ مِنْ جَرِيدٍ . وَأُقُنٌ مِنْ حَجَرٍ وَبُجُدٌ مِنْ وَبَرٍ ١ . وَقِطَارٌ مِنْ آبَالٍ . تَسِيرُ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ . فِى أَعْنَاقِهَا الأَجْرَاسُ وَفِى رِحَالِهَا الأَمْرَاسُ . يَحْدُوهَا سَوَّاقٌ حُطَمٌ . كَأَنَّهُ الزَّلَمُ ٢

فَقَامَ وَسْنَانَ وَلَمْ يُوَسَّدِ
يَمْسَحُ عَيْنَيْهِ كَفِعْلِ الأَرْمَدِ

(المعنى) يقول ان هذه الضان تملأ بيتنا من الجبن والسمن وحسب الفتى هذا الغنى الكثير الذى يشبع ويروى منه

(١) القرميد الآجر . الاقن جمع اقنة بيت يبنى من حجر . البجد جمع بجاد وهو كساء مخطط من اكسية الاعراب يشتملون به

(المعنى) يقول ان بيوت الريف وان سذجت حالتها فهى خالية مما فى القصور العظيمة من البلاء والشقاق والنفاق وخير عيشة يعيشها الانسان هى العيشة الساذجة البسيطة التى تكون فى الريف فانه يخرج بها عن الازدحام الذى يوجد فى الحضر ويبعد بها عن الآلام التى يراها بين المتمدنين والمتحضرين وينجو بصحته وعافيته من التلف الذى توجبه الحضارة ضرورة . اذ لا يجد فى الريف الا هواء نقيا ولذة العزلة والوحدة ولا يرى الا سماء صافية الاديم ولا يسمع الا الهدوء المخيم على الاكوان . حاشا تغريد الطيور على الاغصان . والذى تقدم وصف للدور والبنيان فى القرى والريف ولقد اكثر الحكماء والبلغاء فى وصف الدور ومدحها قال احدهم دار الرجل عشه وفيها يطيب عيشه وقال بعضهم الدور للناس كالعش للطير والاوجرة للوحش ودار الرجل ماوى نفسه وموضع امنه ومسكن قلبه ومجمع اهله ومحرز ملكه ومانس ضيفه وملتقى صديقه وعدوه وقال المتوكل لابى العيناء كيف ترى دارنا هذه فقال ياامير المؤمنين رأيت الناس يبنون الدور فى الدنيا وانت بنيت الدنيا فى دارك

(٢) الآبال جمع ابل . الامراس جمع مرس ومفرد مرس مرسة وهى الحبل يمرس به

الى صَناعِ الرِّجْلِ خَرْقاءِ اليدِ
خطَّارَةٍ بالسَّبْسَبِ العَمَرَّدِ [١]

وَراعِي غَنمٍ . بينَ الغَرْقدِ والسَّلَم . يَدْفعهُ مَدْخلُ الأيلِ . الى مَجْرَى السَّيْلِ يشرَبُ بالعُلَبِ . ويَنفخُ في القَصَبِ [٢] . وَفي كلِّ مَحلَّةٍ بُرٌّ يُقنَى . وحُرَيْمِلَةٌ تُجنَى وقصبٌ يُكسَرُ . وسَليطٌ يُعصَرُ . وَزُبْدٌ يُمخَضُ وَصريحٌ يُمحَضُ [٣]

لهَا رِطلٌ تَكيلُ الزَّيْتَ فيهِ
وَفلَّاحٌ يَسُوقُ لهَا حِمَارا

وَأَناسِيٌّ . مِنْ أَرِيبيٍّ وَقَرَوِيٍّ . هِرِّيتٌ ثوبُهُ . نَقيٌّ جيبُهُ . كَريمٌ في

الرحل . الحطم الراعي الظلوم للماشية . الزلم قدح لا ريش عليه صلب

(١) الوسنان النائم الذى ليس بمستغرق فى النوم . لم يوسد أى لم يجعل الوسادة تحت رأسه كناية عن عدم النوم . صناع أى ماهرة حاذقة . الخرقاء الناقة التى يقع منسمها على الارض قبل خفها و لا تتعهد مواضع قوائمها . الخطارة الناقة التى تضرب بذنبها يميناً و شمالا . السبسب المفازة أو الارض المستوية البعيدة . العمرد الطويل

(المعنى) يصف سائق الابل اذا حدا بها فى آخر الليل وقد ملأ النوم عينيه

(٢) الغرقد شجر عظام او هى العوسج . السلم شجر من العضاه يدبغ به . العلب جمع علبة قدح ضخم من جلود الابل يشرب و يحلب فيها . و ينفخ فى القصب كناية عن المزمار

(المعنى) يصف راعى الغنم اذا رعاها وهو ينفخ فى مزماره كما هى عادة الرعاة

(٣) المحلة المكان . يقنى يحاز . الحريملة بالكسر القطن الجيد . السليط كل دهن عصر يمحض اى يخلص ولا يخالطه شيء

(المعنى) يصف حالة الريف وحالة اهليه وكيف يعيشون و اشتغالهم فى جلب زادهم وقوتهم

(٤) الرطل بالفتح و يكسر اثنتا عشرة اوقية و الجمع ارطال

أطْمَارٍ . كَالْخَمْرِ فِي خَزَفٍ وَقَارٍ ١ .

* * *

فَإِذَا أَقْبَلَ الْحَرُورُ أَلْفَيْتَ كُلَّ أَرْضٍ كَشِعْرِ أَبِي نُوَاسٍ . وَكُلَّ نِهْيٍ كَقِطْعَةٍ مِنْ مَاسٍ ٢ . وَعَلَى كُلِّ عَلَمٍ . بُرْدٌ مُنَمْنَمٌ . وَفِي كُلِّ غَيْطٍ . وَشْيٌ

---

(٣) أريثي الاكار ويجمع على ارثين وبتشديد الراء . القروى نسبة الى القرية وهى احدى القرى : هريت ثوبه الاصل فى هريت الواسع الشدقين واستعمل هنا فى الثوب كناية عن اتساعه . الاطمار جمع طمر وهو الثوب الخلق البالى . الخزف الفخار . القار شيء أسود يطلى به الابل والسفن وقيل هو الزفت

(المعنى) يصف أهل الريف وسذاجتهم وطيب أخلاقهم ويقول انهم كرام وان رثت ألبستهم فهم كالخمر التى تكون فى دنان من خزف أو قار أو نحوه مما لا قيمة له ولباس اهل الريف بسيط جداً مما لا يكلفهم ثمنا عظيما وهى حالة محمودة فيهم قيل دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم والى خراسان وعليه مدرعة صوف فقال له قتيبة اكلمك فلا تجيبنى قال أكره أن أقول زهداً فأزكى نفسى أو أقول فقراً فاشكو ربى

(٢) الحرور الريح الحارة بالليل وقد تكون بالنهار — ابو نواس هوابو على الحسن بن هانىء ابن عبد الاول المعروف بابى نواس الحكمى الشاعر المشهور ولد بالبصرة ونشأ بها وتخرج على أبى أسامة والبة بن الحباب وكان قد رآه ابو أسامة فى الكوفة على حانوت بعض العطارين ورأى فيه مخايل الذكاء فقال له أرى فيك مخايل أرى أن لا تضيعها وستقول الشعر فاصحبنى اخرجك فصار ابو نواس معه فقدم به بغداد فكان أول ماقاله من الشعر

حامل الهوى تعب يستخفه الطرب
ان بكى يحق له ليس مابه لعب
تضحكين لاهية والمحب ينتحب
تعجبين من سقمى صحتى هى العجب

وكان واسع العلم كثير الحفظ وهو من الطبقة الاولى من المولدين وقد اعتنى بجمع شعره جماعة من الفضلاء ومن شعره الفائق المشهور قصيدته التى يمدح بها الامين محمد بن هارون الرشيد

وَرَيْطٌ[١] . إِلى أَزَاهِرَ كَأَنَّهَا دَنَانِيرُ جُدُدٌ . أَوْ دَرَاهِمُ بَدَد . أَوْفُصُوصٌ مِنْ يَوَاقِيتَ . أَوْأَوَائِلُ النَّارِ فِي أَطْرَافِ كِبْرِيتٍ[٢]

لَهَا جِلِّسَانٌ عِنْدَهَا وَبَنَفْسَجٌ
وَسِيْسَنْبَرٌ وَالْمَرْزَجُوشُ مُنَمْنَمَا
وَآسٌ وَخِيرِيٌّ وَمَرْدٌ وَسَوْسَنٌ

ومطلعها

يادار ماصنعت بك الايام ... لم تبق فيك بشاشة تستام

يقول من جملتها فى صفة ناقته

وتجشمت بى هول كل تنوفة ... هوجاء فيها جرأة اقدام

تذر المطى وراءها فكانها ... صف تقدمهن وهى امام

واذا المطى بنا بلغن محمداً ... فظهورهن على الرجال حرام

قربننا من خير من وطىء الثرى ... فلها علينا حرمة وذمام

وكانت ولادته فى سنة خمس وأربعين وقيل سنة ست وثلاثين ومائة ووفاته فى سنة ثمان وتسعين ومائة ببغداد . النهى الغدير . الماس حجر معروف ثمين

(المعنى) يقول انه اذا جاء الربيع وبعده الصيف تزينت الارض بالنبات والازهار حتى أشبهت شعر ابى نواس فى رقته وزخرفته. ويقول كثرت المياه وامتلأت الحياض وصفت حتى ليرى كل حوض كانه قطعة من ماس لبريق مائه

(٢) العلم المكان المرتفع. البرد المنمنم الكساء المنقوش المزخرف. الغيط المزرعة. الوشى نقش الثوب ويكون من كل لون. الريط جمع ريطة وهى كل ثوب لين رقيق يشبه الملحفة

(٣) الازاهر جمع زهر واحدته زهرة وزهرة. الجدد جمع جديد وهو نقيض القديم. البدد المتفرق. الكبريت مادة بسيطة معدنية صفراء اللون لاتحل يوقد بها

(المعنى) يقول أن هذه الازاهر قد تنوعت ألوانها فمنها ماهو أصفر كالدنانير أو ابيض كالدراهم أو أحمر كاليواقيت أو أزرق كاول النار فى الكبريت

يُصَبِّحُنا فى كلِّ دَجْنٍ تغَيُّما ١

وَعَنْدَليبٌ وَكُرْكِيٌّ . وَحَمَامٌ وَقُمْرِيٌّ . وَبَطٌّ . على الشَّطِّ . وَإِوَزٌ في النِّزِّ ٢

ظَلَّتْ بنهرِ البَرَدَانِ تغتَسِلْ

---

(١) الجلسان الريحانة التى يقال لها النمام ليس بعربى. البنفسج نبات طيب الرائحة. السيسنبر كالجلسان الريحانة التى يقال لها النمام وليس بعربى وانما جرى فى كلامهم. المرزجوش الزعفران. الآس نبات طيب الرائحة. الخيرى المنثور الاصفر. المرد الغض من ثمر الاراك. السوسن نبات طيب الرائحة. الدجن الباس الغيم الارض واقطار السماء. وهذ الشعر للاعشى الجاهلى المشهور

(٢) العندليب طائر يقال له الهزار يصوت ألوانا. الكركى طائر يقرب من الوز ابتر الذنب رمادى اللون. القمرى ضرب من الحمام. البط من طير الماء. الشط الشاطىء الاوز نوع من البط النز ما يتحلب من الارض من الماء

(المعنى) كل ما تقدم وصف للازهار وأشكالها والاطيار ونغماتها ومن قول الشعراء فى وصفها قول البحترى

شقائق يحملن الندى فكانه ... دموع التصابى فى خدود الولائد
ومن لؤلؤ كالاقحوان منضد ... على نكت مصفرة كالفرائد

وقال بلال بن ابى عيينة فى بستانه

بغرس كابكار العذارى وتربة ... كان ثراها ماء ورد على مسك
كان قصور الارض ينظرن حوله ... الى ملك أوفى على منبر الملك
يدل عليها مستطيلا بحسنه ... ويضحك منها وهى مطرقة تبكى

ومن قولهم فى الطيور وتغريدها قول ابن عبد ربه

ونائح فى غصون الايك أرقنى ... وما عنيت بشىء ظل يعنيه
قدبات يشكو بشجو مادريت به ... وبت أشكو بشجو ليس يدريه

تشرب منه نهلات وتعل [١]

حتى اذا استحكمت من الصيف الوقدات . واستحرت الوغرات . اذا الحجران قد اصفرت . والعيون قد نشت . واستن السفا والذرق . على القيق وغدت الحقول . وهي عصف مأكول . والبطاح . حصيدا تذروه الرياح [٢] ولاح السراب . على الشعاب . كالرياط البيض . والملاء الرحيض . وجن الذباب وحم الغراب . وسكن العصفور مع الضب فى جحر . وسال لعاب الشمس كمذاب الصفر [٣] . ودوى النحل . فى المحل . ووثب الجراد

وقال حميد بن ثور

مطوقة خطباء تسجع كلما دنا الصيف وانزاح الربيع فانجما

تغنت على غصن عشاء فلم تدع لنائحة فى نوحها متلوما

فلم أر مثلى شاقه صوت مثلها ولا عربياً شاقه صوت أعجما

(١) نهر البرداق نهر بطرسوس وآخر بمرعش . النهلات جمع نهلة وهى الشرب الاول . تعل تشرب الشرب الثانى

(٢) الوقدات جمع وقدة وهى أشد الحر . الوغرات جمع وغرة وهى شدة توقد الحر . الحجران منبت الرمث ومجتمعه ومستداره . نشت أخذماؤها فى النضوب . استن أى طال ويبس . السفا شوك البهمى . الذرق من أحرار البقول . القيق أماكن منقادة والواحدة قيقاة . الحقول جمع حقل وهو الزرع مادام اخضر . العصف الورق أخذ مافيه من الحب وبقى هو لاحب فيه . الحصيد حب البر المحصود . تذروه تفرقه

(٣) السراب ماتراه نصف النهار من اشتداد الحر كالماء يلصق بالارض . الشعاب جمع شعب وهو الطريق فى الوادى ومسيل الماء فى بطن الارض . الرياط جمع ريطة وهى كل ثوب لين رقيق يشبه الملحفة . الملاء ثوب يلبس على الفخذين . الرحيض المغسول النظيف . جن أصابه الجنون . حم أصابته الحمى . الضب حيوان برى يشبه الورل . الجحر كل مكان تحتفره الهوام

فِي الوِهَادِ . وَانْسَابَ النَّضْنَاضُ . عَلَى الرَّضْرَاضِ . وَخَرَجَ الذَّرُّ . مِنَ الجَفْرِ [١] . وَطَابَ المَقِيلُ . فِي الظِّلِّ الظَّلِيلِ . فَفِي كُلِّ دَوْحَةٍ أَسْتَارٌ وَحُجُبٌ . وَتَحْتَ كُلِّ سِدْرَةٍ قُبَّةٌ وَطُنُبٌ [٢] . وَسَرَى النَّسِيمُ فِي الظَّهِيرَةِ بَيْنَ الأَشْجَارِ . كَأَنَّهُ نَسِيمُ الأَسْحَارِ [٣]

خَلِيلَيَّ بِالبَوْبَاةِ عُوجَا فَلَا أَرَى
بِهَا مَنْزِلًا إِلَّا جَدِيبَ المُقَيَّدِ
نَذُقْ بَرْدَ نَجْدٍ بَعْدَ مَا لَعِبَتْ بِنَا
تِهَامَةُ فِي حَمَّامِهَا المُتَوَقِّدِ [٤]

والسباع لا تقسها . اللعاب ماسال من الفم ومنه لعاب الشمس وهو خيوطها . الاكم جمع اكمه وهى الهضبة المرتفعة · الصفر الذهب

(١) دوى دوياً وهو الصوت الذى لا يفهم منه شىء من الذباب والنحل . المحل الجدب . الوهاد جمع وهدة وهى الارض المنخفضة . النضناض الحية التى لا تستقر على الارض . الرضراض مادق من الحصى . الذر صغار النمل . الجفر البئر الواسعة

(٢) المقيل موضع القيلولة . الدوحة الشجرة العظيمة . السدرة شجرة النبق . الطنب حبل طويل يشد به سرادق البيت

(٣) الظهيرة انتصاف النهار وقيل خاص بالصيف

(المعنى) يقول ان هواء هذه البقعة فى وقت الظهيرة عند احتدام القيظ يكون بليلا رطباً كأنه النسيم فى السحر

(٤) البوباة الفلاة وعقبة كؤد بطريق اليمن . الجديب الماحل . المقيد تقول العرب الدهناء مقيد الجمل اى الموضع الذى يقيد فيه ويخلى وذلك لخصبها وجديب المقيد اى ماحله . نجد من بلاد العرب وهو خلاف الغور . تهامة بلاد شمال الحجاز . الحمام موضع الاستحمام . وقد اكثر

فَإِنْ أَظَلَّ الشِّتَاءُ . كُنْتَ فِي جَوٍّ كَأدْكَنِ الْخَزِّ . وَأَرْضٍ كَأَخْضَرِ الْقَز
وَلِقْحَةٍ تَدِرُّ . وَكَلْبٍ يَهِرُّ . وَنَكْبَاءَ صَرْصَرٍ [١]

عَشْوَاءُ رَعْبَلَةُ الرَّوَاحِ خَجَوْ
جَاةُ الْغُدُوِّ رَوَاحُهَا شَهْرُ [٢]

وَخُبْزٍ سَمِيذٍ . وَحَمَلٍ حَنِيذٍ . وَلِبَاءٍ وَمَاذِيٍّ . وَكَامِخٍ طَرِيٍّ . وَحَالُوم

الشعراء من وصف الحمام فمن ذلك قول السرى الرفاء

بيت بنته حكماء الورى فهو الى الحكمة منسوب
حر هو الروح لاجسامنا والحر للاجسام تعذيب

وقال أبو طالب المأمونى

وبيت كاحشاء المحب دخلته ومالى ثياب فيه غير اهابى
ارى محرما فيه وليس بكعبة فما ساغ الا فيه خلع ثيابى
بماء كدمع الصب فى حر قلبه اذا آذنت احبابه بذهاب
توهمت فيه قطعة من جهنم ولكنها من غير مس عقاب

وكل ماتقدم وصف للصيف وحره ولقد قال بشار بن برد يصف يوما شديد الحر

ويوم كتنور الاماء سجرنه وقدن فيه الجزل حتى تضرما
رميت بنفسى فى أجيج سمومه والعيس حتى بض منخر هادما

(١) الادكن المائل الى السواد. الخز الحرير. الابريسم الاخضر من الخز. اللقحة الناقة الحلوب الغزيرة اللبن. تدر تسيل. يهر يصوت دون نباح من شدة البرد. النكباء الريح التى انحرفت ووقعت بين ريحين. صرصر شديدة الهبوب أو البرد

(٢) عشواء الاصل ان هذه اللفظة استعملت للناقة التى لا تبصر ما امامها فتخبط بيديها كل شىء اذا مشت ثم استعيرت للريح الشديدة الهبوب التى تثير الغبار. رعبلة الرواح من الرياح التى لا تستقيم فى سيرها. خجوجاة الريح الشديدة المرور

وَصِيرٍ . وَخَيْرٍ كَثِيرٍ [١] . وَلَيْلٍ مطْلُولٍ . كَأَنَّهُ لَيْلُ صُولٍ . وَمَوْقدٍ وَدُخَانٍ وَسُمَّارٍ وَضِيفَانٍ [٢]

---

(١) سميذ الحوارى. حمل الخروف . حنيذ المشوى . اللبأ اللبن . الماذى العسل أو الابيض منه. الكامخ هو المخللات التى تستعمل لتشهى الطعام. الحالوم لبن يغلظ فيصير شبيها بالجبن الرطب وليس هو . الصير السميكات المملوحة وكل ماتقدم وصف لطعام اهل ريف وكانت اطعمة العرب بسيطة فمنها الوشيقة وهى من اللحم الذى يغلى اغلاءة ثم يرفع قال الحسن ابن هانىء

حتى رفعنا قدرنا بضرامها   واللحم بين موزم وموشق

والصفيف مثله وهو القديد والربيكة شىء يطبخ من بر وتمر والبسيسة وهى كل شىء خلطته بغيره مثل السويق بالأقط ثم تلته بالسمن او بالزيت والعثيمة طعام يطبخ وهو الغثيمة ايضاً والبغيث والغليث الطعام المخلوط بالشعير والبكيلة والبكالة جميعاً وهى الدقيق يخلط بالسويق ثم يبل بماء أو سمن أو زيت والعريقة شىء يعمل من اللبن وكان اهل البادية يعدون هذه الاطعمة وامثالها على بساطتها من افخر الاطعمة قال ابو ضوارة الازر الابيض بالسمن المسلى والسكر والطبرزد ليس من طعام اهل الدنيا وسمع الحسن رجلا يعيب الفالوذج فقال لباب البر بلعاب النحل بخالص السمن ماعاب هذا مسلم. وقال بلال بن ابى بردة وهو امير على البصرة للجارود بن ابى بسرة الهذلى أتحضر طعام هذا الشيخ يعنى عبد الاعلى بن عبدالله بن عامر قال نعم فصفه لى قال نأتيه فنجده مضطجعا يعنى نائما فنجلس حتى يستيقظ فيأذن النا فنساقطه الحديث فان حدثناه احسن الاستماع وان حدثنا احسن الحديث ثم يدعو بمائدته وقد تقدم الى جواريه وامهات اولاده ان لاتحدثه واحدة منهن الا اذا وضعت مائدته ثم يقبل خبازه فيمثل بين يديه فيقول ماعندك اليوم فيقول عندى كذا وعندى كذا فيعدد كل ماعنده ويصفه يريد بذلك ان يحبس كل رجل نفسه وشهوته على مايريد من الطعام وتقبل الالطاف من ههنا وههنا وتوضع على المائدة ثم يؤتى بثريدة شهباء من الفلفل رقطاء ذات جفافين من العراق فنأكل معه حتى اذا ظن ان القوم قد كادوا يمتلئون جثا على ركبتيه ثم استأنف الاكل معهم. فقال أبو بردة لله در عبد الأعلى ماأربط جأشه على وقع الاضراس

(٢) المطلول الذى اصابه الطل . ليل صول صول هذه التى ينسب اليه الصولى الاديب

نَظَرْتُ وَالعَيْنُ مُبِينَةُ التُّهَمْ
الى سَنا نارٍ وَقُودُها الرَّتَمْ
شُبَّتْ بأعلى عاندِينَ مِنْ إِضَمْ

وَفى الَجوّ غَيْمٌ قدْ تعلَّقَ بينَ الافُقَيْنِ. وَتدلّى قابَ قَوسيْنِ. كأنَّهُ فروٌ مَزْرُورٌ. أو كافورٌ مَنْثورٌ ٣. نَمُجُّ لَواقِحُهُ الماءَ. مَجَّ الدِّلاءِ. وَترْتَعِجُ فيهِ ألْسِنةُ اللَّهَبِ. كسلاسِلِ الذَّهَبْ ٢. وَالطَّيْرُ سَوَاكِنُ بلا حِراكٍ. كأنَّها مِنَ الغَيْثِ فى شِباكٍ ٤

فأضْحي يسِحُّ الماءَ بيْنَ كَتِيفَةٍ
يَكُبُّ علي الاذْقانِ دَوْحَ الكَنَهْبلِ
ألا لَيْتَ شِعري هل أبيتَنَّ ليلة
بأبْطَحَ جِلوَاخٍ بأسْفَلهِ نَخْلُ ٥

المشهور وليلها يوصف بالبرودة والطول ويشير السيد المؤلف الى قول القائل

فى ليل صول تناهى العرض والطول كأنما ليلها بالليل موصول

(١) السنا الضوء . الرتم ضرب من الشجر . عاندين موضع . اضم موضع

(٢) قاب قوسين اى ما بين المقبض والسية اى قدر قوس . فرو مزرور اى المشدود بالازرار يعنى ان الغيم مجمعد . كافور نبت طيب الرائحة ابيض اللون

(٣) تمج ترمي . اللواقح السحب التى تحمل الندى ثم تمجه فى البحار فيصير مطراً . الدلاء جمع دلو وهو الذى يستقى به ترتعج تضطرب وتموج

(٤) السواكن الساكنة . الحراك التحرك . الشباك جمع شبكة وهى شبكة الصياد

(٥) يسح يسيل . الكتيفة موضع . يكب يميل الدوح الشجر العظام . الكنهبل الشجر العظام أيضا والبيت لامرء القيس ومعناه ان السيل ينصب من الجبال والآكام فيقتلع الشجر

سَرَّاءُ . فِي جَمِيعِ الأَنْحَاءِ . وَرَاحَةٌ . فِي كُلِّ سَاحَةٍ [١] فَكَأَنَّمَا نَفْسَ الإِنْسَانِ . فِي كُلِّ مَكَانٍ . عينُ مَاءٍ . تَصِفُ مَا يُقَابِلُهَا مِنَ الأَشْيَاءِ . فَإِنْ كَانَتْ حِذَاءَ رِيَاضٍ . وَفَضَاءٍ وَغِيَاضٍ . الفَيْتَ فِيهَا رَوْضًا وَزَهْرًا . وَسَمَاءً وَفَجْرًا [٢] . وَانْ كَانَتْ بَيْنَ الحِيطَانِ القَتْمَاءِ : وَبُيُوتِ المُدُنِ الدَّكْنَاءِ . أَلْفَيْتَهَا مُعْتِمَةً . كَدْرَاءَ مُظَلمَةً [٣]

أَرْضٌ تَخَيَّرَهَا لِطِيبِ مَقِيلِهَا
كَعْبُ بنُ مَامَةَ وَابنُ أُمِّ دُوَادِ [٤]

* * *

العظام. جلواخ الوادى الواسع الضخم الممتلىء العميق

(١) المعنى يقول ان هذا المحل رطيب هوائه يجد الانسان فيه فى كل انحائه سروراً وفى كل ساحاته راحة وحبوراً

(٢) الغياض جمع غيضة وهو مجتمع الشجر

(المعنى) يقول ان نفس الانسان كالمرآة تصف مايقابلها من الاشياء فان كانت فى روضة انعكس لطف هذا الروض فيها وان كانت فى فضاء انعكست صورته فيها فرأيت فيها سماء وفجراً

(٣) القتماء السوداء . الدكناء المائلة الى السواد .

(المعنى) يقول كذلك نفس الانسان تراها مظلمة ان كانت فى محل مظلم

(٤) كعب بن مامة هو أحد أجواد العرب المشهورين يضرب به المثل فى الكرم قال جرير يمدح عمر بن عبد العزيز

وما كعب بن مامة وابن سعدى ... باجود منك ياعمر الجوادا .

ابن أم داود هو أيضاً أحد أجواد الجاهلية المشهورين والبيت من قصيدة للاسود بن يعفر النهشلى أحد فحول شعراء الجاهلية أولها

نام الخلى فما أحس رقادى ... والهم محتضر لدى وسادى

وَصَحِبَني فِي هٰذِهِ العُزْلَةِ نَفَرٌ مِنْ صُيَّابِ الأَقْوَامِ. ولُبَابِ الأَنَامِ. فمِنْهُمْ أَبُو تَمَّامٍ. وَالحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ. وَعُرْوَةُ بْنُ الوَرْدِ. وَطَرَفَةُ بْنُ العَبْدِ[١].

هم أراه قد اصاب فؤادى ومنها من غير ماسقم ولكن شفنى

ماذا أؤمل بعد آل محرق تركوا منازلهم وبعد أياد

أهل الخورنق والسدير وبارق والقصر ذى الشرفات من سنداد

(١) الصياب خيار القوم. اللباب المختار من كل شيء — أبو تمام هو حبيب بن أوس الطائى الشاعر شامى الاصل وقد كان بمصر فى حداثته يسقى الماء فى المسجد الجامع ثم جالس الادباء فاخذ عنهم وتعلم وكان فطنا فهما وكان يحب الشعر فلم يزل يعانيه حتى برز فيه واجاده وسار شعره وشاع ذكره وبلغ المعتصم بالله العباسى خبره فحمله اليه وقدمه على شعراء وقته وقدم الى بغداد فجالس بها الادباء وعاشر العلماء وكان موصوفا بالظرف وحسن الاخلاق وكرم النفس وقد عنى به الحسن بن وهب وولاه بريد الموصل فاقام بها اقل من سنتين ومن مصنفاته كتاب الحماسة الذى دل على غزارة فضله واتقان معرفته بحسن اختياره وكتاب الاختيارات من شعر الشعراء وكان له فى المحفوظات مالا يلحقه فيه غيره وكانت ولادة أبى تمام سنة اثنتين وتسعين ومائة وتوفى بالموصل سنة ثمان وعشرين ومائتين وقد رثاه كثير من الشعراء فمن ذلك قول الحسن بن وهب فيه

سقى بالموصل القبر الغريبا سحائب ينتحبن له نحيبا

اذا اظللنه أطلقن فيه شعيب المزن يتبعها شعيبا

ولطمن البروق به خدودا وشققن الرعود به جيوبا

فان تراب ذاك القبر يحوى حبيبا كان يدعى لى حبيبا

ويروى انه سئل ابن عنين عن معنى قوله

سقى الله دوح الغوطتين ولا ارتوت من الموصل الحدباء الاقبورها

لم حرمها وخص قبورها فقال لاجل أبى تمام — الحارث بن همام يقصد بذلك الحارث بن همام الذى أتى راويا فى مقامات الحريرى. وصاحب المقامات هذا هو أبو محمد القاسم بن على بن محمد الحريرى كان أحد أئمة عصره ورزق الحظوة التامة فى عمل المقامات واشتملت على شيء كثير من كلام العرب من لغاتها وامثالها ورموز اسرار كلامها ومن عرفها حق معرفتها استدل بها على فضل

وكَثيراً مايُنْشِدُنا أَحْمَدُ بنُ سُلَيمانَ : باقِعَة مَعَرَّة

هذا الرجل وكثرة اطلاعه وغزارة مادته وله مصنفات غيرها كثيرة منها كتاب درة الغواص وكتاب الرسائل وملحة الاعراب وشرحها الى غير ذلك وكانت ولادته سنة ست وأربعين واربعمائة ووفاته سنة ست عشرة وخمسمائة بالبصرة. — .عروة بن الورد هو شاعر من شعراء الجاهلية وفارس من فرسانها وصعلوك من صعاليكها المشهورين المعدودين الاجواد وكان يلقب عروة الصعاليك لجمعه اياهم وقيامه بأمرهم اذا أخفقوا في غزواتهم وكان شاعرا مجيدا موثرا حتى ان عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال لمعلم ولده لا تروهم قصيدة عروة بن الورد التي يقول فيها

دعيني للغنى اسعى فاني رأيت الناس شرهم الفقير

فان هذا يدعوهم الى الاغتراب عن اوطانهم وكان كريما جواداً حتى ان عبد الملك بن مروان قال من زعم ان حاتما اسمح الناس فقد ظلم عروة بن الورد وقيل ان سنة جدباء اصابت ناسا من بني عبس فاهلكت اموالهم واصابهم جوع شديد ويأس فأتوا عروة بن الورد فجلسوا امام بيته فلما بصروا به صرخوا وقالوا يا أبا الصعاليك أغثنا فرق لهم وخرج ليغزوا بهم ويصيب معاشا فنهته زوجته عن ذلك لما تخوفت عليه من الهلاك فعصاها وخرج غازياً حتى انتهى الى بلاد فأغار على أهلها فأصاب هجمة عاد بها على نفسه وأصحابه وقال في ذلك

أرى ام حسان الغداة تلومني تخوفني الاعداء والنفس أخوف
تقول سليمى لو أقمت لسرنا ولم تدر أني للمقام أطوف
لعل الذي خوفتنا من امامنا يصادفه في أهله المتخوف

واخبار عروة كثيرة — طرفة بن العبد هو ابن سفيان بن سعد بن مالك كان في حسب كريم وعدد كثير وكان شاعرا اجريأ على الشعر وكانت أخته عند عبد عمرو بن بشر وكان عبد عمرو هذا سيد أهل زمانه وكان من اكرم الناس على عمرو بن هند الملك فشكت أخت طرفة شيئاً من أمر زوجها الى طرفة فعاب عبد عمرو وهجاه وكان من هجائه اياه ان قال

ولا خير فيه غير ان له غنى وان له كشحا اذا قام اهضما
تظل نساء الحي يعكفن حوله يقلن عسيب من سراة ملهما

فغاظ ذلك عبد عمرو وعمرو بن هند وكان قد هجا عمرو بن هند قبل ذلك فكتب الى رجل بالبحرين ليقتله فقال له بعض جلسائه انك ان قتلته هجاك المتلمس حليف طرفة فارسل لهما جميعاً

النُّعمان ١

ذَرِيني وَكُتْبي والرِّياضَ وَوَحْدَتي
أَظَلُّ كَوَحْشِيٍّ بِإِحْدَى الأَمالِسِ
يُسَوِّفُ أَزْهارَ الرَّبيعِ تَعِلَّةً

فاتياه فكتب لعامله بالبحرين ليقتلهما وأعطاهما هدية من عنده وحملها فاقبلا حتى نزلا الحيرة فقال المتلمس لطرفة انى أرى فى الامر ريبة وفى احتفاء عمرو بنا سراً فجاء المتلمس الى غلام من هل الحيرة وقال له اقرأ يا غلام وأعطاه الصحيفة فقرأها فقال الغلام أنت المتلمس قال نعم قال النجاء فقد أمر بقتلك فاخذ الصحيفة فقذفها فى البحيرة ثم أنشأ يقول

والقيتها بالثنى من جنب كافر — كذلك يلقى كل قط مضلل
رضيت لها بالماء لما رأيتها — يجول بها التيار فى كل جدول

وأبى طرفة أن يفض صحيفته ومازال حتى أتى صاحب البحرين بكتابه فقال له صاحب البحرين انك فى حسب كريم وبينى وبين أهلك اخاء قديم وقد أمرت بقتلك فاهرب اذا خرجت من عندى فان كتابك ان قرىء لم أجد بداً من أن أقتلك فابى طرفة أن يطيعه فجعل شبان عبد القيس يدعونه ويسقونه الخمر حتى قتل وهو صاحب المعلقة المشهورة التى مطلعها

لخولة اطلال ببرقة ثهمد — تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد

(١) أحمد بن سليمان التنوخى المعروف بالمعرى كان غزير الفضل وافر الادب عالماً باللغة حسن الشعر جزل الكلام وكان ضريراً أعمى وصنف تصانيف كثيرة وأشعاراً جمة كسقط الزند ولزوم مالا يلزم وضوء السقط والايك والغصون ورسالة الغفران الى غير ذلك وكان غزير المادة فى اللغة قيل انه دخل يوماً الى مجلس المرتضى فعثر بانسان فقال له من هذا الكلب فقال الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسما وكانت ولادته يوم الجمعة عند مغيب الشمس لثلاث بقين من شهر ربيع الاول سنة ثلاث وستين وثلثمائة بالمعرة وكان مقصد أهل العلم من جميع الآفاق وكاتبه العلماء والوزراء وأهل الاقدار ولزم بيته وسمى نفسه رهين المحبسين للزومه منزله ولذهاب عينيه ومكث مدة خمس وأربعين سنة لا يأكل اللحم وعمل الشعر وهو ابن احدى عشرة سنة وشعره مشهور عند الخاص والعام وتوفى يوم الجمعة ثالث شهر ربيع الاول سنة تسع وأربعين

وَيأْمَنُ فِى الْبَيْدَاءِ شَرَّ الْمَجَالِسِ [١]

وَلَهُ
غَنِيتُ عَنْ زَائِرٍ مُلِمٍّ
فَلْيَشْغَلِ الْخَيْرُ زَائِرِيَّا [٢]
وَرُبَّمَا أَسْمَعَنَا . ثَعْلَبٌ [٣] عَنْ قُطْرُبٍ

وأربعمائة بالمعرة وأوصى ان يكتب على قبره هذا البيت

هذا جناه ابى على وماجنيت على أحد

الباقعة الذكى العارف الذى لا يفوته شيء ولا يدهى . المعرة بلد ومنها المعرى

(١) الامالس جمع أملس وهى الفلاة ليس بها نبات . يسوف يشم . التعلة مايتعلل به . البيداء الفلاة الواسعة

(المعنى) يقول دعينى ووحدتى أكون كوحشى فى فلاة أنيسى فيها كتاب أقرأه وأعلل النفس بشم الازهار فاكون قد أمنت فى هذه البيداء شر الاختلاط

(٢) (المعنى) يقول ان كانت زيارة هذا الزائر فيها خير فليعد به على نفسه فانى غنى عنه وعن خيره . والمرء لا يجد الراحة الا فى وحدته والسعادة الا فى عزلته فان الاختلاط بالعالم والاندماج فيهم تعب للنفس وكد للفكر ولو كان مع الزوجة التى هى شفاء لهموم الرجل وتأساء له اذا أثقلته متاعب الحياة وقد قيل لمالك بن دينار أنت أعزب فلو تزوجت فقال لو استطعت طلقت نفسى

(٣) قطرب هو أبو على بن المستنير بن أحمد النحوى اللغوى البصرى أخذ الادب عن سيبويه وعن جماعة من العلماء البصريين وكان حريصا على الاشتغال والتعلم وكان يبكر قبل حضور أحد من التلامدة فقال له ما أنت الا قطرب ليل فبقى عليه هذا اللقب (وقطرب اسم دويبة لا تزال تدب ولا تفتر) وكان من أئمة عصره وله من التصانيف كتاب معانى القرآن وكتاب الاشتقاق وكتاب القوافى وكتاب النوادر وكتاب الازمنة الى غير ذلك وهو اول من وضع المثلث فى اللغة وكان معلما لاولاد أبى دلف العجلى وتوفى سنة ست ومائتين — ثعلب هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار النحوى المعروف بثعلب كان امام الكوفيين فى النحو واللغة فى زمانه وكان ثقة دينا مشهورا بصدق اللهجة والمعرفة بالغريب ورواية الشعر القديم بذ الشيوخ وهو حدث

تَمُرُّ علينا الارضُ مِنْ أنْ نَرَى بِهَا
أنيساً وَيَحْلَوْلَى لنا البَلَدُ القفرُ ١

أو أُرْجُل ابْنُ المعتزِّ . وَارْتجزَ ٢

قليلُ هُمُوم النَّفْسِ الاَّ لِلَذَّةٍ
يُنَعِّمُ نفساً آذَنتْ بالتَّنقُّلِ
وَلستَ تَرَاهُ سائلاً عنْ خَليفةٍ
ولاَ قائلاً مَنْ يعزِلونَ وَمَنْ يَلي
ولا صائحاً كالْعير فى يومِ لَذَّةٍ

ويروى ان ابن الاعرابى كان يقول له ماتقول فى هذا ياأبا العباس ثقة بعلمه وحفظه ولد سنة مائتين وتوفى ليلة السبت لثلاث عشرة بقيت من جمادى سنة احدى وتسعين ومائتين

(١) يحلو لى يصير حلوا .

(المعنى) يقول انه يستثقل وجود الناس معه ويستحلى القفر لخلوه عن الانيس نفرة من شرور العالم

(٢) ابن المعتز هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد العباسى كان أديبا بليغا شاعرا مطبوعا مقتدرا على الشعر قريب المأخذ سهل اللفظ جيد القريحة حسن الابداع للمعانى مخالطا للعلماء والادباء معدودا فى جملتهم وله من التصانيف كتاب الزهر والرياض وكتاب البديع وكتاب مكاتبات الاخوان بالشعر وكتاب الجوارح والصيد وكتاب اشعار الملوك الى غير ذلك ومن شعره

والبدر فى أفق السماء كدرهم   ملقى على ديباجة زرقاء

وقد جرت له الكائنة فى خلافة المقتدر واتفق معه جماعة من رؤساء الاجناد ووجوه الكتاب فخلعوا المقتدر يوم السبت لعشر بقين من شهر ربيع الاول سنة ست وتسعين ومائتين وبايعوه فتحزب اصحاب المقتدر واعوانه وحاربوا أعوان ابن المعتز وشتتوهم وأعادوا المقتدر الى دسته

يُنَاظِرُ فى تَفضِيلِ عثْمانَ أوْ عَلِي
وَلكِنَّهُ فِيما عَنَاهُ وَسَرَّهُ
وَعن غيْرِ مَا يعنِيه فَهُوَ بِمعزلِ

وَانْ شِئْنا حَدَّثنا أفْلاطُونُ [٢] . وَنادَمَنَا ابنُ زَيْدُونٍ [٢] . وَعاَجَلْنا بِقرَاطُ .

واختفى ابن المعتز فى دار ابن الجصاص التاجر الجوهرى فأخذه المقتدر وسلمه الى مؤنس الخادم فقتله وسلمه الى أهله ملفوفاً فى كساء ودفن فى خرابة بازاء داره ولد سنة سبع وأربعين ومائتين وتوفى سنة ست وتسعين ومائتين

(١) عثمان هو عثمان بن عفان أحد الخلفاء الاربعة الراشدين . على هو على بن أبى طالب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج البتول وأحد الخلفاء الاربعة الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين .

(المعنى يقول أنى أروح نفسي بالتنقل من محل لآخر غير سائل عن ملك وغير متطلع الى من يعزل أو يتولى أو أكثر من اللجاج فى المفاضلة بين عثمان وعلى ولكننى أنغمس فى مايهمنى ويسرنى

(٢) أفلاطون هو فيلسوف من أشهر فلاسفة اليونان ولد فى أثينا وكان ينمو ويتقدم بالاوصاف والاخلاق الجليلة فكان ثاقب الفكر غزير المادة واسع العقل ثابته بصيرا حاد الذهن مولعاً بعلم الهندسة قد اتقن الفنون واشتغل بالتصوير والموسيقى ثم أنصب على الشعر ونظم فى بعض أنواعه ولما رأى أن شعره لا يماثل شعر هوميروس طرح فى النار كل ما كان قد نظمه ثم جاء مصر وتعلم من الكهنة التعاليم القديمة التى كان المصريون يفتخرون بها وكانت فلسفته غامضة جدا والظاهر أنه كان يحاول ستر أفكاره الحقيقية تحت برقع سميك ولذلك أخذ الفلاسفة والعلماء فى حل رموزها دهرا فأفلاطون قد صرف قسما كبيرا من حياته فى انشائها ولما توفى أفلاطون طويلا على أن أقام الاثينيون وتلاميذه لجنازته احتفالا عظيما ونصبوا له تماثيل وأقاموا له مذابح وصنعوا له ايقونات لحفظ هيئته — ابن زيدون هو ابو الوليد احمد بن عبدالله بن غالب بن زيدون المخزومي الاندلسى القرطبى كان من أبناء وجوه الفقهاء بقرطبة وقد برع فى الادب

وَوَعَظَنَا سُقْرَاطُ

وَلِي دُونَكُمْ أَهْلُونَ سِيدٌ عَمَلَّسٌ
وَأَرْقَطُ زَهْلُولٌ وَعَرْفَاءُ جَيْأَلُ
هُمُ الأَهْلُ لا مُسْتَوْدَعُ السِّرِّ ذَائِعٌ
لَدَيْهِمْ وَلا الجَانِي بِمَا جَرَّ يُخْذَلُ

* * *

أَيَّامُنَا فِي ظِلالِهِمْ أَبَداً
فَصْلُ رَبِيعٍ وَدَهْرُنَا عُرْسُ ٣

ونظم الشعر الرقيق الجيد ثم انتقل الى المعتضد صاحب أشبيلية فجعله من خواصه وكان معه فى صورة وزير ومن شعره قوله

بيني وبينك مالوشئت لم يضع ... سر اذا ذاعت الاسرار لم يذع
يابائعاً حظه منى ولو بذلت ... لى الحياة بحظى منه لم أبع

ومن شعره قصيدته النونية التى مطلعها

تكاد حين تناجيكم ضمائرنا ... يقضى علينا الاسى لولا تأسينا
حالت لبعدكم أيامنا فغدت ... سوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا

وكانت وفاته فى سنة ثلاث وستين وأربعمائة بمدينة أشبيلية

(١) بقراط طبيب من أطباء اليونان . سقراط حكيم من أشهر حكمائهم

(٢) السيد الذئب . عملس الذئب الخبيث . الارقط النمر . الذهلول الاملس لكثرة شعر رقبته . العرفاء الضبع . الجيأل الانثى من الضبع

(المعنى) يقول أن لى فى العزلة أهلا سواكم من الوحوش الضارية فان سرى لا يذاع لديهم ولا يخذلونى فى الشدة

(٣) (المعنى) يقول ان أيامي التى أقضيها فى العزلة كأنها فصل ربيع ودهرى كله عرس

يَدْعُونِى السَّيِّدُ دَامَ عُلَاهُ . وَكُبِتَ عِدَاهُ . أنْ أهْجُرَ الدَّسَاكِرَ . وأسْكُنَ الحَوَاضِرَ [١] . وأتْرُكَ تِلْكَ التِّلَاعَ وَالأَيْفَاعَ . وَأُقْبِلَ عَلى الاجْتِمَاعِ [٢] . قدْ كانَ ذَلِكَ قَبْلَ اليَوْمِ . (ألا مَنْ يَشْتَرِى سَهَراً بِنَوْمٍ [٣]) كيْفَ بَعْدَ النَّجَارِبِ الرُّجُوعُ .

---

(١) كبت صرع . الدساكر جمع دسكرة وهى القرية العظيمة . الحواضر جمع حاضرة وهو خلاف البادية

(٢) التلاع جمع تلعة وهى ماعلا من الارض . الايفاع جمع ايفع وهو التل المشرف

(٣) المعنى يقول ان فى العزلة الراحة وفى الاجتماع التعب فلا يستبدل احد الراحة بالتعب (فمن يشترى سهرا بنوم) وهذا مثل عربى وأول من قاله ذورعين الحميرى وذلك ان حمير تفرقت على ملكها حسان وخالفت امره لسوء سيرته فيهم ومالوا الى أخيه عمرو وحملوه على قتل أخيه حسان وأشاروا عليه بذلك ورغبوه فى الملك ووعدوه حسن الطاعة والموازرة فنهاه ذورعين من بين حمير عن قتل أخيه وعلم أنه ان قتل أخاه ندم ونفر عنه النوم وانتقض عليه اموره وانه سيعاقب الذى أشار عليه بذلك ويعرف غشهم له فلما رأى ذورعين انه لا يقبل ذلك منه وخشي العواقب قال بيتين وكتبهما فى صحيفة وختم عليها بخاتم عمرو وقال هذه وديعة لى عندك الى ان أطلبها منك فاخذها عمرو فدفعها الى خازنه وأمره برفعها الى الخزانة والاحتفاظ بها الى أن يسأل عنها فلما قتل أخاه وجلس مكانه فى الملك منع منه النوم وسلط عليه السهر فلما اشتد ذلك عليه لم يدع باليمن طبيبا ولا كاهنا ولا منجما ولا عرافا ولا عائفا الا جمعهم ثم اخبرهم بقصته وشكا اليهم ما به فقالوا له ماقتل رجل اخاه أو ذا رحم منه على نحو ماقتلت اخاك الا أصابه السهر ومنع عنه النوم فلما قالوا له ذلك اقبل على من كان أشار عليه بقتل أخيه وساعده عليه من اقيال حمير فقتلهم حتى أفناهم فلما وصل الى ذورعين قال له ايها الملك ان لى عندك براءة مما تريد ان تصنع بى قال وما براءتك او أمانتك قال مر خازنك ان يخرج الصحيفة التى استودعتكها يوم كذا وكذا فامر خازنه فاخرجها فنظر الى خاتمه عليها ثم فضها فاذا فيها

الامن يشترى سهرا بنوم ... سعيد من يبيت قرير عين

فاما حمير غدرت وخانت ... فمعذرة الاله لذى رعين

(إِنَّ المُعَافَى غَيْرُ مَخْدُوعٍ ١) . دَعِ النَّفْسَ وَشَأْنَهَا . أَعْمَرْتَ أَرْضًا لَمْ تُلْسْ حَوْذَانُهَا ٢) . إِذَا تَرَكْتُ العُزْلَةَ . فَمَنْ أَقْصِدُ بِالنِّقَاةِ ٣
كُلُّ رَئِيسٍ بِهِ مَلَالٌ

ثم قال ايها الملك قد نهيتك عن قتل أخيك وعلمت انك ان فعلت ذلك اصابك الذى قد أصابك فكتبت هذين البيتين براءة لى عندك مما علمت انك تصنع بمن اشار عليك بقتل اخيك فقبل ذلك منه وعفا عنه واحسن جائزته . يضرب لمن غمط النعمة وكره العافية

(١) (ان المعافى غير مخدوع) هذا مثل عربى يضرب لمن يخدع فلا ينخدع والمعنى ان من عوفى مما خدع به لم يضره ما كان خودع به . واصله ان رجلا من سليم يسمى قادحا كان فى زمن امير يكنى ابا مظعون وكان فى ذلك الزمن رجل آخر من بنى سليم ايضا يقال له سليط وكان علق امرأة قادح فلم يزل بها حتى اجابته وواعدته فاتى سليط قادحا وقال انى علقت جارية لابى مظعون وقد واعدتنى فاذا دخلت عليه فاقعد معه فى المجلس فاذا اراد القيام فاسبقه فاذا انتهيت الى موضع كذا فاصفر حتى أعلم بمجيئكما فآخذ حذري ولك كل يوم دينار فخدعه بهذا وكان ابو مظعون آخر الناس قياما من النادى ففعل قادح ذلك وكان سليط يختلف الى امرأته فجرى ذكر النساء يوما فذكر أبو مظعون جواريه وعفافهن فقال قادح وهو يعرض بابى مظعون رب غافر الواثق وخدع الوامق وكذب الناطق وملت العاتق ثم قال

لا تنطقن بامر لا تيقنه يا عمرو ان المعافى غير مخدوع

وعمرو اسم أبى مظعون فعلم عمرو أنه يعرض به فلما تفرق القوم وثب على قادح فخنقه وقال اصدقنى فحدثه قادح بالحديث فعرف ابو مظعون ان سليطا قد خدعه فاخذ عمرو بيد قادح ثم مر به على جواريه فاذاهن مقبلات على ما كان به لم يفقد منهن واحدة ثم انطلق آخذا بيد قادح الى منزله فوجد سليطا قد افترش امرأته فقال لها بو مظعون ان المعافى غير مخدوع تهكما بقادح فاخذ قادح السيف وشد على سليط فهرب فلم يدركه ومال الى امرأته فقتلها

(٢) (اعمرت ارضا لم تلس حوذانها) هذا مثل عربى يضرب لمن يحمد شيئا قبل التجربة واللوس الاكل والحوذان بقلة طيبة الرائحة والطعم . واعمرتها وصفتها بالعمارة

(٣) (المعنى) يقول بعد كل ذلك فمن أقصد اذا تركت العزلة والناس على ما ذكرت

وَكلٌّ رأسٍ بهِ صُدَاعٌ [٢]

والقومُ شرٌّ فلا يسُرُّكَ إنْ بَسَطُوا

لكَ الوُجُوهَ ولا يحزُنْكَ إنْ عَبَسُوا [٢]

أأَفعالُ ذلكَ . وأقطعُ تلكَ المسالكَ رَغبةً في حِوارٍ . حاكمٍ ديوانٍ . أو جَوارٍ . صُحْبانَ وَخِلانٍ . أم لمنافسةِ أبناءِ السآمةِ . أم مُلابسةِ هذهِ العامَّةِ . أمَّا الحاكِمُ فأكثرُ ما لقيتُ أمرُؤ إنْ أُونِسَ تكبَّرَ . وإنْ أُوحِشَ تكدَّرَ . وإنْ قُصِدَ تخلَّفَ . وإنْ تُرِكَ تكلَّفَ [٤] . إمَّعٌ . لا يضرُّ ولا ينفعُ . قُبَّةٌ جَوفاءُ تُرَدِّدُ ما يلقى فيها منَ النَّغَمِ . إنْ لا فلا أو نعمْ فنعمْ . ألقابٌ وأكاليلُ . على شخصٍ في مَرسَحِ التَّمثيلِ . فإنْ طرحتَ الالقابَ . ونزعتَ هاتيكَ الثِّيابَ . ألفيتَ تحتَها العَجَبَ العُجابَ [٥]

والاختلاط معهم مجلبة للهم والكدر

(١) (المعنى) يقول أما الرئيس فانه ملول وأما الناس فان صداع الهموم الذى ملك رؤسهم ينفرنى من الاختلاط معهم

(٢) (المعنى) يقول لا يغتر المرء بالناس ماداموا اشراراً سواء بسطوا له الوجوه أو قطبوها

(٣) حوار مراجعة الكلام . صحبان مع صاحب . المنافسة المباراة . السامة الخاصة من الناس . الملابسة المخلطة

(٤) (المعنى) يقول أما الحاكم فانه فى القرب منه متكبر وفى البعد عنه متكدر واذا قصده المرء فى شيء تخلف عن قضائه واذا تركه تكلف

(٥) الامع والامعة الرجل الذى يتبع كل أحد على رأيه ولا يثبت على شيء والجمع أمعون . الجوفاء الواسعة . الاكاليل جمع اكليل وهو التاج . مرسح التمثيل هو محل تمثل فيه وقائع ملوك مضت وأشباهها فيلبس فيه الممثل لشخص الوزراء والرؤساء البستهم

أَبا الأَسْمَاءِ وَالأَلْقَابِ فِيكُمْ
يُنَالُ المَجْدُ وَالشَّرَفُ اليَفَاعُ [١]

لا عُدَّةَ وَلا عَدَدَ . وَمُلْكٌ أَقَامَهُ اللهُ بِلا رِجَالٍ كَمَا رَفَعَ السَّماءَ بِغَيرِ عَمَدٍ [٢].

وَيُقْضَى الأَمْرُ حِينَ تَغِيبُ عَبْسٌ
وَلا يُسْتَأْذَنُونَ وَهُمْ شُهُودُ [٣]

مَنٌّ وَلا مُنَّةٌ . (كالمُهَدَّرِ فِي العُنَّةِ) . وَأَعْوَانٌ وَخُدَّامٌ . وحِجَابٌ كَحِجَابِ أَبِي تَمَّامٍ

عَلَى سَرِيرٍ كالنَّعْشِ لا رَهَبٌ
يَعْلُوهُ مِنْ هَيْبَةٍ وَلا رَغَبٌ [٤]

(المعنى) يقول أن الكثير من الحكام ليس لهم رأى فهم يرددون مايلقى فى آذنهم من أمر ونهى فمثلهم كمثل الصدى الذى يرجع صوت الصائح اذا صاح فى قبة او غرفة واسعة أو نحو ذلك بل مثلهم مثل الحكام الذين يظهرون فى مرسح التمثيل فهم سذج فى ثياب رؤساء فان نزعت عنهم ثيابهم لاتجد تحتها أمراً عظيما

(١) (المعنى) يقول أن الالقاب والاسماء لاتنول الانسان مجداً وشرفاً عظيما

(٢) العدة الاستعداد . العمد جمع عماد كأهب جمع أهاب ويشير بذلك الى قول الله تعالى (الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها) وتفسير الآية ان الله جلت قدرته رفع السماء بغير عمد ترونها أى لها عمد فى الحقيقة الا أن تلك العمد هى قدرة الله تعالى وتدبيره وابقاؤه اياها فى الجو العالى وانهم لايرون ذلك التدبير ولا يعرفون كيفية ذلك الامساك

(٣) (المعنى) يقول أن هؤلاء الرؤساء لا نهى لهم ولا أمر فان الامر يقضى فى غيابهم ولا يستأذنون فى حضورهم

(٤) المن الانعام من غير تعب ولا نصب . المنة القوة . (المهدر فى العنة) المهدر الجمل

له هدير . والعنة مثل الحظيرة تجعل من الشجر للابل وربما يحبس فيها الفحل عن الضراب ويقال لذلك الفحل المعنى وأصله المعنن من العنة فابدلت احدى النونين ياء كما قال تظنى قال الوليد ابن عتبة لمعاوية

قطعت الدهر كالسدم المعنى　　تهدر في دمشق فما تريم

والسدم الفحل غير الكريم يكره أهله ان يضرب في ابلهم فيقيد ولا يسرح في الابل رغبة عنه فهو يصول ويهدر . وهذا مثل عربي يضرب للرجل لا ينفذ قوله ولا فعله . حجاب ابي تمام يريد قوله

هب من له شيء يريد حجابه　　مابال لا شيء عليه حجاب
مازال وسواس لقلبي خادعا　　حتى رجا مطرا وليس سحاب
ما ان سمعت ولا أراني سامعا　　يوما بصحراء عليها باب
ما كنت أدري لا دريت بانه　　يجري بافنية البيوت سراب

وقال اعرابي في الحجاب

لعمري لئن حجبتني العبيـ　　ـد لبابك ماتحجب القافيه
سارمي بها من وراء الحجا　　ب فيعدو عليك بها داهيه
تصم السميع وتعمى البصيـ　　ـر ويسئل من مثلها العافيه

والحجاب عادة قديمة متبعة عند ملوك الاعصر الاول وذلك للفارق بين العظيم والحقير والملوك والسوقة . لان اختلاط الملوك بالرعية مما يضيع المهابة لهم من نفوس رعاياهم ويذهب بالعظمة والجلال الذين يراها العامة في ملوكهم ورؤسائهم ولا نقصد بهذا الحجاب ذلك الحجاب الكثيف المتلبد الذي اتخذه بعض ملوك الاسلام قديما والذي وقفت دونه أصوات المتظلمين واصطك به صراخ الشاكين وانما نقصد به ان يكون متوسطا قصدا الا امتناع ولا بتذال فالنداء يبلغ مسامع الملك والرعية تهابه على بعد . فهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع انه فاتح الدولتين وثال العرشين عرش الاكاسرة وعرش القياصرة كان يتفقد بنفسه أحوال الرعية ويختلط بهم الاختلاط التام ولكن كان ذلك والاسلام غض والدين متمكن من نفوس العامة

الرهب الخوف الرغب الارادة بالحرص

إِلَى تِيهٍ وخُيلاءَ . وَعَنْجَهِيَّةٍ وَكِبْرِيَاءَ . كأنَّهُ جَاءَ بِرَأْسِ خَاقَانَ . أَوْ أَدَالَ دَوْلَةَ بَنِي مَرْوَانَ ¹ . أَوْ أَنَّ الإِيوَانَ دَارُهُ . والهَرَمين آثَارُهُ ¹ . وَعِصَامَ بْنَ شَهْبَرٍ حَاجِبُهُ . وَعَمْرَو بْنَ بَحْرٍ كَاتِبُهُ ³ . وَالحَجَّاجَ غُلامُهُ

---

(١) الخيلاء العجب والكبر . العنجهية الجهل والحمق . خاقان هذا مثل عربي و نصه أبأى ممن جاء برأس خاقان — وخاقان هذا كان رجلا ملكا من ملوك الترك خرج من ناحية باب الابواب وظهر على ارمينية وقتل الجراح بن عبد الله عامل هشام بن عبد الملك عليها وغلظت نكايته فى تلك البلاد فبعث هشام اليه سعيد بن عمرو الجرشي وكان مسلمة صاحب الجيش فاوقع سعيد بخاقان فغض جمعه واحتز رأسه وبعث به الى هشام فعظم اثره فى قلوب المسلمين وفخم أمره ففخر بذلك حتى ضرب به المثل . أدال نزع والذى ادال دولة بنى مروان هو ابو مسلم الخراسانى ومكن فى محلها الخلافة العباسية

(٢) الأيوان هو أيوان كسرى المشهور . الهرمين هما هرما مصر وقد تقدمت ترجمتهما فى موضع آخر من هذا الكتاب

(٢) عصام بن شهبر هو عصام بن شهبر حاجب النعمان الذى ضرب به المثل بقولهم ماوراءك ياعصام واول من قال ذلك النابغة الذبيانى وكان النعمان مريضا وقد أرجف بموته فسأل النابغة عن حال النعمان فقال ماوراءك ياعصام ومعناه ماخلفت من أمر العليل أو ماامامك من حاله — وعمرو بن بحر هو ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى الليثى المعروف بالجاحظ البصرى صاحب التصانيف فى كل فن كان فصيحا بليغا كاتبا مجيدا وكان من أئمة المعتزلة وهو تلميذ أبى اسحاق النظام قال أبو سعيد الجنديسا بورى سمعت الجاحظ يصف اللسان فقال . هو اداة يظهر به البيان وشاهد يعبر عن الضمير وحاكم يفصل الخطاب وناطق يرد الجواب وشافع يدرك به الحاجة وواصف تعرف به الاشياء وواعظ ينهى عن القبيح ومعزى يرد الاحزان ومعتذر يدفع الضغينة وملهى يونق الاسماع وزارع ينبت المودة وحاصد يستأصل العداوة وشاكر يستوجب المزيد ومادح يستحق الزلفة ومونس يذهب الوحشة . وكانت وفاة الجاحظ فى شهر المحرم سنة خمس وخمسين ومائتين فالبصرة وقد نيف على التسعين

وَالْحَماسَةَ كَلامُهُ [١] . رُوَيْدَكَ رُبَّما عَلَتِ الْجِيَفُ . وَانْحَطَّ الدُّرُّ فى الصَّدَفِ .
وَارْتَفَعَ فِى الْمِيزَانِ . جانِبُ النُّقْصَانِ [٢] . على أنَّ الإِنْسَانَ . اذَا لم يكُنْ
فيهِ غَيرُ جُثْمَانٍ . فَكُلَّمَا علا يَصْغُرُ . لمنْ يَنْظُرُ [٣] وَرُبَّما حَسَّنَ الافَنُ .
تَعْظِيمَ الْوَثَنِ [٤]

عَبُوسٌ اذَا حَيَّيْتَهُ بِتَحِيةٍ

---

(١) الحجاج هوا الحجاج بن يوسف وقد تقدمت ترجمته فى موضع آخر من هذا الكتاب الحماسة هو الكتاب الذى جمع فيه أبو تمام الجيد من أشعار العرب وقسمه على عشرة أبواب وهو كتاب مفيد جداً لان جميع مافيه من الشعر الجيد المنتقى

(٢) رويدك أصل رويد مصدراً رود مصغراً تصغير الترخيم بطرح جميع الزوائد تقول رويداً أى مهلا وانما تلحقه الكاف لتبيين المخاطب فيكون حينئذ بمعنى افعل اى امهل ولهم فى رويد أربعة أوجه اسم للفعل وصفة وحال ومصدر فالاسم نحو قولك رويد عمرا أى أرود عمراً بمعنى أمهله والصفة نحو قولك ساروا سيراً رويداً و الحال نحو قولك سار بالقوم رويداً اتصل بالمعرفة صار حالا لها والمصدر نحو قولك رويد عمرو بالاضافة ويقال رويدكنى ورويد كنى ورويد كانى ورويد كمونى ورويد كنى والمفعول فى جميعها الياء والجيف جمع جيفة وهى الجثة المنتنة

(المعنى) يقول لا تتكبر لانك ان علوت فى هذا الزمان فقد تعلوا الجيف ويغوص الدر فى الماء وكذلك الميزان ترتفع منه الكفة الغير راجحة

(٣) الجثمان الجسم

(المعنى) يقول ان المرء ان لم يكن فيه فضل ولا أمور معنوية بل لو لم يكن فيه غير شخصه وجثمانه فهو كلما علا صغر فى النظر وكذلك جميع الاجسام

(٤) الافن ضعف الراى . الوثن الصنم

(المعنى) يقول انك ان وجدت من الناس احتراما لك فلا بدع فى ذلك فان العقل الضعيف يعظم الوثن بل يعبده عبادة من دون الله

فيالكِ من كِبْرٍ ومن منْطِقٍ نزْرٍ [١]

مَاأحْوَجَ المُلْكَ الى مَطْرَةٍ
تَغْسلُ عَنْهُ وَضَرَ الزّيْتِ [٢]
كَما حَرَبَتْ بَرَاعيها نُميرٌ
وَجَرَّ على بَنى أسَدٍ يَسارُ [٣]

---

(١) النزر القليل

(المعنى) يقول انك اذاحييته بتحية تلقاه عبوساً وترى منه كبراً جماً وكلاماً قليلاً نزراً. والكبر آفة من الآفات الخطيرة التى تودى بالانسان فى حياتيه الحياة الدنيا والحياة الاخرى فانه فى الاولى يعيش منكداً مهتماً ساخطاً على الكون ومافيه وفى الثانية يلاقى من ربه جزاء ما كسبت يداه قيل لعبد الله بن ظبيان كثر الله فى العشيرة من أمثالك فقال لقد سألتم الله شططاً وقيل لرجل متكبر الاتلبس فان البرد شديد فقال حسبى يدفينى فانظر الى هذين الرجلين كيف قد ملأهما الكبر فان الاول خرج به كبره عن دائرة الايمان وأثبت لله العجز فى ايجاده مثله والثانى أقام من الخيال حقيقة وأوجد من العرض جوهراً وصور له كبره أن الحسب رداء سميك يقيه صبارة الشتاء

(٢) البيت للقاضى أحمد ابن دؤاد يهجوا به الوزير بن الزيات وكان قد هجاه بقصدة فبلغ ذلك احمد بن أبى دؤاد فقال

أحسن من سبعين بيت هجا جمعك معناهن فى بيت
ما أحوج الملك الى مطرة تغسل عنه وضر الزيت

(١) الراعى هو عبيد بن حصين المكنى أبا جندل والراعى لقب غلب عليه لكثرة وصفه للابل وجودة نعته اياها وهو شاعر فحل من شعراء الاسلام وكان مقدماً مفضلاً حتى اعترض بين جرير والفرزدق فاستكفه جرير فابى أن يكف فهجاه ففضحه وهجا قبيلته وكان يقضى للفرزدق على جرير ويفضله عليه وكان للفرزدق وللراعى الابل وجلسائهما حلقة بأعلى المربد بالبصرة يجلسون فيها فخرج جرير ذات يوم فاذا بالراعى وقد ركب بغلة وجندل ابنه يسير وراءه راكباً مهراً أحوى

محذوف الذنب وانسان يمشى معه فقال جرير للراعى مرحبا بك يا ابا جندل وضرب بشماله على معرفة بغلته ثم قال يا ابا جندل ان قولك يستمع وانك تفضل على الفرزدق تفضيلا قبيحا وانا امدح قومك وهو يهجوهم وهو ابن عمى وليس منك ويكفيك ان تقول اذا ذكرنا كلاهما شاعر كريم فلم يجبه بكلمة واذا بجندل ابنه قد جاء ورفع كرمانية معه فضرب عجز بغلة جرير ثم قال لابيه اراك واقفا على كلب بنى كليب كانك تخشى منه شراً او ترجو منه خيراً وضرب البغلة ضرباً شديداً فزحمت جريراً زحمة وقعت منها قلنسوته فقال الراعى لابنه لقد طرحت قلنسوته طرحة مشؤومة فانصرف جرير مغضباً حتى اذا حل العشاء ومنزله فى علية قال ارفعوا الى باطية من نبيذ وسراجاً فأتوه بما طلب فما زال يهيم حتى كان السحر فاذا هو يكبر قد قالها ثمانين بيتاً فلما بلغ الى قوله

فغض الطرف انك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

فذاك حين كبر فلما اصبح رأى الناس قد اجتمعوا بالمربد ثم قال للراعى أبعثك نسوتك تكسبهن المال بالعراق والذى نفس جرير بيده لتؤوين اليهن عير يسؤهن ولا يسرهن ثم اندفع فى القصيدة فأنشدها فنكس الفرزدق رأسه واطرق الراعى حتى اذا فرغ منها سار فوثب الراعى الى اصحابه وقال ركابكم ركابكم فليس لكم هاهنا مقام فضحكم والله جرير فقال له بعضهم شؤمك وشؤم ابنك جندل وساروا من يومهم سيراً حثيثاً حتى اذا كانوا بالشريف وهو اعلى دار بنى نمير فحلف الراعى انهم وجدوا فى اهلهم قول جرير

فغض الطرف انك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

فكان شوماً لنفسه وعاراً لقومه . وجر على بنى اسد يسار يشير الى ماجر يسار على بنى أسد من هجوز هير اباهم وذلك ان الحارث بن ورقاء الصيداوى من بنى أسد اغار على عبد الله بن غطفان فغنم فاستاق ابل زهير وراعيها يسار فقال زهير

بان الخليط ولم يأووا لمن تركوا وزودوك اشتياقاً أية سلكوا

وهى طويلة يقول فيها

تعلمنها لعمر الله ذا قسما فاقدر بزرعك وانظر اين تنسلك
لئن حللت بجو فى بنى اسد فى دين عمرو وحالت بيننا فدك

يُدَبِّرُ سَيْفُهُ أَمْرَهَا وَلَقِيطُ [1]

***

وَأَمَّا الأخلاء . وَالصَّحْبُ وَالسُّجَرَاءُ . فَحَسْبُكَ مِنْ رَجُلٍ عَوْنٍ فِي كُلِّ أمرٍ لَم تُرِدْهُ . وَنَصِيرٍ فِي كُلِّ مَطْلَبٍ لَم تَقْصُدْهُ [2] فَإِنْ عَرَضَ لَكَ بَعْضُ الحاجِ . فَالْعَلَوِيُّ يَسْتَرْفِدُ الحجَّاجَ مَاءً . يَتَلَوَّنُ بِأَلْوَانِ الانَاءِ . وَنِيلُوفَرُ يَدُورُ مَعَ الشَّمْسِ فِي

ليأتينك مني منطق قذع   باق كما دنس القبطية الودك

فلما انشد هذا الشعر بعث الغلام الى زهير فلم يلتفت اليه فلما انشد قوله

تعلم ان شر الناس حي   ينادى فى شعارهم بسار
ولولا عسبة لرددتموه   وشر منيحة عسب معار

فرده عليه فلامه قومه وقالوا له اقتله ولا ترسل به اليه فابى عليهم فارسله اليه فمدحه بمديح مشهور فقال الحارث لقومه ايما اصلح مافعلت اوما اردتم قالوا بل مافعلت

(١) (المعنى) يقول هانت على الله امة يدير هاويدير شؤونها حاكم لا معرفة له بسياسة الامم ونظام الحكومات

(٢) السجراء الاصحاب

(المعنى) يقول اما الاصحاب والاخوان فانهم عون على رزايا الدهر ونصراء اذا لم تكن لك حاجة ولقد اكثر الشعراء فى وصف الاخوان فمن ذلك قول ابى الاسود

بليت بصاحب ان ادن شبرا   يزدنى فى تباعده ذراعا
ابت نفسى له الا اتباعا   وتأبى نفسه الا امتناعا
كلانا جاهد أدنو وينأى   فذلك مااستطعت وما استطاعا

وقال اوس بن حجر

وليس أخوك الدائم العهد بالذى   يذمك ان ولى ويرضيك مقبلا
ولكنه النائى اذا كنت آمنا   وصاحبك الادنى اذا الامر أعضلا

وقال ربيع بن أبى الحقيق اليهودى

يرمى الى باطراف الهوان وما كانت ركابى له مرحولة ذللا
انا ابن عمك ان نابتك نائبة واست منك اذا ما كعبك اعتدلا

وقال الاسدى

أحب الفتى ينفى الفواحش سمعه كأن به عن كل فاحشة وقرا
سليم دواعى الصدر لا باسطا اذى ولا مانعا خيرا ولا قائلا هجرا
اذا شئت أن تدعى كريما مكرما اديبا ظريفا عاقلا ماجدا حرا
اذا ماأتت من صاحب لك زلة فكن انت محتالا لزلته عذرا
غنى النفس مايكفيك من سد خلة فان زاد شيئا عاد ذاك الغنى فقرا

وقال رجل من بنى قريع

متى مايرى الناس الغنى وجاره فقير يقولوا عاجز وجليد
وليس الغنى والفقر من حيلة الفتى ولكن احاظ قسمت وجدود
اذ المرء اعيته المروأة ناشئا فمطلبها كهلا عليه شديد
وكائن رأينا من غنى مذمم وصعلوك قوم مات وهو حميد
وان امرءا يمسى ويصبح سالما من الناس الا ماجنى لسعيد

وقال المقنع الكندى

يعاتبنى فى الدين قومى وانما ديونى فى أشياء تكسبهم حمدا
أسد به ماقد أخلوا وضيعوا ثغور حقوق ماأطاقوا لها سدا
وفى فرس نهد عتيق جعلته حجابا لبيتى ثم أخدمته عبدا
وان الذى بينى وبين بنى أبى وبين بنى عمى لمختلف جدا
فان أكلوا لحمى وفرت لحومهم وان هدموا مجدى بنيت لهم مجدا
وان ضيعوا غيبى حفظت غيوبهم وان هم هووا غيى هويت لهم رشدا
وان زجروا طيرا بنحس تمر بى زجرت لهم طيرا تمر بهم سعدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهم وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا
لهم جل مالى ان تتابع لى غنى وان قل مالى لم أكلفهم رفدا
وانى لعبد الضيف مادام نازلا وماشيمة لى غيرها تشبه العبدا

(٤) الحاج الحاجات . العلوى نسبة الى على بن ابى طالب رضى الله عنه

الإِصْبَاحِ وَالإِمْسَاءِ . انْ جَدَدْتَ فَإِلَيْكَ . أَوْشَقِيتَ فَعَلَيْكَ . مَدْحٌ . مَعَ المَادِحِ . وَقَدْحٌ مَعَ القَادِحِ[2]

وَالْقَوْمُ مَنْ يَلْقَ خَيْراً قَائِلُونَ لَهُ
مَا يَشْتَهِي وَلأُمِّ الْمُخْطِيءِ الْهَبَلُ[3]

أَجْسَامٌ مُتَدَانِيَةٌ . وَقُلُوبٌ مُتَنَائِيَةٌ . وَانْ كَانَ خَبَرُسُوءٍ فَحَمَّادُ الرَّاوِيَةُ[4]

(المعنى) يقول ان الصحب اذا كنت فى شدة وكانت لك حاجة لديهم فمثلك معهم مثل العلوى الذى هو من نسل آل البيت حينما يقصد الحجاج الذى هو صنيعة بنى امية وعدو العلويين

(١) النيلوفر نبات لا يورق الا فى الماء وقيل انه تتجه زهرته مع الشمس اينما سارت

(المعنى) يقول ان الاخوان كالماء الذى يتلون بلون الاناء الذى يكون فيه وذلك لنفاقهم وكالنيلوفر الذى يتجه مع الشمس من الصباح الى الغروب

(٢) جددت اى عظمت فى عيون الناس

(المعنى) يقول ان ساعدك الحظ فانت لديهم عظيم وان نالك بعض الشقاء جاؤا باللائمة عليك وان مدحك انسان فهم كذلك وان قدح فيك قادح كانوا اعضاده

(٣) هذا البيت من قصيدة للقطامي الشاعر يمدح بها سليمان بن عبد الملك ومطلعها

انا محيوك فاسلم ايها الطلل ... وان بليت وان طالت بك الطيل
وماهدانى لتسليم على دمن ... بالغمر غيرهن الاعصر الاول

ومنها هذا البيت وبعده

قد يدرك المتانى بعض حاجته ... وقد يكون مع المستعجل الزلل
وربما فات قوماً جل امرهم ... من التوانى وكان الحزم لوعجلوا
والعيش لاعيش الا ماتقر به ... عين ولاحال الاسوف تنتقل

(٤) (المعنى) يقول ان هؤلاء الاخوان ترى اجسامهم متدانية فى مجتمعاتهم ومحال سمرهم ولكن قلوبهم متباعدة وان اصابك سوء اذاعوه وورى بحماد الراوية لانه كان من اكبر رواة الشعر وحماد الراوية هذا هو ابو القاسم حماد بن ابى ليلى المعروف بالراوية كان من اعلم الناس بايام العرب واشعارها واخبارها وانسابها ولغاتها وهو الذى جمع السبع الطوال وكانت ملوك بنى أمية تقدمه

حَدِّثْ عَنِ البَحْرِ وَلاَ حَرَجَ . ما أُذَنَهُ فِي ظَاهِرٍ مُسْتَقِيمٍ وَبَاطِنٍ مُعْوَجٍّ (١)

وتوثره وتستزيره فيفد عليهم وينال منهم ويسألونه عن أيام العرب وعلومها قال له الوليد بن يزيد الاموي يوماً وقد حضر مجلسه بم استحققت هذا الاسم فقيل لك الراوية فقال بأني اروى لكل شاعر تعرفه ياامير المؤمنين او سمعت به ثم أروى لاكثر منهم ممن تعترف انك لا تعرفه ولا سمعت به ثم لا ينشدني احد شعراً قديماً ولا محدثاً الا ميزت القديم من المحدث فقال فكم مقدار ما تحفظ من الشعر قال كثير ولكنني انشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الاسلام قال سأمتحنك في هذا ثم امر بالانشاد فانشد حتى ضجر الوليد ثم وكل به من استحلفه ان يصدقه عنه ويستوفي عليه فانشده الفين وتسعمائة قصيدة للجاهلية واخبر الوليد بذلك فامر له بمائة الف درهم. وارسل اليه هشام بن عبد الملك يستدعيه الى دمشق فلما وصل اليه قال اتدرى فيم بعثت اليك قال لا قال بعثت اليك بسبب بيت خطر ببالى لا اعرف قائله قال وما هو قال

ودعوا بالصبوح يوماً فجاءت　　قينة في يمينها ابريق

فقال يقوله عدى بن زيد العبادى في قصيدة فقال انشدنيها فانشده

بكر العاذلون في وضح الصبـ　　ـح يقولون لى أما تستفيق

ويلومون فيك ياابنة عبد الـ　　ـله والقلب عندكم موثوق

لست ادرى اذا أكثروا العذل فيها　　اعدو يلومني ام صديق

قال حماد فانتهيت فيها الى قوله

ودعوا بالصبوح يوماً فجاءت　　قينة في يمينها ابريق

قدمته على عقار كعين الد　　يك صفى سلافها الراووق

مزة قبل مزجها فاذا ما　　مزجت لذ طعمها من يذوق

وطفا فوقها فقاقيع كاليا　　قوت حمر يزينها التصفيق

ثم كان المزاج ماء سحاب　　لا صرى آجن ولا مطروق

فطرب هشام وقال احسنت ووصله بمائة الف درهم واعطاه جاريتين كانتا في حضرة هشام وقت الانشاد وأكرمه كثيراً وكانت ولادة حماد في سنة خمس وتسعين للهجرة ووفاته في سنة خمس وخمسين ومائة

(١) (المعنى) يقول ان الاخوان قد يكون ظاهرهم يوري الصلاح وباطنهم يكن الفساد

لَهُ لُطْفُ قَوْلٍ دُونَهُ كُلُّ رُقْيَةٍ
وَلٰكِنَّهُ فِي فِعْلِهِ حَيَّةٌ تَسْعَى[1]

* * *

وَأَمَّا أَبْنَاءُ السَّامَةِ فَإِنَّ أَحَدَهُمْ غَادَةٌ يَنْقُصُهَا الحِجَابُ . يَنْظُرُ فِي الْمِرْآةِ وَلاَ يَنْظُرُ فِي كِتَابٍ .[2] إِنَّمَا هُوَ لِبَاسٌ . عَلَى غَيْرِ نَاسٍ . كَمَا تَضَعُ الْبَاعَةُ مُبَهْرَمَ الثِّيَابِ . عَلَى الأَخْشَابِ[3]

وَهَلْ يَنْفَعُ الوَشْيُ السَّحِيبُ مُضَلَّلا
وَانْ ذُكِرَتْ فِي القَوْمِ قِيمَتُهُ خِزْيُ[4]

رَمَادٌ تَخَلَّفَ عَنْ نَارٍ . وَحَوْضٌ شُرِبَ أَوَّلُهُ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ غَيْرُ أَكْدَارٍ[5]

فمثلهم كمثل المأذنة وهى منارة المسجد ترى استقامة فى ظاهرها ولكن باطنها معوج لدورة سلمها

(١) (المعنى) يقول انك ترى منه لطفاً فى القول ولكن ان كشفته عن ضميره لوجدته حية تسعى

(٢) السامة الخاصة من الناس . الحجاب الستر

(المعنى) يقول ان ابناء الخاصة من الناس قد ألفوا الترف والنعيم حتى انهم تشبهوا بالنساء فهم الواحد منهم ان ينظر فى المرأة ولا ينظر فى كتاب ليغذى عقله وينمى ذهنه

(٣) (المعنى) يقول ان الثياب التى تراها عليهم ويعجبك لونها انما هى على غير ناس كما تفعل التجر عند عرضها البضاعة لينظر اليها المارة فانها تضع الثياب الفاخرة على تماثيل من خشب بشكل الانسان .

(٤) الوشى نقش الثوب ويكون من كل لون . السحيب المسحوب

(المغنى) يقول هل ينفع هذا الوشى وتلك الثياب الفاخرة على اولئك الناس واذا جرى ذكر الواحد بين قوم كانت قيمته بينهم خزياً وعاراً

(٥) (المعنى) يقول ان ابناء الخاصة ماهم بعد آبائهم الا كالرماد الذى تخلفه النار لا يجدى

آبَاءٌ وَأحْسَابٌ .وَحَالٌ كَشَجَرِ الشَّلْجَمِ أحْسَنُ مَا فِيهِ مَا كَانَ تَحْتَ التُّرَابِ[1]
(تَرَى الفِتْيَانَ كَالنَّخْلِ . وَمَا يُدْرِيكَ مَا الدَّخْلُ)[2] . إلى رَطَانَةٍ بِالْعُجْمَةِ بَيْنَ

نفعاً وكالحوض الذى شرب منه الريق الصافى ولم يتبق منه غير الاكدار

(١) الشلجم اللفت

(المعنى) يقول أن لهم آباءو احساباً كريمة ولكنهم لم يتجملوا بما تجمل به آباؤهم فكان مثلهم كمثل نبت الشلجم وهو اللفت فان ثمره يكون دفيناً تحت التراب وورقه الخالي من الفائدة يكون بادياً لأعين النظارة ويريد بالدفين آباءهم

(٢) (ترى الفتيان كالنخل وما يدريك ما الدخل) هذا مثل عربي يضرب لذي المنظر لاخير عنده والدخل العيب الباطن وأول من قال ذلك عثمة بنت مطرود البجيلية وكانت ذات عقل ورأى مستمع فى قومها وكانت لها أخت يقال لها خود وكانت ذات جمال وميسم وعقل وان سبعة اخوة غلمة من بطن الازد خطبوا خودا الى ابيها فأتوه وعليهم الحلل اليمانية وتحتهم النجائب الفره فقالوا نحن بنو امالك بن عقيلة ذى النحيين فقال لهم انزلوا على الماء فنزلوا ليلتهم ثم أصبحوا اغادين فى الحلل والهيأة ومعهم ربيبة لهم يقال لها الشعثاء كاهنة فمروا بوصيدها يتعرضون لها وكلهم وسيم جميل وخرج أبوها فجلسوا اليه فرحب بهم فقالوا بلغنا أن لك بنتاً ونحن كما ترى شباب وكلنا يمنع الجانب ويمنح الراغب فقال أبوها كلكم خيار فاقيموا نرى رأينا ثم دخل على ابنته فقال ما ترين فقد أتاك هؤلاء القوم فقالت أنكحني على قدري. ولا تشطط فى مهري فان تخطئني أحلامهم. لاتخطئني أجسامهم. لعلي أصيب ولدا. وأكثر عددا. فخرج أبوها فقال أخبروني عن أفضلكم. قالت ربيبتهم الشعثاء الكاهنة اسمع أخبرك عنهم. هم أخوة. وكلهم أسوة أما الكبير فمالك جريء فاتك. يتعب السنابك. ويستصغر المهالك. وأما الذي يليه فالغمر. بحر غمر. يقصر دونه الفخر. نهد صقر. وأما الذى يليه فعلقمة. صليب المعجمة. منيع المشتمة قليل الجمجمة. وأما الذى يليه فعاصم. سيد ناعم. جلد صارم. أبي حازم. جيشه غانم. وجاره سالم. واما الذى يليه فثواب. سريع الجواب. عتيد الصواب. كريم النصاب. كليث الغاب. وأما الذى يليه فمدرك. بذول لما يملك. عزوب عما يترك. يفنى ويهلك. وأما الذى يليه فجندل. لقرنه مجدل. مقل لما يحمل. يعطى ويبذل. وعن عدوه لا ينكل. فشاورت أختها فيهم فقالت أختها عثمة (ترى الفتيان كالنخل. وما يدريك ما الدخل) . اسمعى منى كلمة ان شر الغريبة يعلن. وخيرها يدفن.

الأَعْرَابِ . (أَبْرَدُ مِنَ أَسْتِعْمَالِ النَّحْوِ فِي الحِسَابِ)[١] . (لَوْ كَانَ ذَا حِيلَةٍ لَتَحَوَّلَ) . (وَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ)[٢]

وَقُبْحٌ تَوَاصَوْا بِتَرْكِ البِرِّ بَيْنَهُمْ

انكحى فى قومك ولا تغررك الاجسام فلم تقبل منها وبعثت الى أبيها أنكحنى مدركا فانكحها أبوها على مائة ناقة ورعاتها وحملها مدرك فلم تلبث عنده الا قليلا حتى صبحهم فوارس من بنى مالك بن كنانه فاقتتلوا ساعة ثم أن زوجها واخوته وبنى عامر انكشفوا فسبوها فيمن سبوا فبينما هى تسير بكت فقالوا ما يبكيك أعلى فراق زوجك قالت قبحه الله قالوا لقد كان جميلا قالت قبح الله جمالا لا نفع منه انما أبكى على تصيانى أختى وتوابعها ترى الآتيان كالنخل وما يدريك ما الدخل وأخبرتهم كيف خطبوها فقال لها رجل منهم يكنى أبا نواس شاب اسود أفوه مضطرب الخلق أترضين بى على أن أمنعك من ذئاب العرب فقالت لاصحابه أكذلك هو قالوا نعم انه مع ما ترين ليمنع الحليلة وتتقيه القبيلة قالت هذا أجمل جمال . وأكمل كمال . قد رضيت به فزوجوها منه

(١) الرطانة الكلام بالاعجمية وأبرد من استعمال النحو فى الحساب مثل يضرب لمن يضع الشىء فى غير موضعه

(٢) لو كان ذا حيلة لتحول — هذا مثل عربى وأصله أن رجلا جلس يوما فى بيت وأوقد فيه نارا فاكثر فيه لدخان حتى قتله فقالت امرأته أى فتى قتله الدخان فقال لها رجل لو كان ذا حيلة لتحول أي لو كان عاقلا لتحول من ذلك البيت نسلم أي تحول فى الامر الذي هو فيه يريد لتصرف فيه واستعمل الحيلة — وهل عند رسم دارس من معول هذا عجز بيت من معلقة امرىء القيس التى مطلعها

قفا نبكى من ذكرى حبيب ومنزل	بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها	لما نسجتها من جنوب وشمأل
وقوفاً بها صحبى على مطيهم	يقولون لا تهلك أسى وتجمل
وان شفائى عبرة مهراقة	فهل عند رسم دارس من معول

ومعناه يقول هل عند رسم هذه الدار الدارس من اعتمد عليه او أفزع اليه وهو استفهام انكارى كلا لا معتمد عند رسم دارس

تَقُولُ ذَاشَرُّهُمْ بَلْ ذَاكَ بَل هذَا

مَيْسِرٌ يُلْعَبُ . وَمَالٌ يُسْلَبُ . وَخِدْنٌ يُخْدَعُ . وَكَلْبٌ يَتْبَعُ . وَعِطْرٌ يَنْفَحُ وَفَرَسٌ يَضْبَحُ [٢]

أَبَا جَعْفَرٍ لَيْسَ فَضْلُ الفَتَى
اذَا رَاحَ فِي فضْلِ اعْجَابِهِ
وَلا فِي فَرَاهَةِ بِرْذَونِهِ
وَلا فِي نَظَافَةِ أَثْوَابِهِ [٣]

دُنْيَا مَوْجُودَةٌ . وَنفسٌ مَفْقُودَةٌ . وَعَقْلٌ أَسِيرٌ . وَهَوًي أَمِيرٌ . (اليَومَ خَمْرٌ . وَغَدًا أَمْرٌ) [٤] . فَبَيْنَاهُ غَنِيٌّ يَتَملّكُ . اذَا هُوَ فقِيرٌ يَتَصَعْلَكُ . قُوتٌ .

---

(١) وقح ذوو وقاحة .

(المعنى) يقول انهم قد اتحدوا على ترك البر فلو اردت ان تقول هذا شرهم رأيت الثانى اكثر شراً من الاول وكذلك الثالث فالكل اشرار

(٢) المسير القمار . يضبح الضبح صوت انفاس الخيل عندعدوها

(المعنى) يقول لاهم لهم الاميسر يجتمعون عليه فتضيع بذلك اموالهم اويترددون على محل الفحش فتخدعهم الاخدان اويسيرون فى الطرق وكلابهم تتبعهم والعطر منتشر من اردانهم اواذا أرادوا التنزه خارج المدينة ضبحت خيولهم من العدو

(٣) الفراهة الصبر على السير. البرذون ضرب من الدواب دون الخيل واقدر من الحمر

(المعنى) يقول ليس فضل الفتى ان يتيه عجباً وكبراً ولا فضله ان يمتطى الخيول المسومة ويلبس الاثواب الجدد القشيبة وانما فضله بالعلم والادب

(٤) اليوم خمر وغدا امر — هذا المثل لامرء القيس بن حجر الكندى الشاعر ومعناه اليوم خفض ودعة وغدا جد وشدة وكان ابو امرىء القيس حجر طرد امرء القيس للغزل والشعر وكانت الملوك تأنف من الشعر فلحق امرؤ القيس بدمون من ارض اليمن فلم يزل بها

كَيْلا يمُوت . وَمِنْ إِيوَانِ كِسْرَى الى بَيْتِ العَنْكبوتِ [١]

وَلا يَعْرِفُونَ الشَّرَّ حتّى يُصيبَهمْ
وَلا يَعْرِفُونَ الأَمْرَ إِلاّ تَدَبُّرا [٢]

أَخُزَّانٌ وَمَا أَبْقَيْتَ مَالاً
وَحُجَّابٌ وَقَدْ هُتِكَ الحِجابُ [٣]

***

حتى قتل ابوه فتلته بنو اسد بن خزيمة فجاءه الاعور العجلي فاخبره بقتل ابيه فقال امرؤ القيس

تطاول الليل علينا دمون   دمون انا معشر يمانون
وانا لقوم محبون

ثم قال ضيعني صغيراً وحملني دمه كبيراً اليوم خمر وغدا امر فذهب قوله مثلا .

(المعنى) انهم ينهمكون فى اللذات اليوم ويصبحون فى المصائب غدا

(١) (المعنى) يقول ان احدهم يصبح بعد النعمة فقيراً لا يملك الا القوت وينتقل من القصور الرحيبة الى البيوت الحقيرة التى كأنها بيوت العنكبوت

(٢) (المعنى) يقول انهم غفل لا يحترسون من الشر قبل نزوله بهم ولا يعلمون بالامر الا بعد ادباره اي مضيه

(٣) المعنى يقول اتقيم خزاناً على غير مال وتجعل حجاباً على دارك وهى خالية من الاهل وقد رفع الحجاب — وكل ما تقدم هو تنديد بابناء الخاصة ووصف لحالتهم ولعمرى لقد اجاد السيد المؤلف غاية الاجادة فان الناظر اليهم والمنتقد احوالهم وافعالهم ليحزن كثيراً حينما يرى منهم كل ما وصفه سماحة المؤلف ولقد صدق الشاعر فى قوله

اذا ما رأيت المرأ يقتاده الهوى   فقد ثكلته عند ذاك ثواكله
وقد اشمت الاعداء جهلا بنفسه   وقد وجدت فيه مقالا عواذله
ولن يزع النفس اللجوج عن الهوي   من الناس الا فاضل القوم كامله

ايُّها الرَّجُلُ . وَكلُّكُمْ ذلِكَ الرَّجلُ انَّ المَالَ وَسيلَةٌ لا غَايَةٌ . فإنْ أصبْتَ مِنْهُ الكِفايَةَ . فَقَدْ بَلغْتَ النِّهايَةَ [١]

ذِكْرُ الفَتى عُمرُهُ الثّانِى وَحَاجَتهُ
ماقَاتَهُ وَفُضُولُ العَيْشِ إِشْغَالُ [٢]

لَيسَ لكَ مِنْ عَيشِكَ الاَّ ماأكلْتَ فأفنَيْتَ . وَلَبِسْتَ فأبْليْتَ . وَلَوْ أُفْرِغ

وقال عمرو بن زعبل التميمى

وان عناء ان تفهم جاهلا فيحسب جهلا انه منك افهم
متى يبلغ البنيان يوماً تمامه اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

وقال المتنبى

ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله واخو الجهالة فى الشقاوة ينعم
ومن البلية عذل ما لا يرعى عن جهله وخطاب من لا يفهم

و لقد ابتلى شبابنا فى هذا العصر بحب التقليد فانهم جلبوا ذلك من الفرنج حين رواحهم الى بلادهم حتى قال بعض المصريين (ان من نرسله من ابنائنا للتعليم فى فرنسا يذهب مصرياً ويؤوب فرنساوياً و كأن النقود التى دفعناها هى فرق البدل بين الفرنساوى و المصري)

(١) (المعنى) يقول ياايها الانسان ان المال وسيلة والغاية منه قضاء المصالح به

(٢) هذا البيت من قصيدة لابى الطيب المتنبى يمدح بها اباشجاع فاتك ومطلعها

لا خيل عندك تهديها ولامال فليسعد النطق ان لم تسعد الحال

يقول فيها

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفقر والاقدام قتال
وانما يبلغ الانسان طاقته ما كل ماشية بالرحل شملال
ذكر الفتى عمره الثانى وحاجته ماقاته وفضول العيش اشغال

ومعنى البيت ان الفتى يحيى حياته الثانية فى ذكره فاكتف بالقليل من المال فان ما زاد على ذلك اشغال للفكر وفضول عن الحاجة

ذَنُوبٌ فى كُوبٍ . لَماأخذ إلاَّ مِلأَهُ . وَلا وَسِعَ إلاّ كفاه[١]

عَجِبْتُ لِمَالِكِ القِنْطَارَ من ذَهَبٍ
يبغى الزِّيادَةَ والقيرَاطُ كافيه
وَكَثْرَةُ المال سَاقَتْ للفتى أشَراً
كالذَّيلِ عَثَّرَ عِنْدَ المَشي ضَافِيه[٢]

فَلِمَ هذا الطِّمَاحُ وَالطَّمعُ . وَالاستِكْلابُ وَالجَشَعُ
أنتَ لِلمَال اذَا جَمَّعتَه
وَاذَا أنفقتَهُ فَالمالُ لَكَ[٣]

أتَظُنُّ أنَّ الدِّرْهَمَ حَبِيسٌ فِى مُسْتَقَرٍّ . ان خَرَجَ فَرَّ . ام صدِيقٌ مِنْكَ وَاليك إنْ لَمْ تَحرِصْ عَليه لا يحرِصْ عليك[٤] . او أنَّ بيتَ المَالِ بَيتُ قَرِيضٍ . إن

---

(١) الذنوب الدلو . الكوب كوز مستدير الرأس لاعروة له ولا خرطوم
(المعنى) يقول ليس لك ايها الانسان فى هذه الحياة الا ما يشبع مسغبتك ويوارى جلدتك والافراط مضرة كالوا فرغ دلوا فى كوب لما اخذ ذلك الكوب الا ملأه ولا وسع الا ما يملأ تجويفه (٢) القنطار وزن اربعين اوقية من ذهب . القيراط نصف دانق الاشر البطر . الضافى الزائد

(المعنى) يقول انى لأعجب الا للذى يملك القناطير المقنطرة من الذهب والقيراط الذى هو جزؤ قليل من المال يكفيه ويطلب الزيادة بعد ذلك هلا درى ان كثرة المال ووفرته تورثه البطر كالذى يلبس الثوب ضافياً فانه يتعثر فى هذه الزيادة

(٣) الطماح النظر والاستشراف على الشيء . الاستكلاب اصله للكلب الذى تعود اكل الناس واستعير هنا للرجل الحريص على الدنيا

(٤) (المعنى) يقول انت لاتزال حبيس مالك مادمت عاملا على خزنه وجمعه واما اذا انفقته فى وجوهه فيكون حبيسك

نَقَصَ مِنْهُ حَرْفٌ أَدْرَكَهُ التَّقْوِيضُ . أَوْ أَنَّ شَيْئًا عَلَيْهِ آيَةٌ مِنَ القُرْآنِ . أَوْ صُورَةٌ لِسُلْطَانٍ . حَرِيٌّ أَنْ يَكُونَ تَعْوِيذَةً مِنْ لُجَيْنٍ . تُدَّخَرُ لِدَفْعِ العَيْنِ ٢ . لَيْسَ

---

(١) (المعنى) يقول هل ظننت أن الدرهم سجينك وتخشى عليه الفرار اذا خرج أم هو صديق لك وتخاف ان لم تحرص عليه دائماً يصد وينفر

(٢) حرى جدير . التعويذة الرقية

(المعنى) يقول أم ظننت أن بيت المال بيت من الشعر اذا نقص منه حرف كان مختل الوزن أم حسبت أن هذا الدرهم وقد كتب عليه آية من القرآن أو رسم عليه صورة ملك من الملوك يكن جديراً بان يحفظ ذخيرة لينفع من العين الصائب أو يكون تعويذة تنفع للاسقام والاوجاع . هذا وقد أكثر الشعراء من مدح القناعة وذم البخل

قال يزيد بن الحسن الثقفى

رأيت السخى النفس يأتيه رزقه هنيئاً ولا يعطى على الحرص جاشع
وكم من حريص لن يجاوز رزقه وكم من موفى رزقه وهو وادع

وقال حاتم الطائى

وما أنا بالساعى بفضل زمامها لتشرب ماء الحوض قبل الركائب
وما انا بالطاوى حقيبة رحلها لابعثها خفا وأترك صاحبى
اذا كنت ربا للقلوص فلا تدع رفيقك يمشى خلفها غير راكب
أنخها فاردفه فان حملتكما فذاك وان كان العقاب فعاقب

وقال الحكم ابن عبدل

قد يرزق الخافض المقيم وما شد بعنس رحلا ولاقتبا
ويحرم المال ذو المطية والر حل ومن لايزال مغتربا

والقناعة فضيلة من الفضائل العظيمة التى تحفظ الانسان من الابتذال ومن اراقة ماء الوجه والقنوع مرضى عنه من الله ورسوله والناس وكل امرء قادر على أن يتخلق بهذا الخلق الجميل متى غاب عقله على هواه ولقد صدق أبو ذؤيب فى قوله

والنفس راغبة اذا رغبتها واذا ترد الى قليل تقنع

أَمْ أَرَدْتَ أَنْ تَعِيشَ كَدُودَةِ القَزِّ . أَوْ تَكُونَ كَطِلَّسْمٍ على كَنْزٍ[١] . حتى إِذَا قَضَيْتَ . وَمَضَيْتَ . أَلْقَى بَنُوكَ مَا ثَمَّرْتَ فِى تِلْكَ الهَاوِيَةِ . وماأَدْرَاكَ ما هِيَهْ . نَارٌ حَامِيَةٌ .[٢] . وأَطْعَمَ بَنَاتُكَ . شَحْمَةَ مَالِكَ . لِغَيْرِ آلِكَ

وَأَكْثَرُ النَّسْلِ يَشْقَى الوَالِدَانِ بِهِ
فَلَيْتَهُ كَانَ عَنْ آبَائِهِ دَفَعَا

---

(١) دودة القز دودة الحرير . الطلسم عبارة عن تمزيج القوى السماوية بالقوى الارضية بواسطة خطوط محفوظة

(المعنى) يقول هل أردت أن تكون كدودة الحرير تعطى الحرير لغيرها وهى لا تنتفع منه بل تموت عند ماتظهر ما فى بطنها منه أو قنعت أن تكون كطلسم يحفظ الكنز وليس له

(٢) قضيت هلكت . الهاوية من اسماء جهنم

(المعنى) يقول فاذا مت أهلك أبناؤك ماجمعت ويا ليتهم وضعوه فى محاله بل يلقون به فى هاوية الترف والبذخ ومايدريك بهذه الهاوية هى نار حامية تلتهم ما يرمي فيها فتحيله الى العدم وليس المقصود التزيد فى استثمار المال ولكن تبيان خطأ من يجعل غايته من الحياة جمع المال . وكذلك أغلب من يولد فى النعمة وكثرة المال يكون أميل الى الترف واللهو ولذلك كان أكثر النابغين من أبناء الفقراء . ولو فكر العاقل فى أكثر الابناء ومايحدثون من آلام واسقام لما فرح بمولود أبداً فان الولد متعبة مجبنة كما قيل والمفكر فى قول الله تعالى (أن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم) يري فى هذه الآية راحة لنفسه وتنفيساً لكربه وتخفيفاً لحزنه على تشوقه للولد وقال أبو الطيب المتنبي

وما الدهر أهل أن تؤمل عنده حياة وان يشتاق فيه الى النسل

وقيل لفيلسوف يعق والديه لم تعق والديك فقال لانهما أخرجانى الى عالم الكون والفساد وقال أبو العلاء المعرى

هذا جناه أبى علي ى وما جنيت على أحد

وقيل لاعرابى لم أخرت التزوج الى الكبر قال لابادر ولدى باليتم قبل أن يسبقنى بالعقوق

وَكَمْ سَلِيلٍ رَجاهُ للجَمالِ أَبٌ
فَكانَ خِزْياً بأَعْلَى هَضْبَةٍ رُفِعا[1]

(أَصُوصٌ عَلى صُوصٍ[2]) . (أَلْجَرْعُ أَرْوَى وَالرَّشِيفُ أَنْقَعُ[3]) . (رُبَّ سَاعٍ لِقَاعِدٍ[4]) . (خُذْ مِنْ جِذْعٍ ما أَعْطاكَ[5]) . (جُمَّارَةٌ تُؤْكَلُ

---

(١) شحمة المال لبابه

(المعنى) يقول واما البنات فانهن يطعمن لباب مالك لازواجهن فيكون مالك قد خرج منك الى غير اقربائك ويقول ان اكثر النسل يشقي الوالد ان به فليت ذلك النسل لم يكن فكم من ولد علل نفسه به أبوه وتمنى ان يكون جمالاله في الحياة فكان خزياله وعارا

(٢) (اصوص على صوص) الصوص الناقة الحائل السمينة. والصوص اللئيم قال الشاعر

فألفيتكم صوصا لصوصاً اذا دجا الـ ظلام وهيابين عند البوارق

وهو مثل عربي يضرب للاصل الكريم يظهر منه فرع لئيم

(٣) (الجرع اروي والرشيف انقع) الرشف والرشيف المص للماء والجرع باعه والنقع تسكين العطش أي ان الشراب الذي يترشف قليلا قليلا اقطع للعطش وانجع وان كان فيه بطء وقوله أروي أي اسرع رياً وقوله انقع اى اثبت وأدوم رياً من قولهم سم ناقع اى ثابت وهو مثل عربي يضرب لمن يقع في غنيمة فيؤمر للمبادرة والاقتطاع لما قدر عليه قبل ان يأتيه من ينازعه. يريد به انتهاب اصهار الرجل لماله بعد وفاته

(٤) (رب ساع لقاعد) هذا مثل عربي وأول من قاله النابغة الذبياني وكان وفد الى النعمان ابن المنذر وفود من العرب فيهم رجل من بني عبس يقال له شقيق فمات عنده فلما حبا النعمان الوفود بعث الى اهل شقيق بمثل حباء الوفد فقال النابغة حين بلغه ذلك رب ساع لقاعد وقال للنعمان

ابقيت للعبسي فضلا ونعمة ومحمدة من باقيات المحامد
حباء شقيق فوق أعظم قبره وما كان يحبى قبله قبر وافد
أتى اهله منه حباء ونعمة ورب امرىء يسعى لآخر قاعد

(٥) (خذ من جذع ما اعطاك) جذع اسم رجل يقال له جذع بن عمرو الغساني وكانت

بالهُلاسِ [١] . (جَدَحَ جُوَيْنٌ مِنْ سَوِيقِ غَيْرِهِ [٢]

***

وَأَمَّا العامَّةُ أَيَّدَكَ اللهُ فَهُمْ عَظْمٌ على وَضَمٍ . وَصَيْدٌ في غيرِ حَرَمٍ سِيَّدُهُمْ أُسُورٌ.

وَالإِخْشيدُ في يَدِ كافُورٍ . وَيَتِيمٌ غَنِيٌّ . في يَدِ وَصِيٍّ

غسان تؤدى كل سنة الى ملك سليح دينارين من كل رجل وكان الذى يلى ذلك سبطة بن المنذر السليحى فجاء سبطة الى جذع يسأله الدينارين فدخل جذع منزله ثم خرج مشتملا على سيفه فضرب به سبطة حتى برد ثم قال خذ من جذع ما اعطاك وامتنعت غسان من هذه الاتاوة بعد ذلك وهو مثل عربى تضرب فى اغتنام ما يجود به البخيل

(١) (جمارة توكل بالهلاس) الجمارة شحمة النخلة وهى قلبها الذى يؤكل .والهلاس ذهاب العقل يقال رجل مهلوس أى مجنون وهو مثل عربى يضرب فى المال يجمع بكد ثم يورث جاهلا

(٢) (جدح جوين من سويق غيره) الجدح الخلط والدوف .وجوين اسم رجل وهو مثل عربى يضرب لمن يتوسع فى مال غيره ويجود به

(٣) (المعنى) يقول اما العامة من الناس فانهم كالعظم على الوضم فى يد الرؤساء يتصرفون فيهم كيف شاؤا ويستخدمونهم لاغراضهم على ان عامة الامة هى صاحبة البلد فى الحقيقة فهم اذا مثل الاخشيد الذى هو سيد كافور على انه كان معه كأنه اسيره لتضييق كافور عليه أو اليتيم الغنى فى يد الوصى الظالم — والاخشيد هو ابو بكر بن محمد بن ابى محمد بن طغج بن جف صاحب مصر والشام والحجاز أصله من أولاد ملوك فرغانة استجلب المعتصم بالله العباسى جده جف وبالغ فى اكرامه واقطعه قطائع ومات فى الليلة التى مات فيها المتوكل .وقد اتصل ابو بكر الاخشيد فى خلافة المقتدر بابى منصور بن تكين الجزرى فكان اكبر اركانه ولم يزل فى صحبته الى أن فارقه بسبب اقتضى ذلك وسار الى الرملة فوردت اليه كتب المقتدر بولاية الرملة ثم بعدها بولاية دمشق ثم فى خلافة القاهر بالله ولاه مصر ثم ضمت اليه البلاد الشامية والجزيرة والحرمان ثم ان الراضى اقبه بالاخشيد لانه لقب ملوك فرغانة ومعناه ملك الملوك ولم يزل مقلدا هذه الولايات حتى توفى فى سنة اربع وثلاثين وثلثمائة وهو سيد كافور وكان احداولادالاخشيد كالاسير فى يد كافور وكافور كان عبد البعض

وَغَيْظٌ عَلى الأَيامِ كالنَّارِ فِى الحَشَى
وَلـكِنَّهُ غَيْظُ الأَسيرِ عَلى القِدِّ[١]
وَارَى رِجَالاً لاتَحُوطُ رَعِيَّةً
فَعَلامَ تُؤْخَذُ جِزْيَةٌ وَمُكُوسُ[٢]

اهل مصر ثم اشتراه أبو بكر الاخشيد ليقوم بتربية ولديه أبى القاسم أنوجور وأبى الحسن على فما زال كافور بعد سيده مع ولديه الى ان ماتا فاستقل كافور بالمملكة واستوزر أبا الفضل جعفر بن الفرات وكان كافور أسود اللون شديد السواد وقد مدحه أبو الطيب المتنبى بقصائد كثيرة فمن ذلك قوله يصف الخيل

قواصد كافور توارك غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا
فجاءت به انسان عين زمانه وخلت بياضا خلفها وما قيا

وقوله

واخلاق كافور اذا شئت مدحه وان لم أشأ تملى على وأكتب
اذا ترك الانسان أهلا وراءه ويمم كافورا فما يتغرب

ثم هجاه بعد ذلك بقصائد منها قوله فى قصيدة

من علم الاسود المخصى مكرمة أقومه البيض أم آباؤه الصيد
أم اذنه فى يد النخاس دامية أم قدره وهو بالفلسين مردود
وذاك ان الفحول البيض عاجزة عن الجميل فكيف الخصية السود

ولم يزل مستقلا بالامر الى ان توفى يوم الثلاثاء لعشر بقين من جمادى الاولى سنة ست وخمسين وثلثمائة بمصر

(١) القد السير من جلد مدبوغ

(المعنى) يقول ان العامة فى غيظ من الزمان كغيظ الاسير على الجلد الذى وثقت به كواهله وأذرعه

(٢) الجزية خراج الارض . المكوس جمع مكس وهو ما يأخذه أعوان السلطان عند البيع والشراء

ظَلَمُوا الرَّعِيَّةَ وَاسْتَجَازُوا كَيْدَهَا

وَعَدَوْا مَصَالِحَهَا وَهُمْ أُجَرَاؤُهَا[1]

فَبَيْنَمَا تَرَى قُصُورًا وَثَرَاءَ . وَحُبُورًا وَسَرَّاءَ . وَعَرَبَاتٍ تَتْرَى . يَعْدُو امَامَهَا السُّلَيْكَ وَالشَّنْفَرَى[2] . وَيَقُودُهَا دَاحِسُ وَالغَبْرَاءُ . عَلَى بِسَاطِ

---

(١) استجازوا رأوه جائزا: عدوا ظلموا . الاجراء جمع أجير وهو من سلم نفسه بعوض

(٢) السليك كان عداء من عدائين العرب قيل أنه رأته طلائع جيش لبكر بن وائل جاؤا متجردين ليغيروا على تميم ولا يعلم بهم فقالوا ان علم السليك بنا انذر قومه فبعثوا اليه فارسين على جوادين فلما هايجاه خرج يمحص كانه ظبي فطارداه سحابة نهاره ثم قالا اذا كان الليل اعيا فسقط فنأخذه فلما أصبحا وجدا أثره قد عثر باصل شجرة فنزا وندرت قوسه فانحطمت فوجدا قصدة منها قد ارتزت بالارض فقالا لعل هذا كانا من أول الليل ثم فتر فتبعاه فاذا اثره قد خد في الارض فقالا ماله قاتله الله ما أشد متنه والله لا تبعناه وانصرفا فتم السليك الى قومه فانذرهم فكذبوه لبعد الغاية فقال

يكذبني العمران عمرو بن جندب وعمرو بن سعد والمكذب أكذب

سعيت لعمري سعي غير معجز ولا نأنأ لو انني لا اكذب

ثكلتكما ان لم اكن قد رأيتها كراديس يهديها الى الحي موكب

كراديس فيها الحوفزان وحوله فوارس همام متى يدع يركبوا

وجاء الجيش فاغاروا — والشنفرى كان ايضا عداء من العدائين قيل أنه خرج وتأبط شرا وعمرو بن براق فاغاروا على بجيلة فوجدوا لهم رصدا على الماء فلما مالوا اليه في جوف الليل قال لهم تابطشرا ان بالماء رصدا واني لاسمع وجيب قلوب القوم فقالا ما تسمع شيئا وما هو الا قلبك يجب فوضع أيديهما على قلبه وقال والله ما يجب وما كان وجابا قالوا فلا بد لنا من ورود الماء فخرج الشنفرى فلما رآه الرصد عرفوه فتركوه حتى شرب من الماء ورجع فقال والله ما بالماء احد ولقد شربت من الحوض فقال تابطشرا للشنفرى بلى ولكن القوم لا يريدونك وانما يريدونني ثم ذهب ابن براق فشرب ولم يعرضوا له فقال تابطشرا للشنفرى اذا انا كرعت في الحوض فان القوم سيشدون علي فيا سرونني فاذهب كانك تهرب ثم كن في اصل ذلك القرن فاذا سمعتني اقول خذوا

الغَبْرَاءِ . وَخرَاجَ قرْيةٍ أوقرْيتينْ . يذهَبُ في لَهو ليْلةٍ او ليْلتَيْن . تجدُ أرْملَة صنَاعًا . وأيْتامًا جياعًا . وَشيْخًا يَعملُ وَهوَ في أرْذلِ العُمْرِ . يُقعِدُهُ العَجزُ

خذوا فتمال فاطقني وقال لابن براق اني سآمرك أن تستأسر للقوم فلا تنأ عنهم ولا تمكنهم من نفسك ثم مر تأبط شراً حتى ورد الماء فحين كرع في الحوض شدوا عليه فأخذوه وكتفوه بوتر وطار الشنفرى فأتى حيث أمره وانحاز ابن براق حيث يرونه فقال تأبط شراً يا معشر بجيلة هل لكم في خير أن تياسرونا في الفداء ويستأسر لكم ابن براق قالوا نعم فقال ويلك يا ابن براق أما الشنفرى فقد طار وهو يصطلي نار بني فلان وقد علمت ما بيننا وبين أهلك فهل لك أن تستأسر وتياسرونا في الفداء قال لا والله حتى أروز نفسي شوطاً أو شوطين فجعل يستن نحو الجبل ويرجع حتى اذا رأوا انه قد أعيا طمعوا فيه فاتبعوه ونادى تأبط شراً خذوخذوا فخالف الشنفري الى تأبط شراً فقطع وثاقه فلما رأى ذا ابن براق وقد خرج من وثاقه مال اليه عندهم فناداهم تأبط شراً يا معشر بجيلة أعجبكم عدو ابن براق اما والله لاعدون لكم عدواً ينسيكم عدوه ثم أحضروا ثلاثتهم فنجوا وفي ذلك يقول الشنفرى

ليلة صاحوا واغروا بي سراعهم ... بالعيكتين لدى معدي ابن براق

كأنما حثحثوا حصا قوادمه ... أو أم خشف بذى شث وطباق

لا شيء اسرع مني غير ذي عذر ... أوذي جناح بجنب الريد خفاق

فسار المثل يعدوه فقيل اعدى من الشنفرى

(١) المعنى) يقول أن هذه المركبات يجرها على الارض مثل داحس والغبراء وهما جوادان من جياد العرب تسابقا مقامرة فنتج عن تسابقهما حرب كبيرة فضرب بهما المثل وقالوا قد وقع بينهم حرب داحس والغبراء وأصل هذا المثل أن داحساً كان فرس قيس بن زهير بن جذيمة العبسي. والغبراء فرس حذيفة بن بدر الفزاري وكان يقال لحذيفة هذا رب معد في الجاهلية وكان من حديثهما أن رجلا من بني عبس يقال له قرواش بن هني كان يباري حمل بن بدر اخا حذيفة في داحس والغبراء فقال حمل الغبراء اجود وقال قرواش داحس أجود فتراهنا عليهما عشرا في عشر فأتى قرواش قيس بن زهير فاخبره فقال له قيس راهن من احببت وجنبي بني بدر فانهم قوم يظلمون لقدرتهم على الناس في انفسهم فقال قرواش اني قد اوجبت الرهان فقال قيس ويلك ما اردت الا اشام اهل بيت والله لتشعلن علينا شراً ثم ان قيساً اتى حمل بن بدر فقال اني قد اتيتك

الفقرُ . أو عذراءَ كادتْ تبيعُ مِرْضَهَا للاحتياجِ . او مريضاً عاجزاً

لا واضعك الرهان عن صاحبي فقال لا أوضعك أو تجيء بالعشر فان اخذتها اخذت سبقي وان تركتها رددت حقاً قد عرفته وعرفته لنفسي فاحفظ قيساً فقال هي عشرون قال حمل هي ثلاثون فتلاجا وتزايداحتى بلغ به قيس مائة ووضع السبق على يدى غلاق أو ابن غلاق احد بني ثعلبه ابن سعد ثم قال قيس واخيرك بين ثلاث فان بدأت فاخترت فلي منه خصلتان قال حمل فابدأ قال قيس فان الغاية مائة غلوة واليك المضمار ومنتهى الميطان اى حيث يوطن الخيل للسبق قال فخرج لهم رجل من محارب فقال وقم البأس بين ابني بغيض فضمروهما اربعين ليلة ثم استقبل الذى ذرع الغاية بينهما من ذات الاصاد وهي ردهة وسط هضب الشعليب فانتهى الذرع الى مكان ليس له اسم فقادوا الفرسين الى الغايه وقد عطشوهما وجعلوا السابق الذى يرد ذات الاصاد وهي ملاءى من الماء ولم يكن ثم قصبة ولا غيرها ووضع حمل حيساً فى دلاء وجعله فى شعب من شعب هضب القليب على طريق الفرسين فسمي ذلك الشعب شعب الحيس لهذا وكمن معه فتيانا فيهم رجل يقال له زهير بن عبد عمرو وامرهم ان جاء داحس سابقا ان يردوا وجهه عن الغاية وارسلوهما من منتهى الذرع فلما طلع قال حمل سبقتك ياقيس فقال قيس بعد اطلاع الناس فذهبت مثلا ثم اجدا فقال حمل سبقتك ياقيس فقال رويدا يعدون الجدد اى يتعدينه الى الوعث والخبار فذهبت مثلا فلما دنوا وقد برز داحس قال قيس جرى المذكيات غلاب فذهبت مثلا فلما دنا من الفتية وثب زهير فلطم وجه داحس فرده عن الغاية ففي ذلك يقول قيس بن زهير

كما لاقيت من حمل ابن بدر واخوته على ذات الاصاد
هم فخروا على بغير فخر وردوا دون غايته جوادى

فقال قيس ياحذيفة اعطوني سبقي قال حذيفة خدعتك فقال قيس ترك الخداع من اجرى من مائة فذهبت مثلا فقال الذى وضع السبق على يديه لحذيفة ان قيساً قد سبق وانما اردت أن يقال سبق حذيفة وقد قيل افادفع اليه سبقه قال نعم فدفع اليه الثعلبي السبق . ثم ان حذيفة اغراه بعض الناس باسترجاع السبق من قيس فارسل اليه ابنه ابا قرفه فتناول قيس الرمح وطعنه فدق صلبه ورجعة فرسه عائرة فاجتمع الناس فاحتملوا دية ابي قرفة مائة عشراء فقبضها حذيفة وسكن الناس فانزلها على النفرة حتى تنتجها مافى بطونها ثم ان مالك بن زهير نزل اللقاطة وهي قريب من الحاجر وكان نكح من بني فزارة امرأة فأتاها فبنى بها واخبر حذيفة بمكانه فعدا عليه وقتله

عَن العِلاَجِ [١] . وَبينَما تَرَى وَذَاحا فى جِيدِها عِقْدٌ كأنَّه فُرُودُ حَضَارٍ . وَفى أخْمَصِها نَعْلٌ مِنْ نُضَارٍ . تَرَى بائِسَةً فى عُنُقِها عِقْدٌ مِنْ دُمُوعٍ . وَفى بيتِها فَقرٌ وَجُوعٌ . حَالٌ تَطرِفُ العُيُونَ . وَتثِيرُ الشُّجُونَ [٢]

وفى ذلك يقول عنترة

لله عينا من رأى مثل مالك — عقيرة قوم ان جرى فرسان

فليتهما لم يجريا نصف غلوة — وليتهما لم يرسلا لرهان

فأتت بنو جذيمة حذيفة فقالت بنو مالك بن زهير لمالك بن حذيفة ردوا علينا مالنا فأشار سنان بن ابى حارثة المزنى على حذيفة ان لا يرد أولادها معها وان يرد المائة باعيانها فقال حذيفة أرد الابل باعيانها ولا ارد النسل فأبوا ان يقبلوا فقال قيس بن زهير

يؤد سنان ان يحارب قومنا — وفى الحرب تفريق الجماعة والازل

يدب ولا يخفى ليفسد بيننا — دبيباً كما دبت الى حجرها النمل

فيا ابنى بغيض راجعا السلم تسلما — ولا تشمتا الاعداء يفترق الشمل

وان سبيل الحرب وعر مضلة — وان سبيل السلم آمنة سهل

ثم تحالف بنو عبس مع بنى عبد الله بن غطفان يوم ذى المريقب وكان مع بنى عبس عنترة الفارس المشهور وقد استموت الحرب بينهم سنين هلك فيها كثير من فرسان العرب ومشاهيرهم انتهى باختصار : وهذا المثل يضرب للأنوم وقعوا فى الشر يبقى بينهم مدة

(١) الخراج المال المضروب على الارض. الارملة المحتاجة أو المسكينة والعزبة غير الموسرة الصناع أى الصانعة بيديها

(المعنى) يقول ان هؤلاء الخاصة لجهلهم تراهم يبددون اموالهم فى ماذكر من ركوب عربات وتشييد قصور وانهماك فى لذة وذهاب اموال فى مدة قليلة من الزمن بينما ترى امرأة مسكينة تكتسب من صنعة يدها القوت نفسها ويتيما بائساً أو شيخاً هرماً يجاهد نفسه فى سبيل العيش وعذراء تكاد ان تهمل فى عفتها من الفقر ومريضاً يتقلب على فرش السقم والالم وكلهم لا يجدون اسعافاً او انصافاً من الاغنياء

(٢) الوذاح الفاجرة. فرود حضار كواكب وحضار اسم كوكب يشبه بسهيل قال الشاعر

بأَىِّ جُرْمٍ وَأَىِّ حُكْمٍ
سُلطَ لَيْثٌ على مَهَاها
وَعُذِّرَتْ حاَجَةٌ بِعُسرٍ
على عَليلٍ قدِ اشْتَهاها
وَظالِمٌ عِنْدَهُ كُنُوزٌ
مِنْ أُمِّ دَفْرٍ وَمنْ لُهَاها

***

رُحْمَاكَ إِنَّ عُزْلَةً بَيْنَ كَرْمٍ وَأَعْنَابٍ . وَدَوَاةٍ وَكِتَابٍ . لَهِيَ الجَمَاعَةُ وَالأُنْسُ . لِلنَّفْسِ . وَإِنَّ اجْتِمَاعاً بِكَبِيرٍ يُبْغَضُ وَيُزَارُ . أَوْ رَئِيسٍ لايَجِدُ نفسهُ فى اللَّيْلِ وَلاتَجِدُهُ فى النَّهَارِ . أَوْ عَدُوٍّ لَيسَ مِنْ صَدَاقتهِ بُدٌّ . أَوْحقودٍ ذُلّهُ

اری نار لیلی بالعقیق كأنها حضار اذا ماعرضت وفرودها

الاخمص القدم . النضار الذهب . الجيد العنق . الشجون الحزن

(المعنى) يقول وبينما ترى فاجرة تلبس العقد الذى كالكواكب وتطأ على نعل من ذهب ترى البائسة المسكينة قدا نتظمت ادمعها المتساقطة فى عنقها حتى صارت لها عقداً وما فى بيتها غير الفقر والجوع ثم قال ان هذه الحال ترمد العين وتستذرف الدمع وتثير الحزن

(١) الليث الاسد . المهى البقر الوحش . ام دفر كناية للدنيا . اللهى العطايا

(المعنى) يقول اللهم لااعترض على قضاءك وقدرك فانت الذى تعطى من تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شىء قدير اى ذنب اقترفته المهى حتى سلط عليها الليث يفتك بها ولاى شى تعذر الدواء على المريض حتى قضى عليه مرضه ولم نرى الظالم قد لحظته عين الزمان ومنحته الدنيا مايطلبه فاصبح رب كنوز ومال

أَظْهَرَ مِنْهُ الوُدَّ. أَوْ حَسُودٍ مَلِقٍ. كَالذُّبَالَةِ يَضْحَكُ وَيَحْتَرِقُ. أَوْ جَاهِلٍ مُتَعَاقِلٍ. أَوْ مُتَفَصِّحٍ وَهُوَ بَاقِلٌ. أَوْ صَغِيرٍ بِهِ كِبْرٌ. أَوْ خَدِينٍ فِيهِ غَدْرٌ(١) لَهُوَ وَأَيْمُ اللهِ

(١) (المعنى) يقول ان عزلتى بين كرم واعناب ودواة وكتاب لهى الانس لى وان اجتماعى بكبيرا بغضه وازوره وعدو لا ارتضى صداقته وحقود ذليل ولكنه يتودد ذلا وخضوعاً وحسود متملق يضمر خلاف ما يبدى وجاهل مجنون يدعى العقل ومتفصح وهو فى الحقيقة ابكم وصغير حقير متكبر وصاحب غدار هى الوحشة لى. قال الجاحظ الكتاب وعاء ملئ علماً. وظرف حشى ظرفاً. واناء شحن مزاحاً وجداً. ان شئت كان اعيا من باقل. وان شئت كان ابلغ من سحبان وائل. وان شئت ضحكت من نوادره عجبت من غرائبه. وان شئت الهتك مضاحكه. وان شئت اشجتك مواعظه. فالكتاب نعم الظهر والعمدة. ونعم الكنز والعدة. ونعم الذخر والعقدة. ونعم النزهة والعشرة. ونعم الشغل والحرفة. ونعم الانيس ساعة الوحدة. ونعم المعرفة ببلاد الغربة. ونعم القرين والدخيل. ونعم الوزير والنزيل. وهو الجليس الذى لا يطريك. والصديق الذى لا يغريك. والرفيق الذي لا يملك. والمستميح الذي لا يستطيلك. والصاحب الذي لا يريد استخراج ما عندك. وهو الذي يطيعك بالليل طاعته بالنهار ويفيدك فى السفر افادته فى الحضر. لا يعتل بنوم ولا ضجر. ولا يعتريه كلال سهر. وهو المعلم الذي اذا افتقرت اليه لم يحتقرك. واذا قطعت عنه المادة والمائدة. لم يقطع عنك العادة والفائدة. وان هبت ريح اعدائك لم ينقلب عليك. وان قل مالك لم يترك زيارتك. ثم قال متى رأيت بستاناً يحمل فى ردن وروضة تقلب فى حجر. ينطق عن الاموات. ويترجم كلام الاحياء. ومن لك بواعظ مله. وبزاجر معز. وبناسك فاسق. وبساكت ناطق. وبحار بارد. وبطبيب اعرابى. وبرومي هندى وبفارسى يونانى. وبعيت ممتع. ثم قال ولولا ما اوسمت لنا الاوائل فى كتبها. وخلدت من عجائب حكمتها. ودونت من محاسن سيرها. وفننت من بدائع اثرها. حتى شاهدنا ما غاب عنا. وفتحنا كل مستغلق علينا. فجمعنا الى قليلنا كثيرهم. وادركنا ما لم ندركه الا بهم. ثم قال ولولا الكتب المدونة. والاخبار المفننة لبطل اكثر العلم ولغلب سلطان النسيان سلطان الفهم — وباقل هذا الذى جاء فى المتن هو رجل من ربيعة بلغ من عيه انه اشترى ظبياً بأحد عشر درهماً فمر بقوم فقالوا له بكم اشتريت الظبي فمد يديه ودلع لسانه يريد احد عشر فشرد الظبي وكان تحت ابطه قال حميد بن الارقط فى ضيف له اكثر من الطعام حتى منعه ذلك عن الكلام

الوحشة والوحدة . والسلولية والندة [١]

جزى الله عنى مؤنسى بصدوده
جميلا ففى الإيحاش اهو ايناس [٢]

اتانا وماداناه سحبان وائل	بيانا وعلما بالذى هو قائل
فما زال منه القم حتى كانه	من العى لما ان تكلم باقل
يقول وقد القى المراسى للقرى	ابن لى ما الحجاج بالناس فاعل
يدلل كفاه ويحدر حلقه	الى البطن ما ضمت عليه الانامل
فقلت لعمري ما لهذا طرقتنا	فكل ودع الارجاف ما انت آكل

(١) السلولية يشير بذلك الى قول عامر بن الطفيل العامري (أغدة كغدة البعير وموتا ببيت امرأة سلولية) والقصة أن عامرا المذكور قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد بنى عامر هو واربد اخ لبيد بن ربيعة فاختليا برسول الله صلى الله عليه وسلم وكانا قد تواصيا بغدره صلى الله عليه وسلم فمنعهما الله من ذلك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عامرا الى الاسلام فقال عامر على ان لى او بر ولك المدر وفى رواية على ان تجعل لى الامر من بعدك فامتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم فغضب عامر وقال لاملأنها عليك خيلا جردا ورجالا مردا ولاربطن بكل نخلة فرسا وفى رواية لاغزونك على الف شقراء وعلى الف اشقر فدعى عليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اما عامر فاصابته غدة فى رجوعه وكان نازلا عند امرأة من بنى سلول فجعل يقول أغدة كغدة البعير وموتا ببيت امرأة سلولية حتى مات واما اربد فاصابته صاعقة (المعنى) يقول ان كل ماذكرته لك من شرور الناس يجعلنى انفر منهم والزم العزلة فانى أجدراحتى وغنائى فى ذلك فالاجتماع لكثرة شروره كانه بيت هذه السلولية وتلك الشرور كانها الغدة

(٢) الايحاش الوحشة. لايناس الانسة

(المعنى) يقول جزي الله الجميل من يصدنى فانى ارى انسى فى البعد عن الناس . والخلاصة انه يفضل العزلة عن الاجتماع للاسباب العقلية التى اوضحها وقد ذكر فى عرض كلامه بخل بعض الناس على انفسهم وتبذيرا ولادهم ما جمعوه من مال فى اللهو واللعب ولا جرم فى ذلك فان اكثر من يولد فى الغنى يقرب من اللهو واللعب ويبعد عن العلم والادب ولهذا نري ان اكثر

خديوي مصر

أَلاَ جَمِّعِى شَمْلَ الدُّمُوعِ المُبَدَّدَا
وَرُدِّى لِجَفْنَيْكِ المَنَامَ المُشَرَّدَا
وَإِنْ تَجْزَعِى لِلْبَيْنِ لَسْتُ بِجَازِعٍ
وَلاَ تَارِكٍ رَأْىَ الصَّوَابِ المُسَدَّدَا

النابغين من الرجال فى كل أمة وجيل خرجوا من بيوت الفقر ومن الاكواخ الوضيعة لامن القصور الرفيعة ولقد صدق أبو العتاهية فى قوله

ان الشباب والفراغ والجده   مفسدة للمرء أى مفسده

(١) جمعى جمع الشيء ضمه . الشمل ماتفرق من الامر . المبدد المفرق . المشرد المنفر.

(المعنى) يقول خفضى عليك الحزن والبكاء واجمعى شمل دموعك المتبدد على فراقى ونولى عينيك لذاذة النوم فقد آن لنا أن نلتقى بعد التنائى وقد وصف الشعراء الجزع للفراق والحنين الى السكن فمن ذلك قول المتنبي

ولم أرى كالالحاظ يوم رحيلهم   بعثن الينا القتل من كل مشفق
عشية يعدونا عن النظر البكى   وعن لذة التوديع خوف التفرق

وقال بعض بنى نهشل

ألام على فيض الدموع وانى   بفيض الدموع الجاريات جدير
أيبكى حمام الايك من فقد الفه   وأصبر عنها اننى لكفور

وقال دعبل

لاأبتغى سقيا السحاب لهـا   فى مقلتى خلف من السقيا

(٢) ان الشرطية اختلف فى جوابها هل يقرن بالفاء أو يصح حذفها منه قال الكثير من النحاة بصحة حذفها منه وعلى ذلك مشى السيد المؤلف على قولهم اذان المبرد والنحاس وأبو الحسن قالوا بذلك . المسدد المقوم

أَيَفْرَخُ رَوْعِي أَوْ تَقِرُّ وَسَائِدِي
وَقَدْ جَعْجَعَتْ بِالمسلمينَ يَدُ العِدَا

وَإِنِّي مِنَ البَيْتِ الذي تَعلَمِينَهُ
أَقامَ عَمُودَ الدِّينِ لما تأَوَّدَا

وَأَوَّلُ هذا الأَمْرِ نَحْنُ أُساتُهُ
وَآخِرُهُ حتى يكُونَ كَما بدا

(المعنى) يقول انك ان جزعت للبين والفراق فانى لست بالجزوع لانى رضت نفسى على تحمل مصاعب البين ومما قيل فى السفر والبين قول بعضهم

وفارقت حتى ما أبالى من النوى وان بان جيران على كرام
فقد جعلت نفسى على النأى تنطوي وعينى على فقد الحبيب تنام

وقال عبيد بن أيوب العنبرى يصف مقاساته الاهوال فى اغترابه

ألا ياظباء الرمل أحسن صحبتى وأخفينى ان كان يخفى مكانيا
أكلت عروق الشرى معكن والتوى بحلقى نور النقد حتى ورانيا
وبت ضجيع الاسود الفرد بالنضا فايت سليمان بن قبر يرانيا
فقد لاقت الغزلان منى بلية وقد لاقت الغيلان منى الدواهيا

وقال أبو تمام

وطول مقام المرء فى الحى مخلق لديباجتيه فاغترب تتجدد
فانى رأيت الشمس زيدت محبة الى الناس ان ليست عليهم بسرمد

(١) يفرخ يهدأ ويطمئن . الروع الرعب . الوسائد جمع وسادة وهو مايوضع تحت الرأس عند النوم وتقر وسائدى أى أنام نوما مطمئنا هادئا . جعجع بالرجل ضيق عليه أو حبسه (المعنى) يقول كيف أهدأ وأطمئن وتقر نفسى والمسلمون قد امتدت اليهم يد العدا وضيقت عليهم طرقهم ووقفت فى سبيلهم وللقارىء أن يقرأ بدل جعجعت بطشت
(٣) تأود انحنى واعوج . الاساة جمع آس وهو الطبيب

*** أَجدَّكَ هلْ تدْرِي وَقَدْ سِرْتُ وَالدُّجى

(المعنى) يقول وانى من ذلك البيت الكريم الذى تعرفينه والذي أبلى البلاء الحسن فى خدمة الدين الاسلامى فان رجاله كانت لهم اليد الطولى فى بداءة الاسلام وان شاء سيقومون بخدمته فى المستقبل ــ ولننقل هنا تعريف هذا البيت الكريم عن كتاب (بيت الصديق) تأليف صاحب السماحة مؤلف هذا الكتاب قال (كانت مناصب السادات فى الجاهلية فى عشرة بيوت من قريش تنتقل فيها بالتوارث من كابر الى كابر . وفى مقدمة هذه البيوت بيت تيم ابن مرة وكانت اليهم الديات والحمالات وجاء الاسلام وهى لابى بكر كبير ذلك البيت فبيت الصديق رضى الله عنه كان فى الجاهلية من اشرف بيوتات العرب واعلاها كعبا وأرفعها مقاما ثم لما جاء الاسلام زاد شرفا على شرف بما حازه ابو بكر من شرف الصديقية والافضلية والخلافة الاسلامية وصهر الرسول وثانى اثنين فى العريش والغار ومما اتيه بنوه وآله من كريم المناقب وشريف المآثر كعائشة ام المومنين رضى الله عنها التى قال فيها النبى صلى الله عليه وسلم « خذوا شطر دينكم من هذه الحميراء » وكاسماء ذات النطاقين وعبد الرحمن ومحمد والقاسم عالم المدينة واحد الفقهاء السبعة وغيرهم ممن جاء بعدهم من الأئمة والولاة والامراء والفقهاء والمجتهدين والعلماء والقضاة والمفتين ومشايخ الاسلام ونقباء الاشراف ومشايخ الطريق بحيث اطرد الشرف واتصلت المعالى بهذا البيت الكريم ودام اشراقه بالغر الجحاجيح منآله . والزهر المصابيح من رجاله . نحو ألفى عام فى الجاهلية والاسلام) انتهى . أقول ان من الشعر لما يدل على اخلاق ناظمه ومنشئه ومقدار همة نفسه خصوصا اذا كان الشعر خرج من وجدان حساس ونفس طاهرة شفافة فكانما هو مرآة تنعكس فيها صورة النفس ومن قرأ هذين البيتين وكان لا يعرف ناظمهما يحس من أول وهلة انه صاحب السماحة السيد محمد توفيق البكرى لما ورد فيهما من الاشارة الى مجده التليد والطارف وانى لغيره ان يقول ما قال وهو ابن اول خليفة فى الاسلام وسليل الذى قام بامر الردة اذ لولا جده ابو بكر لعادت العرب الى جاهليتها الاولى واصبح الاسلام أثرا بعد عين . روى الاسماعيلى عن عمر رضى الله عنه قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتد من ارتد من العرب وقالوا نصلى ولا نزكى فاتيت ابا بكر فقلت ياخليفة رسول الله تألف الناس وارفق بهم فانهم بمنزلة الوحش (فقال رجوت نصرتك وجئتنى بخذلانك اجبار فى الجاهلية خوار فى الاسلام بماذا عسيت ان اتألفهم بشعر مفتعل او بسحر

يُخَالُ عَلَى الآفَاقِ دِرْعًا مُسَرَّدَا [١]

أَخُوضُ عُبَابًا فَوْقَ فُلْكٍ تَظُنُّهَا

عَلَى سَرَوَاتِ اليَمِّ قَصْرًا مُشَيَّدَا [٢]

تَهَاوَى بِهِ مِثْلَ العُقَابِ وَتَارَةً

مفتري هيهات هيهات مضى النبي صلى الله عليه وسلم وانقطع الوحي والله لاجاهدنهم مااستمسك السيف في يدي وان منعوني عقالا) فقال عمر فوجدته في ذلك امضى مني واحزم وأدب الناس على امور هونت على كثيراً من مؤنتهم حين وليتهم. وكانت ولادته رضي الله عنه بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين واشهر ومات وله ثلاثة وستون سنة

(١) اجدك بكسر الجيم وفتحها لا يتكلم به الا مضافاً فان كسرت استحلفته بحقيقته وان فتحت استحلفته ببخته . الدرع المسرد المستحكم الحلقات

(المعنى) يستحلفه بجده او بحظه وبخته ويقول هل تدري حينما سرت والدجى قد تلبد وصار كالدرع المستحكم الحلقات او انه شبه الدجى بحديد الدرع والنجوم بمساميرها ومما قيل في الليل

كليني لهم يا اميمة ناصب ... وليل اقاسيه بطيء الكواكب

تقاعس حتى قلت ليس بمنقض ... وليس الذي يرعى النجوم بآيب

وقال ابو تمام

اليك هتكنا جنح ليل كأنه ... قد اكتحلت منه الليالي بإثمد

وقال أبو الحماني

وليــل تراه واقطاره ... قد ادرع الشملة الاسفع

كان الفجاج على سالكيه ... سدت فليس لها مطلع

وقال ذو الرمة

وليل كجلباب العروس ادرعته ... باربعة والشخص في العين واحد

(٢) العباب البحر . سروات جمع سراة وهي من الطريق اعلاه ومتنه . اليم البحر . المشيد المطلي بالشيد وهو القصر العالي الرفيع البناء

(المعنى) يقول قد خضت بحراً خضما زاخرا على سفينة كأنها قصر رفيع البنيان وذلك

تَرَقّى مِنَ الأَمْوَاجِ صَرْحاً مُمَرَّداً[1]

وَتَرْزُمُ حِيناً فِيهِ حَتّى كَأَنّها

تَجُوزُ عَلى العِلاّتِ حَزْناً وَقَرْدَداً[2]

خُضارَةُ مِرْآةَ السَّماءِ فَلَمْ تَزَلْ

تَرَى وَجْهَهَا فِيهَا وَانْ بَعُدَ المَدَى[3]

فَإِنْ أَشْرَقَتْ فِيهِ الغَزَالَةُ خِلْتَهَا

كَعَيْنٍ بِجَوْفِ البَحْرِ تَقْذِفُ عَسْجَداً[4]

وَانْ لاحَ تَحْتَ المَاءِ بدْرٌ رَأَيْتَهُ

اضخامتها وارتفاعها

(١) تهاوي تساقط . العقاب طائر معروف ترقى تتعالى . الممرد المملس

(المعنى) يقول ان السفينة في سيرها تارة تنحدر من فوق الموج فكأنما تسقط في هوى عميق. وتارة تعلو الموج فكأنما عاتت صرحاً باسقاً

(٢) ترزم يقال رزمت الناقة اي كلت عن القيام من التعب أو الهزال ومراد المؤلف هنا بترزم اي تتعثر في الموج. العلات الحالات المختلفة والشؤون المتنوعة تجرى على علاته أي على كل حال . الحزن ماغلظ من الارض. القردد ماغلظ وارتفع من الارض

(المعنى) يقول واحياناً ترزم هذه السفينة كما يرزم البعير فكأنها تسير على صخور غليظة وروابي مرتفعة من المشقة

(٣) خضارة علم للبحر غير مصروف للعلمية والتأنيث تقول هذا خضارة طاميا

(المعنى) يقول ان البحر مرآة للسماء فلا تزال ترى فيها وجهها وان كان المدى بعيداً بينه وبينها

(٤) الغزالة الشمس . العسجد الذهب .

(المعنى) يقول فاذا رأيت الشمس وقد انعكست صورتها في هذا البحر حسبتها عيناً فوارة .

كَمَاوِيَّةٍ يَعْلُو على مَتْنِهَا صَدًى[1]
وَرُبَّتَمَا خِلْتَ النُّجُومَ عَشِيَّةً
لَآلِئَ في قَاعَيْهِ مَثْنى وَمَوْحَدَا[2]

* * *

كَأَنَّا وَقَدْ جُزْنَا لِمِصْرَ فِرِنْجَةً
حَنِيفٌ تَخَطَّى مِنْ ضَلَالٍ الى هُدَى [3]

ترمي بالعسجد الاصفر وهو الذهب

(١) الماوية المرآة

(المغنى) يقول واذا انعكست عليه صورة البدر حسبت البدر كمرآة لامعة وقد غشيها الصدي وهذا المعنى من ابدع ما يتصوره خيال الشاعر لدقته ولطفه

(٢) ربما وربما وربة بالتشديد وقد يخففن والجميع حرف خفض لايجر الا النكرة وهي في حكم الزائد. القاع قاع البحر اسفله. مثنى اى اثنين اثنين . وموحد اى واحد واحد (المعنى) واذا انعكست صورة النجوم فى العشى رأيتها كاللآلىء فيه المتفرقة اثنين اثنين وواحدا واحدا.

وقال بعضهم

ولما تعالى البدر وامتد ضوؤه . بدجلة فى تشرين فى الطول والعرض
وقد قابل الماء المخفض نوره . وعض نجوم الليل يقفو سنا بعض
توهم ذو العين البصيرة انه . يري باطن الافلاك فى ظاهر الارض

وقال ابو الفضل الميكالى يصف بركة وقع عليها شعاع الشمس فالقته على مهو مطل عليها

اما تري البركة الغراء قد لبست . نوراً من الشمس فى حافاتها سطعا
والمهو من فوقها يلهيك منظره . كأنه ملك فى دستها ارتفعا
والماء من تحته القى الشعاع على . اعلى سماواته فارتج ملتمعا
كانه السيف مصقولا تقلبه . كف الكمى الى ضرب الكمى سعى

(٣) الحنيف قال الحماسى الحنيف المائل عن دين الى دين وأصله من الحنف فى الرجل

نَؤُمُّ بها (العَبَّاسَ) فى دَسْتِ مُلْكِهِ
كَمَا أَمَّ سُفَّارٌ عَلَى الجهْدِ مَوْرِدَا [١]
حَلِيمٌ يَزِيدُ الحِلْمُ مِنْهُ حِفَاظَةً

وهو انقلاب ظهر القدم حتى يصير بطنا

(المعنى) يقول كاننا حينما تخطينا بلاد الفرنجة وقصدنا مصر حنيف وهو المائل عن دين الى دين خرج من ظلمة الضلال الى نور الهدي

(١) نؤم نقصد. (العباس) ـ هو مولانا الخديوي المعظم عباس باشا الثانى بن توفيق بن اسماعيل بن ابراهيم بن محمد على باشا امير مصر الحالى تولى ملك مصر فى يناير سنة ١٨٩٢ ميلادية ولا يزال بها الى الآن حرس الله ملكه وادامه للاسلام والمسلمين . دست الملك صدر بيت الملك وهو مجلس الملك . سفار جمع سافر وهو المسافر . الجهد الطاقة والمشقة . المورد موضع الورود والطريق اليه

(المعنى) يقول اننا بعد ماجاوزنا فرنجة الى مصر كان مقصدنا ان نؤم مولانا العباس ادام الله ملكه فان الوافد عليه يكون كالمسافر الذي انضى راحلته واحفاها لينزل على مورد يجد حاجته عنده — هذا وقد جرت عادة الشعراء فى كل وقت وعصر ان يمدحوا ملوك الوقت وامرائه بالمدح الجليلة والقصائد البليغة مهما علا قدر الشاعر ونبه ذكره وكانت له المنزلة العظيمة بين قومه وامته فهذا ابراهيم بن المهدى وهو اخ الرشيد وابن المهدي العباسى يقول فى المأمون

احياك من اولاك اطول مدة ورمي عدوك فى الوتين بقاطع
ان الذي قسم الفضائل حازها فى صلب آدم للامام السابع

وهذا الشريف الرضى وهو نقيب الطالبيين يقول فى الواثق الله العباسى

ألبستنى نعماً على نعم ورفعت لى علماً على علم
وعلوت بى حتى مشيت على بسط من الاعناق والقمم
فلا شكرن نداك ماشكرت خضر الرياض صنائع الديم
والشكر مهر للصنيعة ان طلبت مهور عقائل النعم

وللسيد المؤلف فى مولانا العباس حرسه الله مدح كثيرة وقصائد بليغة عز ان يجاريه فيها

كَمَا خَشَّنَ اللِّينُ الجُرَازَ المُهَنَّدَا ١

أَجَلُّ أَمِيرٍ قَامَ بَاسًا وَنَائِلاً

وَأَنْجَزُهُمْ طُرًّا وَعِيدًا وَمَوْعِدًا ٢

تَرَاهُ بِمِصْرٍ بَعْدَ وَالِدِهِ الرِّضَى

كَمِثْلِ الرَّبِيعِ الجَوْنِ خَلَّفَهُ الجَدَا ٣

يَذُودُ عَنِ الإِسْلَامِ حَتَّى كَأَنَّهُ

مجار فمن تلك القصائد قصيدته التى قالها منذ سنوات قليلة يهنئه بها فى عيد جلوسه على الاريكة الخديوية وكانت قد اجتمعت جمعية من كبار مصر وعظمائها لاحياء هذه الليلة وقد جعلوا جوائز لمن يجيد فى التهنئة وهى مداليات ذهبية وفضية فكان سماحة المؤلف هو المبرز على اقرانه فى هذا الميدان ونال المدالية الذهبية الاولى. هذا وقد تربى سماحته مع سمو الخديوي فى مدرسة واحدة

(١) الحفاظ الشدة والبأس

(المعنى) يقول انه حليم من غير ضعف ولا خور فمثل حلمه فيه كاللين فى الحسام فانه يزيده قوة ومضاء ومما قيل فى الحلم

نقلبه لنخبر حالتيه ... فنخبر منهما كرماً ولينا

نميل على جوانبه كأنا ... اذا ملنا نميل على ابينا

(٢) البأس الشده . النائل العطاء . طراً جمعاً . الوعيد التهديد . الموعد الوعد

(١) يقول انه اجل امير قام بالامر وانجزهم فى وعده ووعيده

له يوم بؤس فيه للناس ابؤس ... ويوم نعيم فيه للناس انعم

فيقطر يوم الجود من كفه الندي ... ويقطر يوم البؤس من كفه الدم

(٤) الرضى المرضى عنه وهو وصف بالمصدر على معنى المفعول يستوي فيه المفرد والمثنى والمجموع مذكراً ومؤنثاً . الجون الشديد الخضرة . الجدا المطر العام والذى لا يعرف اقصاه

(المعنى) يقول انه بعد والده كالربيع أنبته المطر وهذا معنى حسن جميل اذ كلاهما نافع

حُسامٌ بهِ الإِسْلامُ أَضْحي مُقَلَّدَا[1]

لهُ شِيمَةٌ فِيهَا ثَوَى الفَضْلُ كُلُّهُ
كَمَا قدْ ثَوَى كلُّ الكَلامِ بأَبْجدَا[2]

وَرَأْىٌ إِذَا ماأظْلَمَ الخَطْبُ خِلْتَهُ
كَنَجْمٍ بهِ فِي ظُلْمةِ الخطْبِ يُهْتَدَى[3]

(يذود ويمنع

(المعنى) يقول وانه ليمنع عن الاسلام ويصد عنه كل زريئة فكأنما هو سيف تقلده الاسلام ليدافع عن حوزته به

(٢) الشيمة الطبيعة والخلق . ثوى بالمكان أقام فيه . أبجد قال فى القاموس أبجد الى قرشت وكلمن رئيسهم ملوك مدين ووضعوا الكتابة العربية على عدد حروف أسمائهم هلكوا يوم الظلة فقالت ابنة كلمن

كلمن هدم ركنى   هلكه وسط المحله

سيد القوم اتاه   الحتف نارا وسط ظله

جعلت نارا عليهم   دارهم كالمضمحله

ثم وجدوا بعدهم ثخذ ضظغ فسموها الروادف وهذه الكلمات تجمع فيها حروف الكلام العربى

(المعنى) يقول ان الفضل تجمع كله فى شيمة الممدوح كما تجمع الكلام جميعه فى كلمات أبجد وهذا معنى بديع جدا

(٣) (المعنى) يقول اذا مااسودت الخطوب واظلمت طلع فيها رأيه كأنه نجم يهتدى به . قال أبو مسلم الخراسانى

أدركت بالحزم والكتمان ماعجزت   عنه ملوك بنى مروان اذ جهدوا

مازلت أسعى عليهم فى ديارهم   والقوم فى غفلة بالشام قد رقدوا

حتى ضربتهم بالسيف فانتبهوا   من رقدة لم ينمها قبلهم أحد

وَفِكْرُهُ كمرآةِ المنجِّمِ في الورى
يرى اليومَ فيها ما يبينُ لهم غدا (١)

***

وقال الشاعر

اذا كنت ذارأى فكن ذا عزيمة فان فساد الرأى أن تترددا
ولا تمهل الاعداء يوما بقدرة وبادرهم ان يمسكوا مثلها غدا

وقال ابن الوفى

وما تجدى عليك ليوث غاب بنصرتها اذا دناك ذيب
توقى الداء خير من تصد لأيسره وان قرب الطبيب

(١) مرآة المنجم ـ كانت العرب تعتقد بالمدارك الغيبية من مثل الكهانة . والعرافة . والعيافة والتنجيم . والقيافة . والتفاؤل والتشاؤم . والطرق . والنقد . والعقد . ودور القمقم فنشأ من العرب الكاهن والزاجر والعراف والمنجم والقائف . فلنأت على وظيفة كل من ذكرنا اتماما للفائدة فنقول (الكاهن) هو الذى يخبر عن الكوائن فى مستقبل الزمان ويدعى معرفة الاسرار ومطالعة علم الغيب والمعروف بهذه الوظيفة من الجاهلية كثيرون منهم . الأفعى الكاهن وجذيمة بن الابرش تكهن وادعى النبوة . والزباء وابن صياد . وسواد بن قارب . والاسود العنسي من قبيلة مذحج واسمه عيهلة بن كعب وكان يكنى ذا الحمار لانه كان له حمار اسود معلم يقول له اسجد لربك فيسجد له ويقول له ابرك فيبرك قتله رجل اسمه فيروز قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بيوم وليلة . ومنهم عامر بن عبيدالله بن أبى سرح الذى كان أخا لعثمان بن عفان من الرضاعة ومنهم مسلمة الكذاب . وسجاح وطلحة الاسدى . والمختار بن أبى عبيد . وشق . وسطيح وأما (العراف) فهو الذى يخبر بالغيب ويداوى من الامراض وفيه يقول الشاعر

فقلت لعراف اليمامة داونى فانك ان داويتنى لطبيب

وأما (العائف) فهو زاجر الطير وهو أن يرمى الطير بحصاة فان طار الى الميمنة فقد تيمن به وان طار الى الميسرة فقد تشاءم منه . وأما (المنجم) فهو صاحب الجفر تماماً لانه يعتمد فى ذلك

أَيَا ٱبنَ الَّذِي سَاقَ المسَاعِرَ كالدَّبي
فاصْدَرَهُمْ حَوْضَ الجِلادِ وَأَوْرَدَا[1]
يُخالُونَ في نَسْجِ الحديدِ وَفي الظُّبَا
خِضَمًّا بِهِ الآذِيُّ أرْغى وأزْبَدَا

على حساب الجمل وغيره وقيل ان الامام جعفر الصادق هو الذى الف كتاب الجفر ولذلك قال ابو العلاء المعرى

لقد عجبوا لاهل البيت لما أتاهم علمهم من مسك جفر
ومرآة المنجم وهى صغرى أرته كل عامرة وقفر

وأما (القائف) فعلى ضربين قائف البشر وقائف الاثر الاول يتكهن بالنظر فى الوجوه . والثانى يتكهن بالنظر فى الاثر على الرمل . وأما (التفاؤل والتشاوم) فالتفاؤل هو أن يكون الرجل مريضا فيسمع آخر يقول ياسالم فيتفاءل خيرا من ذلك : والتشاؤم هو أن يرى غرابا مقبلا فيتشاءم منه لانه يدل فى زعمه على الغربة . وأما (الطرق) فهو الطرق بالحصا ومنه قول لبيد

لعمرك ماتدرى الطوارق بالحصى ولا زاجرات الطير ماالله فاعل

وكان الطرق من صنعة النساء وهن المسمون بالطوارق . وأما (النقد والعقد) فهى ضرب من السحر . وأما (درر القمقم) فهو اذا أراد الكاهن استخراج السرقة أخذ قمقمة وجعلها بين سبابتيه ينفث فيها ويرقى ويديرها فاذا انتهى فى زعمه الى السارق دار القمقم ولذلك يقولون فى المثل على هذا دار القمقم يضرب لمن ينتهى اليه الخبر ويدور عليه . ولا تزال أكثر هذه العوائد جارية الى الآن . ومرآة المنجم الآن هى مايسمونه بالمندل

(المعنى) يقول ان فكره كمرآة المنجم يرى بها فى يومه ما سيكون فى غده

(١) المساعر الشجعان . الدبى الجراد . أصدره صرفه عن الامر وأرجعه . أورد أحضره المورد ثم استعمل لمطلق الاحضار

(المعنى) يقول أنت سليل الذين عبوا الجيوش وأوردوها حوض الحروب وأصدروها غانمة ظافرة

(٢) الظبا جمع ظبة وهو سنان السيف . الخضم البحر . الآذى الموج . أرغى وأزبد ضج

كَأَنَّ دُخَانَ المَنْجَنِيقِ أَمَامَهُمْ
طَخَاءٌ كَثِيفٌ بِالصَّوَاعِقِ أَرْعَدَا [١]

وَخُرْصَانُهُمْ مِثْلُ الكَوَاكِبِ إِنْ بَدَتْ
تَدُورُ عَلَى الدُّنْيَا نُحُوساً وَأَسْعُدَا [٢]

فَفَلَّ جُمُوعَ الخَارِجِينَ بِبَأْسِهِمْ

غضباً وتهدد

(المعنى) يقول كأن فرسان هذا الجيش وعليهم الدروع وفي ايديهم السيوف اللامعة بحر خضم ارغى موجه فظهر على متنه الزبد الابيض وهذه الابيات التي مضت والتي بعدها كلها في وصف الجيش والسيوف والدروع فلنأت على ماقاله الشعراء في ذلك قال زيد الخيل

بجيش تضل البلق في حجراته ترى الاكم منه سجداً للحوافر
وجمع كمثل الليل مرتجس الوغى كثير تواليه سريع البوادر

وقال الخوارزمي

بجيش عنده اللاكم ثار وجسم الشمس في بدنه ضئيل
فكاهل هذه منه ثقيل وناظر هذه منه كحيل

(١) المنجنيق آلة للحرب تستعمل في الاحراق ورمي الحجارة ويقصد بها المدفع. الطخاء السحاب المرتفع المظلم. الصواعق جمع صاعقة وهي نار تسقط من السماء في رعد شديد لا تمر على شيء الا احرقته

(المعنى) يقول كأن دخان المنجنيق الذي هو كناية عن المدفع سحاب مظلم مرعد تتساقط منه الصواعق على الاعداء وهي كناية عن المقذوفات النارية التي تخرج من فم المدفع

(٢) الخرصان جمع خرص وهو الرمح

(المعنى) يقول كأن رماحهم كواكب تدور على الدنيا بالنحس والسعد وقد مشى السيد المؤلف على مذهب العرب القدماء من نسبة السعادة والشقاء الى الكواكب والنجوم وقال ابو تمام يصف الرمح

من كل ازرق نظار بلا نظر الى المقاتل ما في متنه اود

وَأَتْهَمَ فِيهِمْ بِالْفُتُوحِ وَأَنْجَدَا[٤]
وَحَامَى عَنِ الْقَبرِ الَّذِي عِنْدَ طَيْبَةٍ
وَذَادَ عَنِ الْبَيْتِ الَّذِي عِنْدَهُ كَدَا[٢]

كانه كان ترب الحب مذ زمن فليس يعجزه قلب ولا كبد

(١) الخارجين جمع خارج وهو من خرج على السلطان . وأتهم فيهم وأنجدا أى أبلى فيهم بلاء حسنا

(المعنى) يشير بقوله الخارجين الى فئة الوهابيين وهم فئة زعيمها الاول يدعى محمد عبد الوهاب خرج على السلطان وحزب احزابا كثيرة وافتتح بها نجدا والحجاز والحرمين ومازال يفتتح بلاد العرب حتى توفى سنة ١٢٠٥ فاستمر أحزابه من بعده فى أعمالهم حتى استفحل امرهم ونهبوا الكعبة فلم ير السلطان محمود بن السلطان عبد الحميد بدا من أن يستعين بمحمد على باشا والى مصر وجد الممدوح على مطاردة الوهابيين فخابره فى ذلك بالطاعة وجمع القوات وأرسل عليها ابنه المغفور له طوسون باشا واخذ بعده حتى جمع قواته امام المدينة وأطلق عليها النار فهدم بعض السور ثم دخلها واثخن فى حاميتها حتى سلمت فكف السيف عنها ثم عاد الوهابيون الى الكرة مرة اخرى فرأى محمد على باشا ان يسير بنفسه لمقاتلتهم فوقعت بينه وبينهم موقعة كبرى كان النصر فيها للجنود ومحمد على باشا تفرق بعدها الوهابيون . فعاد الى مصر وقد فتح طريق الحرمين ولكنه كان فى شك من امر اعدائه اذ لم يبدهم جميعاً وخاف ان يتجمعوا مرة ثانية فرأى من الصواب ان يرسل ابنه ابراهيم باشا البطل الشهير فى حملة عظيمة فكان ذلك فوصل المدينة وحارب الوهابيين حرباً شديداً حتى قبض على زعيمهم وارسله الى مصر وبعدها ارسله محمد على الى الاستانة فقتلوه . وكانت لمحمد على جملة حروب مع كل من خرج على السلطان كان النصر حليفه دائماً فيها فمنها ارساله ابنه ابراهيم باشا الى اهل المورة حين خرجوا على السلطان فحاربهم وعاد ظافراً منصوراً . ومنها خروج حكام سوريا على السلطان ايضاً فارسل اليهم محمد على باشا حملتين واحدة فى البر والثانية فى البحر وكلتاهما تحت قيادة ابراهيم باشا فاستولى على جميع بلاد سوريا بعد حروب شديدة وبالجملة فمجد محمد على باشا اطلق اسان شاعرنا فنظم هذه الابيات تعداداً لمآثر اجداد الممدوح

(٢) طيبة هى مدينة يثرب وبها قبر النبى صلى الله عليه وسلم . والبيت هو بيت الله الحرام

لَقَدْ عَمَّ آفَاقَ البَسِيطَةِ ذِكْرُكُم
وَطَارَ لأَعْنَاءِ السَّمَاءِ وأَبْعَدَا [١]
فَفِى القُبَّةِ الزَّرْقَاءِ خِلْتُ مَدِيحَكُم
كَصَوْتٍ بِهَا فى كُلِّ رُكْنٍ لَهُ صَدَى [٢]

كنز مدفون

أَفَاضِلَنَا أَعْزِزْ عَلَيَّ بِأَنْ أَرَى
دِيَارَكُمْ أَمْسَتْ وَلَيْسَ لَهَا أَهْلُ
أَفِى كُلِّ يَوْمٍ فُرْقَةٌ مِنْ جَمِيعِكُمْ
تَبِيدُ وَدَارٌ مِنْ مَجَامِعِكُمْ تَخْلو [٣]

وبه الكعبة التى هى قبلة المسلمين وموضع حجهم وهابمكة. كدا جبل اسفل مكة على طريق اليمن
(المعنى) يقول ان جدك حامي عن قبر النبي صلى الله عليه وسلم واستخلصه من ايدي الوهابيين ودافع عن بيت الله الحرام

(١) البسيطة الارض . أعناء السماء جمع عنو وعنا وهو الجوانب والنواحى
(المعنى) هذا البيت هو جواب الندا فى قوله
ايا ابن الذى ساق المساعر كالدبى وأصدرهم حوض الجلاد وأوردا
ومعناه ان ذكرك سار فى البرية جميعها وصعد الى السماء علوا وقدراً حتى ملأ جميع نواحيها
(٢) القبة الزرقاء السماء . الصدى ترجيع الصوت
(المعنى) يقول انى أخال مديحك وقد عم الدنيا صوتا فى قبة هى قبة السماء اذا مارن فيها رددته جميع نواحيها وهذا المعنى غاية فى الحسن والابداع
(٣) هذه الرسالة انشأها سماحة السيد المؤلف فى سنة ١٣٠٧ هجرية

أَطْلِقِ الدَّمْعَ وَأَطْرِقْ . فَقَدْ غَرُبَتِ الشَّمْسُ فِي الْمَشْرِقِ [١]. فَيَا هَزِيمَةَ الْعَقْلِ .
وَصَوْلَةَ الْجَهْلِ . وَيَا وَحْشَةَ الدُّورِ . وَأُنْسَةَ الْقُبُورِ [٢]. أَسَرِيرٌ . يُنْقَلُ وَيَسِيرُ . أَمْ
جَبَلٌ يَتَقَلَّعُ . وَوَسْمِيٌّ يَتَقَشَّعُ . وَهَذِهِ أَوْصَالٌ . أَمْ مَعَالٍ . تُنْشَرُ . وَتُقْبَرُ [٣]
أَلَا مَنْ رَأَى قَوْمًا كَأَنَّ رِجَالَهُمَ

أعرز مبنى للمجهول بمعنى صعب على ما أصابك . تبيد تهلك . الجامع جمع مجمع وهو مجلس الاجتماع

(المعنى) يقول أفاضلنا يعز على أن أري دياركم أمست خالية من ساكنيها قد عبثت بها نوب الليالى والايام وفرقت أهلها بعد اجتماع فالدار بائدة والسكان راحلون . ويعجبنى قول أبى الطيب فى هذا المعنى

أبنى أبينا نحن أهل منازل ... أبداً غراب البين فيها ينعق
نبكى على الدنيا ومامن معشر ... جمعتهم الدنيا فلم يتفرقوا
أين الاكاسرة الجبابرة الأُلى ... كنزوا الكنوز فما بقين ولا بقوا
من كل من ضاق الفضاء بجيشه ... حتى ثوى فحواه لحد ضيق

(١) أطلق الدمع أى فكه من أسره وأذرفه . أطرق أى طأطأ من رأسك

(المعنى) يقول فك الدمع من عقاله واجعله ينسكب انسكابا وطأطأ الرأس حزناً وكمداً فقد غربت الشمس ولكن كان غروبها فى المشرق لان المتوفى مات فى الشرق وكأن وفاته غروب الشمس

(٢) الصولة السطوة والقدرة . الوحشة الخلوة . الانسة ضد الوحشة

(المعنى) يقول لعمرى لقد انهزم العقل بعد المتوفى وصال الجهل وخلت الدور فصارت موحشة وعمر القبور فعادت مونسة لوجوده فيها

(٣) يتقلع فى مشيه مشى كأنه يتحدر . الوسمى مطر الربيع سمى به لانه يسم الارض بالنبات . يتقشع يتفرق. الاوصال جمع وصل بالكسر وهو المفصل

(المعنى) يقول اسرير الميت أى نعشه مايسير أمامنا أم جبل يزول عن مكانه أم غمام ينقشع فيخلف الارض بعده جدباء وهذه أوصاله وأعضاؤه المحمولة فى نعشه أم هذه معال تنقل من حال الى حال

نخيلٌ اتاها عاضدٌ فأمالَها ١

بُورِكَ المَيّتُ الغَرِيبُ كَما بُو

رِكَ نَضجُ الرُّمّانِ وَالزَّيتُونِ ٢

وَسلامُ الالهِ يَغدُو عليهِم

وَفيوءُ الفِردَوسِ ذاتِ الظِّلالِ ٣

أقبرٌ هذا أم جَفنٌ فيهِ سيفٌ جرازٌ . وَتربٌ فيهِ تِبرٌ رِكازٌ . وَقليبٌ

هُرِيقَ فِيهِ ذَنُوبٌ مِنْ كرَمٍ . وَجَفرٌ تهَدَّمَ فِيهِ بُنيَانٌ مِنْ هِمَمٍ ٤

وَهُمُ الأُسُودُ الغُلْبُ حَوْلَ ضَرِيحِهِ

يَبكُونَهُ بِنَوَاظِرِ الآرامِ ٥

---

(١) عاضد يقال عضد الشجرة وغيرها بالمعضد شذبها والعاضد اسم فاعل من عضد

(المعنى) يقول هل من الناس من رأى قوما طوال القامات كعيدان النخل وهو ممدوح عند العرب أتاها ملك الماضد وهو كناية عن الموت فاماها والاستفهام هنا استفهام انكارى

(٢) (المعنى) يقول ان نضجى الرمان والزيتون مباركان ويدعو لهذا الميت الغريب بالبركة كما بارك الله فى هذين النضجين

(٣) فيوء الفردوس أى ظلالها

(المعنى) يدعو أيضا للميت ويطلب من الله سبحانه وتعالى أن يظلل جدثه بظلال الفردوس الجنة وهو

(٤) الجفن الغمد. الجراز السيف القطاع. التبر ما كان من الذهب غير مضروب ولا يقال تبر الا للذهب ، الركاز ما ركزه الله تعالى من المعادن فى الارض. القليب البئر هريق أى صب مبنى للمجهول. الذنوب الدلو التى لها ذنب وقيل التى دون الملء. الجفر البئر الواسعة

(المعنى) يقول ليت شعرى هل قبر الفقيد غمد وهو فيه حسام أم تراب وهو فيه تبر مودع أم بئر صب فيه ذنوب ملئه الكرم أم جفر تهدم فيه بنيان من همة وعزيمة

(٥) الغلب جمع أغلب وهو الاسد . الآرام الظباء

فإلى الله نشكو زمنا أطفأ هذا السراج . وكسر هذا التاج . وأخبأ هذا الشهاب . وقفل هذا الباب . وغادرنا بعده فى غيٍّ كرشدٍ ورشدٍ كغيٍّ . وحيٍّ كميتٍ وميتٍ كحيٍّ [1]

وأنت أولى وإن أصبحت في جدث
بأن تعزّى بأهل الوعث والجدد [2]

عينان كأنهما عينان نضاختان . طرفٌ خاشعٌ . وشممٌ باخعٌ . ونفسٌ راجعٌ . وإصبعٌ دامٍ . وعثيرٌ فوق هامٍ [3] . وحزنٌ ينقض الأضلاع . وهم

(المعنى) يقول ان الرجال العظام تبكيه على قبره بجزع كانه جزع النساء

(١) اخباء اطفأ

(المعنى) يقول أشكو الى الله من دهر أخمد هذا القبس المضيء وكسر هذا التاج الذي كان موضعه الرؤوس واطفأ جذوة هذا الشهاب المتوقدة وقفل هذا الباب وهو باب العلم والفضيلة وغادرنا من بعده مدهوشين حتى نظن الغي رشدا والرشد غيا و نرى الحي ميتا والميت حيا

(٢) الجدث القبر . الوعث المكان السهل الكثير الدهس تغيب فيه الاقدام . الجدد ما استدق من الرمل

(المعنى) يقول وان أصبحت فى جدث بعيداً عن الاهل والصحب والاخدان فانك جدير بان تعزي باهل هذين المكانين لانك حى بما آثرك وعلومك وانت ميت كما ان غيرك كانه ميت وهو حى لقلة فضله .

(٣) عينان هما العينان الباصرتان . وعينان الثانية هما العينان الناضحتان . نضاختان يقال عين نضاخة أى فوارة غزيرة . الطرف العين . الشمم ارتفاع قصبة الانف وهو كناية عن العظمة والارتفاع . الباخع المنقاد المنذل . نفس راجع أي فى أخذ ورد . دام مكلوم مجروح وهو كناية عن العض على الاصابع حتى دميت وتكلمت . العثير الغبار . الهام جمع هامة وهى العنق والرأس

(المعنى) يقول ان عين كل انسان منا أصبحت بعدك كالعين الناضحة الفوارة الغزيرة

يَسُلُّ النُّخَاعَ . وَفى كلِّ قَلْبٍ صَدْعٌ وَفى كلِّ رَأْسٍ صُدَاعٌ (١)

قُومَا تَنُوحَانِ مَعَ الأَنْوَاحِ
وَأَبِّنَا مُلاعِبَ الرِّمَاحِ
أَبَا بَرَاءٍ مِدْرَهَ الشِّيَاحِ
فِي السَّلَبِ السُّودِ وَفِى الأَمْسَاحِ (٢)

* * *

واصبح كل طرف وقد خشع وهذا الشمم بعد العزة والقدرة أصبح منخفضاً وانفاسنا مترددة فى صدورنا لهفةوجزعاًواصابعنا دامية حسرة عليك وقد علا رؤوسنا وهاماتنا الغبار مما نثيره عليها من الحزن والجزع

(١) ينقض يهدم . يسل ينزع . النخاع مثلثة عرق أبيض من داخل العنق ينقاد فى فقار الظهر حتى يبلغ عجب الذنب

(المعنى) يقول ان حزنا عليك كسر الاضلاع ونزع النخاع فاصبحنا وقلوبنا مصدعة ورؤوسنا مصدوعة

(٢) الانواح جمع نائحة وهى الباكية بصوت . ابن اثنى عليه بعد موته . ملاعب الرماح أى الذى يلعب بالرماح وهى كناية للعرب تطلق على رجل الحرب ومنها ملاعب الاسنة . المدرة لسان القوم المدافع عنهم وهو من درأ . الشياح الحذار والجد فى كل شىء والتحفظ والسلب مايسلب تقول سلب القتيل وهو ماعليه من سلاح وثياب ومنه تسلبت المرأة على زوجها أى لبست الحداد . الامساح جمع مسح وهو كساء من شعر

(المعنى) يقول قوما للنواح مع النائحات وارثيا رجل الحرب المسمى ابا براء فانه كان راعى الحى وحامى ذمارهم والبسا لذلك السلب السود والامساح — هذا وقد كانت المرأة فى الجاهلية اذا اصيب لها كريم حلقت شعر رأسها وأخذت تضرب هامتها بنعلين فتعقرها قال عبد مناف بن ربع الهذلى

ماذا يفيد ابنتى ربع عويلهما   لا ترقدان ولا بؤسى لمن رقدا

فِى سَبِيلِ اللّٰهِ مِنْهُ وَاحِدٌ بِأَلْفٍ. كَالدِّينَارِ فِى الصَّرْفِ[١]. كَرِيمُ الْمَنْبَتِ وَالْبَيْتِ مَافِيهِ لَوٌّ وَلَا لَيْتٌ[٢]. مَاضٍ وَالسَّيْفُ نَابٍ. كَأَنَّهُ فِى الْفُضَلَاءِ سَطْرُ بِسْمِ اللّٰهِ فِى الْكِتَابِ[٣]

كلتاهما ابطنت احشاءها قصبا　　من بطن حلية لا رطبا ولا نقدا

اذا تأوب نوح قامتا معه　　ضرباً اليما بسبت يلعج الجلدا

السبت النعل وقالت الخنساء

ولكنى وجدت الصبر خيرا　　من النعلين والرأس الحليق

(١) (المعنى) يقول فى سبيل الله واحد كان يعد بالف كما يصرف الدينار بكثير من الدراهم اونحوها يعنى انه جمع فيه كل الناس

(٢) كريم المنبت . اى الاصل لولها معان كثيرة وهى هنا للتمنى . ليت حرف تمنى

(المعنى) يقول ان المتوفى كان كريم المحتد نبت من تربة صالحة فللمادح ان يمدح كيف شاء ولا يقول لو كان فيه الخلق الفلانى لكان تاماً اوليت فيه الخصلة العلانية لكان عظيما فهو ليس ممن تدخل عليه لو او ليت

. ومن اشجى ماقيل فى الرثاء قول متمم بن نويرة

لقد لامنى عند القبور على البكا　　رفيقى لتذراف الدموع السوافك

فقال اتبكى كل قبر رأيته　　لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك

فقلت له ان الشجا يبعث الشجا　　فدعنى فهذا كله قبر مالك

وقال النابغة الجعدى

فتى كان فيه مايسر صديقه　　على ان فيه مايسوء الاعاديا

فتى كملت خيراته غير انه　　جواد فما يبقى من المال باقيا

(٣) ماض قاطع . الناب يقال نبا السيف عن الضربة اي كل وارتدعنها ولم يمض . الفضلاء . جمع فاضل

(المعنى) يقول انه يكون ماضياً اذا نبا السيف اى انه امضى منه ويقول انه فى مقدمة الفضلاء اذا عدوا كما تكون البسملة فى اوائل الكتب وصدورها وقد صدر الله سبحانه وتعالى

جَمٌّ الأَصْفادِ وَالمَنْحِ . إِذا اسْتَنْجَدْتَهُ جاءَكَ نَصْرُ اللهِ وَالفَتْحُ .

بها كتابه المجيد وقال الشاعر يصف صبره على الشدائد

ونكبة لو رمى الرامي بها حجراً اصم من جندل الصمان لا نصدعا

مرت على فلم اطرح لها سلبى ولا اشتكيت لها وهناً ولا جزعا

ماشدمن مطلع يخشى الهلاك به الاوجدت بظهر الغيب مطلعا

لا يملأ الامر صدرى قبل موقعه ولا يضيق به صدرى اذا وقعا

كلا لبثت فلا النعماء تبطرنى ولا تخشعت من لأوائها جزعا

وقال سعد بن مالك

يا بؤس للحرب التى وضعت اراهط فاستراحوا

والحرب لا يبقى لجا حمها التخيل والمراح

الا الفتى الصبار فى النجدات والفرس الوقاح

والنثرة الحصداء والبيض المكال والرماح

والكر بعد الفر اذ كره التقدم والنطاح

كشفت لهم عن ساتها وبدا من الشر الصراح

فالهم بيضات الخدور هنا فلا النعم المراح

وقال لبيد

فلا انا يأتينى طريف بفرحة ولا أنا مما احدث الدهر جازع

أنجزع مما احدث الدهر بالفتى واى كريم لم تصبه القوارع

وقال النابغة

اذا مسه الشر لم يكتئب وان مسه الخير لم يعجب

وقال ابو فراس الحمدانى

صبور ولو لم تبق منى بقية قؤول ولو ان السيوف جواب

وما كل فعال يجازى بفعله وما كل قوال لدى يجاب

ورب كلام مرفوق مسامعى كما طن فى لوح الهجير ذباب

والشعر فى هذا المعنى كبير وفى هذا القدر كفاية

(١) الجم الكثير . الاصفاد جمع صفد وهو العطاء . المنح العطاء أيضا .
(المعنى) يقول ان الفقيد كان كثير الكرم اذا استنجده الانسان وكان فى ضيقة تسراء جاءه نصر الله والفتح وناهيك بهما . والكرم عادة من أحسن العادات وأفضلها اذ كل متخلق بها يكون محببا من الناس مغبوطا منهم لان النفس من طبيعتها ميالة الى من أحسن اليها رغابة فى كل جواد وكانت هذه التحيزة منتشرة فى الامة العربية انتشارا زائدا قل ان يوجد فيهم البخيل . ومن اتصف بهذه الخصلة الذميمة منهم كان يضرب به المثل فى اللؤم اذ لولا ذلك لما بقى اسم مادر البخيل المشهور يضرب به المثل عند المذمة والانتقاص كما يضرب المثل بحاتم عند المدح والشعراء قد ملأت بذلك اشعارهم وفخروا به كثيرا حتى ان الواحد منهم ربما ادي به كرمه الى الفاقة ويرى ذلك محمدة يشكر عليها ويخلد اسمه بها فمن ذلك قول عمرو بن الاهتم

ذريني فان الشح يا أم هيثم ... لصالح أخلاق الرجال سروق
ذريني وحطى فى هواي فانني ... على الحسب الزاكى الرفيع شفيق
ذريني فانى ذو فعال تهمنى ... نوائب يغشى رزؤها وحقوق
وكل كريم يتقى الذم بالقرى ... وللحق بين الصالحين طريق
لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ... ولكن أخلاق الرجال تضيق

وقال آخر

أيا ابنة عبد الله وابنة مالك ... ويا ابنة ذى البردين والفرس الورد
اذا ماصنعت الزاد فالتمسى له ... أكيلا فانى لست آكله وحدى
أخا طارقا أو جار بيت فاننى ... أخاف مذمات الاحاديث من بعدى
وانى لعبد الضيف مادام ثاويا ... وما فى الا تلك من شيمة العبد

وقال آخر

فالا أكن عين الجواد فاننى ... على الزاد فى الظلماء غير شتيم
فالا أكن عين الشجاع فاننى ... أرد سنان الرمح غير سليم

وقال حاتم الطائى

أما والذى لا يعلم السر غيره ... ويحيى العظام البيض وهى رميم
لقد كنت أختار القرى طاوى الحشا ... محافظة من أن يقال لئيم
وانى لاستحى يمينى وبينها ... وبين فمى داجى الظلام بهيم

لِى حِكْمةِ رَسْطَالِيسَ ١ أوِ الشَّيْخِ الرَّئيسِ وَخَطَبِ ايَادٍ . أوْ زِيادٍ ٢ .

(١) رسطاليس هو ارسطو وتقدمت ترجمته فى موضع اخر من هذا الكتاب ـ الشيخ الرئيس هو أبو على الحسن بن عبدالله بن سينا الحكيم المشهور. ولد بقرية خرميثنا من أعمال بخارى ثم انتقل مع أبيه الى بخاري واشتغل بالعلوم وحصل الفنون ولما بلغ سنه عشر سنين كان قد أتقن علم القرآن والادب وحفظ أشياء كثيرة من أصول الدين والحساب والجبر والمقابلة ثم توجه نحوهم الحكيم أبو عبدالله الناتلى فانزله والد الشيخ الرئيس عنده فابتدا أبو على يقرأ عليه كتاب ايساغوجى واحكم عليه علم المنطق وقرأ عليه أيضا اقليدس والمجسطى ثم كان يختلف فى الفقه الى اسماعيل الزاهد ثم اشتغل بتحصيل العلوم كالطبيعى والالهى وغير ذلك ثم رغب بعد ذلك فى علم الطب فبرز فيه حتى فاق الاوائل وأصبح عديم النظير. فاخذ عنه هذا الفن كبراؤه. ثم ذكر أبو على عند الامير نوح ابن نصر السامانى صاحب خراسان فى مرض مرضه فاحضره وعالجه حتى برىء واتصل به ودخل الى دار كتبه وكانت عديمة المثل فظفر أبو على فيها بكتب من علم الاوائل وغيرها وحصل نخب فوائدها واتفق بعد ذلك احتراق هذه الكتب فنفرد أبو على بما حصله من علومها . وبالجملة فابن سينا كان نادرة عصره وواحد دهره وقل فى حكماء المسلمين وفلاسفتهم من حصل كل علم ونظر فى كل شيء مثل ابن سينا وقد الف كثيرا من المصنفات فى كل علم ومطلب. وكانت ولادته فى سنة سبعين وثلثمائة ووفاته سنة ثمان وعشرين واربعمائة بهمذان ودفن بها رحمه الله تعالى

(المعنى) يقول ان الفقيد كان حكيما بارعا وفيلسوفا حاذقا أشبه رسطاليس معرفة وفهما فى اليونان والشيخ الرئيس علما واختباراً فى الاسلام

(٣) اياد ـ اياد أبو قبيلة من العرب وهو ابن معد بن عدنان واخو نذار بن معد وقيل اياد هو ابن نذار وأعطاه أبوه الخدم وما أشبهه من ماله لما قسم ارثه بين أولاده . كانت منازلهم بعين أباغ بعد ما تفرقت العرب وكان جذيمة الابرش كثيراً ما يغزوهم حتى طلبوا مسالمته وكان بينهم غلام من لخم من بنى أختهم وكانوا اخوالا له وهو عدي بن نصر بن ربيعة وكان موصوفا بالجمال والظرف فطلبه منهم جذيمة فامتنعوا أن يسلموه اليه فالح عليهم بالغزو وكان له صنمان يعبدهما فبعث اياد من سرق الصنمين وعرفوه انهما عندهم ويردونهما بشرط أن يكف عنهم فاجابهم الى ذلك بشرط تسليم عدي بن نصر فقبلت اياد وكان من أمر عدى مع جذيمة واخته رقاش ما كان من عشقها له وتتيمها فيه. وتشعبت من اياد بطون كثيرة وتفرقوا فى البلاد وكان

بعد ذلك معظمهم مستوطناً فى العراق غلبوا عليه الفرس لما كان سابور ذو الاكتاف صغيراً واكثروا هناك الفساد فمكثوا حيناً لا يغزوهم احد من الفرس لصغر ملكهم فلما كبر سابور غزا من جاور بلاده من العرب فانتقلت اياد من الجزيرة وصارت تغير على السواد فجهز سابور اليهم الجيوش وكان لقيط الايادى معهم فكتب الى اياد

سلام فى الصحيفة من لقيط　　الى من بالجزيرة من اياد
بأن الليث كسرى قد اتاكم　　فلا يشغلكم سوق النقاد
اتاكم منهم سبعون الفاً　　يزجون الكتائب كالجراد

فلم يتقبلوا منه وداموا على الغارة فكتب اليهم ايضاً

ابلغ اياد وطول فى سراتهم　　انى ارى الرأى ان لم اعص قد نصعا

وهى قصيدة طويلة فلم يحذروا فاوقع بهم سابور واباد هم قتلا الا من لحق منهم بارض الروم فتنصروا هناك على التمادى ثم اسلموا فى فتح تكريت سنة ١٦ هجرية وكانوا اقدا توا على الروم ومعهم غيرهم من قبائل العرب وقد وهم بعضهم ان الخط تعلمته الناس من اياد لقول الشاعر

قوم لهم ساحة العراق اذا　　ساروا جميعاً والخط والقلم

نعم ان اياد اسكنت العراق ولكن بقيت على ما كانت عليه من البداوة كما علمت ومراد الشاعر انهم اقرب الى الخط والقلم من غيرهم من العرب لقربهم من ساحة الامصار . واياد وان اغفلت الخط فقد قام منها الخطباء الفصحاء والمفوهون البلغاء وضرب بخطب اياد المثل لطولها قال الشاعر فيهم

يرمون بالخطب الطوال وتارة　　وحى الملاحظ خيفة الرقباء

وعلى ذكر الخطابة نأتى هنا بحكاية مفيدة لمن يريد ان يتعلم فن الخطابة الذى كان وظيفة كبار العرب وعظمائهم وهى : مر بشر بن المعتمر بابراهيم بن جبلة بن مخرمة السكونى الخطيب وهو يعلم فتيانه الخطابة فوقف بشر يستمع فظن ابراهيم انه انما وقف يستفيد او يكون رجلا من النظارة فقال بشر اضربوا عما قال صفحاً واطووا عنه كشحا ثم دفع اليهم صحيفة من تحبيره وتنميقه فيها : خذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك واجابتها اياك فان نفسك تلك الساعة اكرم جوهراً واشرف حسباً واحسن فى الاسماع واحلى فى الصدور واسلم من فاحش الخطأ واجلب لكل عين من لفظ شريف ومعنى بديع . واعلم ان ذلك اجدى عليك مما لا تبلغه الا بالكد والمطاولة والمجاهدة بالتكليف والمعاودة ومهما اخطأك لم يخطئك ان يكون مقبولا قصدا وخفيفاً

على اللسان سهلا وكما خرج من ينبوعه ونجم من معدنه وإياك والتوعر فان يسلمك الى التعقيد والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ويشين ألفاظك ومن اذاع معنى كريماً فليلتمس له لفظاً كريماً فان حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ومن حقهما ان تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما وعما تعود من اجله الى ان تكون اسوأ حالا منك قبل ان تلتمس اظهارهما وترهن نفسك بملابستهما وقضاء حقهما فكن فى ثلاثة منازل فأول ذلك ان يكون لفظك رشيقاً عذباً وفخما سهلا ويكون معناك ظاهراً مكشوفاً وقريباً معروفاً اما عند الخاصة ان كنت للخاصة قصدت واما عند العامة ان كنت للعامة اردت والمعنى ليس يتضع ان يكون من معانى العامة وانما مدار الامر على الشرف مع الصواب واحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال وكذلك اللفظ العامي والخاصى فان امكنك ان تبلغ من بيان لسانك وبلاغة لفظك ولطف مداخلك وقدرك فى نفسك على ان تفهم العامة معانى الخاصة وتكسوها الالفاظ المتوسطة التى لا تلطف عن الدهاء ولا تجفو عن الاكفاء فانت البليغ التام: فقال له ابراهيم بن جبلة جعلت فداك انا احوج الى تعليم هذا الكلام من الغلمة ــ زياد: كانت البغايا فى الجاهلية من الاماء وكانت لهن رايات يعرفن بها وينتحيها الفتيان وكان اكثر الناس يكرهون اماءهم على البغاء والخروج الى تلك الرايات يبغون بذلك عرض الحياة الدنيا فنهى الله تعالى فى كتابه عن ذلك بقوله عز وجل (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء أن اردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن) يريد فى الجاهلية (فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم) يريد فى الاسلام. فيقال ان ابا سفيان خرج يوماً وهو ثمل الى تلك الرايات فقال لصاحبة الراية هل عندك من بغى فقالت ما عندى الا سمية قال هاتها على نتن ابطيها فوقع بها فولدت له زياداً. وسمية هذه كانت امة لابى الخير بن عمرو الكندى وتدوهبها للحارث ابن كلدة وكان طبيباً يعالجه فولدت له على فراشه نافعاً ثم ولدت ابا بكرة فانكرلونه وقيل له ان جاريتك بغى فانتفى من ابى بكرة ومن نافع وزوجها عبيداً عبداً لابنته فولدت على فراشه زياداً فلما كان يوم الطائف نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما عبد نزل فهو حر وولاؤه لله ورسوله فنزل ابو بكرة واسلم ولحق بالنبى صلى الله عليه وسلم فقال الحارث بن كلدة لنافع انت ابنى فلا تفعل كما فعل هذا يريد ابا بكرة فلحق به فهو ينتسب الى الحارث بن كلدة ثم ان زيادا نشأ خطيباً مفوهاً وداهية محتالا وقد وجه به عامل من عمال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه بفتح فتحه الله على المسلمين به فامره عمر ان يخطب الناس على المنبر فاحسن فى خطبته وجود وعند اصل المنبر ابو سفيان بن حرب وعلى بن ابى طالب رضى الله عنه فقال ابو سفيان لعلى

ايعجبك ماسمعت من هذا النتى قال نعم قال اما انه ابن عمك قال وكيف ذلك قال انا قذفته فى رحم أمه سمية قال فما يمنعك ان تدعيه قال اخشى هذا القاعد على المنبر يعنى عمر بن الخطاب أن يحدعلى اهابى فبهذا الخبر استلحق معاوية زيادا وشهد له الشهود بذلك وهذا خلاف حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله الولد للفراش وللعاهر الحجر. ثم لما شهد الشهود لزياد قام فى أعقابهم فحمد الله واثنى عليه بما هو أهله ثم قال (هذا أمر لم اشهد أوله ولا علم لى بآخره وقد قال أمير المؤمنين ما بلغكم وشهد الشهود ما سمعتم فالحمد لله الذى رفع منا ما وضع الناس وحفظ منا ما ضيعوا وأما عبيد فانما هو والد مبرور وربيب مشكور) ثم جلس. وكان زياد شديداً فى احكامه حتى قيل ان زياداً تشبه بعمر بن الخطاب فى شدته فافرط وتغالى فخرج عن الحق وتشبه الحجاج بزياد فاهلك الناس ومما يظهر شدته خطبته المشهورة بالبتراء حينما قدم البصرة والياً لمعاوية وسميت بالبتراء لانه لم يحمد الله فى أولها فاول ما ورد قال: اما بعد فان الجهالة الجهلاء. والضلالة العمياء. والغى المو فى بأهله على النار ما فيه سفهاؤكم وتشتمل عليه حلماؤكم من الامور العظام ينبت فيها الصغير ولا يتحاشى عنها الكبير كانكم لم تقرأوا كتاب الله ولم تسمعوا بما أعد الله من الثواب الكريم لاهل طاعته والعذاب العظيم لاهل معصيته فى الزمن السرمدي الذى لا يزول اتكونون كمن طرفت عينه الدنيا وسدت مسامعه الشهوات واختاروا الفانية على الباقية ولا تذكرون أنكم أحدثتم فى الاسلام الحدث الذى لم تسبقوا اليه من ترككم هذه المواخير المنصوبة والضعيفة المسلوبة فى النهار المبصر والعدد غير قليل ألم يكن منكم نهاة تمنع الغواة عن دلج الليل وغارة النهار قربتم القرابة وباعدتم الدين يعتذرون بغير العذر ويغضون على المختلس كل امريء منكم يذب عن سفيهه صنيع من لا يخاف عاقبة ولا يرجو معاداً ما انتم بالحلماء ولقد اتبعتم السفهاء فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الاسلام ثم اطرقوا وراءكم كنوساً فى مكانس الريب. حرام على الطعام والشراب حتى اسويها بالارض هدماً واحراقاً انى رأيت آخر هذا الامر لا يصلح الا بما صلح به أوله لين فى غير ضعف وشدة فى غير عنف وانى أقسم بالله لآخذن الولى بالمولى والمقيم بالظاعن والمقبل بالمدبر والصحيح بالسقيم حتى يلقى الرجل منكم اخاه فيقول انج سعيد فقد هلك سعد أو تستقيم لى قناتكم. كذبة الامير تلفى مشهورة فاذا تعلقتم على بكذبة فقد حلت لكم معصيتى من نقب منكم عليه فانا ضامن لما ذهب منه فان ناي ودلج بالليل فانى لا اوتى بمدلج الا سفكت دمه وقد اجلتكم فى ذلك بقدر ما يأتى الخبر الكوفة ويرجع اليكم واياكم ودعوي الجاهلية فانى لا اجد أحداً دعا بها الا قطعت

وَرِوَايةِ حَمَّادٍ . أوِ ابنِ أبي الزِّنادِ [١]

قَدْ كانَ فى عِلمهِ بينَ الوَرَى عَلَمًا
يُهْدَى بِهِ انْ زَوَتْ أعلامَها البِيدُ
وَمَنْ رَوَتْ فضلَهُ حُسَّادُ رُتْبَتِه

لسانه وقد احدثتم احداثا لم تكن وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة فمن غرق قوما أغرقناه ومن أحرق قوما أحرقناه ومن نقب بيتا نقبنا عن قلبه ومن نبش قبراً دفناه فيه حياً فكفوا عنى السنتكم وأيديكم أكف عنكم يدى ولسانى ولا يظهرن من أحد منكم ريبة بخلاف ما عليه عامتكم الاضربت عنقه وقد كانت بينى وبين قومى أحن فجعلت ذلك دبر اذنى وتحت قدمي فمن كان محسنا فليزد فى احسانه ومن كان مسيئا فلينزع عن اساءته . انى لو علمت ان أحدكم قد قتله السل من بغضى لم أكشف له قناعا ولم أهتك له ستراً حتى يبدى لى صفحته فان فعل ذلك لم أناظره فاستأنفوا أموركم وأعينوا على انفسكم فرب مبتئس بقدومنا سيسر ومسرور بقدومنا سيبتئس . أيها الناس انا أصبحنا لكم ساسة وعنكم ذادة نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا ونذود عنكم بفىء الله الذي خولنا فلنا عليكم السمع والطاعة فيما احببنا ولكم علينا العدل فيما ولينا فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم لنا واعلموا أنى مهما أقصر فيه فلن أقصر عن ثلاث لست محتجبا عن طالب حاجة ولو أتانى طارقا بالليل ولا حابسا عطاء ولا رزقا عن أبانه ولا مجمراً لكم بعثة فادعوا الله بالصلاح لأئمتكم فانهم ساستكم المؤدبون لكم وكهفكم الذى اليه تاوون ومتى يصلحوا تصلحوا ولا ولا تشربوا قلوبكم بغضهم فيشتد لذلك اسفهم ويطول له حزنكم ولا تدركوا حاجتكم مع انه لو استجيب لكم فيهم لكان شراً لكم أسأل الله أن يعين كلا على كل واذا رأيتمونى أنفذ فيكم امراً على اذلاله وأيم الله ان لى فيكم لصرعى كثيرة فليحذر كل امرء منكم أن يكون من صرعاى) ثم نزل

(المعنى) يقول كما أنه حكيم حاذق وفيلسوف بارع فكذلك هو خطيب مصقع ومفوه منطيق فكأن خطبه خطب أياد وكأن فصاحته فصاحة زياد

(١) رواية حماد هو حماد الراوية الشهير وقد تقدمت ترجمته فى موضع آخر من هذا الكتاب ابن أبى الزناد هو رواية للحديث فى القرون الاولى من الاسلام

(المعنى) يقول وكما أنه فى الخطب مثل اياد وزياد فكذلك هو فى الرواية مثل حماد الراوية

وَمُنِعَتْ عَنْ أيَادِيهِ الأسَانِيدُ[١]
وَعَلِمت حَتّى مَا أُسَائِلُ وَاحِدًا
عَنْ حَرْفٍ وَاحِدَةٍ لِكَيْ أزْدَادَهَا[٢]
وفضلٍ كالمِسْكِ إنْ كتَمْتَهُ سَطَعَ . وَكالقَبَسِ إنْ خَفَضْتَهُ ارْتَفَعَ[٣] سَجَايَا وَمدَحٌ .
إنْ عُدِّدَتْ نَابت لأعْدَائِهِ عَنِ السُّبَحِ[٤]

الشهير وابن أبى الزناد

(١) العلم الجبل أو علم الطريق . ذوت أى طوت . البيد جمع بيداء وهى الفلاة المتسعة منعن الراوى قال فى روايته روى عن فلان عن فلان. الاسانيد جمع اسناد وهو عند أهل المناظرة والمحدثين ما اعتمدوا عليه فى رواياتهم

(المعنى) يقول أنه كان علما فى علمه وفضله فى وقت قل فيه العلماء والفضلاء وهو الذى روت عنه حساده لاحتياجهم اليه ومنعت الاسانيد عن أياديه أى أخذت طلابه عنه بالرواية

(٢) (المعنى) يقول أنه كان غنيا بعلمه وفضله لا يسأل عن عويصة كى يزدادها

(٣) سطع انتشرت رائحته القبس لسان النار

(المعنى) يقول مثله كمثل المسك مهما كتمته وخبأته انتشرت رائحته وكالقابس كلما أردت أن تخفض منه ارتفع الى أعلا

(٤) (المعنى) يقول أن سجاياه الجميلة كثيرة فلو أراد أعداؤه أن يعددوها لكانت له بمثابة السبح وقال العرندس فى المدح

هينون لينون أيسار ذوو كرم ... سواس مكرمة أبناء أيسار
ان يسألوا الحق يعطوه وان خبروا ... فى الجهد أدرك منهم طيب أخبار
وان توددتهم لانوا وان شهموا ... كشفت اذمار شر غير أشرار
فيهم ومنهم يعد المجد متلدا ... ولا يعد نثا خزى ولا عار
لا ينطقون عن الفحشاء ان نطقوا ... ولا يمارون ان ماروا باكثار
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم ... مثل النجوم التى يسرى بها السارى

وَتَرَى الفَضِيلَةَ لاَتَرُدُّ فَضِيلَةً
الشَّمْسَ تُشْرِقُ وَالسَّحَابَ كَنَهْوَرَا [١]

انَّ النَّوَائِحَ لاَيَعْدُونَ فِى عُمَرٍ
مَا كَانَ فِيهِ وَلاَ الْوُلِىُّ إِذَ افْتَخَرَا [٢]

***

دُنْيَا تَغُرُّ الجَاهِلَ . وَلاَ تَسُرُّ العَاقِلَ . دَارٌ لاَيَدْخُلُهَا الطِّفْلُ . الاَّ وَهُوَ بَاكٍ . وَلاَيَخْرُجُ الكَهْلُ . الاَّ وَهُوَ شَاكٍ . قَدْ عَصَفَتْ بِالسُّرُورِ سَوَانِيهَا وَمَنْ

---

(١) الكنهور من السحاب قطع أمثال الجبال أو المتراكم منه الواحدة كنهورة
(المعنى) يقول كما أن الشمس تشرق أحياناً والسحاب متراكم فكذلك الفضيلة لاتمحو الفضيلة وهذا البيت للمتنبي من قصيدة يمدح بها ابن العميد

باد هواك صبرت أم لم تصبرا — وبكاك ان لم يجر دمعك أم جرى
كم غر صبرك وابتسامك صاحباً — لما رآه وفى الحشا مالا يرى

وفيها يقول يمدحه

بأبى وأمى ناطق فى لفظه — ثمن تباع به القلوب وتشترى
من لاتريه الحرب خلقا مقبلا — فيها ولا خلق يراه مدبرا
يامن اذا ورد البلاد كتابه — قبل الجيوش ثنى الجيوش تحيرا
أنت الوحيد اذا ركبت طريقة — ومن الرديف وقد ركبت غضنفرا

(٢) (المعنى) يقول انه مهما عدد النوائح ذكر المتوفى . أوعدد المفتخر مناقب نفسه فذلك لايعدو مافى هذا الفقيد من المناقب

(٣) (المعنى) يقول أن هذه الدنيا كما أنها لاتغر الا الجاهل كذلك هى لاتسر العاقل اذاى سرور فى دار اذا دخلها الطفل لايدخلها الا وهو باك كما يحصل عند الولادة وكذلك لايخرج منها الشيخ الهرم الا وهو يشكو منها ومن عذابها وآلامها وأمراضها

أَذْنَبَ فِي جَهَنَّمَ وَجَبَ أَنْ يُعَذَّبَ فِيهَا.[١] (أَشْأَمُ مِنْ مَنْشَمٍ). (صَمَّتْ حَصَاةٌ بِدَمٍ [٣]).

---

(١) السوافى الرياح

(المعنى) يقول ان من اذنب فى الدنيا يعذب فى الآخرة فى جهنم ولكن لكثرة شرور الدنيا وعذابها فان من اذنب فى جهنم كان يجب ان يعذب فى الدنيا

(٢) (اشأم من منشم) هذا مثل عربى ويقال اشأم من عطر منشم وقد اختلف الرواة فى لفظ هذا الاسم ومعناه وفى اشتقاقه وفى سبب المثل. فاما اختلاف لفظه فانه يقال منشم ومنشم ومشأم. واما اختلاف معناه فان اباعمرو بن العلاء زعم ان المنشم الشر بعينه وزعم آخرون انه شيء يكون فى سنبل العطر يسميه العطارون قرون السنبل وهو سم ساعة قالوا وهو البيش وقال بعضهم ان المنشم ثمرة سوداء منتنة وزعم قوم ان منشم اسم امرأة. واما اختلاف اشتقاقه فقالوا ان منشم اسم موضوع كسائر الاسماء والاعلام وقال آخرون منشم اسم وفعل جعلا اسما واحداً وكان الاصل من شم فحذفوا الميم الثانية من شم وجعلوا الاولى حرف اعراب وقال آخرون هو من نشم اذا بدأ يقال نشم فى كذا اذا أخذ فيه يقال ذلك فى الشر دون الخير وفى الحديث لما نشم الناس فى عثمان اي طعنوا فيه. فامامن رواه مشأم فانه يجعله اسما مشتقاً من الشؤم. واما اختلاف سبب المثل فانما هو فى قول من زعم ان منشم اسم امرأة وهو ان بعضهم يقول كانت منشم امرأة عطارة تبيع الطيب فكانوا اذا قصدوا الحرب غمسوا ايديهم فى طيبها وتحالفوا عليه بان يستميتوا فى تلك الحرب ولا يولوا او يقتلوا فكانوا اذا دخلوا الحرب بطيب تلك المرأة يقول الناس قد دقوا بينهم عطر منشم فلما كثر منهم هذا القول سار مثلا فممن تمثل به زهير بن ابى سلمى حيث يقول

تداركتما عبسا وذبيان بعدما ... تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

وزعم بعضهم ان منشم كانت امرأة تبيع الحنوط وانما سموا حنوطها عطرا فى قولهم وقد دقوا بينهم عطر منشم لانهم ارادوا طيب الموتى. وزعم الذين قالوا ان اشتقاق هذا الاسم انما هو عطر من شم انها كانت امرأة يقال لها خفرة تبيع الطيب فورد بعض احياء العرب عليها فأخذوا طيبها وفضحوها فلحقها قومها ووضعوا السيف فى اولئك وقالوا اقتلوا من شم اى من شم طيبها وزعم آخرون انه سار هذا المثل فى يوم حليمة أعنى قولهم قد دقوا بينهم عطر منشم قالوا ويوم حليمة هذا اليوم الذي سار به المثل فقيل ما يوم حليمة بسر لان الحرب كانت فيه بين الحارث بن ابى شمر ملك الشام وبين المنذر بن المنذر بن امرىء القيس ملك العراق وانما اضيف هذا اليوم الى حليمة

(خَطْبٌ يَسِيرٌ في خَطْبٍ كَبِيرٍ ١) . (أُرْوِيَّةٌ تَرْعَى بِقَاعِ سَمْلَقٍ) . (صَرَاةٌ حَوْضٍ

لانها اخرجت الى المعركة مراكن من الطيب فكانت تطيب به الداخلين في الحرب فقاتلوا من اجل ذلك حتى تفانوا . وزعم آخرون ان منشم امرأة كان دخل بها زوجها فنافرته فدق انفها بفهر فخرجت الى اهلها مدماة فقيل لها بئس ماعطرك به زوجك فذهبت مثلا . وقال ابن السكيت العرب تكنى عن الحرب بثلاثة اشياء احدها عطر منشم والثانى ثوب محارب والثالث برد فاخر ثم حكى في تفسير عطر منشم قول الاصمعى وقال في ثوب محارب انه كان رجلا من قيس عيلان يتخذ الدروع والدرع ثوب الحرب وكان من اراد ان يشهد حربا اشترى درعا . واما برد فاخر فانه كان رجلا من تميم وكان اول من لبس البرد والموشى فيهم وهو ايضاً كناية عن الدرع فصار جميع ذلك كناية عن الحرب

(صمت حصاة بدم) وهو ايضاً مثل عربى واصله ان يكثر القتل ويسفك الدماء حتى اذا وقعت حصاة من يد راميها لم يسمع لها صوت لانها لا تقع الا في دم فهى صماء وليست تقع على الارض فتصوت وانما جعل الصمم فعلا للحصاة وهو اعنى الصمم انسداد طريق الصوت على السامع حتى لا يدخل اذنه لانهم جعلوا الدم سادا المنافذ يخرج من صوت الحصاة الى السامع فعدوا عدم الخروج كعدم الدخول ويجوز ان يقال جعل الحصاة صماء لانها لا تسمع صوت نفسها لكثرة الدم ولولا ذلك لصوتت فسمعت . يضرب في الاسراف في الشر

(١) (خطب يسير في خطب كبير) وهذا ايضاً مثل عربى قاله قصير بن سعد اللخمى لجذيمة بن مالك بن نصر الذى يقال له جذيمة الابرش وجذيمة الوضاح وكان جذيمة ملك ما على شاطىء الفرات وكانت الزباء ملكة الجزيرة وكان جذيمة قد وترها بقتل ابيها فلما استجمع امرها احبت ان تغزو جذيمة فكتبت اليه تطلب زواجه بها لتضم ملكها الى ملكه وتقصد بذلك ان تطمعه لتغدر به فعرض جذيمة الامر على ثقاته من اهل المشورة والرأى فاجتمع رأيهم على ان يسير اليها ويستولى على ملكها وكان فيهم قصير وكان اريباً حازماً اثيراً عند جذيمة فخالفهم فيما اشاروا وقال لجذيمة الرأي ان تكتب اليها فان كانت صادقة في قولها فلتقبل اليك والا لم تمكنها من نفسك وقد وترتها وقتلت اباها فلم يوافق جذيمة ما اشار به وعزم على التوجه اليها . ثم ان جذيمة استخلف عمرو بن عدي ابن اخته على ملكه وسلطانه وسار حتى وصل الى مدينتها فلما نزل دعا قصيراً اليه وقال ما الرأى يا قصير قال ببقة خلفت الرأى فذهبت مثلا واستقبله رسل الزباء بالهدايا فقال يا قصير كيف ترى قال (خطب يسير . في خطب كبير) فذهبت مثلا وستلقاك الجيوش فان سارت امامك

فالمرأة صادقة وان أحاطت بك من خلفك فالقوم غادرون بك فاركب العصا فانه لا يشق غباره فذهبت مثلا وكانت العصا فرسا لجذيمة لايجارى وانى راكبها ومسايرك عليها . فلقيته الخيول والكتائب فحالت بينه وبين العصا فركبها قصير وسار بها فما زال جذيمة محاطا بالكتائب حتى دخل على الزباء فلما رأته ولم تتزى زى العرائس قالت ياجذيمة ادأب عروس ترى فذهبت مثلا فقال جذيمة بلغ المدى وجف الثرى وامر غدر ارى فذهبت مثلا ودعت بالسيف النطع ثم انها قطعت ما سترمنه الله واستقطرت دمه فى طست من ذهب وقالت لا تضيعوا دم الملك فقال جذيمة دعوا دما ضيعه اهله فذهبت مثلا . ثم ان جذيمة هلك ووصل قصير الى عمرو بن عدى واستشاره لاخذ الثار فقال له وكيف لى بها وهى أمنع من عقاب الجو فقال له قصير انا ابلغك اربتك ثم قال له اجدع انفى واضرب ظهرى ودعنى واياها فامتنع عمرو عن ذلك به فما زال فصنع ذلك بنفسه ثم انه خرج كانه هارب واظهر ان عمرا فعل ذلك به فمازال حتى قدم على الزباء فقالت ماالذى ارى بك ياقصير قال زعم عمرو انى قد غررت خاله وزينت له المصير اليك ففعل ما ترين فاقبلت اليك لان وجودى عندك يزيده غيظا منى ، فاكرمته وأصابت عنده من الحزم والرأى ماأرادت فلما عرف انها استرسلت اليه قال لها ان لى بالعراق أموالا كثيرة فابعثينى الى العراق لاحمل مالى وأحمل اليك من طرائفها وثيابها وتصيبين فى ذلك أرباحا عظاما فاذنت له حتى قدم العراق واتى الحيرة متنكرا فدخل على عمرو وأخبره الخبر وقال جهزنى بصنوف الثياب والامتعة لعل الله يمكن من الزباء فتصيب ثارك فأعطاه حاجته ورجع الى الزباء فاعجبها ما رأت وسرها وازدادت به ثقة ثم انها جهزته ثانية فسار حتى قدم على عمرو فجهزه وعاد اليها ثم عاد الثالثة وقال لعمرو اجمع لى ثقات أصحابك وهيىء الغرائر والمسوح وأحمل كل رجلين على بعير فى غرارتين فاذا دخلوا المدينة أقمتك على باب نفق لها جعلته للهروب اذا هى فوجئت بشر وخرجت الرجال فصاحوا باهل المدينة فمن قاتلهم قتلوه وان أقبلت الزباء تريد النفق جللتها بالسيف . ففعل عمرو ذلك وساروا على ذلك وتقدم قصير حتى دخل على الزباء وأعلمها بما جاء به من الامتعة وسألها ان تخرج فتنظر الى ما جاء به فخرجت فرأت الابل تكاد قوائمها تسوخ فى الارض من ثقل أحمالها فقالت ياقصير .

ما للجمال مشيها وئيدا أجندلا يحملن أم حديدا أم صرفانا تارزا شديدا

فقال قصير فى نفسه . بل الرجال جثما قعودا . فدخلت الابل المدينة فلما توسطتها خرجت الرجال من الغرائر وصاحوا بأهل المدينة ووضعوا فيهم السلاح وقام عمرو على باب النفق وأقبلت

(مَنْ يَذُقْهَا يَبْصُقِ [١])

لَوْ كَانَ يَعْرِفُ دُنْيَاهُ مُصَاحِبُهَا
أَرَادَهَا لِعَدُوٍّ دُونَ إِخْوَانِ [٢]

لَيْسَ بِهَا لَذَّةٌ إِلاَّ مَمْزُوجَةً بِأَلَمٍ . وَلاَ دَسَمٌ إِلاَّ مَخْلُوطاً بِسَمٍّ [٣] وَلاَ ضَاحِكٌ إِلاَّ وَهُوَ بَاكٍ كَالغَمَامَةِ . وَلاَ شَادٍ إِلا وَهُوَ نَائِحٌ كَالحَمَامَةِ [٤]

لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ عِلْمِي بِالزَّمَانِ لَمَا

الزباء تريد النفق فأبصرت عمرا على بابه فعرفته فمضت الى خاتم لها مسموم فامتصته وقالت بيدى لا بيد عمرو فذهبت مثلا وتلقاها عمرو فجلاها بالسيف وأصاب ماأصاب من المدينة ورجع به الى العراق

(١) (اروية ترعى بقاع سملق) وهذا مثل عربى أيضا . والاروية الانثى من الاوعال وهى ترعى فى الجبال والقاع الارض المستوية والسماق والسلق المطمئن من الارض . يضرب لمن يرى منه مالم ير قبل من فساد (صراة حوض من يذقها يبصق). وهذا أيضا مثل عربى والصراة الماء المجتمع فى الحوض أو البئر أو غير ذلك فيبقى الماء فيه أياما ثم يتغير . يضرب للشىء يجتنب لسوء فيه

(٢) يقول لو كان الانسان يعرف هذه الدنيا ومافيها من سقام وآلام لتمنى ان تكون للاعداء لا للاخوان

(٣) (المعنى) يقول كيف يرغب الانسان فى منزل (أى الدنيا) لا يجد فيه لذة الا وقد امتزجت بتنغيص ونكد قال المتنبى

ابدا تسترد ماتهب الدنيا فياليت جودها كان بخلا
وهى معشوقة على الغدر لاتحفظ عهدا ولا تتمم وصلا

(٤) (المعنى) يقول ولا يوجد بهذه الدنيا ضاحك الا وهو باك كالغمام يضحك بالبرق ويبكى بالمطر فى ان واحد

سُرُّوا بِشَىْءٍ وَلا رَبَّوا وَلا وَلَدُوا [١]

فَلْكٌ . فِي هُلْكٍ . سِيَّانِ بِهَا مَنْ بِالقَاعِ . وَمَنْ على الشِّرَاعِ [٢] . وَخَطٌّ فِي مَاءٍ . لا ينقسِمُ . حتى يَلْتَئِمَ . وَأَثَرٌ فى بيداءَ . لا يرتَسِمُ . حتى يرتَطِمَ

وَكَيْفَ أُجِيدُ فى دَارٍ بِنَاءَ
وَرَبُّ الدَّارِ يُؤْذِنُنِى بِنُقْلَه [٣]

تعب كلها الحياة فما اعـ جب الامن راغب فى ازدياد

(١) (المعنى) يقول لو علم الناس ما أعلمه من زمانى وخبروه خبرتى به لما طرق السرور قلوبهم ولا ربوا أبناءهم ولا ولدوا لان السرور فيه شقاء

(٢) الفلك السفينة الهلك الهلاك . القاع بطن السفينة .

(المعنى) ان الدنيا لكونها زائلة كأنها سفينة فى حالة غرق فالذى فى قاعها أو فوق شراعها سواء لانهما آيلان للغرق والزوال والمراد أن العظيم والحقير يساوى بينهما قياس الفناء وللمتنبى

لابد للانسان من ضجعة لاتقلب المضجع عن جنبه
ينسى بها ما كان من عجبه وما أذاق الموت من كربه
نحن بنو الموت فما بالنا نعاف مالا بد من شربه
تبخل أيدينا بارواحنا على زمان هى من كسبه
فهذه الارواح من جوه وهذه الاجسام من تربه
لو فكر العاشق فى منتهى حسن الذى يسبيه لم يسبه
يموت راعى الضأن فى جهله ميتة جالينوس فى طبه
وربما زاد على عمره وزاد فى الامن على سربه

(٣) يلتئم يلتصق . البيداء الفلاة المتسعة . يرتطم يختلط . النقلة اسم بمعنى الانتقال

(المعنى) يقول أن أعمال الانسان فى هذه الدنيا كخط فى ماء فانه لا يظهر للعين منقسما حتى يلتئم ولا يبقى له أثر وكذلك هو كأثر فى رمل فانه لا يبين حتى يختلط من ارجل المارة أو

الرياح وهناملاحظة دقيقةفان التئام الخط فى الماء اسرع من اختلاط الأثر فى البيداءفاطلق السيد المؤلف المعنى الاول على من له أثر ضعيف فى الدنيا وأطلق المعنى الثانى على من له كبار الآثار فيها ويقول انما نسكن فى دار ليست لنافكيف نجيد البناء فيها وصاحبها يزعجنا بالانتقال منها وليس المراد من هذا حمل الناس على اهمال أمور الدنيا ولكن تنبيه اذهانهم الى عدم الاغترار بها — قيل أن النعمان بن المنذر الاكبر خرج يتنزه بظهر الحيرة ومعه عدى بن زيد فمر على المقابر من ظهر الحيرة ونهرها فقال له عدى بن زيد أبيت اللعن اترى ماتقول هذه المقابر قال لا قال فانها تقول

من رآنا فليحدث نفسه ... أنه موف على قرن زوال
وصروف الدهر لايبقى لها ... ولما تأتى به صم الجبال
رب ركب قد اناخوا عندنا ... يشربون الخمر بالماء الزلال
وأباريق عليها فدم ... وجياد الخيل تردى فى الجلال
عمروا دهراً بعيش حسن ... آمنى دهرهم غير عجال
ثم اضحوا عصف الدهر بهم ... وكذاك الدهر يؤدى بالرجال
وكذاك الدهر يرمى بالفتى ... فى طلاب العيش حالا بعد حال

وقال أيضاً عدي بن زيد

أيها الشامت المعير بالده ... ر أأنت المبرأ الموفور
من رأيت المنون خلدن ام من ... ذا عليه من أن يضام خفير
اين كسري كسرى الملوك انوشر ... وان أم اين قبله سابور
وبنو الاصفر الكرام ملوك ال ... روم لم يبق منهم مذكور
شاده مرمرا وجلله كلسا ... فللطير فى ذراه وكور
لم يهبه ريب المنون فباد ال ... ملك عنه فبابه مهجور
وتذكر رب الخورنق اذ اش ... رف يوما وللهدى تفكير
سره ماله وكثرة ما يم ... لك والبحر معرضاً والسدير
فارعوى قلبه فقال وما غب ... طة حى الى الممات يصير
ثم بعد الفلاح والملك والا ... مة وارتهم هناك القبور
ثم صاروا كانهم ورق جف ... فالوت به الصبا والدبور

انظُرا هذهِ المَقابِرَ بالحاجِرِ . فَفِيها بَلاغٌ وَمعتبَرٌ . لِمَنِ ادَّكَرَ ١ . تَرَيا كلَّ جَدَثٍ كأنَّهُ عَلَمٌ مَنْصُوبٌ بيْنَ السّاهِرَةِ وَالآخِرَةِ ٢ خطٌّ متَضايقٌ . فيهِ جَميعُ الخلائقِ . كالقَلْبِ صَغيرٌ . وَفيهِ العالَمُ الكَبيرُ ٣ . وكأنَّ تِلكَ القِبابَ في القِفارِ . قِبابٌ ضُرِبَتْ على سفّارٍ . ٤ مَشيدٌ وَمُضْمَحِلٌّ . وَسَواءٌ قبرُ مُثْرٍ وَمُقِلٍّ ٥ وكأنَّ

---

(١) الحاجر الارض المرتفعة ووسطها منخفض . البلاغ فى الامل الوصول واستعملت فى وصول الموعظة الى نفس المبلغ فتأثر عايه . المعتبر العبرة . ادكر تذكر

(المعنى) يقول انظرا يا خليلى هذه القبور بالحاجر فان فيها عظة بالغة وذكرى لقوم ساهين غافلين

(٢) الجدث القبر العلم علم الطريق علامته . الساهرة الارض . الآخرة الحياة الثانية

(المعنى) يقول انكما ان ابصرتما هذه القبور تريا كل قبر منها كانه عام فاصل بين الحياة الدنيا والحياة الاخرى وهذا التشبيه بديع جدا فى جعله القبر كالعلم الفاصل بين الحياتين

(٣) الخط ما خط فى الارض من قبر ونحوه ومنه قول مالك بن الريب (وخطا باطراف الاسنة مضجعى) متضايق غير متسع

(المعنى) يقول ان هذا الخط المضيق قد جمع كل الخلائق فى جوفه كما يجمع القلب وهو صغير هذا العالم الكبير بما فيه من كائنات

(٤) القفار جمع قفر وهو الارض المتسعة . ضربت اى نصبت ورفعت بضرب اوتادها بالمطرقة . سفار جمع سافر وهو المسافر .

(المعنى) يقول وكان قباب تلك القبور فى الفلوات قباب المسافرين قد حطوا رحالهم ليستأنفوا المسير ولكن سيرهم من الدنيا الى الآخرة

(٥) المشيد المطلى بالشيد والقائم المرتفع . المضمحل المتلاشى . المثرى صاحب الثروة والمال المقل الفقير المحتاج

(المعنى) يقول ومن هذه القبور المرتفع البناء والمهدم الاركان وهما سواء امام الموت فان سكانهما من غنى وفقير يكونان بمثابة واحدة داخل قبريهما



سكَّانَهَا صَرْعَى مُدَامَةٍ • أوْ نِيامٌ فى لَيلَةٍ صَبَاحُها يَوْمُ القِيامَةِ [١]

ضَجِيعٌ مُسْنَدُونَ بكَفْرِ تُوثَى
وَمَا قلبَتْ لِمَضْجَعِهِمْ جُنوبُ [٢]

وَكَم فى تِلكَ القُبُورِ مِنْ مَلِكٍ كانَ يُصَرِّفُ الامْرَ مِنْ مِصْرَ إِلى عَدَنٍ . أو يُحْتَلُّ غُمْدَانَ ذِي يزَنٍ . وَكَمْ بِها مِنْ أميرٍ كانَ يَمْلأُ الدَّسْتَ مِنْ جلالٍ وَنُورٍ . وَتُجْبَى لَهُ دِجلَةُ وَالخابُورُ

يُطْلِقُ الحِكْمَةَ البَالِغَةَ فِي عَرْ
ضِ حَدِيثٍ كاللُّؤْلُؤِ المَنْثُورِ
وَإِذَا مَا أَشارَ هَبَّتْ صَبَا المِسْكِ
وَخِلْتَ الايوانَ مِنْ كافُورِ [٣]

---

(١) صرعى مطروحون على الارض . المدامة الخمر
(المعنى) يقول وكانت سكان تلك القبور وهم مطروحون على الارض قد صرعتهم المدامة او انهم ناموا فى ليلة طويلة لا ينجلى ظلامها الا فى صباح يوم القيامة .
(٢) ضجيع مضطجعون . كفرتوثى موضع
(المعنى) يقول ان هؤلاء الموتى من يوم ان دفنوا فى هذه القبور وهم على حالهم لم تقلب جنوبهم
(٣) مصر معروفة . عدن مدينة ببلاد اليمن . غمدان قصر سيف بن ذى يزن الملك التبعى الحميرى . الدست بيت الملك . دجلة نهر بالعراق . الخابور واد بين رأس عين والفرات
(المعنى) يقول وكم حوت هذه القبور من ملك كان متصرفاً فى ملكه الواسع الذى كان ممتداً من مصر الى عدن والذى كان محتلا لقصر غمدان وكم فيها ايضا من امير كان ملء دسته بهاء ونوراً وكانت مزارع دجلة والخابور تجبى اليه ويقول ومن الامراء كل امير منهم كان حكيماً تنبعث الحكمة فى حديثه الذى هو كالدر والذى ان اشار شممت عرف المسك تحمله ريح الصبا فظننت

وَكم فيهَا مِنْ حَسْنَاءَ بَضَةٍ [١] . كأَنهَا صَلِيجَةُ فِضَّةٍ . أَصابَهَا الهُزَالُ . كما يُصِيبُ الهِلالَ . وَٱعْتَلَّ الجِسْمُ السَّقِيمُ . كما يعتَلُّ النَّسِيمُ

لمَّا سَمِعْتُ أَنِينَهُ

وبُكاءَهُ عِنْدَ المَغِيبِ

أَقْبَلْتُ أَطْلُبُ طِبَّهُ

والدَّاءُ يَعْضَلُ بالطَّبِيبِ [٢]

ان الايوان صنع من كافور

(١) البضة الرخصة الجسد الرقيقة الجلد الممتلئة . الصليجة سبيكة الفضة المصفاة . الهزال النحافة

(المعنى) يقول وكم في هذه القبور من حسناء كانها الصفاء بشرتها من قطعة من سبيكة فضة قال الناجم

اضحى الثري بجوارها عطر المسالك والمسارب

حلت حفيرتها حلو ل المسك من سرر الكواعب

يادرة كانت تضيء لناظري من كل جانب

وقال التميمي

اما القبور فانهن أوانس بفناء قبرك والديار قبور

عمت فواضله فعم مصابه فالناس فيه كلهم مأجور

يثني عليك لسان من لم توله خيراً لانك بالثناء جدير

ردت صنائعه اليه حياته فكأنه من نشرها منشور

فالناس مأتمهم عليه واحد في كل دار رنة وزفير

وقال ابو تمام

راحت وفود الارض عن قبره فارغة الايدى ملأى القلوب

قد علمت مارزئت انما يعرف فقد الشمس بعد الغروب

(٢) يعضل بالطبيب اى يغلب الطبيب على امره

وَاذَا بِهَا فِى القَبْرِ كَأَنَّهَا مِصْبَاحُ رَاهِبٍ . فِى قُبَّةٍ مُظْلِمَةٍ . أَوْ كَنْزُ رَاغِبٍ . فِى مَهْجُورَةٍ مُعْتِمَةٍ[1] . وَاذَا بِجِسْمٍ كَانَ يُخْشَى عَلَيْهِ الهُزَالُ . أَصْبَحَ وَهُوَ بَالٍ[2] .

(المعنى) يقول انى حينما سمعت انينه من الآلام وكان ذلك عندما اراد ان يودع هذا العالم الفانى طلبت الطبيب ابقاء على حياته ولكن هيهات لا مرد لقضاء الله فان الداء غلب الطبيب على امره واصبح المريض مضطجعاً فى قبره

(١) الراهب من ترهب اى من تبتل لله واعتزل عن الناس الى الدير طلباً للعبادة . الكنز كلما كنز من فضة وذهب وخلافهما . المهجورة المتروكة الخالية . معتمة مظلمة

(المعنى) يقول واذا بها قد سكنت حفيرتها فاضاءته كانها مصباح الراهب فى قبته المظلمة او كانها فى قبرها كنز من الكنوز الثمينة فى خربة معتمة - قال الاصمعى حجت اعرابية ومعها ابن لها فاصيبت به فلما دفنته قامت على قبره وهى وجعة فقالت : والله يا بنى لقد غذوتك رضيعاً وفقدتك سريعاً وكانه لم يكن بين الحالين مدة أتلذذ بعيشك فيها فاصبحت بعد النضارة والغضارة ورونق الحياة والتنسم فى طيب روائحها تحت اطباق الثرى جسداً هامداً ورفاتاً سحيقاً وصعيداً جرزاً . ثم قالت : أى رب ومنك العدل ومن خلقك الجور وهبته لى قرة عين فلم تمتعنى به كثيراً بل سلبتنيه وشيكا ثم امرتنى بالصبر ووعدتنى عليه الاجر فصدقت وعدك ورضيت قضاءك فرحم الله على من ترحم على من استودعته الردم ووسدته الثرى . اللهم ارحم غربته وآنس وحشته فلما ارادت الرجوع الى اهلها وقفت على قبره فقالت : اي بنى انى قد تزودت لسفرى فليت شعرى ما زادك لبعد طريقك . اللهم انى اسألك له الرضا برضائى عنه . ثم قالت : استودعتك من استودعك فى احشائى جنينا . واثكل الوالدات ما امضى حرارة قلوبهن واقلق مضاجعهن واطول ليلهن واقصر نهارهن واقل انسهن واشد وحشتهن وابعدهن من السرور واقربهن من الاحزان . فلم تزل تقول هذا ونحوه حتى ابكت كل من سمعها وحمدت الله عز وجل وصلت ركعات عند قبره وانطلقت

(٢) (المعنى) يقول واذا بجسمها الذى كنا نخشى عليه الهزال والنحول اصبح فى القبر باليا قد انحلت اجزاؤه وتلاشت

وَخَدٍّ كانَ يُصانُ عَنْ قبلةٍ . تَعيثُ فيه الأَرَضَةُ وَالنَّملةُ [1] . وَثُغورٍ كأَنَّها أَقاحٌ أَوْ حَبَبٌ على راحٍ . تُنثَرُ في البَوْغاءِ . وَتُخلَطُ بالحَصْباءِ [2] . وَعَيْنَيْنِ كأَنَّهما سِنانانِ أَزْرَقانِ في عاملٍ . أَوْ سِحْرا المَلَكَيْنِ بِبابلَ . أَضْحَيَتا في الحِجاجِ . كما قالَ العَجّاجُ

كأَنَّ عَيْنَيْها مِنَ الغُؤُورِ
لَحْدانِ في قَلْتَيْ صَفاً مَنْقورِ [3]

---

(١) تعيث تعبث : الارضة دويبة صغيرة
(المعنى) يقول واذا بخدها المصون عن القبلات قد أضحى والنمال تقتتل عليه والارض تنخر فيه

(٢) الثغور جمع ثغر وهى الثنايا . البوغاء ما يثور من الغبار ودقاق التراب ومنه قوله
لعمرك لولا هاشم ماتعفرت   ببغدان فى بوغائها القدمان
(المعنى) يقول واذا بثناياها التى أرخصت لآلى البحار قد نثرت فى التراب واختلطت بالحصى

(٣) السنان حد الرمح . العامل الرمح ـ الملكان ببابل هما هاروت وماروت الوارد ذكرهما فى القرآن وتزعم العرب انهما كانا من الملائكة لكنهما عصيا ربهما فاهبطهما الى الارض واستوليا على مدينة بابل وقد ألبسهما الله الجثة الانسانية ليكونا حكما للناس ويمنعاهم عن الاغواء بالاهواء فجرى من أمرهما ان أغواهما حب النساء حتى أبعدهما عن رضى الحق وبما أن عنصرهما الاصلى روحى ولهما حقيقة الاطلاع على الاجرام العلوية والسفلية فاحكما صناعة السحر باتقان وعلماء حكماء بابل ولذلك يقولون فى أمثالهم اسحر من هاروت وماروت ويضيفون بابل الى السحر فيقولون بابل السحراء كما انهم يضيفون السحر الى بابل أيضا فيقولون سحر بابلى ويزعمون ان هاروت وماروت لم يزالا مسجونين فى بئر الى هذا اليوم فى مدينة بابل . الحجاج العظم الذى ينبت عليه الحاجب العجاج تقدمت ترجمته فى غير هذا الموضع من الكتاب . الغؤور الذهاب فى الارض . القلت النقرة فى الصخر وفى الارض الصلبة جمع قلات وهو يصف بهذا ناقة هزلت

وَاذَا ثَدْيَانِ كَأَنَّهُمَا حُقَّانِ مِنْ مَرْمَرٍ . أُثْبِتَا بِمِسْمَارَيْنِ مِنْ عَنْبَرٍ . بَاتَا مِنَ الدُّودِ . كَأَنَّهُمَا أُخْدُودٌ[1] .

إِنَّ الَّتِي فَتَكَتْ بِرُوحِكَ قَسْوَةً
قِدَماً شَكَاهَا بُلْبُلٌ وَحَمَامُ [2]
حَسْبُ الْخَلِيلَيْنِ انَّ الارْضَ بَيْنَهُمَا
هٰذَا عَلَيْهَا وَهٰذَا تَحْتَهَا بَالِي [3]

من السفر . الصفا الصخر . المنقور المنقوب
(المعنى) يقول واذا بعينيها الزرقاوتين اللتين كانتا كالسنانين لونا ومضاء واللتين كانتا مملوءتين بسحرها روت وماروت اصبحتا فى عظمى الحاجبين وقد غارتا وخليتا من المقلتين كالحدين نقرا فى صخر أصم
(١) الثدى معروف . الحق الوعاء . المرمر ضرب من الرخام . الاخدود الحفرة فى الارض
(المعنى) يقول واذا بالثديين اللذين كأنهما لنصاعتها وصفائهما حقان من مرمر واللذين قد اثبتا بمسمارين من عنبر وهما كناية عن الحلمتين فى وسط كل ثدي منهما حلمة قد باتا ينخر فيهما الدود حتى أصبحا كالاخدود
(٢) فتكت بطشت على غفلة : البلبل طائر صغير فصيح التغريد . الحمام معروف
(المعنى) يقول ان التى بطشت بك ايها المتوفى قسوة وهى كناية عن الموت شكاها من قبلك البلبل فى تغريده والحمام فى هديره قال ابو العلاء المعري فى نواح الحمام

أبنات الهديل أسعدن أو عدن قليل العزاء بالاسعاد
ايه لله دركن فانتن اللواتى تحسن حفظ الوداد
ابكت تلكم الحمامة أم غنت على فرع غصنها المياد

(٣) (المعنى) يقول حسب الخليلين موعظة ان الارض قد حجبت بينهما هذا يمشى عليها وذاك فى جوفها بالى وهى أكبر موعظة لو فكر فيها الانسان وذات اعرابية ترثى أبنا لها

وَاذَا بِمَنْزِلِهَا فِى الدُّور. أشْعَثُ مَهْجُورٌ. كأنَّه مَحْجِرٌ بِلا حَدَقٍ. أوْ شَجَرٌ بِلا وَرَقٍ. وَكأنَّهُ ماتَ بَعْدَ ساكِنِيهِ. وَكأنَّهُمْ كانُوا رُوحا فيه [١]

وَلَبِئْسَ ما تَلْقَى بِعُقْرِ دِيَارِهِمْ
أُذُنُ الْمُصِيخِ بِهَا وَعَيْنُ الرَّائِي [٢]

وَكَمْ ذَابَتْ فى ذَاكَ الثَّرَى خُدُودٌ وَجِباهٌ. وَثُغُورٌ وَشِفاهٌ. وَسَابَ مِن

ومنها

ياعمرو مالى عنك من صبر	ياعمرو ياأسفى على عمرو
احثوا التراب على مفارقه	وعلى غضارة وجهه النضر
حين استوى وعلا الشباب به	وبدا منير الوجه كالبدر
ورجا اقاربه منافعه	ورأوا شمائل سيد غمر
واذا منيته تساوره	قد كدحت فى الوجه والنحر
واذا له علق وحشرجة	مما يجيش به من الصدر
والموت يقبضه ويبسطه	كالثوب عند الطى والنشر
فدعا لانصره وكنت له	من قبل ذلك حاضر النصر
فعجزت عنه وهى زاهقة	بين الوريد ومدفع السحر
فمضى واى فتى فجعت به	جلت مصيبته عن القدر
لو قيل تفديه بذلت له	مالى وما جمعت من وفر
أو كنت قادرة على عمري	آثرته بالشطر من عمرى

(١) مهجور متروك . المحجر من العين مادار بها

(المعنى) يقول واذا بمنزلها بين المنازل قدتشعث وهجر فاصبح كانه محجر فقد حدقته أوكالشجرة العارية من الاوراق أوكانه لخلوه من المسامر والانيس مات لان سكانه الذين كانوا كالروح فيه رحلوا عنه وتركوه

(٢) عقر الدار وسطها . المصيخ المصغى للسماع . الرائى الناظر

(المعنى) يقول بائسما يلاقى الانسان باواسط دورهم فانه ان أصغي لا يسمع الا هدوءا

أنفٍ شَمٍّ . وَمِنْ بنَانٍ عَنَمٍ[1] . وَكَمْ خَرِبتْ فيهِ قُصُورٌ . وَهُتِّكَتْ ستورٌ . وَجُمِعَتْ أضْدَادٌ . وَفُرِّقَتْ أُمَّهَاتٌ وأوْلادٌ[2]

لَمْ يَكُونُوا إلاَّ كَرَكْبٍ تأنَّى

بُرْهَةً في مَنَاخَةٍ ثمَّ سارا[3]

* * *

وسكوناً وان نظر لايري الا دارا يباباً خلوا من الاهلين

(١) الجباه جمع جبهة وهى معروفة . الشمم ارتفاع أرنبة الانف وهو كناية عن العظمة . العنم هنا كناية عن الحناء التى فى أصابع النساء

(المعنى) يقول وكم ذابت فى الثرى شفاه وخدود وجباه وثغور وكم سلب من أنوف العظماء الشمم وكم محى من أكف الحسان عنم قال الشاعر

الا فى سبيل الله ماذا تضمنت بطون الثرى واستودع البلد القفر

بدور اذا الدنيا دجت اشرقت بهم وان اجدبت يوماً فايديهم القطر

فياشامتا بالموت لاتشمتن بهم حياتهم فخر وموتهم ذكر

اقاموا بظهر الارض فاخضر عودها وصاروا ببطن الارض فاستوحش الظهر

وقال العتبى فى ابن له صغير

كان ريحانى فامسى وهو ريحان القبور

غرسته فى بساتين البلا ايدي الدهور

(٢) (المعنى) يقول وكم خربت فيه قصور كانت مشيدة البنيان ومزقت ستور كانت لاتمتد اليها يد بمزق وكم جمع هذا الثرى متضادين كانا فى الحياة وفرق متحابين بعد المات فان الرجل يكون عدوا لآخر فى الحياة ولكن القبر يجمع بينهما فيضجعان فى قبر واحد وان المرأة تكون مجتمعة فى الحياة بابنها وفلذة كبدها وتراها بعد المات مفترقين كل فى جدث ناء عن الآخر موعظة وذكري لقوم يتفكرون وقال البحترى

بشاهقة البذين قبر محمد وفوق ربى القاطول مضجع أصرم

(٣) الركب ركبان الابل . تأنى صبر . البرهة المدة القصيرة . المناخة مبرك الابل

سُبْحانَكَ اللّهُمّ وَسُعْدانَكَ مِنْ حَبْسٍ . إلى رَمْسٍ . وَمِنْ عَبَثٍ . إلى جَدَثٍ . عَمَلٌ ثُم أَمَلٌ [١]

عُذْتُ بِمَا عَاذَ بِهِ إبْرَاهِمُ
مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ وَهُوَ نائِمُ
إِنّي لَكَ اللهُمَّ عانٍ رَاغِمُ [٢]

(المعنى) يقول انما مثل الانسان فى هذه الحياة كركبان الابل بعد الكلال والاعياء اناخوا للراحة برهة ثم ساروا واستانفوا السير

(١) سبحانك اصلها اسبحان الله أي ابرىء الله من السوء براءة والكاف للخطاب . سعدانه اسم للاسعاد ومعنى سبحانك وسعدانك أى اسبحك واطيعك . الحبس هنا كناية عن الدنيا . الرمس القبر . العبث كناية عن الحياة . الجدث القبر . الامل التمنى

(٢) من كذا أى لجأ اليه واعتصم . ابراهم مثلة الهاء وابراهيم وابراهام وابراهوم وابرهم اسم اعجمى والمقصود هنا من هذا الاسم هو ابراهيم الخليل رسول الله ونبيه صلى الله عليه وسلم . عان خاضع . راغم مرغم

(المعنى) يقول اللهم انى اعوذ بك من الدنيا وشرورها وآلامها كما عاذ بك ابراهيم عليه السلام من قومه حين تحزبوا عليه وابوا الا اذيته فاوقدوا له النار ورموه بها فاستعاذ بالله فنجاه الله منهم فكانت برداً وسلاماً انى خاضع لك يا الله مستذل لعظمتك وجلالك وقد ختم السيد المؤلف رسالته هذه بهذا الرجز المؤثر بعدما وصف الدنيا ومتاعبها وما ضمنته من الشرور ثم عطف على الاستسلام لله سبحانه وتعالى والخضوع لعزته وجلاله ولجد السيد المؤلف وهو شيخ الاسلام السيد محمد شمس الدين ابيض الوجه البكري الصديقي قوله

الذ من طيب كل حب تراب ذل بباب ربى
اعفر الوجه فيه حتى املأ بالانس منه قلبى

* * *

شذور

وَفي وُسْعة المرْء نيلُ العُلا
وَقدْ يَمْنعُ المرْءَ ما يَمْنعُ
صَغيرٌ منَ الامرِ يُلْهيهِ عَنْ
بُلوغِ العَظائِمِ أوْ يَقْطَعُ
كَعيْنٍ تُحيطُ بِهَذَا الوُجُو
دِ جَميعاً وَيَحْجُبُهَا إِصْبَعُ ١

***

(١) (المعنى) يقول ان الامر الصغير قد يشغل الانسان عن بلوغ الامور العظيمة فيمضى العمر وهو مشتغل عن تلك فيكون كالعين التى اذا نظرت احاطت بهذه الدنيا جميعها روية ثم اذا وضعت امامها الاصبع وهو اصغر شىء حجبها عن ذلك الامر الكبير كله فعلى الانسان ان يجهد نفسه فى طلب المعالى ولا يبالى بالصغائر وليكن كابى الطيب المتنبى حيث يقول

فاطلب العز فى لظى ودع الذ ... ل ولو كان فى جنان الخلود
لا بقومى شرفت بل شرفوا بى ... وبنفسى فخرت لا بجدودى
فبهم فخر كل من نطق الضا ... د وعوذ الجانى وغوث الطريد
ان اكن معجباً فعجب عجيب ... لم يجد فوق نفسه من مزيد
انا ترب الندى ورب القوافى ... وسمام العدى وغيظ الحسود
انا فى أمة تداركها الله ... غريب كصالح فى ثمود

وقال الشريف الرضى

وخاطر على الجلى خطار بن حرة ... وان زاحم الامر العظيم فزاحم

وَما أَذَّنَ القَوْمُ لَمَّا أَقا
مُوا صَلَاةَ الجَنَازَةِ يَوْمَ الوَفاةِ
وَأُذِّنَ لِلطِّفْلِ يَوْمَ الوِلا
دِ فَهَذا الأَذَانُ لِتِلْكَ الصَّلَاةِ [١]

***

النّاسُ يَخْشَوْنَ مِنْ جَاهِ المَلِيكِ وَما
لَدَيْهِ لَوْلاهُمُ فِي مُلْكِهِ جَاهُ

---

(١) صلاة الجنازة من غير أذان وكيفيتها مشهورة وهي فرض كفاية اذا قام بها جماعة سقطت عن الباقين والمستحب فيها طلب كثرة الجمع ومن فاته بعضها وأدرك التكبيرة الثانية فينبغي ان يراعي ترتيب الصلاة في نفسه ويكبر مع تكبيرات الامام فاذا سلم الامام قضى تكبيره الذي فات كفعل المسبوق فانه لو بادر التكبيرات لم تبق للقدوة في هذه الصلاة معنى فالتكبيرات هي الاركان الظاهرة وجدير بأن تقام مقام الركعات في سائر الصلوات هذا رأي الغزالي . ومن آدابها التفكر والتنبه للغفلة والاعتبار وقد كان جرير على كاتبه شعراً فمرت بهما جنازة فامسك وقال شيبتني هذه الجنائز ثم أنشأ يقول

تروعنا الجنائز مقبلات ونلهو حين تذهب مدبرات
كروعة ثلة لمغار ذئب فلما غاب عادت راتعات

والاذان للطفل عند الولادة سنة وحكمها ان الطفل أول ما يسمع من الكلام هو كلمة التوحيد
(المعنى) يقول أن القوم لم يؤذنوا عند صلاة الجنازة لانهم اذنوا لهذا الميت عند ولادته فهذا الاذان لتلك الصلاة ومما قيل في الجنازة

الا هبلت أم الذين غدوا به الى القبر ماذا يحملون الى القبر
وماذا يواري الموت تحت ترابه من الجود يا بؤس الحوادث والدهر
فشأن المنايا اذ أصابك ريبها لتعدو على الفتيان بعدك أو تسري

كَصانعٍ صَنماً يَوْماً على يَدِهِ
وَبَعْدَ ذَلكَ يرْجُوهُ وَيَخْشَاهُ

***

لاتَعْجَبُوا للظُلْمِ يَغْشَى أُمَّةً
فَتَنُوءُ مِنْهُ بفَادِحِ الأثقَالِ
ظُلْمُ الرَّعيةِ كالعقَابِ لِجَهْلِهَا
أَلَمُ المريضِ عُقُوبَةُ الإِهمَالِ ٢

(١) (المعنى) يقول انى رأيت الناس يخشون ملوكهم ولا قدرة لهؤلاء الملوك على التساط على الناس الا بالناس انفسهم من جند ونحوهم فهؤلاء الناس اذن كعابد الصنم يصنعه بيده ولولاه لم يكن ثمت يخافه ويرجوه

(٢) ناء بالمشى نهض به مثقلا . الفادح الثقيل

(المعنى) يقول لاتعجبوا اذا شمل الظلم أمة من الامم فاثقلها فانها جنت على نفسها ذلك الظلم بجهلها فالظلم عقوبة الجهل كما يجر الانسان على نفسه الاسقام والامراض باهماله فى صحته

قال عبيد بن أيوب

اذا ما أراد الله ذل قبيلة ... رماها بتشتيت الهوى والتخاذل
وأول عجز القوم عما ينوبهم ... تدافعهم عنه وطول التواكل

وقال آخر

اذا ضيعت أول كل أمر ... أبت اعجازه الا التواء
وان سومت أمرك كل وغد ... ضعيف كان أمرك ما سواء
وان داويت أمرا بالتناسى ... وبالليان أخطأك الدواء

ومما قيل فى الظلم قول النعمان بنى بشير

بل ليت شعرى متى يغتر ذو اجب ... جم الصواهل مثل العارض الغادى
حتى نبيد قبيلا قد طغوا وبغوا ... والله للظالم العادى بمرصاد

***

شَقِيَّانِ فِي خُلُقٍ وَاحِدٍ
تَوَلَّتْ بِيَنْكُمَا الزَّنْدَقَهْ
كَشِقَّيْ مِقَصٍّ تَجَمَّعْتُمَا
عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ سِوَى التَّفْرِقَهْ (١)

***

بُثَيْنَةُ قَدْ تَرَاءَتْ
بِحُمْرَةٍ وَبَيَاضٍ

بين الثوية والجسرين يقدمها حمال ألوية طلاع انجاد
وقال الحمانى
تنام وماليل المضيم بنائم وقد ترقد العينان والقلب ساهر
وقال المنصور العباسى قبل الخلافة
حتى متى لا نرى عدلا نسر به ولا نرى لولاة الحق اعوانا
مستمسكين بحق قائمين به اذا تلون اهل الجور ألوانا
ياللرجال لداء لا دواء له وقائد ذى عمى يقتاد عميانا
وقال آخر
ارى مثار غبار لا يسكنه الارشاش دم من آل مروانا

(١) الزندقة الاسم من تزندق اي صار زنديقاً والزنديق من يبطن الكفر ويظهر الايمان معرب زنده اى معتقد بالزند وهو كتاب يحتوى على ديانة المجوس الفارسيين

(المعنى) يقول انهما شقيان التأمت اخلاقهما وتشابهت طباعهما واجتمعا على اعتقاد واحد وهو الزندقة فمثلهما كمثل شقى المقص لا يجتمعان الا لقطع الثياب فان هذين الشقيين لا يقطعان الا الوصلة بين الاخوان

خَبيثَةٌ فى جَمالٍ
كحيةٍ فى رِياضٍ

***

إِنْ أحرَجُوا صَدْرَكَ لاتنبَعِثْ
للقَذْعِ بالفَحْشَاءِ أوْ مِثْلِهِ
فَغَضْبَةُ الأحْمَقِ فى قَوْلِهِ
وَغضْبَةُ العَاقِلِ في فعْلِهِ [٢]

***

(١) (المعنى) يقول ان بثينة قد تراءت لى فى حمرة خدها و بياض وجهها ولكنها اخفت سوء خلقها و فساد سريرتها فكان مثلها كمثل الحية فى الروض فانها تسعى بين النور والزهر ولكنها قاتلة بانيابها — قيل لاعرابى عالم بالنساء صف لنا شر النساء قال: شرهن النحيفة الجسم. الطويلة السقم. العسراء السليطة. الزفراء النثرة. السريعة الوثبة. كأن لسانها حربة تضحك من غير عجب. وتدعو على زوجها بالحرب. انف فى السماء واست فى الماء: وقال غيره: اياك وكل امرأة حديدة العرقوب بادية الظنبوب. منتفخة الوريد. كلامها وعيد. وصوتها شديد. تدفن الحسنات. وتفشى السيآت. تعين الزمان على بعلها ولا تعين بعلها على الزمان. ليس فى قلبها له رأفة ولا عليها منه مخافة. ان دخل خرجت. وان خرج دخلت. وان ضحك بكت. وان بكى ضحكت. وان طلقها كانت حرقة. وان امسكها كانت مصيبته. سفعاء ورهاء. كثيرة الدعاء. قليلة الارعاء. تأكل لما. وتوسع ذما. صخوب غضوب. بذية دنية. صبيها مهزول. وبيتها مزبول. اذا حدثت تشير بالاصابع. وتبكى فى المجامع. بادية من حجابها. نباحة على بابها. تبكى وهى ظالمة. وتشهد وهى غائبة. وقد دلى لسانها بالزور. وسال دمعها بالفجور:

(٢) احرج صدره اى ضيقة القذع الرمي بالفحش وسوء القول والشتيمة. الغضبة المرة من غضب

مَا حَوَى التَّارِيخُ الأَ
أَهْلَ جِدٍّ لاَ عَبَثْ

(المعنى) يقول ازجرك الى الغضب انسان فلا تبادر الى سبه وشتمه ورميه بالفحشاء بل قابله بالافعال فان غضب الجاهل كلام وان غضب العاقل فعل وقال الشاعر

انا النار فى احجارها مستكنة   فان كنت ممن يقدح النار فاقدح
انا الليث وابن الليث فى حومة الوغى   فان كنت ممن ينبح الليث فانبح

وقال لقيط بن زرارة

اغركم انى باكرم شيمة   رفيق وانى بالفواحش اخرق
وانك قد باذتنى فغلبتنى   هنيئاً مريئاً انت بالفحش احذق

وقال يزيد بن الحكم الثقفى يعظ ابنه بدرا

يابدر والامثال يضر   بها لذى اللب الحكيم
دم للخليل بوده   ما خير ود لا يدوم
واعرف لجارك حقه   والحق يعرفه الكريم
واعلم بان الضيف يو   ماً سوف يحمد أو يلوم
والناس مبتنيان محـ   ـمود البناية أو ذميم
واعلم بنى فانه   بالعلم ينتفع العليم
والنبل مثل الدين تقـ   ـضاه وقد يلوى الغريم
والبغى يصرع اهله   والظلم مرتعه وخيم
ولقد يكون لك البعيـ   ـد أخاً ويقطعك الحميم
والمرء يكرم للغنى   ويهان للعدم العديم
قد يقتر الحول التقى   ويكثر الحمق الاثيم
يعلى لذاك ويبتلى   هذا فايهما المضيم
والمرء يبخل فى الحقو   ق وللكلالة ما يسيم
مابخل من هو للمنو   ن وريبها غرض رجيم

إِنَّمَا التَّارِيخُ كِيرٌ
لَا يَنِي يَنْفِي الْخَبَثْ ١

* * *

وقال قيس بن الخطيم

وما بعض الاقامة فى ديار	يهان بها الفتى الا بلاء
وبعض خلائق الاقوام داء	كداء البطن ليس له دواء
وبعض القول ليس له عناج	كمحض الماء ليس له أناء
يريد المرء ان يعطى مناه	ويأبى الله الا ما يشاء
وكل شديدة نزلت بقوم	سيأتى بعد شدتها رخاء
ولا يعطى الحريص غنى لحرص	وقد ينمى على الجود الثراء
غنى النفس ما عمرت غنى	وفقر النفس ما عمرت شقاء
وليس بنافع ذا البخل مال	ولا مزر بصاحبه السخاء
وبعض الداء ملتمس شفاه	وداء النوك ليس له شفاء

(١) الكير زق ينفخ فيه الصائغ . لا يني لا يكل ولا يضعف

(المعنى) يقول ان التاريخ لا يخلد ذكر انسان الا أهل الجد واما أهل العبث فليس لهم نصيب من الذكر الخالد فمثل التاريخ كمثل كير الصائغ يثبت الذهب الخالص ويرمى الخبث وهذا معنى حسن جداً . أقول أن مراتب العلاء فى هذا الوجود تتنوع من أدنى المنازل الى المراتب الرفيعة والوظائف العالية ولكن فوق ذلك كله مرتبة اسمها (مرتبة التاريخ) وهى التى متى وصلها الانسان خلد وبقى على ممر الازمان . وهذه المرتبة لا يصلها الانسان الا بعلم كبير أو عمل كبير . ولهذا بينما ترى اسماء المؤلفين الكبار والشعراء المجيدين والقواد أصحاب الفتوحات ونحوهم باقية خالدة . تجد ألوفا من أسماء ذوى الرئاسات والوظائف الكبيرة محيت من الازهان ولم يبق لها أثر فى عالم الامكان . وذلك أنهم لم يحصلوا فى حياتهم على علم كبير أو عمل كبير . والفرق بين مرتبة التاريخ وبين السمعة أن التاريخ لا يقبل أن يثبت فيه الا من أتى بكفاءته احد هذين الامرين . واما السمعة فقد يصنعها الانسان بنفسه ويروجها بسعيه بينما تكون كاذبة فى الحقيقة

الفنزج

أي

البَالُو

لَيلَةٌ أُضْحِيَانةٌ قَمْرَاءُ. مِنْ لَيَالي الشِّتَاءِ. وأُفُقٌ سَجْسَجٌ. كأنَّهُ رُوضُ البَنَفْسَجِ. وَهَوَاءٌ رَقٌّ وَطَابَ. فَكَانَهُ عِتَابٌ بَيْنَ أَحْبَابٍ. وكأنَّمَا اسْتَدَارَ الزَّمَانُ. وكأنَّ آزَارَ نَيْسَانُ ١. وَقَدْ أَخَذَتْ (فِينَا) زُخْرُفَهَا. وَلَبِسَتْ رَفْرَفَهَا. فَحَيْثُمَا كُنتَ

---

(١) اضحيانة مضيئة. قمراء منيرة. السجسج الهواء المعتدل بين الحر والبرد. والبنفسج معرب نبت من نجوم الارض زهره سمحوني اللون طيب الرائحة. طاب حسن استدار الشيء استدارة أي دار. ا زار شهر من الشهور التي تكون في الشتاء عادة نيسان شهر من الشهور لمسيحية التي تكون في فصل الربيع وكلاهما دخيل في اللغة العربية

وعلى ذكر ليلة الشتاء التي سيصفها سماحة المؤلف في هذه الرسالة نذكر قول كشاجم يصف الثلج وتساقطه في ليلة قمر

الثلج يسقط ام لجين يسبك	ام ذا حصا الكافور ظل يفرك
راحت به الارض الفضاء كانها	من كل ناحية بثغر تضحك
شابت ذوائبها فبين ضحكها	طرباً وعدى بالمشيب ينسك
اوفى على خضر الغصون واصبحت	كالدر في قصب الزمرد يسلك
وتزين الاشجار منه ملاءة	عما قليل بالرياح تهتك
كانت كعود الهند ريّاً فانكفت	في لون ابيض وهو اسود حالك
والجو من ارج الهواء كأنه	ثوب يعنبر تارة ويمسك
نحذى من الاوتار حظك اذا	تتحرك الاوتار حين تحرك

أَجْنِحَةُ الطَّوَاوِيسِ . وأَرْوَاحُ الفَرَادِيسِ . وأَصْوَاتُ النَّوَاقِيسِ [١] وَثَمَّ قَصْرٌ . على النَّهْرِ . كأنَّهُ قَصْرُ غُمْدَانَ . أَوْ خَوَرْنَقُ النُّعْمَانِ [٢] . أَوِ السَّدِيرُ . أَوِ القَصْرُ الكَبِيرُ [٣] أَوِ الزَّاهِرُ . أَوْ دَارُ بْنِ طَاهِرٍ . أَوِ الجَعْفَرِيُّ . أَوِ الإِيوَانُ

(المعنى) يقول فى ليلة مقمرة من ليالى الشتاء قد صفا جوها واعتدل هواؤها ورق حتى خيل لنا ان الزمان قد استدار واصبحنا فى فصل الربيع ونحن فى فصل الشتاء

(١) فبناء عاصمة النمسا واحدى مدن الدنيا الشهيرة زخرفها أى ألوان نباتها. الرفرف الثياب الثمينة. الطواويس جمع طاووس طائر هندى معروف. الارواح جمع روح وهو نسيم الريح · الفراديس جمع فردوس وهو الجنة التى تنبت ضروبا من النبت والبستان يجمع كل مايكون فى البساتين . النواقيس جمع ناقوس وهو مضراب النصارى الذى يضربونه فى اوقات صلاتهم

(المعنى) يقول ان عاصمة البلاد النمساوية قد برزت فى لباس حسن من بساتينها فكأن كل بقعة منها تشبه لون اجنحة الطواويس من خضراء وحمراء وغير ذلك من الالوان وقد جرى فيها النسيم عليلا يحمل طيب الازهار واريجها ويحمل أيضاً اصوات نواقيس المعابد والكنائس

(٢) ثم هناك . قصر غمدان هو قصر من قصور ملوك العرب الشهيرة . خورنق النعمان هو قصر النعمان بن المنذر بن ماء السماء

(٣) السدير قال فى القاموس هو قصر ولم يبين موضعه . القصر الكبير كان للخلفاء الفاطميين فى لقاهرة وظواهرها قصور ومناظر منها القصر الكبير الشرقى الذى وضعه القائد جوهر عندما اناخ فى موضع القاهرة وسمى بالقصر الكبير لانه حوى جملة قصور تسمى كل قصر منها باسم مخصوص يعرف به فمن ذلك القصر اليافعى وقصر الذهب وقصر الظفر وقصر الشجر وقصر الشوك وقصر الزمرد وقصر النسيم وقصر الحريم وقصر البحر وهذه كلها قاعات ومناظر من داخل سور القصر الكبير ويقال لها القصور الزاهرة وسمى مجموعها القصر الكبير كما قدمنا وهذا القصر كان فى الجهة الشرقية من القاهرة ويسمى أيضاً القصر المعزى لان المعز لدين الله اباتميم معدا هو الذي امر كاتبه جوهراً ببنائه وكان ابتداء وضعه مع وضع أساس القاهرة فى ليلة الاربعاء الثامن عشر من شهر شعبان سنه ثمان وخمسين وثلثمائة وكان هذا القصر دار الخلافة وبه سكن الخلفاء الفاطميين الى آخر ايامهم فلما انقرضت دولتهم على يد السلطان صلاح الدين الايوبى اخرج اهل القصر منه واسكن فيه الامراء ثم خرب اولا فأولا حتى اصبح اثراً بعد عين

الكِسْرَوِيَّةُ ١

(١) الزاهر قصر فى بغداد. دار عبدالله بن طاهر بن الحسين هى التى ببغداد وعبدالله هذا كان سيداً نبيلا عالى الهمة وكان المأمون العباسى كثير الاعتماد عليه حسن الالتفات اليه لذاته ورعاية لحق والده طاهر بن الحسين وقد ولاه الدينور فلما خرج بابك الخرمي على خراسان وأوقع الخوارج بأهل قرية الحمراء من أعمال نيسابور واتصل الخبر بالمأمون بعث الى عبدالله وهو بالدينور يأمره بالخروج الى خراسان فخرج اليها وحارب الخوارج حتى قدم نيسابور وقد ولاه بعدها ولاية خراسان وقد تولى قبلها الشام ومصر وهو ممدوح أبى تمام والقائل فيه وقد قصده من العراق فلما انتهى الى قومس وطالت به الشقة قال

يقول فى قومس صحبي وقد أخذت ... منا السرى وخطا المهرية القود
أمطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا ... فقلت كلا ولكن مطلع الجود

وكان عبدالله أديبا ظريفا جيد الغناء نسب اليه صاحب الاغانى أصواتاً كثيرة أجاد فيها وأحسن ونقلها أهل الصنعة عنه وله شعر رقيق فمنه قوله

نحن قوم تذيبنا الاعين النجـ ... ـل على أننا نذيب الحديدا
طوع أيدى الظباء تقتادنا العيـ ... ـن ونقتاد بالطعان الاسودا
نملك الصيد ثم تملكنا البيـ ... ـض المصونات أعيناً وخدودا
تتقى سخطنا الاسود ونخشى ... سخط الخشف حين يبدي الصدودا
فترانا يوم الكريهة أحرا ... راً وفى السلم للغوانى عبيدا

وقد توفى سنة ثلاثين ومائتين بنيسابور وكان عمره اذذاك ثمانية وأربعين عاما — الجعفرى هو قصر أبى الفضل جعفر المتوكل الخليفة العباسى الذى بناه فى سر من رأى وكان من أجمل القصور فخامة بنيان وارتفاع أركان ولم ينفق احد من خلفاء بنى العباس فى البناء ما أنفقه المتوكل ولقد وصفه الشعراء كثيرا وأخصهم البحترى حيث وصف القصر والبركة التى كانت فى وسطه قال

يامن رأى البركة الحسناء رؤيتها ... والآنسات اذا لاحت مغانيها
مابال دجلة كالغيرا تنافسها ... فى الحسن طوراً وأطواراً تباهيها
اذا علتها الصبا أبدت لها حبكا ... من الجواشن مصقولا حواشيها
فحاجب الشمس أحيانا يغازلها ... وريق الغيث أحيانا يباكيها

اذا النجوم تراءت فى جوانبهــا ليلا حسبت سماء ركبت فيها
كأنمــا الفضة البيضــاء سائلة من السبائك تجرى فى مجاريها
تنصب فيهــا وفود الماء معجــلة كالخيل خارجة من حبل مجريها
كأن جن سليمان الذين ولوا أبداعهــا فأدقوا فى مغــانيها
فلو تمر بهــا بلقيس معرضــة قالت هى الصرح تمثيلا وتشبيهــا
لايبلغ السمك المقصور غايتهــا لبعد مابين قاصيهــا ودانيهــا
يعمرن فيهــا بأوساط مجنحة كالطير تنشر فى جو خوافيهــا

وقال على بن الجهم يصف بنية المتوكل هذه

وما زلت اسمع ان الملو ك تبنى على قدر أخطارها
واعــلم ان عقول الرجال يقضى عليها بآثارها
فلما رأيت بنــاء الامام رأيت الخلافة فى دارها
صحون تسافر فيها العيو ن فتحسر من بعد أقطارها
وقبة ملك كأن النجو م تفضى اليهــا بأسرارها
اذا أوقدت نارها بالعراق أضاء الحجــاز سنا نارها
لها شرفات كأن الربيع كساها الرياض بأنوارها
فهن كمصطحبات خرجن لفصح النصارى وافطارها
نظمن القسى كنظم الحلى بعون النساء وابكارها
فمن بين عاقصة شعرها ومصلحة عقد زنارها

الى غير ذلك من الشعر الجيد الذى قيل فى هذا القصر ــ الأيوان الــكسروى هو بناء عظيم بالمدائن الشرقية وهى مدائن كسرى شرق دجلة وهو من اعظم ابنية العالم قيل ان المنصور العباسى لما اراد بناء بغداد قصد هدم قصور المدائن وجلب انقاضها للبناء فقال له خالد بن برمك لاتفعل لانها تدل على عظمة اصحابها وانهم لم يقهروا الا بقوة دين عظيم وملة قوية فأبى قبول رأيه وهد القصر الابيض وهو قصر سابور بن ازدشير المعروف بابيض المدائن فرأى ان هدمه يكلف اكثر من ثمن منتفعاته فتركه فاشار عليه خالد باتمام الهدم لئلا يقال انه عجز عن هدم مابناه غيره فابى وكان فى هذا القصر الشيء الــكثير من التماثيل والصور ومن جملتها صورة كسرى انو شروان وقيصر ملك انطاكية وهو يحاصرها ويحارب اهلها فلما فتحت المدائن على يد سعد بن عبادة ترك

تَتِيهُ بِهِ البِلَادُ وسَاكِنُوهَا
كَمَا تَاهَتْ بِزِينَتِهَا الغَوَانِي[1]

قَدِ ارْتَفَعَتْ قِبَابُهُ فِي الاجْوَاءِ . فَكَانَ أَبْرَاجُهُ أَبْرَاجُ السَّمَاءِ. وَكَأَنَّ كُلَّ رَدْهَةٍ بَطْحَاءُ . وَكُلَّ رَوْضٍ صَنْعَاءُ . بَلَاطٌ وَخَنْدَقُ. وَدَارَاتٌ وَدَيْسَقٌ. وَأَبْهَاءٌ وَجَوْسَقُ

ما فيه من التماثيل واتخذه مصلى وصلى فيه صلاة الفتح وهى ثمان ركعات لا يفصل بينها وقد أكثر الشعراء من ذكر الايوان فمن ذلك قول ابن الحاجب

يامن بناه بشاهق البنيان ... انسيت صنع الدهر بالايوان
هذى المصانع والدساكر والبنا ... وقصور كسرا انا أنو شروان
كتب الزمان على ذراها أسطراً ... بيد البلى وانامل الحدثان
ان الحوادث والخطوب اذا سطت ... أودت بكل موثق الاركان

(المعنى) يقول أن عاصمة الديار النمساوية حوت من القصور الفاخرة والابنية الشاهقة ما أشبه قصور الملوك والوزراء المتقدمين التى ضرب بها المثل بحسنها ورونقها

(١) (المعنى) يقول أن كل قصر من هذه القصور تتيه به البلاد واهلها لحسنه وزخرفته كما تتيه الغوانى بلباسها وحليها

(٢) الاجواء جمع الجو وهو ما بين السماء والارض . الابراج جمع برج وهو الركن والحصن والقصر . الردهة البيت الذى لا أعظم منه . البطحاء مسيل واسع فيه دقاق الحصى . صنعاء هى قصبة بلاد اليمن وشهيرة بكثرة رياضها وأزهارها

(المعنى) يقول أن قباب هذه القصور قد ارتفعت فى الجو وان ابراجها الارتفاعها قد شابهت ابراج النجوم فى السماء وان كل رحبة من رحباته المعدة للجلوس لاتساعها كانها بطحاء وان رياضها الزاهرة اليانعة كانها صنعاء لكثرة رياضها وأزهارها أولانها يصنع فيها الحبر تشبه به الرياض

(٣) الخندق حفير حول أسوار المدن وقد أطلق ها على البرك والجداول التى فى داخل كل قصر . الدارات جمع دارة وهى المحل يجمع البناء والعرصة . الديسق الطريق المستطيلة . الابهاء جمع بهو وهو البيت المقدم امام البيوت ويجمع أيضاً على بهو وبهى وهو ما يسميه الفرنج

وَكَهْرَبَاءٌ . تُضِيءُ الأَرْجَاءَ . كَأَنَّهَا بَدْرٌ . أَوْ فَجْرُ

يَا أَبَا مُسْلِمٍ تَلَفَّتْ الى القَصْ
رِ وَأَشْرِفْ لِلْبَارِقِ اللَّمَّاحِ
وَمُنِيفاً يُرِيكَ مَنْبِجَ نَصًّا
وَهِيَ خَضْرَاءُ مِنْ جَمِيعِ النَّوَاحِي [٢]

***

(بالصالون) . الجوسق القصر

(١) الكهرباء فى الاصل صمغ شجرة يجذب التبن اذا حك معرب كاه ربا بالفارسية ومعنى كاه تبن وربا جاذب أى جاذب التبن القطعة منه كهرباة أو كهرباءة والنسبة اليه كهربى ومنه السيال الكهربى والكهربية الجاذبية المنسوبه الى الكهرباء وقد انتفع العالم اجمع من هذه الكهرباء فصنع منها النور واستخدموها فى حمل الاثقال وتسيير سفن البر والبحر

(المعنى) يقول أن النور الذى تستضىء به هذه القصور وهو من الكهرباء الساطعة التى تشبه لون القمر الفاختى أو ضياء الفجر فى وقت الصباح وذلك لا بيضاض لون نورها

(٢) أشرف بمعنى اطلع وانظر . البارق البرق . اللماح فعال من لمح أى لمع . المنيف المرتفع منبج هى بلد بالشام بين حلب والفرات بناها كسرى لما غلب على الشام وهى كثيرة الخضرة والرياض ولما كانت وطن البحترى ذكرها كثيراً فى شعره فمن ذلك قوله فى اخر قصيدة طويلة يخاطب بها الممدوح وهو محمد بن حميد الطوسى

لا انسين زمناً لديك مهذباً وظلال عيش كان عندك سجسج
فى نعمة أوطنتها واقمت فى أفيائها فكأننى فى منبج

نصاً أى عيناً والنص الذى لا يحتمل الا معنى واحداً

(المعنى) يقول أنظر الى هذا القصر والى الكهرباء التى تنيره والتى شابهت البرق فى لمعانه بل انظر الى الرياض الخضراء فيه التى تريك منبج فى أيام الربيع وقد اكتست حلة زاهية من الخضر والرياحين

وَصَلْتُ الى ذلِكَ القَصْرِ فَفُتِحَ البَابُ. وَكُشِفَ الحِجَابُ. فاذاَ جَنَّةٌ وَحرِيرٌ وَمُلْكٌ كَبِيرٌ. وَدُنْيَا فِي دَارٍ. وَلَيْلٌ وَنَهارٌ. وَوُجُوهٌ تَشْرُقُ. وَحَلْيٌ يَبْرُقُ. وَقِبَابٌ وَشَرَاعاتٌ. وَمقَاصِيرُ وَسُرَادِقاتٌ[١]. وَحُنِيٌّ كَعُطُوفِ القِسِيِّ وَصُحُونٌ. فى فُسْحَةِ الظنُونِ. تقَدَّرُ بالأفكارِ. لا بالأبْصارِ[٢]. وَسقُوفٌ مِنْ مَرْمَرٍ. وأرْض مِنْ عَرْعَرٍ. وكأنَّ كلَّ سَقْفٍ لَوْحٌ مُصَوَّرٌ. وكلَّ أرْضٍ رَوْضٌ مُنَوَّرٌ[٣]

وَإِذَا نَظَرْتَ الى غَرَائِبِ سَقْفِهِ
أبْصَرْتَ رَوْضاً فى السَّماءِ نَضِيرَا
وَضَعَتْ بِهِ صُنَّاعُها أقْلاَمَهَا

---

(١) الشراعات الرفارف. المقاصير جمع مقصورة وهي الدار الواسعة وقال بعضهم هي محولة عن اسم الفاعل والاصل قاصرة أى حابسة كما قيل حجاباً مستورا أى ساترا السرادقات جمع سرادق وهو الفسطاط الذى يمد فوق صحن البيت

(المعنى) يقول انى حينما وصلت الى هذا القصر وفتح لى الباب رأيت الجنة بزخرفها فكانما الدنيا أصبحت فى دار واحدة اذ رأيت الوجوه وقد أشرقت والحلى وقد أبرقت الى غير ذلك مما أتى عليه وسيأتى من الوصف الجيد البليغ والمعانى الدقيقة العالية

(٢) الحنى جمع حنية ما أعوج من البناء. عطوف القسى العطف من القوس سيتها والسية ما عطف من طرفى القوس. الصحون جمع صحن وهو ساحة وسط الدار

(المعنى) يقول وفى ذلك القصر منعطفات فى طرقه أشبهت عطوف القسى فى التوائها وفيه أيضا صحون رحيبة متسعة كأنها لسعتها فسحة الظنون وهى أوسع ما يتصوره فكر الانسان ولذلك قال تقدر بالأفكار لا بالابصار يعنى ان البصر مع كونه يرمى الى اسحق مكان وأبعده ليس بقادر على تقدير هذه الرحبات وانما تقدر بالفكر الذى يجمع الدنيا بخطرة بل ربما تجاوزها الى غيرها من العوالم الأخرى

(٣) المرمر الرخام. العرعر شجر السرو فارسية

فأَرَتْكَ كلَّ طَرِيدَةٍ تصْوِيرا

وَأبْوَابٌ كأنَّهَا في حُسْنِهَا أبْوَابٌ مِنْ كِتابٍ . في مِصْرَاعَيْنِ . كعَاشِقَيْن . فتَلاَقٌ . وَافْتِرَاقٌ ٢

فأبْوَابُهَا أثْوَابُهَا مِنْ نقُوشِهَا
فَلاَ ظُلْمَ إلاَّ حِينَ تُرْخي سُتُورُها ٣

***

(المعنى) يقول وترسقوف هذا القصر من مرمر براق وارضه من عرر يانع فكان سقوفه لوح المصور لاشكاله ولمعانها وكان أرضه روضة زاهرة لخضرتها والوانها

(١) الطريدة كل ماطردت من طير وغيره

(المعنى يقول ان الناظر الى سقوف هذا القصر والى الالوان التى صبغت بها يرى ان الرياض الناضرة فى السماء ويرى أقلام المصورين قد اجادت الرسم والتصاوير بها حتى ليخيل له ان الطرائد أى الوحوش المطرودة للصيد التى نقشت بها حقيقة لا خيال وذلك لاتقان الصنعة وجودة الرسم

(٢) مصراع الباب أحد غلقيه وهما مصرعان الى اليمين واليسار

(المعنى) يقول أن أبواب هذا القصر لحسنها كانها أبواب كتاب وهو أحسن ماتوصف به أبواب الدور والمنازل ، يقول أن كل باب من أبوابه ذو مصراعين وهما كعاشقين فتلاقيهما وقت ما يوصدان وافتراقهما ساعة يفتحان

(٣) (المعنى) يقول أن النقش على هذه الابواب كانه ثياب مدبجة فمن الظلم أن ترخى عليها الحجب والستور . وكل ما تقدم وصف للدور والمنازل والقصور التى رآها سماحة السيد فى بلاد النمسا وهو وصف حسن أجاد فيه مؤلفه غاية الاجادة لانه ماترك شيئاً من أثاثات القصر وامتعته وفرشه الاأتى به منفصلا ووصفه وصفاً حسناً ولنذكر هنا نبذة من أقوال الشعراء فى مثلها فمن ذلك قول على بن محمد الايادى يمدح المعز ويصف دار البحر بالمنصورية

ولما استطال المجد وارتفع البنا — على النجم وامتد الرواق المروق
بنى قبة للملك فى وسط جنة — لها منظر يزهى به الطرف مونق
معشوقة الساحات اما عراصها — فخضر واما طيرها فهى نطق
تحف بقصر ذى قصور كانما — ترى البحر فى ارجائه وهو متأق
له بركة للماء ملء فضائه — تخب بقصريها العيون وتغنق
لها جدول ينصب فيها كانه — حسام جلاه القين بالارض ملصق
لها مجلس قد قام فى وسط مائها — كما قام فى فيض الفرات الخورنق
كان صفاء الماء فيها وحسنه — زجاج صفت ارجاؤه فهو ازرق
اذا بث فيها الليل اشخاص نجمه — رأيت وجوه الزنج بالنار تحرق
وان صافحتها الشمس لاحت كانها — فرند على تاج المعز ورونق
كان شرافات المقاصر حولها — عذاري عليهن الملاء الممنطق
يذوب الجناء الجعد عن وجه مائها — كما ذاب آل الصحصحان المرقرق

وقال البحترى يصف قصر المتوكل المتقدم ذكره آنفاً

ارى المتوكلية قد تعالت — محاسنها واكملت التماما
قصور كالكواكب لامعات — يكدن يضئن للسارى الظلاما
وروض مثل برد الوشى فيه — جنى الحوذان ينشر والخزامى
غرائب من فنون النور فيها — جنى الزهر الفرادى والتواما
يضاحك نورها طوراً وطوراً — عليه الغيم ينسجم انسجاما
ولو لم يستهل لها غمام — بريقه لكنت لها غماما

وقال الشريف الرضى وقد اجتاز بالحيرة يرثى آل المنذر بن ماء السماء ويصف دورهم ومنازلهم

اين بانوك ايها الحيرة البيضاء — والموطئون منك الديارا
والأولى شققوا ثراك من العشـ — ـب واجروا خلالك الانهارا
المهيبون بالضيوف اذا هبـ — ـت شمالا والموقدون النارا
كلما باخ ضوؤها اقضموها — بالقبيبات مندليا وغارا
ربطوا حولك الجياد وخطوا — لك من مركز العوالى عذارا

وحموا ارضك الحوافر حتى … لثموا ارضها خدود العذارى
لم يدع منك حادث الدهر الا … عبرا للعيون واستعبارا
وبقايا من دارسات طلول … خبرتنا عن اهلها الاخبارا
عبقات الثرى كأن عليها … لطميين يتفضون العطارا
وقباب كانما رفعوا منـ … ـها لمسترشد الظلام منارا
عقدوا بينها وبين نجوم الافق … من سالف الليالى جوارا
اين عقبانك الخواطف حلقـ … ـن واين عندك الاوكارا
ورجال مثل الاسود مشوافيك … تداعوا قراعا وشنارا
حبذا اهلك المحلون اهلا … يوم بانوا وحبذا الدار دارا
لم يكونوا الا كركب تأنى … برهة فى مناخة ثم سارا

وقال البحترى يصف الموكلية ايضاً

قد تم حسن الجعفرى ولم يكن … ليتم الا للخليفة جعفر
ملك تبوأ خير دار انشئت … فى خير بدو للانام ومحضر
فى رأس مشرفة حصاها لؤلؤ … وترابها مسك يشاب بعنبر
مخضرة والغيث ليس بساكب … ومضيئة والليل ليس بمقمر
رفعت بمنخرق الرياح وجاورت … ظل الغمام الصيب المسعبر

وبعده

ورفعت بنياناً كأن زهاءه … اعلام رضوى اوشواهق مذبر
عال على لحظ العيون كأنما … ينظرن منه الى بياض المشترى
ملأت حواليه الفضاء وعانقت … شرفاته قطع السحاب الممطر
وتسيل دجلة تحته ففناؤه … من لجة فرشت وروض اخضر
شجر تلاعبه الرياح فتنثنى … اعطافه فى سائح متفجر

والشعر فى الابنية كثير فمن الشعراء من يصف الديار وهى موحشة ومنهم من يصفها للتهنئة ببنائها ولكن الكثير من الشعر فى وصفها وهى قفر يباب لانهم يتذكرون بها محبيهم فيصفون الليالى التى أمضوها فيها والمجالس التى جلسوها فى حجراتها وقاعاتها فتجيش صدورهم بالشعر ولولا خوف الاطالة لاتينا بالكثير منه

وَإِذَا الْحُجُرَاتُ قَدْ فُرِشَتْ بِإِرَاضٍ . كَأَنَّهُ قِطَعُ الرِّيَاضِ

بُسُطٌ أَجَادَ الرَّسْمَ صَانِعُهَا
وَزَهَا عَلَيْهَا النَّقْشُ وَالشَّكْلُ
فَيَكَادُ يَقْطِفُ مِنْ أَزَاهِرِهَا
وَيَكَادُ يَسْقُطُ فَوْقَهَا النَّحْلُ [1]

للمؤلف

وَرُصِّفَتْ فِي جَوَانِبِهَا أَرَائِكُ وَحَجَلٌ . وَطَوَارِقُ وَكِلَلٌ . وَسُوَارٌ وَأَنْمَاطٌ . وَزَرَابِيُّ وَرِبَاطٌ [2] . وَمَطَارِحُ مِنْ دِيبَاجٍ . وَنَضَائِدُ مِنْ عَاجٍ . عَلَيْهَا قُطُوعٌ مِنْ سَمُّورٍ وَسِنْجَابٍ . وَعُرُوشٌ مِنْ اسْتَبْرَقٍ وَزِرْيَابٍ [3] . فِي أَلْوَانِ الْحِيقُطَانِ .

---

(١) الحجرات جمع حجرة وهى الغرفة . الاراض بساط ضخم من صوف او حرير (المعنى) يقول ان بسط هذا المكان اشبهت الروض فى نضارته ولون ازهاره لدقة صنعتها وحسن روائها . ويقول ان صانع هذه البسط قد اتقنها واجاد رسمها حتى صار نقشها وشكلها زاهياً وحتى اصبحت لدقة رسمها يكاد الانسان يقطف ازهارها ويكاد يسقط عليها النحل ليجنى يانع ازهارها وهذا المعنى فى غاية الابداع والبيتان لسماحة المؤلف

(٢) الارائك جمع اريكة وهى سرير منجد مزين فى قبة او بيت . الحجل جمع حجلة وهى فرش فى جوف البيت . الطوارق جمع طارقة وهى السرير الصغير : الكلل جمع كلة وهى غشاء رقيق يخاط كالبيت . السوار مثلثة متاع البيت الانماط جمع نمط وهو ضرب من البسط . الزرابى النمارق والبسط وكل ما بسط واتكىء عليه . الرباط جمع ربطة وهى كل ثوب رقيق يشبه الملحفة

(٣) المطارح جمع مطرح وهو المفرش . الديباج الثوب الذى سداه ولحمته من حرير . النضائد جمع نضيدة وهى الوسادة . العاج أنياب الفيل . القطوع جمع قطع بالكسر وهو ضرب من الثياب الموشاة والبساط والنمرقة . السمور حيوان برى يشبه السنور يتخذ من

وَأَجْنِحَةِ الْفَوَاخِتِ وَالوَرَشَانِ [١]

حَتَّى اتَّكَأْنَ عَلَى فُرُشٍ يُزَيِّنُهَا
مِنْ جَيِّدِ الرَّقْمِ أَزْوَاجٌ تَهَاوِيلُ
فِيهَا الطُّيُورُ وَفِيهَا الأُسْدُ مُخْدِرَةً
مِنْ كُلِّ شَيْءٍ تَرَى فِيهَا تَمَاثِيلُ [٢]

وَقَدْ رُكِزَتْ فِي الحِيطَانِ صُفُوفٌ . مِنْ مَشَاجِبَ وَرُفُوفٍ . عَلَيهَا آنِيَةٌ عَادِيَةٌ وَعِسَاسٌ صِينِيَّةٌ . وَصِحَافٌ وَسُكُرُّجَاتٌ . وَجِفَانٌ وَطَرْجَهَارَاتٌ [٣] . وَبَيْنَ ذَلِكَ مَرَايَا تَتَقَابَلُ . فَتَجْمَعُ الآحَادَ وَتُعَدِّدُ الأَفْرَادَ . إِنْ وَقَفَتْ أَمَامَهَا الحَسْنَاءُ . رَأَيْتَ

جلده فراء ثمينة للينها وخفتها ويطلق السمور على جلده جمع سمامير . السنجاب بالكسر والضم حيوان على حد اليربوع وشعره فى غاية النعومة تتخذ من جلده الفراء والفراش . العروش جمع عرش وهو البيت الذى يستظل به . الاستبرق الحرير . الزرياب الذهب

(١) الحيقطان طائر جميل المنظر ملون الريش . الفواخت جمع فاختة . الورشان يجمع على وِرشان بالكسر ووراشين وهو طائر .

(المعنى) يقول ان الوان هذه الفرش تشبه لون ريش هذا الطائر الجميل المسمى بالحيقطان وتشبه لون الحمائم البيض ولون الورشان

(٢) ازواج جمع زوج وهو الشكل واللون من الديباج . التهاويل الالوان المختلفة من الاحمر والاصفر والاخضر والنقوش والحلى . المخدرة اى الساكنة فى خدورها اى اجمها

(٣) صفوف جمع صف . المشاجب جمع مشجب وهو خشبة توضع فى الحائط لنشر عليها الثياب . الرفوف جمع رف وهو شبه الطاق توضع عليه بعض امتعة البيت . الانية جمع اناء وهو الوعاء . عادية نسبة الى عاد وهى كناية عن عراقتها فى القدم . العساس القدح الكبير . صينية نسبة الى الصين . الصحاف جمع صحفة وهى الاناء . سكرجات جمع سكرجة وهى الصفحة . الجفان جمع جفنة وهى القصعة . طرجهارات جمع طرجهارة وهى الفنجانة .

بَدْرَ السَّمَاءِ . فِى عَيْنِ مَاءٍ [١] . حُسْنٌ لانَظِيرَ لَهُ فِى البَرِيَّةِ . إِلاَّ صُورَتُهُ عَلَى المَاوِيَّةِ [٢] . فَإِنِ انْصَرَفَتْ عَنْهَا تَرَكَتْهَا كَرَبْعٍ خَلاَءٍ . أَوْ صَحِيفَةٍ بَيْضَاءَ . أَوْ قَلْبٍ ذِى مَلاَلَةٍ . لايَثْبُتُ فِيهِ إِلاَّ مَاكَانَ حِيَالَهُ [٣] . وَقَامَ فِى الأَرْكَانِ تَمَاثِيلُ وَتَصَاوِيرُ . وَأَنْصَابٌ وَقَوَارِيرُ . مِمَّا صَنَعَ أُوفِرْبَاخُ . وَمِيسُونِيَاوَلَمْبَاخُ . فَكَأَنَّمَا الدَّارُ زُونٌ . أَوْ مَعْرِضُ فُنُونٍ [٤]

وَتَمَاثِيلُ حِسَانٌ

مِنْ صِغَارٍ وَكِبَارٍ

---

(١) (المعنى) يقول وفى هذا القصر مرايا قد علقت على جدرانه وتقابلت فلو وقف شخص أمام احداها تعددشبحه الى أشباح كثيرة وذلك لتعدد المرايا ولواجتمع اشخاص كثيرون امام واحدة منها لاجتمعت أشباحهم فى مرآة واحدة كذلك لو نظرت الحسناء فى مرآة منها كأنها بدر السماء قد انعكست صورته فى عين ماء وذلك لصفاء مائها الذى اشبه سطح المرآة

(٢) البرية السكون . الماوية المرآة

(٣) الربع الدار أو المنزل . الخلاء الخالى . الملالة السآمة والضجر . الحيال حيال الشيء قبالته

(المعنى) يقول فاذا انصرفت هذه الحسناء عن المرآة أصبحت كالربع الخالي من السكان او كأنها صحيفة بيضاء لاغبار عليها او كانها قلب ملول لايعرف صديقه اوصاحبه الا عند مقابلته فاذا انصرف عنه اصبح منه نسياً منسياً

(٤) التماثيل جمع تمثال وهو الصورة من رخام ونحوه . الانصاب حجارة كانت حول الكعبة تنصب فيهل عليها ويذبح لغير الله وهذه مثلها والمراد بها التماثيل . القوارير جمع قارورة وهى الاناء من زجاج او غيره — او فرباخ مصور مشهور — ميسونيا مصور فرنسى شهير ومن رجال القرن التاسع عشر — لمباخ مصور مشهور . الزون الموضع يجمع فيه الاصنام وتنصب وتزين المعرض كمجلس موضع عرض الشيء

نَشَرَتْ أُسْرَةُ كِسْرَى

يَوْمَ عِيدِ النَّوْبَهَارِ

أَوْ رُمَاةٌ فِي طِرَادٍ

خَلْفَ سِرْبٍ أَوْ صُوَارِ

أَوْ رَعِيلٌ مِنْ شَرِيدِ الْ

وَحْشِ مَشْبُوبُ الْحِضَارِ

خَلْفَهُ كُلُّ حَثِيثِ الرَّ كْ

ضِ فِي نَقْعٍ مُثَارِ[1]

وَإِذَا مَا رَأَيْتَ صُورَةَ أَنْطَاكِيَّةَ

ارْتَعَتْ بَيْنَ رُومٍ وَفُرْسِ

وَالْمَنَايَا مَوَاثِلٌ وَأَنُوشِرْوَانَ

يُزْجِي الصُّفُوفَ تَحْتَ الدِّرَفْسِ

(المعنى) يقول وفى اركان هذا القصر الكثير من التماثيل والتصاوير من صنع اشهر المصورين الذين ذكرهم حتى كان هذا القصر الموضع الذى تنصب فيه الاصنام وتزين اوكانه معرض تعرض فيه الاشياء لتكون على مرأى من الناظرين . على ان التصوير على الحيطان كان معروفاً قديماً عند الفرس والعرب . وللسيد المؤلف مقالة فى كثير من (الوفاقات فى العادات) بين الافرنج والعرب ا نذكر منها نبذة فى آخر شرح هذه الرسالة

(١) الاسرة رهط الرجل واهل بيته . عيد النوبهار هو عيد من اعياد الفرس ومواسمهم. الرماة جمع رام وهو الضارب بالقوس . الطراد حمل الفرسان بعضهم على بعض . السرب جماعة الظباء . الصوار بالضم القطيع من البقر . الرعيل القطعة من الخيل . المشبوب اى الموقد . الحضار جودة فى السير

وَعِرَاكُ الرِّجَالِ بَيْنَ يَدَيْهِ
فِي خُفُوتٍ مِنْهُمْ وَإِغْمَاضِ جَرْسِ
تَصِفُ العَيْنُ أَنَّهُمْ جِدُّ أَحْيَا
ءٍ لَهُمْ بَيْنَهُمْ إِشَارَةُ خُرْسِ

وَقَدْ وُضِعَ فِي الأَبْهَاءِ مَوَاقِدُ لِلاِصْطِلاءِ. كَأَنَّ الجَمْرَ فِيهَا نَظَرُ مُحْنَقٍ أَوْ نَارُ المُحَلِّقِ[٢]

---

(١) انطاكية قصبة قضاء باسمها فى ولاية حلب على الضفة الجنوبية من نهر العاصى

(٢) الابهاء جمع بهو وهو البيت المقدم امام البيوت وهو المسمى الآن (بالصالة) المواقد جمع موقد وهو ماتوقد فيه النار • الاصطلاء الاستدفاء • المحنق المغتاظ — نار المحلق وخبرها ان الاعشى ميمون بن قيس كان يوافى سوق عكاظ فى كل سنة وكان المحلق الكلابى مئناثاً مملقا فقالت له يا ابا كلاب مايمنعك من التعرض لهذا الشاعر اذا مر بك فما رايت احداً اقتطعه الى نفسه الاوا كسبه خيراً قال ويحك ماعندى الا ناقتى وعليها الحمل قالت الله يخلفها عليك قال فهل له بد من الشراب والمسوح قالت ان عندى ذخيرة لى ولعلى ان اجمعها قال فلما مر به تلقاه قبل ان يسبق اليه احد وابنه يقوده فأخذ الخطام فقال الاعشى من هذا الذي غلبنا على خطامنا قال المحلق قال شريف كريم ثم سلمه اليه فاناخه فنحر له ناقته وكشط له عن سنامها وكبدها ثم سقاه واحاطت بناته به يغمزنه ويمسحنه فقال ما هذه الجوارى حولى قال بنات اخيك وهن ثمان شريدتهن قليلة قال وخرج من عنده ولم يقل فيه شيئاً فلما وافى سوق عكاظ اذا هو بسرحة قد اجتمع الناس عليها واذا الاعشى ينشدهم

لعمرى لقد لاحت عيون كثيرة الى ضوء نار باليفاع تحرق
تشب لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندي والمحلق

فاشتهرت نار المحلق والمحلق بشعر الاعشى حتى ضرب بها المثل • قال فسلم عليه المحلق فقال له مرحباً بسيد قومه ونادى يامعشر العرب هل فيكم مذكار يزوج ابنه الى الشريف الكريم قال فما قام من مقعده وفيهن مخطوبة الاوقد زوجها

وَكَأَنَّ الرَّمَادَ عَلَيْهِ عِثْيَرٌ . فَوْقَ أَشْقَرَ[١] . وَأَحَاطَ بِالدَّارِ نَوَافِذُ وَطَاقٌ . تَطِلُّ عَلَى الآفَاقِ . وَتَنْظُرُ الرَّوْضَ . وَالْحَوْضَ . وَالْمَدِينَةَ . وَالزِّينَةَ[٢]

فَمِنْ شُهُبٍ تَمْتَدُّ فِى الجَوِّ مُصْعِدًا
وَتَلْوَى عَلَى جَنْبَيْهِ مِثْلَ الأَرَاقِمِ
وَتَمْطِرُ فِيهِ لُؤْلُؤًا وَزَبَرْجَدًا
شَآبِيبُ مِنْهَا سَاجِمٌ بَعْدَ سَاجِمِ
فَطَوْرًا تَرَى أَنَّ السَّمَاءَ حَدِيقَةٌ
تَفَتَّحَ فِيهَا النَّوْرُ بَيْنَ الْكَمَائِمِ
وَحِينًا تَرَى أَنَّ الحَدِيقَةَ فِي الدُّجَى
سَمَاءٌ تَهَاوَى بِالنُّجُومِ الرَّوَاجِمِ

للمؤلف

---

(١) العثير الغبار . الاشقر ماله لون الشقرة

(٢) الطاق النافذة

(٣) شآبيب جمع شؤبوب وهى الدفعة من المطر . النور الزهر . الكمائم جمع كم وهو الغلاف الذى ينشق من الثمر ويحيط به . تهاوى اى تتساقط . الرواجم السواقط

(المعنى) جرت العادة فى السنين الاخيرة انهم فى الاعياد والمواسم والاحتفالات يصفون مقذوفات صغيرة محشوة بمادة ملتهبة تسمى البارود وقد صبغوها بالوان متعددة وشكلوها باشكال الثعابين والطيور فاذا كان ليلة الاحتفال الهبوا هذه المقذوفات بواسطة فتيل فى يد الملهب فتطير فى الجو مصعدة حتى اذا اندفعت الى بعد اربعين او خمسين ذراعاً انفجرت هذه المقذوفة عن شرارات تشبه الثعابين والطيور والزهور والرياحين باشكالها وألوانها فاذا كادت ان تسقط على الارض انطفأت من نفسها . فسماحة السيد يقول ان الناظر من هذه النوافذ يرى هذه المقذوفات

أَمَّا الأَضْوَاءُ وَالأَنْوَارُ . فَالشَّمْسُ فِي ضَحْوَةِ النَّهَارِ . قَدْ عَلِقَتْ بِالسُّقُوفِ . وَتَأَلَّقَتْ فِي الرُّفُوفِ . وَتَلَوَّنَتْ كَالأَزْهَارِ . وَتَشَكَّلَتْ كَالأَثْمَارِ [١] . وَتَدَلَّتْ بَيْنَهَا الثُّرَيَّاتُ كَأَنَّهَا أَشْجَارٌ . مُفَتَّحَةُ النُّوَّارِ . وَكَأَنَّ أَقْبَاسَهَا آذَانُ جِيَادٍ . أَو

---

(١) تدلت استرسلت وتعلقت . الرفوف جمع رف وهو شبه الطاق تجعل عليه طرائف البيت .

كل هذا وصف للنور والضوء فلنذكر هنا قول الصابى فى شمعة

وليلة من محاق الشهر مدجنة	لا النجم يهدى السرى فيها ولا القمر
كلفت نفسى بها الادلاج ممتطيا	عزما هو الصارم الصمصامة الذكر
الى حبيب له فى النفس منزلة	ماحلها قبلها سمع ولا بصر
ولا دليل سوى هيفاء مخطفة	تهدى الركاب وجنح الليل معتكر
غصن من الذهب الابريز اثمرفى	اعلاه ياقوتة صفراء تستعر
تأتيك ليلا كما تأتى المريب فان	لاح الصباح طوتها دونك الجدر

وقال اخر فى مثله

لنا شمعة نيطت ذراها بشعلة	كحقة تبر علقت بلسانها
اذا عثر السارى بليل من الدجى	نحرنا له قلب الدجى بسنانها
تفك قيود الليل عن كل زائر	فتجرى بها الرجلان مل عنانها
اذا ما احست بالصباح تمارضت	كنرجسة قد اذبلت بمكانها
تموت اذا ماقبلت خد حائط	فتثبت خالا فوقه من دخانها

وقال النمرى

ولما دجا الليل مزقته	بروح ينحف جثمانها
بشمع اعير قدود الرماح	يحاكى ذراها والوانها
غصون من التبر قد ركبت	لهيبا يزين افنانها
فيا حسن ارواحها فى الدجى	وقد اكلت فيه ابدانها

(المعنى) يقول اما انوار هذا القصر فهى كالشمس فى نورها وهى فى كبد السماء قد تعلقت

عُيُونُ جَرَادٍ • أَوْ قِطَعُ أَفْلَاذٍ . أَوْ صَفَائِحُ فُولَاذٍ . أَوْ ذُبَالٌ عَلَى أَسَلٍ . أَوْ مِرْآة فِي كَفِّ الأَشَلِّ

فَيَالَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ
بِكُلِّ مُغَارِ الفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ[٢]

* * *

وَثَمَّ الخُرَّدُ الحِسَانُ . كَاللُّؤْلُؤِ وَالعِقْيَانِ . مِنْ كُلِّ عُطْبُولٍ رَفِلَةٍ . أَوْ

بسقوفه وتشكل لونها فكانت كالازهار وتنوع شكلها فصارت كالاثمار

(١) الثريات المنارات التي تعلق وينبعث منها النور وهي المسماة الآن بالنجف الاقباس جمع قبس وهو لسان الفتيلة . الافلاذ جمع فلذة وهي القطعة من الذهب والفضة. الفولاذ اكرم الحديد فارسي معرب . الذبال جمع ذبالة وهي لسان الشمعة . الاسل الرماح الاشل المصاب بالشلل وهو مرض يصيب اليد والذراع فيحدث فيهما رعشة

(المعنى) يقول وقد سطعت هذه الانوار فكأن السنة النور اذ آن خيل او انها لمعانها وبصيصها عيون جراد أو قطع الذهب والفضة او صفائح الحديد البراق وكأنما الشموع وقد ارتعدت فتائل ركبت على رماح اومرآة في يد اشل مرتفعة

(٢) مغار الفتل اي محكم الفتل - يذبل جبل . البيت من معلقة امرىء القيس وقبله

وليل كموج البحر ارخى سدوله — على بانواع الهموم ليبتلي
فقلت له لما تمطى بصلبه — واردف اعجازاً وناء بكلكل
الا ايها الليل الطويل الا انجلي — بصبح وما الاصباح منك بامثل
فيا لك من ليل كأن نجومه — بكل مغار الفتل شدت بيذبل

(المعنى) ضمن هذا البيت لمناسبة النور الذي وصفه ومعناه فياعجباً لك من ليل كأن نجومه شدت الى يذبل الذي هو الجبل بكل حبل محكم الفتل فامرؤ القيس كنى بالبيت عن طول الليل والمؤلف ضمنه لمناسبة نجومه التي تشبه الانوار التي وصفها وربط الثريات بالحبال عادة

أُسْحُلاَنَةٍ رَبِلَةٍ . أَوْ خَلِيفٍ بَهْنَانَةٍ . أَو رَهْرَهَةٍ فَيْنَانَةٍ . أَو لاعَةٍ سَيْفَانَةٍ

زَجَّاءَ إِبْرِيقِ الْعَشِيِّ خَوْزَلِ

رَكَّاضَةٍ لِلْبُرْدِ وَالمُرَحَّلِ

بِقَصَبٍ فَعْمِ العِظَامِ خُدَّلِ

رَيَّانَ لاَ عَشٍّ وَلا مُهَبَّلِ

فِى صُلْبٍ لَدْنٍ وَمَشْىٍ هَوْجَلِ

تَدَافُعَ الْجَدْوَلِ إِثْرَ الجَدْوَلِ [٢]

---

(١) ثم بالفتح اسم يشار به الى المكان البعيد وقد تلحقه التاء فيقال ثمة وموضعه نصب على الظرفية . الخرد جمع خريدة وهى المرأة الحيية . العقيان الذهب الخالص . العطبول المرأة الفتية الجميلة الممتلئة الطويلة العنق . الرفلة التى تجر ذيلها جرا حسناً . الاسحلانة الطويلة الشعر . الربلة المرأة الضخمة الربلات والربلة أصل الفخذ . الخليف المرأة التى اسبلت شعرها خلفها . البهنانة المرأة الطيبة النفس والريح واللينة فى عملها ومنطقها والضحاكة الخفيفة الروح . الرهرهة المرأة الناعمة البيضاء الحسنة بصيص لون البشرة . الفينانة التى شعرها حسن طويل اللاعة الحديدة الفؤاد الشهمة . السيفانة الطويلة الممشوقة الضامر

(المعنى) يقول وهناك فى ذلك القصر الحسان اللواتى كحبات اللؤلؤ نقاوة بشرة وكخالص الذهب صفاء لون من كل فتية مكتنزة اللحم ذيالة الشعر ضحوك لعوب ممشوقة الخصر الى آخر ماجاء فى الوصف

(٢) الزجاء ذات الحاجب الدقيق . ابريق العشى الابريق المرأة البراقة واراد بالعشى ان تبرق فيه وقت موت الالوان فكيف بالغداة . الخوزل من الانخزال والمراد أنها اذمشت تتثنى فى مشيتها وتتخازل فيه . ركاضة للبرد أى تركض البرد برجلها وتسحبه . المرحل ثوب عليه صور الرحال . القصب كل عظم فيه مخ . فعم العظام أى عظامه ممتلئة . الخدل الممتلئة ريان أى مفعم . العش الضعيف الدقيق . المهبل الثقيل المنتفخ . الصلب عظم فى الظهر ذو فقار من لدن

اذَا خَطرَتْ تأَرَّجَ جَانِبَاها
كَمَا خَطَرَتْ عَلَى الرَّوْضِ القَبُولُ
يَقُومُ مِنْ تَثَنِّيهَا اعْتِدَالٌ
يَكَادُ يُقَالُ مِنْ هَيَفٍ نُحولُ

صُدُورٌ كَالإِغْرِيضِ. أَو صُدُورِ البُزَاةِ البِيضِ وَسَوَاعِدُ كَأَنَّهَا شَمَارِيخُ مِن مَاسٍ. أَوْ مَرْمَرٌ نَحَتَهُ فِدْيَاسُ [٢]. وَعُيُونٌ كَأَنَّ بَيْنَ أَهْدَابِهَا رَامٍ مِن بَنِي ثُعَل. أَوْ أَسَدٌ بَيْنَ طَرْفَاءَ وَأَسَلٍ. أَوْ أَنَّهَا نَرْجِسٌ عَطْشَانُ أَوْ سُيُوفٌ تَقْتُلُ وَهِيَ فِي الاجْفَانِ [٣].
سَلَلْنَ مِنَ الحِدَاقِ السُّودِ بِيضاً

الكاهل الى العجب . اللدن الناعم. الهوجل مشي فيه استرخاء. الجدول النهر الصغير
(المعنى) يقول ومن هؤلاء النسوة الحسان كل دقيقة الحاجب براقة فى الظلام لصفاء لونها فاذا خطرت اخترات الخطى وجررت ذيول البرد خلفهـا فالجسم فى تموج والافخاذ فى ترجرج . فكأنما اعضاؤها فى مشيها وهى تتلاقى وتتفارق جداول من ماء تنصب فى نهر عظيم الاول أثر الآخر والموجة تلو الموجة

(١) تأرج فاح. القبول ريح الصبا لانها تقابل الدبور الهيف ضمور البطن ودقة الخصر
(المعنى) يقول اذا خطرت فاحت رائحتها الذكيه ومال قدها النحيف المعتدل فلولا ما به من الهيف لقيل أنه نحيل ضئيل

(٢) الاغريض الطلع . البزاة جمع بازى وهو طائر معروف ابيض اللون . الشماريخ جمع شمروخ وهو العذق عليه بسر أو عنب وشبه هنا به سواعد النساء. فدياس نحات ومصور يونانى قديم يضرب بحذقه المثل فى صنعته
(المعنى) يقول أن صدور هذه النسوة كالطلع فى ابيضاضه ونصاعته أو كصدور البزاة فى ابيضاضها وشكلها وسواعدهن كأنها شماريخ من ماس وهو حجر لماع أو مرمر نحته ذلك النحات اليونانى المشهور

(٣) المعنى بنو ثعل قوم من العرب اشتهروا بسداد الرمي حتى ضرب بهم المثل فيقال ارمى من بنى ثعل

فَمَا نَدْرِى قِيَانٌ اوْ قُيُونُ
فَمَنْ فِى مَأْتَمٍ عَلَى الْعُشَّاقِ
وَلَبِسْنَ السَّوَادَ فِى الأَحْدَاقِ [٢]

وَقَد امْتَزَجَ فِيهَا الفَتَرُ . بِالْحَوَرِ . فَهِىَ سَكْرَى وَلا مُدَامُ . وَوَسْنَى وَلا مَنَامُ [٣]

إِذَا نَظَرَتْ قُلتَ بِهَا ذِلَّةٌ
أَوْ خَطَرَتْ قُلتَ بِهَا كِبْرٌ [٤]

---

(١) القيان جمع قينة وهى الامة : القيون جمع قين وهو الصانع
(المعنى) يقول أن هؤلاء النسوة قد اشهرن من احداقهن السود سيوفا بيضافما ندرى أهن قيان أم صناع سيوف
(٢) (المعنى) يقول لما قتلن العشاق بألحاظهن أقمن عليهم مأتما ولكن لبسن الحداد فى إحداقهن السود
(٣) الفتر الضعف • الحور شدة بياض بياض العين وشدة سواد سوادها • الوسنى الفاترة الطرف
(المعنى) يقول قد امتزج الفتر فى الحاظهن وهو تكسر فى الجفون بالحور فكانما هى سكرى بغير خمر ومغمضة الطرف من غير نوم
(٤) (المعنى) يقول اذا نظرت اليك بهذا الفتور حسبتها ذليلة ولكن اذا نظرت اليها وهى تمشى مشية التيه والخيلاء رأيت الكبر باديا عليها والعظمة ممزوجة بنفسها وكل ماتقدم وصف للجفون واللواحظ من نواعس ويواقظ أو نعت للخرد الحسان ولنذكر هنا اقوال الشعراء فيهن إتماما للفائدة فنقول • قال ابو حية النميرى

رمته فتاة من ربيعة عامر	نؤوم الضحى فى مأتم أى مأتم
فقلن لها فى السر نفديك لايرح	صحيحا والا تقتليه فألم
فالقت قناعا دونه الشمس واتقت	باحسن موصولين كف ومعصم

وَفَمٌ كأنَّهُ أُقْحُوَانَةٌ لَمْ تَتَصَوَّحْ . وَوَرْدَةٌ لَمْ تَتَفَتَّحْ . يَضْحَكُ عَنْ جُمَانٍ . وَيَتَنَفَّسُ عَنْ رَيْحَانٍ وَيَنْطِقُ عَنْ أَلْحَانٍ وَخُدُودٌ . كَنَارِ خُدُودٍ . أَوْ تُفَّاحٍ . أَوْ مَاءٍ

وقال النابغة الذبيانى

قامت ترائى بين سجفى كلة   كالشمس يوم طلوعها بالاسعد
سقط النصيف ولم ترد اسقاطه   فتناولتـه واتقتنا باليد

وقال قيس بن الملوح

رمتنى وستر الله بينى وبينها   عشية احجار الكناس رميم
رميم التى قالت لجارات بيتها   ضمنت لكم أن لايزال يهيم
الا رب يوم لو رمتنى رميتها   ولكن عهدى بالنصال قديم
فيا عجبا من قاتل لى أوده   اشاط دمى شخص على كريم
يرى الناس انى قد سلوت وانى   لمدمن احناء الضلوع سقيم

وقال عروة ابن حزام

وانى لتعرونى لذكراك هزة   لها بين جسمى والعظام دبيب
وما هو الا ان أراها فجاءة   فأبهت حتى ما اكاد أجيب
عشية لاعفراء منك بعيدة   فأسلو ولا عفراء منك قريب
لئن كان برد الماء حران صاديا   الى حبيب أنها لحبيب

وقال الشريف الرضى

عطون باعناق الظباء واشرقت   وجوه عليها نضرة ونعيم
أمطن سجوفا عن خدود اسيلة   صنا بشر منها ورق اديم
تأطر أغصان الاراك امالها   وقد رق جلباب الظلام نسيم

والشعر فى وصف محاسن النساء كثير وقد جئنا منه هنا بالكفاية

(١) الاقحوانة مفرداقاحى وأقاح . لم تتصوح أى لم تيبس . الجمان اللؤلؤ واحدته جمانة (المعنى) يقول أن افواه نساء هذا العصر كالاقحوان الغض أو كالورد فى اكمامه بثغور كاللؤلؤ ونكهة كشذا الريحان وصوت كنغمات الالحان وهذه الفقرات فى وصف الافواه ونضرتها والثغور ونصاعتها ولنذكر هنا قول الشعراء فى وصف الافواه الثغور قال جميل

وَرَاحٍ . اوِ الشَّفَقِ فِي الصَّبَاحِ [١] وَرْدٌ يُفَتِّحُهُ النَّظَرُ . وَيُشَعْشِعُهُ الخَفَرُ . كأَنَّ حَيَاءَهُ الجُلَّنَارُ . وَبَيَاضَهُ مَاءٌ وَاقِفٌ جَارٍ [٢]

إِذَا مَشَيْتِ عَلَى الحَصْبَاءِ صَيَّرَهَا
شُعَاعُ خَدَّيْكِ يَاقُوتًا وَمُرْجَانًا [٣]

عنيت منها نظرة وهى واقف   تريك نقيا واضح الثغر اشنبا
كان عريضاً من فضيض غمامة   هزيم الذرى تمرى له الريح هيدبا
يصفق بالمسك الذكى رضابه   اذا النجم من بعد الهدو تصوبا

وقال عمر بن ابى ربيعة

يمج ذكى المسك منها مفلج   نقى الثنايا ذو غروب موشر
يرف اذا تفتر عنه كانه   حصى برد او اقحوان منور

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

واذا سالتك رشف ريقك قلت لى   أخشى عقوبة مالك الاملاك
ماذا عليك جعلت قبلك فى الثرى   من ان اكون خليفة المسواك

وقال الهذلى

وما صهباء صافية لصب   كلون الصرف منجاب قذاها
تشج بنطفة من ماء مزن   أحلته برضراض عراها
بأطيب مشرعا من طعم فيها   اذا ما طار عن سنة كراها

(١) الاخدود الحفر فى الارض

(المعنى) يقول ان لهن خدود حمر كالنار المتقدة أو كالتفاح فى حمرته اوكالراح الممزوجة بالماء أو كحمرة الشفق عند الصباح

(٢) يشعشعه أى يرققه . الخفر الحياء . الجلنار بضم الجيم وفتح اللام المشددة زهر الرمان

(المعنى) يقول ان هذه الخدود كالورد فى اكمامه تتفتح من النظر اليها كما يتفتح الورد من سقوط الندى عليه فكانما احمرارها الجلنار وكانما بياضها فى لمعانه وتموجه ماء واقف جار

(٣) الياقوت حجر معروف . والمرجان كذلك .

وَقدِ اتَّشَحْنَ بُرُودًا مِنْ ابْرِيسَمٍ وَخَزٍّ وَاسْتَبْرَقٍ وَقَزٍّ . كَأَنَّهَا رَقْرَاقُ السَّرَابِ . او بُرُودُ الشَّبَابِ . وكأَنَّ الْوَانَهَا اصِيلٌ شفَّ عَنْهُ غَمَامٌ او اشعةُ الشَّمْسِ فِى اطوَاقِ الحَمَامِ

غَرَّاءُ فَرْعَاءُ مَصْقُولٌ عَوَارِضُهَا
تَمْشِي الهُوَيْنَا كَمَا يَمْشِي الوَجِي الوَحِلُ
تَسْمَعُ لِلحَلي وَسْوَاسًا إِذَا انْصَرَفَتْ
كَمَا اسْتَعَانَتْ بِرِيحٍ عِشْرِقٌ زَجِلُ
هِرْكَوْلَةٌ فُنُقٌ دُرْمٌ مَرَافِقُهَا
كَانَّ إِخْمَصَهَا بِالشَّوْكِ مُنْتَعِلُ

(المعنى) يقول انك ايتها الحسناء اذا مشيت على الحصباء اكسبتها لون خديك لانعكاس اضوائهما عليها فضارت قطعها كقطع الياقوت والمرجان الاحمرين وهذه الفقرات ايضاً وصف فيها المؤلف الخدود ونضارتها واتذكر هنا معنى من المعانى الشعرية يناسب هذا الموضوع وهو : عاتب عاشق معشوقته حتى اخجلها بعتابه فتورد خداها حياء وخفراً فحسنت فى عينه فاقتطف منها قبلة فسألته فى ذلك بغضب فقال لها هذا غرسي الذى غرسته وقد جنيته فكان اعتذاره هذا من احسن الاعتذارات فى موقف مثل هذا الموقف

(١) اتشحن لبسن الاوشحة . الابريسم الحرير . الخز اسم دابة ثم اطلق على الثوب المتخذ من وبرها . الاستبرق غليظ الديباج : القز ضرب من الابريسم : رقراق السراب ما تلألأ منه برود الشباب كناية عن غضاضة الصبا ونضارته

(المعنى) يقول وحسان هذا القصر قد لبسن برودا من حرير عليها صور الرجال والدنانير وغير ذلك فهى عليهن تلمع كما يلمع السراب اوكانها لحسنها نضارة الصبا وبهجته وكان الوانها فى اصفرارها لون الاصيل تحت ستر الغمام أو لون أشعة الشمس اذا انعكست عن اطواق الحمام وهى تشبيهات جميلة

إِذَا تَقَومُ يَضُوعُ المِسْكُ أَصْوِرَةً
وَالزَّنبَقُ الوَرْدُ مِنْ أَرْدَانِهَا شَمِلُ

(١) الغراء البيضاء الواضحة والجمع غرر وغران: الفرعاء التامة الشعر. مصقول عوارضها اى مصقولة صفحة الخد. الهوينا المهل. تمشي الوجي اي تمشي مشية الرقيق القدم الحافى: الوحل وزان كتف الماشي فى الوحل. الوسواس صوت الحلى. العشرق كزبرج جمع عشرقة وهى شجرة قدر ذراع لها حب صغار اذا جفت صوتت بمر الريح زجل اى للريح صوت فى خلاله. هر كولة كبرذونة الحسنة الجسم والخلق والمشية والضخمة المرتجة الارداف. الفنق بضمتين الجارية المنعمة. درم مرافقها اى لا تستبين كعوبها ومرافقها من الشحم واللحم. الاخمص باطن القدم. الاصورة جمع صوار بالضم ويكسر الرائحة الطيبة والقليل من المسك. الزنبق دهن الياسمين ، الورد اى الذي له رائحة الورد. الاردان جمع درن بالضم وهو الكم من الثوب. الشمل اسم من شمل الامر عم

(المعنى) هذه الابيات من قصيدة للاعشى ميمون بن جندل الاسدي ومطلعها

ودع هريرة ان الركب مرتحل وهل تطيق وداعا ايها الرجل
غراء فرعاء مصقول عوارضها تمشي الهوينا كما يمشي الوجي الوحل
كان مشيتها من بيت جارتها مر السحابة لاريث ولاعجل

وهى طويلة جداً تنوف عن الستين بيتاً من الشعر العربى البليغ واورد صاحب الاغانى ان الشعبى قال الاعشى اغزل الناس فى بيت واخنث الناس فى بيت واشجع الناس فى بيت وكلهم تضمنهم هذه القصيدة فاما اغزل بيت فقوله

غراء فرعاء مصقول عورضها تمشي الهوينا كما يمشي الوجي الوحل

واما اخنث بيت

قالت هريرة لما جئت زائرها ويلى عليك وويلى منك يارجل

واما اشجع بيت فقوله

قالوا الطراد فقلنا تلك عادتنا او تنزلون فانا معشر نزل

ومعنى الابيات التى جاءت فى المتن يقول ان كل حسناء من الحسان اللواتى فى التعصر بيضاء واضحة ذيالة الشعر براقة صفحة الخد فاذا مشت كان مشيها الهوينا والتؤدة كما يمشي.

وَعَلَيْهِنَّ الْحُلِيُّ مِنْ أُرْبَةٍ وَدَاحٍ . وَيَارَجٍ وَوِشَاحٍ . وَقَرْمِلٍ وَعِضَادٍ . وَنِقْرِسٍ وَزِرَادٍ[١] . خَاتَمٌ فَارِدٌ . كَأَنَّهُ عُطَارِدٌ . وَسِوَارٌ لَمَّاعٌ . كَأَنَّهُ الهِلَالُ فِى الذِّرَاعِ[٢]

نَكَسْتِ قُرْطَيْكِ تَعْذِيباً وَمَا سَحَراً

الحافى الاقدام فى الوحل ولا تسمع منها غير وسوسة الحلى فكان صوته صوت ذلك الشجر المسمى بالعشرق اذا يبس ومرت به الريح فهى ضخمة الجسم مملوءته فلا يبين لها كعب ولا مرفق اوكأنها فى مشيتها قد انتعلت بالشوك فهى تهتز ذات اليمين وذات اليسار واذا قامت تارج المسك منها وذكت رائحتها وشممت من اردانها رائحة ذهن الياسمين ويعجبنى من هذه القصيدة قوله بعد هذه الابيات

ماروضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاء عليها مسبل هطل
يضاحك الشمس منها كوكب شرق مؤزر بعميم النبت مكتهل
يوماً باطيب منها نشر رائحة ولا باحسن منها اذ دنا الاصل

(١) الاربة بالضم القلادة : الداح السوار . اليارج بفتح الراء التاب والسوار . لوشاح بالضم الـكسر كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان يخالف بينهما طوف احدهما على الاخر القرمل ضفائر من شعر او صوف او ابريسم تصل به المرأة شعرها . العضاد الدملج . النقرس شيء يتخذ على صنعة الورد تغرزه المرأة فى رأسها . الزراد المخنقة

(المعنى) يقول وعلى نساء هذا العصر حلى فى لباتهن وعلى رؤوسهن واوساطهن وفى مرافقهن وذكر انواع الحلى التى كانت للعرب وشابهها من صنعة هذا العصر وهو غاية فى البراعة وقدرة من المؤلف على حسن الصياغة

(٢) الفارد اسم فاعل يقال شيء فارد أى منفرد . عطارد نجم من الخنس معروف يصرف ويمنع من الصرف . السوار القلب وهو حيلة كالطوق تلبسه المرأه فى زندها . الدراع منزل للقمر ينزله فى الليلة السابعة من الشهر وهو ذراع الاسد

(المعنى) يقول وباصبع كل حسناء خاتم كانه عطارد بريقاً ولمعاناً وفى ذراعها سوار لامع كانه الهلال فى الذراع وهو منزلة من منازل القمر وهنا تورية جميلة وهى تشبيه السوار بالهلال وذراع الحسناء بالمنزلة التى فى السماء المسماة بالذراع

أَخلَتْ قُرْطَيْكِ هَارُوتًا وَمَارُوتَا

***

ثُمَّ صَدَحَتِ الْمُوسِيقَاتُ . وَتَرَنَّمَتِ الْكِنَّارَاتُ . مِنْ دِرِّيجٍ وَصَنْجٍ . وَزَمْخَرٍ وَوَنِجٍ [٢]

عَمَدْنَ لإِصْلاحِ أَوْتَارِهِنَّ
فَأَصْلَحْنَهُنَّ وَأَفْسَدْنَنِى [٣]
وَلَمْ أَفْهَمْ مَعَانِيهَا وَلٰكِنْ
شَجَتْ قَلْبِي فَلَمْ أَجْهَلْ شَجَاهَا [٤]

---

(١) القرط هو الذى يعلق فى شحمة الاذن من درة ونحوها . هاروت وماروت قيل كانا ملكين وقيل انهما رجلان وكانا مشهورين بعمل السحر

(المعنى) يقول أنك قد أدليت قرطيك لعذاب الناظرين اليك وما أثرا فيا تأثير السحر أتظنين ان قرطيك هما الساحران المشهوران هاروت وماروت

(٢) صدح رفع صوته بغناء . الموسيقى فن الغناء وهى كلمة يونانية : ترنم طرب صوته وغنى غناء حسناء . الدريج شيء كالطنبور يضرب به . الصنج صفيحة مدور من الصفر يضرب بها على أخرى مثلها للطرب دخيل جمع صنوج . الزمخر المزمار الكبير الاسود . الونج ضرب من الاوتار او المعزف

(المعنى) يقول ثم سمعنا بعد ذلك الغناء على آلات الطرب وذكر اسماءها العربية التى وافقت مثلها من الآلات الافرنجية

(٣) الاوتار جمع وتر وهو شرعة القوس ومعلقها

(المعنى) يقول ان المغنيات بهذا القصر قد اخذن فى اصلاح الاوتار للغناء ولكن لم يدرين ان فى اصلاحها فساد السامع .

(٤) الشجو الهم والحزن

فَكَأَنَّمَا جَاوَبَ البُلْبُلُ الهَزَارَ. فِي الأَسْحَارِ. وَشَدَا مُخَارِقٌ وَزُنَامٌ. بِالأَنْغَامِ. وَكَأَنَّمَا تِلْكَ الأَصْوَاتُ نَسِيمٌ عَلِيلٌ. وَالقَوْمُ أَغْصَانٌ [٢]. وَكُلُّ آلَةٍ صُورُ اسْرَافِيلَ. يَنْفُخُ الأَرْوَاحَ فِي الأَبْدَانِ [٣]. وَإِذَا بِالفِتْيَانِ. وَالغِيدِ الحِسَانِ. وَالإِسْوَارِ. وَذَاتِ

(المعنى) يقول فلما نطقت الاوتار لم افهم لها معنى لاختلاف حركاتها وانغامها ولكنى لا اجهل ماتركته فى نفسى من الهم والحزن

(١) جاوب حاور. البلبل طائر صغير الجثة سريع الحركة يضرب به المثل فى طلاقة اللسان. الهزار بالفتح العندليب جمع هزارات — مخارق ومخارق هذا هو ابن يحيى ابن ناموس مولى الرشيد ويكنى ابا المهنا كناه الرشيد بذلك وكان قبله لعاتكة بنت شهدة وهى من المغنيات المحسنات وقدعلمته مولاته طرفا من الغناء ثم انه اخذ عن ابراهيم الموصلى وبرع فى الغناء وكان حسن الصوت ذكر هارون بن مخارق قال كان ابى اذا غنى هذا الصوت

يا ربع سلمى لقد هيجت لى طرباً زدت الفؤاد على علاته وصبا
ربع تبدل ممن كان يسكنه عفر الظباء وظلمانا به عصبا

يبكى ويقول انا مولى هذا الصوت فقلت له وكيف ذاك يا ابت فقال غنيته سولاى الرشيد فبكى وشرب عليه رطلا ثم قال احسنت يا مخارق فسلنى حاجتك فقلت ان تعتقنى يا امير المومنين اعتقك الله من النار فقال انت حر لوجه الله فأعد الصوت فأعدته فبكى وشرب رطلا ثم قال احسنت يا مخارق فسلنى حاجتك فقلت ضيعة تقيمنى غلتها قال قد امرت لك بها اعد الصوت فاعدته فبكى وقال سل حاجتك قلت تأمر لى بمنزل وفرش وخادم قال ذلك لك أعد الصوت فاعدته فبكى وقال سل حاجتك فقبلت الارض بين يديه وقلت حاجتى ان يطيل الله بقاءك ويديم عزك ويجعلني من كل سوء فداءك فأنا مولى هذا الصوت بعد مولاى. وتوفى مخارق فى اول خلافة المتوكل وقيل فى اخر خلافة الواثق رحمه الله — زنام هو احد الزامرين المشهورين

(المعنى) يقول انه لما صدحت الآلات فكأنما ترنم البلبل فردد صوته العندليب فى وقت السحر او كأنما تساند مخارق مع زنام فى الغناء

(٢) (المعنى) يقول ان هذه الاصوات كأنها لتأثيرها على الاجسام وترنيحها لها نسيم وكأنما تلك الاجسام غصون تهتز للغناء كما تهتز الغصون للنسيم

(٣) صور اسرافيل هو الصور الذى ينفخ به اسرافيل الارواح فى الابدان يوم القيامة

(المعنى) يقول وكانما كل آلة من آلات الغناء صور اسرافيل فاذا نفخ فيه الزامر فكانما اسرافيل ينفخ الروح فى الجسم للحياة الاخرى

ولقد اختلف الناس فى الغناء فاجازه عامة اهل الحجاز وكرهه عامة اهل العراق . قال رجل للحسن البصرى ما تقول فى الغناء ياابا سعيد قال نعم العون الغناء على طاعة الله يصل الرجل به رحمه ويواسى به صديقه قال الرجل ليس عن هذا اسألك قال وعم سألتنى قال ان يغنى الرجل قال وكيف يغنى فجعل الرجل يلوى شدقيه وينفخ منخريه قال الحسن والله ياابن اخى ماظننت ان عاقلا يفعل هذا بنفسه أبداً . وقد اختلفوا مرة فى الغناء عند محمد بن ابراهيم والى مكة فارسل الى ابن جريج فاتاه فسأله فقال ابن جريج لا بأس به شهدت عطاء بن ابى رباح فى ختان ولده وعنده ابن سريج المغنى فكان اذا غنى لم يقل له اسكت واذا سكت لم يقل له غن واذا لحن رد عليه . وحدث ابراهيم بن سعد الزهري قال قال لى الرشيد بلغنى ان مالك بن انس يحرم الغناء فقلت ياامير المؤمنين أو لمالك ان يحرم ويحلل والله ما كان ذلك لابن عمك محمد صلى الله عليه وسلم الا بوحى من ربه فمن جعل هذا لمالك فشهادتى على ابى انه سمع مالكا فى عرس بن حنظلة الغسيل يتغنى

سليمى ازمعت بينا فأين بوصلها اينا

ولو سمعت مالكا يحرمه ويدى تناله لاحسنت ادبه . وكان ابن دريد من احفظ الناس لكلام العرب وقد قال ابن شاهين كنا ندخل عليه ونستحى مما نرى من العيدان المعلقة والشراب المصفى وسأله سائل مرة . فلم يكن عنده شيء غير دن من نبيذ فتصدق به عليه وحدث ابن قتيبة قال وأول من قرأ القرآن بالالحان عبيدالله بن ابى بكرة وكانت قراءته ليست على شيء من الحان الغناء . ثم اخذ ذلك عنه حفيده عبدالله بن عمر وعنه اخذ الاباضى وعن الاباضى اخذ سعيد العلاف وكان الرشيد يعجب بقراءة سعيد وكان يعرف بقارىء امير المؤمنين . وكان القراء يتهم الهيثم وابان وابن اعين وغيرهم يدخلون فى القراءة من ألحان الغناء والحداء والرهبانية فمنهم من كان يدس الشيء من ذلك دسا ومنهم من كان يجهر بذلك حتى يسلخه فمن ذلك قراءة الهيثم (اما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر) سلخه من صوت الغناء كهيئة

اما القطاة فانى سوف انعتها نعتاً يوافق نعتى بعض مافيها

وكان ابن اعين يدخل الشيء ويخفيه

السِّوَارِ .قَدْ وَثَبُوا لِلْفَنْزَجِ . فِى الْمَدْرَجِ[1]

وكلُّ غُصْنٍ بِغُصْنٍ صَارَ مُعْتَنِقاً

مَسَرَّةً كاعتِنَاقِ اللَّامِ بِالأَلِفِ[2]

وَإِذَا فَلَكٌ يَدُورُ بِالكَوَاكِبِ . مِنَ الكَوَاعِبِ . وَإِذَا إِعْصَارٌ . أَوْ حَرْفٌ جَارٌّ أَوْ مَهَارَى فِى خَبَبٍ . أَوْ نُجُومٌ ذَوَاتُ ذَنَبٍ[3] .

---

(١) الغيد جمع غيداءوهى المرأةالمتثنية ليناً . الاسوار الوجيه من الناس . ذات السوار اى صاحبة السوار وهو كناية عن المرأة (الفنزج رقص للعجم يأخذ بعضهم بيد بعض) وقد اطلق السيد المؤلف على هذه الرسالة اسم الفنزج بدل (البالو) لانها فانت مستعملة فى العرب و تفوراً من كلمة افرنجية تدخل على اللغة العربية وفى اللغة غناء عنها ولقد جاءت هذه اللفظة فى ارجوزة من اراجيز العجاج قال فى مطالعها

ماهاج احزاناً وشجواً قدشجا من طالل كالاتحمى انهجا

امسى لعافى الرامسات مدرجا واتخذته النائجات منأجا

الى ان قال يصف بقر الوحش

يتبعن ذيالا موشى هبرجا فهن يعكفن به اذا حجا

بربض الارطى وحقف اعوجا عكف النبيط يلعبون الفنزجا

المدرج المذهب والمسلك

(المعنى) يقول فماسمعنا من الغناء قليلا الا وقد قام الفتيان وتعاضدوا مع الحسان ووثب الجميع للرقص

(٢) اعتناق اللام بالالف كلفظة لا

(المعنى) يقول فما هى الا فترة حتى صار كل قد ملتوياً على قد مثله فرحا وسروراً كاعتناق لام لا بالفها وتلازمهما

(٣) الفلك مدار النجوم . الاعصار ريح ترتفع بتراب بين السماء والارض وتستدير كانها عامود . الحرف الجار هو الحرف الذى يجر الاسماء . الخبب مراوحة الفرس بين يديه ورجليه وقيل السرعة . النجوم ذوات الذنب هى نجوم تتساقط من السماء فى اوقات معلومة يعرفها الفلكيون

وَمَهْمَهٍ فيهِ السَّرَابُ يَلْمَحُ
يَدْأَبُ فيهِ القَوْمُ حتى يَطْلَحُوا
ثُمَّ يَظَلُّونَ كأنْ لَمْ يَبْرَحُوا [1]

فَنَاهيكَ بِسَيرِ النَّضْنَاضِ عَلى الرَّضْرَاضِ [2]. أَوْ مَشْيِ القَطَا الكُدْرِيِّ في الدَّمِثِ النَّدِيِّ [3]. وَنَفْرَةِ السِّرْبِ. لِلشِّرْبِ. حَرَكَاتٌ كأَنَّهَا لِخِفَّتِهَا سُكُونٌ. وَسَيْرٌ كَسَيْرِ الشَّمْسِ لا تَسْتَبِينُهُ العُيُونَ. وَأَمْشَاطٌ لا تَكادُ تَمَسُّ الارْضَ. كأَنَّهَا

(المعنى) يقول فلما اخذن فى الرقص فاذا هن كالفلك الدائر بالنجوم او الاعصار وهى الريح التى تلتف على نفسها او انهن مهارى يعشين الخبب لاهتزازهن ساعة الرقص او انهن النجوم ذوات الذنب وهى اذيالهن المجررة وراءهن

(١) المهمة المفازة البعيدة . السراب ماتراه نصف النهـار من اشتداد الحر كالماء يلصق بالارض . يلمح يلمع . يدأب الدأب التعب . الطلح الاعياء

(المعنى) يقول انهذا المرقص كالبيداء التى يموج سرابها والراقصات كالضاربين فيها فانهم كلماساروا طالبين الماءاذ تراءى لهم السراب كلما بعد عنهم ذلك السراب فكانهم بعد التعب والنصب فى السيرلم يسيروا فكذلك الراقصات فان الناظر اليهن يراهن يتعبن انفسهن جيئة وذهوباً وهن لم يبرحن مكانهن

(٢) النضناض الحية العظيمة . الرضراض مادق من الحصى

(المعنى) يقول ان حركاتهن اثناء الرقص مختلفات فمنها ما اشبهت سير الافعى على الحصى فانها تتلوى وتعتدل وتنطوي وتنتشر

(٣) القطا الكدرى طائر فى حجم الحمام صوته قطا قطا والكدرى ضرب منه غبر الالوان رقش الظهور صفر الحلوق . الدمث الندى المكان ذو الرمل اللين

(المعنى) يقول ومنها مايشبه مشى القطا فى الارض الندية اللينة اذ لا يسمع لها صوت لخفتها وللين الارض

آسٍ يَجُسُّ النَّبْضَ [1]

يُحَاذِرْنَ وَطْءَ الارْضِ حتّى كأنّها
يَطَأْنَ بِظَهْرِ الأَرْضِ هَامَةَ أَصْيَدِ [2]

وَكَأَنَّمَا الْخُصُورُ مَاءٌ . وَالصُّدُورُ هَوَاءٌ . والاعْنَاقُ أَطْوَاقٌ . وَالسَّوَاعِدُ . مَسَانِدٌ . وَالالْحَانُ . مِيزَانٌ [3]

مِنْ كلِّ مَائِسَةِ الاعْطَافِ يَجذبُهَا
مَوَّارُ دِعْصٍ مِنَ الكُثْبَانِ مَمْطُورِ
تَرْعَي الضُّرُوبَ بِكَفَّيْهَا وأَرْجُلِهَا
وَتَحْفَظُ الاصْلَ مِنْ نَقْصٍ وَتَغْيِيرِ

---

(١) الامشاط جمع مشط وهو القدم . الآس الطبيب . النبض فى الحيوان هو حركة القلب والعروق تكون سريعة او بطيئة كثيرة او نادرة متساوية او مختلفة يستدل بها على حالة الجسم من صحة او مرض

(المعنى) يقول وكانهن لخفتهن وسرعة حركاتهن فى الرقص يكدن ان لايمسسن الارض كما يجس الطبيب نبض المريض بخفة ولين

(٢) الهامة الرأس . الاصيد الملك الذى لا يلتفت من زهوه يميناً او شمالا

(المعنى) يقول انهن يحاذرن ان يطأن الارض باقدامهن فى الرقص فكأن الارض هامة ملك جبار يخفن قدرته ان وطئن هامته

(٣) الخصور جمع خصر وهو وسط الانسان وهو المستدق فوق الورك. المساند جمع مسند وهو ما استندت عليه

(المعنى) يقول وكان خصورهن فى تأودها ولينها ماء وكأن صدورهن فى رفرفتها ساعة الرقص هواء وقد التف العنق بالعنق فصار له كالطوق والتوي الذراع على الذراع فاضحى له كالمسند والحان الغناء كالميزان يزن به الرقص خوفا من خروجهن عن اصوله

وَتُعْرِبُ الرَّقْصَ مِنْ لَحْنٍ فَتَلْحَقُهُ
مَا يَلْحَقُ النَّحْوَ مِنْ حَذْفٍ وَتَقْدِيرِ
وَفِي يَدَيْهَا غَضِيضُ الطَّرْفِ ذُو هَيَفٍ
صَاحِي اللَّوَاحِظِ يَثْنِي عِطْفَ مَخْمُورِ
تَظَلَّمَتْ وَجْنَتَاهُ وَهِيَ ظَالِمَةٌ
وَطَرْفُهُ سَاحِرٌ فِي زِيِّ مَسْحُورِ [١]

***

وَلَمَّا انْتَصَفَ اللَّيْلُ شَطْرَيْنِ • وَأَمْسَى بَيْنَ بَيْنَ • رُفِعَتِ الرِّيَاطُ عَنْ قَاعَةِ السِّمَاطِ [٢] . فَإِذَا زُخَارِيُّ وَرُوَاءٌ • وَزِبْرِجٌ وَبَهَاءٌ • وَبُنُودٌ تَخْفُقُ . وَتَهَاوِيلُ

---

(١) المـائسه المائلة المتبخترة . الاعطاف جمع عطف وهو الجانب . الموار المائج المضطرب وهو فعـال للمبـالغة . الدعص كثيب الرمل المجتمع . الـكثبان جمع كثيب وهوالتل من الرمل يسمى به لانه أنكثب اى انصب فى مكان فاجتمع فيه . الممطورأى الذى اصابه المطر. الضروب جمع ضرب وهو الجزء الاخير من المصراع الثانى من البيت. الحذف والتقدير يجوزا الحذف والتقدير فى جملة مسائل ليس هذا موضعها • غضيض الطرف أى الطرف الفاتر المسترخي الاجفان • الهيف النحول. المخمور من اصابه الحميا من السكر

(المعنى) يقول أن كل واحدة منهن مائلة العطف اذا قامت جذبها كفل رجراج يكاد يقعدها فهى تراعى فى الرقص حركات الضروب من الشعر الملحن على الانغام بيديها ورجليها وتحفظ أصله فلا يدخل عليه نقص أو تغيير فهى عالمـة به بحيث اذا كان ماحنا أعربته والحقت الحذف والتقدير به كما يلحقان النحو ويرقص معها شاب فاتر اللحظ صاحيه اهيف القـد يثنى عطف الثمل النشوان فاذا احمرت وجنتاه من الرقص فكأنما تظلمتا من التعب والاين ولـكنهما ظالمتان لمن ينظر اليهما وكذلك طرفه فانه يرى لفتوره وتكسره أنه مسحور ولـكنه هو الساحر

(٢) الشطر النصف. بين بين ظرف بمعنى وسط ومعنى بين بين أى بين الجيد

تَا لَقُ. وَصِحَافٌ مِنْ جَزَعٍ . وَجَامٌ مِنْ يَنَعٍ . وَغَرَبٌ وَأَكْوَابٌ . وَصَرَاحِيَّاتٌ وَعِلَابٌ. وَقَذْمُورٌ وَوَرْسِيٌّ . وَخَزَفٌ صِينِيٌّ وَفِي كُلِّ رُكْنٍ رَوْضَةٌ مُعْشِبَةٌ . وَبُنَانَةٌ مُخْصِبَةٌ. وَنَوَرْدَجَةُ نُوَّارٍ . وَرُعْلَةُ أَرْطَابٍ وَأَزْهَارٍ . فَكَأَنَّمَا الْقَاعَةُ جَوْنَةُ عَطَّارٍ . أَوْ أَيْكَةٌ غِبَّ قِطَارٍ . ² وَبَيْنَ ذَلِكَ سِمَاطُ الْمُعِزِّ فِي قَاعَةِ الذَّهَبِ : وَجَفْنَةُ ابْنِ جُدْعَانَ فِي الْعَرَبِ ³ . وَقِطَعٌ مِنْ نُونٍ . وَلَحْمُ طَيْرٍ مِمَّا

والردئى اوخلافه وهو تركيب مزجى واصلها بين وبين منصوب الجزئين كخمسةعشر. الرياط جمع ريطة وهى الملاءة. السماط سماط الطعام مايبسط ليوضع عليه

(المعنى) يقول ولما انتصف الليل وامسى على شطرين رفعوا الغطاء عن الموائد

(١) الزخارى يريد الزخرف • الرواء حسن المنظر الزبرج الزينة البهاء الحسن والظرف. البنود جمع بند وهو العلم • تخفق تضطرب • التهاويل الزينة والتصاوير والنقوش والحلى • تألق أى تضىء وتلمع • الصحاف جمع صحفة وهى قطعة كبيرة منبسطة • الجزع حجر نفيس • الجام الاناء • الينع العقيق • الغرب القدح. الاكواب جمع كوب وهو كوز مستدير الرأس لا عروة له • الصراحيات جمع صراحية وهى آنية للخمر. العلاب جمع علبة وهى قدح ضخم • القذمور الخوان من الفضة • الورسى اقداح النضار • الخزف ما صنع من الطين وسوى بالنار فصار فخارا . الصينى نسبة للصين

(المعنى) يقول فلما انكشف الغطاء عن موائد الطعام فاذا هى قد زخرفت بالنباتات الناضرة والزينات الجميلة والتصاوير المتقنة واذا الاوانى من فضة وذهب وعقيق وخلافه

(٢) البنانة الروضة • النوردجة الطبق الذى يوضع عليه الازهار. الرعلة الاكاليل من ريحان وآس • الارطاب جمع رطب وهو أطيب الازهار الجونة بالضم سليلة مغشاة بالادم عند تكون العطارين. الايكة الشجرة. غب قطار أى بعد مطر

(المعنى) يقول وفى كل ركن من أركان غرفة الطعام روضة من الرياض وطبق عليه أزهار واكاليل من آس وريحان فكان الغرفة لرائحتها الزكية سليلة عطار اوكانها شجرة قد بللها المطر فانتشرت رائحتها وتأرج طيبها

(٣) المعز هو المعز لدين الله الفاطمى أحد الملوك الفاطميين وفاتح مصر القاهرة ومؤسسها على

يَشْتَهُونَ . وَطَبَاهِجَةٌ وَخُوذَابٌ . وَصَلَائِقُ وَصِنَابٌ . وَالسُّلَجُ وَالرَّشْرَاشُ . وَالقِتَنُ وَالهَشَّاشُ[١] . وَالفَانِيذُ وَالمُسَيَّرُ . وَاللَّوْزِينَجُ وَالزَّعْفَرُ[٢] . وَأَثْمَارٌ جَنِيَّةٌ . مِنْ

بد كاتبه جوهر القائد الشهير ـ وقاعة الذهب قلنا ان القصر الكبير كان يحوى قصوراً صغيرة فى داخله سميت باسماء مخصوصة فمن تلك القصور قصر الذهب اوقاعة الذهب وكان يوضع فيها سماط مشهور فى ايام المواسم وصفه المقريزى ـ جفنة بن جدعان فى العرب فابن جدعان هو عبدالله بن جدعان بن عمر بن كعب الجواد المشهور فى الجاهلية صاحب الجرادتين وهما أمتان مغنيتان وقد وهبهما الشاعره أمية بن ابى الصلت . قال ابو عبيدة كان بن جدعان سيداً فى قريش فوفد على كسرى فأكل عنده الفالوذ فسال عنه فقيل له الفالوذ قال وما الفالوذ قال لباب البر يلبك مع عسل النحل قال ابغونى غلاماً يصنعه فأتوه بغلام يصنعه فابتاعه ثم قدم به مكة معه ثم امره فصنع له الفالوذ بمكة فوضع الموائد بالابطح الى باب المسجد ثم نادى مناديه الامن اراد الفالوذ فليحضر فحضر الناس فكان فيمن حضر اميه بن ابى الصلت فقال فيه

ومالى لأحييه وعندي مواهب يطلعن من النجاد
لابيض من بنى تيم بن كعب وهم كالمشرفيات الحداد
لكل قبيلة هاد ورأس وانت الرأس تقدم كل هادى
له داع بمكة مشمعل وآخر فوق دارته ينادى
الى ردح من الشيزى ملاء لباب البر يلبك بالشهاد

(المعنى) يقول وفوق ذلك السماط من الجفان مايشبه جفان بن جدعان فى العرب عظمة وكبر حجم او كانما هذا السماط سماط المعز فى قاعة الذهب فان المعز كان كريماً جواداً مطروق الساحة كثير الضيفان

(١) النون الحوت . الطباهجة طعام من بيض وبصل ولحم مشرح . الخوذاب نوع من انواع الطعام . الصلائق جمع صليقة وهى القطعة المشوات من اللحم : الصناب الخردل بالزبيب . السلج اصداف بحرية فيها شيء يؤكل . الرشراش اللحم الخارج من التنور تقطر مادته . القتن سمكة عريضة قدر راحة الكف . الهشاش خبز رخو لين

(المعنى) يقول وعلى موائد الطعام كل هذه الاصناف من الاطعمة وذكر اسماءها جميعاً مما وافقت الاطعمة الافرنجية .

(٢) الفانيذ ضرب من الحلواء . المسير نوع من الحلواء . اللوزينج من الحلواء شبه

مِشْلَوْزٍ وَمُلَاحِيَّةٍ . وَجَوْحٌ صِنْوَانٌ . وَمِنْ كلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ وَرَحِيقٌ .
مِنْ قَرْقَفٍ وَقَنْدِيلٍ . وَدَاذِيٍّ وَسَلْسَبِيلٍ . فِي رِيحِ العَنْبَرِ الْوَرْدِ . وَمِزَاجِ
العِضْرِسِ وَالبَنْدِ ٢ مَوَائِدُ لَا يَفْنَى مَا عَلَيْهَا وَلَا يَنْفَدُ . كَأَنَّهُ نَعِيمُ أَهْلِ الجَنَّةِ كُلَّمَا
فَنِيَ يَتَجَدَّدُ ٣

وَفِتْيَةٍ كَالرُّسُلِ القِمَاحِ
بَاكَرْتُهُمْ بِأَكْلٍ وَرَاحِ

القطائف يؤدم بدهن اللوز. المزعفر الفالوذ
(المعنى) يقول ومن اصناف الطعام الموجودة على هذه الموائد انواع الحلواء وذكر اسماءها
(١) المشلوز المشمش الحلو . الملاحية العنب • الجوح جمع جوحة وهى البطيخة الشامية • صنوان أى متجاوران
(المعنى) يقول ومن ألاطعمة اصناف الفواكه من بطيخ وخلافه صنوانا صنوانا وازواجا ازواجا ـ حدث ابراهيم بن المهدى قال زارنى الرشيد بالرقة وكان يأكل الطعام الحار قبل البارد فلما وضعت البوارد رأى فيما قرب اليه منها جاما فيه سمك فاستصغر القطع فقال لم صغر طباخك تقطيع السمك فقلت يا أمير المؤمنين هذه السنة السمك قال فيشبه ان يكون فى هذا الجام مائة لسان فقال مراقب الخادم يا أمير المؤمنين فيه اكثر من مائة وخمسين فاستحلفه عن مبلغ ثمن السمك فاخبره انه قام بأكثر من الف درهم فرفع الرشيد يده وحلف ان لا يطعم شيأ دون ان يحضره الف درهم فلما حضر المال امر ان يتصدق به وقال ارجوا ان يكون كفارة لسرفك فى انفاقك ثم ناول الجام بعض الخدم وقال اول سائل تراه فادفع اليه هذا الجام
(٢) الرحيق الخمر . القرقف الخمر • القنديل من اسماء الخمر • الداذي الخمر • السلسبيل مثله • العضرس اطيب الماء • البند الذى يسكر من الماء وهى كلمة لغوية نفيسة
(المعنى) يقول وقد جاء على هذه الموائد من اصناف الخمر كلها عتق وقدم وقد ذكر اسماءها العربية
(٣) (المعنى) يقول ان هذه الاطعمة لكثرتها كلما فرغ شيء جاؤا بغيره فكانت كطعام اهل الجنة كلما فنى يتجدد غيره وهذا معنى حسن جميل

وَزَعفرَانٍ كَدَمِ الأَذْبَاحِ
وَقِينَةٍ وَمِزْهَرٍ صَدَّاحِ

***

(١) الرسل الناقة السهلة السير . القماح جمع قامح وهو الذي يرفع رأسه عند الحوض ويمتنع في الشرب . الاذباح الذبائح . القينة الامة المغنية . المزهر العود يضرب به ويقال له البربط ايضاً . الصداح فعال للمبالغه وهو الصائح بصوته : ولنذكر هنا قول الشعراء فى العود والطنبور فمن ذلك قول بعضهم وقد اجاد فى وصف العود

وعود له نوعان من لذة المنى ... فبورك جان يجتنيه وغارس
تغنت عليه وهو رطب حمامة ... وغنت عليه قينة وهو يابس

وقال آخر فى مغنية

كأنما رقة مسموعها ... رقة سلوى سقيت دمعه
غنت فلم تحوج الى زامر ... هل تحوج الشمس الى شمعه

وقال ابن الرومى فى مغنية

ظبية تسكن القلوب وترعا ... ها وقمرية لها تغريد
تتغنى كأنها لاتغنى ... من سكون الاوصال وهى تجيد
مد فى شأو صوتها نفس كا ... ف كانقاس عا شقيها مديد
وارق الدلال والغنج منا ... وبراه الشجا فكاد يبيد
فتراه يموت طورا ويحيا ... مستلذ بسيطه والنشيد
وتر العزف فى يديها مضاه ... وتر الزحف فيه سهم شديد
واذا ما انتضته للشرب يوما ... ايقن القوم انها ستصيد
معبد فى الغناء وابن سريج ... وهى فى الضرب زلزل وعقيد
عيبها انها اذا غنت الا ... حرار ظلوا وهم لديها عبيد
ليت شعرى اذا ادام اليها ... كرة الطرف مبدىء ومعيد
اهى شىء لاتسام العين منه ... ام لها كل ساعة تجديد

والشعر فى المغنيين كثير وقد جئنا منه هنا بما فيه الكفاية

خَمْرٌ كَأَنَّهَا الذَّيخُ . أَوِ المِرِّيخُ . خُلِقَتْ قَبْلَ أَنْ يُخْلَقَ التَّارِيخُ . عَيْنُ الشَّمْسِ . فِي كَأْسٍ وَيَاقُوتٌ مُذَابٌ . فِي أَكْوَابٍ [١] . شُعْلَةٌ شَعْلَاءُ . يُوقِدُهَا المَاءُ . بَرْقٌ فِي غَمَامَةٍ . وَرْدٌ فِي كِمَامَةٍ [٢] . مُنًى وَمَنُونُ . وَرِيقُ لَيْلَى فِي فَمِ المَجْنُونِ [٣] . كَأَنَّهَا سِرَاجٌ . يُوقَدُ فِي زُجَاجٍ . أَوْ آهٌ كَسِيرٌ . أَوْ دَمْعٌ طَلِيقٌ عَلَى

---

(١) الذيخ كوكب احمر . المريخ كوكب عظيم من كواكب السماء

(المعنى) يقول وثم خمر كالكوكب المتقد طال عليها القدم فكأنما عصرت قبل ان يوضع التاريخ فهى فى الكاس كعين الشمس ضياء ونوراً او ياقوت احمر مذاب فى اقداح

(٢) الشعلاء المتوقدة . الكمامة الغلاف الذى ينشق عن الثمر ويحيط به سميت كمامة لانها تستر ما تحتها

(المعنى) يقول ان هذه الخمر كالشعلة المتقدة ولكن الماء يأججها بدل ان يخمدها وهى ايضاً فى الكاس كالبرق فى الغمام لاحمرار هذا وبيضاض ذاك او كالوردة فى كمها لم يتفتح ويكون احمرارها شديداً

(٣) المنى جمع منية . المنون المنية وهى الموت . المجنون وليلى فالمجنون هو قيس ابن الملوح بن مزاحم وصاحبته هى ليلى بنت سعد بن مهدى بن ربيعة المكناة بام مالك وخبرهما مع المجنون ان المجنون كان يهواها وهما صبيان فعلق كل واحد منهما صاحبه وهما يرعيان مواشى اهلها فلم يزالا كذلك حتى كبرا فحجبت عنه فقال بعد ذلك

تعلقت ليلى وهى ذات ذؤابة ولم يبد للاتراب من ثديها حجم
صغيرين ترعى البهم ياليت اننا الى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم

ثم بعد ذلك زوجها ابوها من غيره فعلم بذلك قيس فاختبل عقله ومن هنا اطلق عليه المجنون وهام فى الفلوات واستأنس الى الوحش فى القفار وقد استعدى اهلها عليه السلطان فهدر دمه حينما شاع امره وفشا بين القبائل وسارت بشعره الركبان فمن ذلك قوله

اذا ذكرت ليلى عقلت وراجعت روائع عقلى من هوى متشعب
وقالوا صحيح مابه طيف جنة ولا الهم الا بالافترا . التكذب
تجنبت ليلى ان يلج بك الهوى وهيهات كان الحب قبل التجنب

أسيرٍ . أوْ دِينَارٌ منقُوشٌ . أوْ وَرَقُ المَرْدَقُوشِ [١] . أوْ عَمُودٌ مِنْ صَبَاحٍ . بَيْنَ السُّقَاةِ وَالأقْدَاحِ [٢] . وكَأنَّ حَبَبَهَا عِقْدٌ . أوْ دَمْعٌ عَلى خَدٍّ . أوْ لامٌ . والمَاءُ حُسَامٌ [٣] . مِنْظَارٌ يُكَبِّرُ المَحْسُوسَ . في النُّفُوسِ . انْ فَرَحٌ . وَإِنْ تَرَحٌ [٤] تَبْعَثُ عَلي الصِّدْقِ . فى النُّطْقِ فَتَعْقِدُ اللِّسَانَ . لِلْكِتْمَانِ [٥] . تَحْكُمُ . فى العَقْلِ حُكْمَ مَنْ جَارَ . أوْ حُكْمَ الزَّمَانِ فى الاحْرَارِ [٦] . شُرْبٌ يَلَذُّهُ

الا أنما غادرت يا أم مالك صدى اينما تذهب به الريح يذهب

وهى طويلة واخبار المجنون كثيرة ومازال بهما الحب حتى دفن معهما

(المعنى) يقول وقد جمعت هذه الخمر بين لذة التمنى ومرارة الموت فكانها فى لذتها ريق ليلى فى فم المجنون

(١) الاكسير مايلقى على الفضة ونحوها تحيله ذهباً وهو من خرافات الاقدمين . ورق المردقوش جمع مردقوشة وهى نبت يزرع فى البيوت وغيرها دقيق الورق كالريحان عطري الرائحة

(المعنى) يقول او كان هذه الخمر مصباح فى زجاجة او انها اكسير تحيل شاربها من الغم الى الفرح او انها دمعة طليق على ماسور فى صفائها او انها دينار منقوش لحسنها ورواءها او ورق المردقوش فى دقته ورقته

(٢) (المعنى) يقول انها لضياءها المنبعث منها كانها عمود من نور ممتد بين الساقى والكاس

(٣) الحبب الفقاقيع التى تعلو الماء والخمر . اللام جمع لامة وهى الدرع

(المعنى) يقول وكان حببها عقد فى انتظامه وحباته اوقطرات دمع على خد احمر وكان الماء حسام فى صفائه . وكان ذلك الحبب درع تتدرع به من ذاك الحسام

(٤) المنظار فى الاصل المرآة ثم استعمل حديثاً على قطعتين منعكفتين من البلور الشفاف الصافى يوضعان على العينين فيجسمان المرئى . الترح الحزن .

(المعنى) يقول هى لشرابها كالمنظار اذا وضع على العينين فانه يكبر ويجسم كل شيء فهى تجسم كل شيء فان كان فرحاً فالفرح عظيم وان كان ترحاً فالترح تجعله جسيما .

(٥) المعنى يقول انها اى الخمر تبعث شاربها على الصدق ثم تعقد لسانه كى لا يبوح باسراره .

(٦) المعنى يقول انها تحكم على العقل حكم الظالم الجائر فتفسده او حكم الزمان فى الاحرار

غيرَ الظَّمآنِ . وَلاَ يَرْوَى المرءُ مِنْهُ وَهُوَ صَدْيَانُ . وسقيٌ يُنْبِتُ الوَرْدَ فى الخُدُودِ وَالرَّنَحَ فى القُدُودِ [١] . كأنَّها فى النَّفْسِ . رُوحُ الرَّجَاءِ وَرَاحَةُ اليأْسِ [٢] . مِنْطَادٌ يَخْرُجُ بِالنُّفوسِ مِنْ هذَا العَالَمِ المَنْكُوسِ [٣] . جَمْرٌ وَلا شَرَرٌ . وَنَفْعٌ أقلُّ مِنْ ضَرَرٍ [٣]

ويعجبنى قول بعض الشعراء فى الصبر على حكم الزمان

تعز فان الصبر بالحر اجمل	وليس على ريب الزمان معول
فلو كان يغنى ان يرى المرء جازعاً	لحادثة او كان يغنى التذلل
لكان التعزى عند كل مصيبة	ونائبة بالحر اولى واجمل
فكيف وكل ليس يعدو حمامه	وما لامرئٍ عما قضى الله مرحل
فان تكن الايام فينا تبدلت	بؤوسا بنعمى والحوادث تفعل
فما لينت منا قناة صليبة	ولا ذللتنا الذي ليس يجمل
ولكن رحلناها نفوساً كريمة	تحمل مالا يستطاع فتحمل

١ الصديان الظمآن • الرنح التمايل من سكر

(المعنى) يقول انها شرب لذيذ لغير الظمآن وسقي اذا شربه شاربه انبت الورد فى خديه وخلق الميلة فى عطيفه

٢ (المعنى) يقول انها فى صدر شاربها كالرجاء والامل فى اثلاجهما للصدر وكراحة اليأس فان صاحبها يجد ارتياحاً عند ما يعسر عليه مطلب ولم ينله

٣ المنطاد كلمة حديثة تطلق على مركبة الهواء البخارية التى اخترعت حديثاً . المنكوس المقلوب •

(المعنى) يقول انها تخرج بشاربها من هذا العالم كانه ركب منها منطاداً

٤ (المعنى) يقول انها كالجمر الذى لا شرر له ثم ختم المقال عنها لان ضررها اعظم من نفعها ولقد قال الله تعالى (يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما) وكثيراً ما وصف الشعراء الخمر لمجرد الوصف والخيال لا لتحسينها فمن ذلك القول الشريف الرضى

سقى الله يوماً ساعدتنا كؤوسه على حين ماجاد الزمان بمسعد

عَجِبْتُ لِمَنْ عدَّ بَعْضَ البِحَارِ
تَغْرِيقَه نَفْسَهُ فِي قَدَحْ

***

جلونا عليه الخمر حتى تكشفت ‏ ‏ فقاقيعها عن لونها المتورد
نفض لنا عنها حباباً كأنه ‏ ‏ قذى يتمشى بين اجفان ارمد
وندمان صدق تسلب الراح عقله ‏ ‏ وتسلبها خداه حسن التورد
فلازالت الايام تجرى صروفها ‏ ‏ علينا بمغبوط من العيش سرمد

وقال احد شعراء العصر

لعمرك ما راحت بلبى صبابة ‏ ‏ ولا نازعتنى مهجتى سورة الخمر
ولا هاجنى وجد ولا رسم منزل ‏ ‏ عفاء ولكن هكذا سنة الشعر

(١) (المعنى) يقول انى لأعجب من الرجل يقطع البحار ثم يغرق نفسه فى قدح صغير . ولنذكر اقوال الشعراء فى وصف الخمر فمن ذلك قول زهير

ولقد اغدو على شرب كرام ‏ ‏ نشاوى واجدين لما نشاء
لهم راح وراووق ومسك ‏ ‏ تعـل به جـلودهم وماء
امشى بين قتلى قد اصيبت ‏ ‏ نفوسهم ولم تقطر دماء
يجرون البرود وقد تمشت ‏ ‏ حميا الكاس فيهم والغناء

وقال حسان بن ثابت

بزجاجة رقصت بما فى قعرها ‏ ‏ رقص القلوص براكب مستعجل
ولها دبيب فى العظام كأنه ‏ ‏ فيض النماس واخذه بالمفصل
عبقت اكفهم بها فكأنما ‏ ‏ يتنازعون بهاسخاب قرنفل

وقال جميل

فما بكت النساء على قتيل ‏ ‏ باشرف من قتيل الغانيات
فلما مات من طرب وسكر ‏ ‏ رددت حياته بالمسمعات
فقام يجر عطفيه خماراً ‏ ‏ وكان قريب عهد بالممات

وقال عبدالله بن العباس الربيعى

وَلَمَّا هَمَّ اللَّيْلُ . بِطَيِّ الذَّيْلِ . وَأَشْرَفَ الظَّلَامُ . عَلَى الإِنْصِرَامِ . هَبَّ الأَضْيَافُ . للإِنْصِرَافِ . فَإِذَا كُلُّ اِنْسَانٍ يَتَكَلَّمُ بِتَرْجُمَانٍ . وَيَنْظُرُ الى الأَنَامِ . بِعَيْنٍ إِنْسَانُهَا قَدْ نَامَ . تَثَبَّتْ فِى خَلَجٍ وَتَمَاسُكٌ فِى فَلَجٍ . وَاذَا زَهْرٌ مَنْثُورٌ . وَدُخَانٌ مَنْشُورٌ . وَقَدَحٌ مَكْسُورٌ . وَجَمِيلٌ مَخْمُورٌ (٢) . وَلَيْلٌ كَالْغُدَافِ . وَنَدًى يَبُلُّ الطِّرَافَ . وَقُرٌّ لَوْ رُمِيَتْ فِيهِ كَأْسُ الرَّحِيقِ . عَادَ عِقْدًا

ومستطيل على الصهباء باكرها ... فى فتية باصطباح الراح حذاق
مضى بها مامضى من عقل شاربها ... وفى الزجاجة باق يطلب الباقى
فكل شىء رآه خاله قدحا ... وكل شىء رآه ظنه الساقى

وقال البحترى

فاشرب على زهر الرياض يشوبه ... زهر الخدود وزهرة الصهباء
من قهوة تنسى الهموم وتبعث الشوق الذى قد ضل فى الاحشاء
يخفى الزجاجة لونها فكأنها ... فى الكف قائمة بغير اناء

والشعر فى الخمر ووصفها كثير فى شعر الجاهلية والمخضرمين والمولدين وقد جئنا هذا بالكفاية منه

(١) طى الذيل كناية عن اخذه فى الانتهاء . الانصرام الانقطاع . انسان العين حدقتها السوداء . الخلج الاضطراب وعدم الاستمساك . الفلج تباعد ما بين القدمين

(المعنى) يقول ولما اخذ الليل فى الانصراف ومحا الله آيته اخذ الاضياف فى هذا القصر يخرجون وقد اخذت منهم الحميا ونالت من رؤوسهم وعقدت السنتهم ودبت فى مفاصلهم فاذا كل واحد منهم يتكلم بترجمان وينظر بعين ملئت بالنعاس ويمشى مشيه المقيد الذي قد اختلجت افخاذه وتباعدت اقدامه

(٢) القدح الاناء . المخمور الذى غلب عليه السكر

(المعنى) يقول واذا الزهر الذى كان منتظما قد انتثر وقد انطفأت النيران ولكن قد بقى دخانها مخيما فى الجو والاقداح مكسورة ومطروحة على البسط والفتيات قد غاب عليهن الخمار ويعجبنى قول أبي نواس فى هذا المعنى

ودار ندامى عطلوها وادلجوا ... بها اثر منهم جديد ودارس

مِنْ عَقِيقٍ . وَكَوَاكِبُ كَأَنَّهَا أَعْيُنٌ حُولٌ . أَوْ زَهْرٌ مَطْلُولٌ . أَوْ عِقْدٌ مُنْتَثِرٌ . أَوْ جِلْدُ نَمِرٍ . فَمَازَالَ الْجَمْعُ يَنْصَرِفُ . وَاللَّيْلُ يَنْكَشِفُ . حَتَّى بَدَا الصَّبَاحُ فِي التُّخُومِ . بَيْنَ النُّجُومِ . كَأَنَّهُ غَدِيرٌ مُنْبَجِسٌ فِي رَوْضَةِ نَرْجِسٍ . [٢] أَوْ سَيْلٌ طَمَى عَلَى نُوَّارٍ . أَوْ مُلَاءَةٌ جُمِعَتْ لُؤْلُؤَ النِّثَارِ . فَغَابَ فِي ذَلِكَ الضِّيَاءِ . كَوَاكِبُ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ

***

مساحب من جر الزقاق على الثرى　　واضغاث ريحان جنى ويابس

أقمنا بها يوماً ويوماً وثالثاً　　ويوماً له يوم الترحل خامس

تدار علينا الراح فى عسجدية　　حبتها بانواع التصاوير فارس

قرارتها كسرى وفى جنباتها　　مهاً تدريها بالقسى الفوارس

فللراح ما ذرت عليه جيوبها　　وللماء ما دارت عليه القلانس

(١) الغداف هو غراب القيظ يكون ضخم الجناحين اسودهما. الندى ما سقط آخر الليل. الطراف الثوب . القر البرد

(المعنى) يقول واذا الليل اسود كالغراب واذا الندى يتساقط كعادته فى اخريات الليل واذا الجو فى نهاية البرودة فلو رميت فيه كاساً من الخمر لجمد وتحجر وعاد كحبات العقيق

(٢) الحول جمع حولاء وهى التى بها حول . المطلول الذى أصابه الطل. النمر ضرب من السباع منقط الجلد نقطاً سوداً وبيضاً . التخوم جمع تخم وتخم بفتح التاء وضمها الفصل بين الارضين من المعالم والحدود. الغدير النهر الصغير. المنبجس المنفجر. النرجس نبت من الرياحين تشبه به الاعين

(المعنى) يقول وأمست الكواكب كانها أعين أصابها الحول فهى تنظر بمآخرها أو انها زهر بلله الطل او عقد انتثر وتمزقت حباته أو انها جلد نمر مرقط ومازال بعد ذلك ينصرف الجمع وقد بدا الصباح فى الافق وافاض نوره بين النجوم كما ينفجر الغدير فى روضة نرجس

(٣) طمى ارتفع الملاءة هى ثوب يلبس على الفخذين. النثار الجوهر أو النقود التى تنثر فى المواسم

(المعنى) يقول او كان الصباح سيل ارتفع على نوار لتتخلل ضوءه النجوم او كانه ملاء

جمع فيها النثار فاندمج وغاب في ذلك النور كواكب الارض وهي الحسان وكواكب السماء وهي النجوم الزواهر . وكل ما تقدم وصف لطلوع الشمس وشروقها وافاضة النور على الكون وانصرام الظلام ولنذكر قول الشعراء في ذلك اتماماً للفائدة فمن ذلك قول أبي نواس

وبتنا كغصني بانة عطفتهما ... مع الصبح ريحا شمأل وجنوب
الى ان بدا ضوء الصباح كانه ... مبادي نصول في عذار خضيب

وقال آخر

وليل كأن نجوم السماء ... به مقل رنقت للهجوع
ترى الغيم من دونها حاجبا ... كما احتجبت مقلة بالدموع

***

الوفاقات في العادات

وعدنا في شرح هذه الرسالة ان نأتي في آخرها بنبذة من رسالة كتبها سماحة المؤلف في الوفاقات في العادات بين الافرنج والعرب ووفاء بالوعد نثبت هنا ما قاله السيد المؤلف

(١) — مما يدل على ان العرب كان عندهم ما يشبه من وجه تمثيل الوقائع المعروف الآن (بالتياترو) هذه القصة الآتية وهي

قال أبو عبد الرحمن بشر كان في زمن المهدي رجل صوفي وكان عاقلا عالماً لا يترك أسلوباً ولا سبيلا للامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتهذيب الاخلاق وتربية النفوس الا فعله وكان يخرج كل يوم اثنين وخميس الى جهة بخارج بغداد فتجتمع عليه الخلائق من رجال ونساء وصبيان فيصعد تلا وينادي بأعلى صوته ما فعل النبيون والمرسلون أليسوا في أعلى عليين فيقولون نعم فيقول هاتوا أبا بكر الصديق فيتقدم رجل فيجلس بين يديه فيقول جزاك الله خيراً أبا بكر عن الرعية فقد عدلت وقمت بما فرضه الله وخلفت محمداً صلى الله عليه وسلم فاحسنت الخلافة ووصلت حبل الدين بعد حل وتنازع وفرغت منه الى أوثق عروة وأحسن ثقة وفعلت وفعلت ويذكر ما قام به من جليل الاعمال ثم يقول اذهبوا به الى أعلى عليين . ثم ينادي هاتوا عمر فيتقدم رجل آخر فيقول جزاك الله خيراً أبا حفص عن الاسلام قد فتحت الفتوح ووسعت الفيء وسلكت سبيل الصالحين اذهبوا به الى أعلى عليين بحذاء أبي بكر . ثم يقول هاتوا عثمان فيتقدم رجل فيجلس بين يديه فيقول له خلطت في تلك السنين ولكن الله تعالى يقول خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً عسى الله ان

يتوب عليهم ثم يقول اذهبوا به الى صاحبيه. ثم يقول هاتوا علي بن أبي طالب فيتقدم رجل فيقول جزاك الله خيراً عن الامة أبا الحسن بسطت العدل وزهدت في الدنيا واعتزلت الفيء فلم تخمش فيه بناب ولا ظفر وانت أبو الذرية المباركة وزوج الزكية الطاهرة اذهبوا به الى أعلى عليين . ثم يقول هاتوا معاوية فيجلس بين يديه رجل فيقول له انت القاتل عمار بن ياسر وخذيمة بن ثابت ذا الشهادتين وحجر الكندي الذي أخلقت وجهه العبادة وانت الذي جعل الخلافة ملكا واستأثر بالفيء واستبطر بالنعمة وانت أول من غير سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم و نقض أحكامه وفعل كذا وكذا ويعدد من أعماله ثم يقول اذهبوا به فاوقفوه مع الظلمة. ثم يقول هاتوا يزيد فيجلس بين يديه رجل فيقول له ياباغي انت الذي قتلت أهل الحرة وأبحت المدينة ثلاثة أيام وانتهكت حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وآويت الملحدين وبؤت باللعنة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وتمثلت بشعر الجاهلية

ليت أشياخي ببدر شهدوا حزع الخزرج من وقع الاسل

وقتلت حسيناً وحملت بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا على حقائب الابل اذهبوا به الى الدرك الاسفل من النار. ولا يزال يذكر واليا بعد وال حتى يبلغ عمر بن عبد العزيز فيقول هاتوا عمر فيجلس بين يديه رجل فيقول جزاك الله خيراً عن الاسلام فقد أحييت العدل بعد موته وألنت القلوب القاسية وقام بك عمود الدين على ساق بعد شقاق ونفاق وأبطلت اللعن على المنابر اذهبوا به فالحقوه بالصديقين. ثم يذكر من كان بعده من الخلفاء الى أن يبلغ دولة بني العباس فيسكت فيقال له هذا أبو العباس السفاح أمير المؤمنين فيقول فبلغ أمرنا الى بني هاشم ارفعوا حساب هؤلاء جملة واقذفوا بهم في النار جميعاً

(٢) — وكانت عادة البالو أو مايقاربها معروفة عند ملوك الاسلام من الاتراك والشراكسة بمصر وانما كانت خالية من النساء في الرقص. قال المقريزي مافحواه ان الاشرف خليل حين أتم قصره المعروف بالاشرفي سنة ٦٩٢ صنع مهما لم يصنع نظيره ودعا اليه الامراء ليحتفلوا بالدار الجديدة فلما اجتمعوا وقاموا للرقص أمر السلطان الخازندار وكان واقفاً بين يديه ومعه أكياس من الذهب ان ينثرها على رؤوسهم فنثرت وهذه العادة وصلت اليهم من المغول

(٣) وكانوا أحياناً يصورون الوقائع التاريخية كما تفعل الفرنجة اليوم فمن ذلك ماذكره المقريزي في الصحيفة ٣١٨ من الجزء الثاني من خططه ما نصه: وكان البازروى سيد الوزراء قد حضر بمجلسه القصير وابن عزيز المصورين فقال ابن عزيز أنا أصور صورة اذا راها الناظر ظن

انها خارجة من الحائط (هذا النوع يتفاخر به صناع الافرنج الآن وله اسم معروف عندهم) فقال القصير لكن انا اصورها فاذا نظرها الناظر ظن انها داخلة فى الحائط فقالوا هذا أعجب فامرها ان يصنعا فصور اصورة راقصتين فى صورة حنيتين مدهونتين متقابلتين هذه ترى كانها داخلة فى الحائط وتلك ترى كانها خارجة منه فصور القصير راقصة بثياب بيض فى صورة حنية دهنها اسود كانها داخلة فى صورة الحنية وصور ابن عزيز راقصة بثياب حمر فى صورة حنية صفراء كانها بارزة من الحنيـة فاستحسن البـازروى ذلك وخلع عليها ووهبهما كثيراً من الذهب وكان بدار النعمان بالقرافة من عمل الكتامى الرسام المشهور صورة يوسف عليه السلام فى الجب وهو عريان والجب كله اسود واذا نظره الانسان ظن ان جسمه باب من دهن لون الجب (وهذه الصورة يشبهها الآن مايصنعه الافرنج من تصوير صور الملائكة والقديسين)

قال المقريزى وقـد أمعنت شرح ذلك فى الـكتاب المؤلف فى طبقات المصورين المنعوت (بضوء النبراس وأنس الجلاس فى أخبار المزوقين من الناس) وذكر المقريزى أيضا عند الكلام (على المنظرة ببركة الحبش) انها منظرة مدهونة فيها طاقات كشرف تطل على بركة الحبش وصور فيها الشعراء كل شاعر و بلده وكتب بجانب راس كل شاعر منهم قطعة من الشعر

(٤) — وقد كانوا يستعملون الورق والجلود مكان النقود فى وقت الحاجة كما تفعل الدول الآن قال أبو تمام

لم ينتدب عمر للابل يجعـل من ... جلودها النقد حين عزه الذهب

وكان فعل ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

(٥) — وقد كانوا يتهادون بالزهور والرياحين فى أيام المواسم والاعياد كالافرنج الآن وشاهده قول النابغة ... رقاق النعال طيب حجزاتهم ... يحيون بالريحان يوم السباسب

ويوم السباسب عيد من أعيادهم

(٦) وقد كانوا يرفعون ما على رؤوسهم للتعظيم على قول وشاهده قول بعضهم

ولما أتانا بعيد الـكرى ... خضعنا له ورفعنا العمارا

والعمارة كل ما يلبس على الرأس وهناك رواية أخرى وهى ان العمار المقصود به الريحان

(٧) — وقد كانوا يقيمون تمثالا للرجل المشهور عندهم أو الصالح ليبقى ذكره بينهم. ودليل ذلك فى تفسير كلمة (يعوق) وانه صنم لكنانة وكان رجلا من صالحى زمانه فلما مات أقاموا له

تمثالا حتى يروه وفعلوا ذلك بسبعة من بعده ثم تمادى بهم الامر بعد ذلك الى ان اتخذوا تلك التماثيل أصناماً يعبدونها

(٨) — وكانوا يقصون أذناب الخيل قال امرؤ القيس

على كل مقصوص الذنابى معاود بريد السرى بالليل من خيل بربرا

(٩) — وكانت النسوة يرسلن ذيول ثيابهن ولا سيما فى الحلل النفيسة التى يلبسنها فى أيام المواسم قال امرؤ القيس

خرجت بها امشى تجر وراءنا على اثرينا ذيل مرط مرحل

(١٠) — ومن عاداتهم الانحناء فى السلام فانها كانت عادة لبعض قبائل العرب كغسان ونحوها وفى القسطلانى فى شرح باب المصافحة (قيل يا رسول الله الرجل يلقى أخاه أينحنى له قال لا قال فيأخذ بيده ويصافحه)

(١١) — ومما هو عادة الآن عند الافرنج وكان مستعملا عند بعض ملوك العرب . تصوير الملوك على السكة المضروبة من الدنانير والدراهم . قال الثعالبى فى اليتيمة «حكى غلام أبى الفرج الببغاء ان سيف الدولة أمر بضرب دنانير للصلات فى كل دينار عشرة مثاقيل وعليه اسمه وصورته فامر يوماً لابى الفرج منها بعشرة دنانير فقال ارتجالا

نحن بجود الامير فى حرم نرتع بين السعود والنعم
أبدع من هذه الدنانير لم يجر قديماً فى خاطر الكرم
فقد غدت باسمه وصورته فى دهرنا عوذة من العدم

(١٢) — أمرة الدول والملوك وتسمى عند الافرنج (أرموارى) وهى صورة حيوان أو نبات أو غيره يجعلها الملك ومما له يوسم به ما يختص به من الاشياء كالسكة أو الاعلام أو الآثار المنشأة الى غير ذلك . وقد كان الملك الظاهر بيبرس من سلاطين مصر اتخذ صورة الاسد أمرة له وصوره على السكة التى ضربها من دنانير ودراهم وكذلك صوره على منشآته التى أنشأها وغيرها فمن ذلك قناطر أبى المنجا وهى قناطر موجودة الى الان بالقليوبية وعليها صورة الاسد الذى أمر بتصويره عليها الملك الظاهر

(١٣) — بيوت الامتعة وهى المعروفة الان (بالموزيه) أو (الانتقخانة) وهى مواضع تحفظ فيها الاثار القديمة من ملابس الملوك وآثارهم وفى كتب التاريخ قصة مشهورة فى ذلك . حكى الاصمعى وكان يحدث هارون الرشيد بسير ملوك بنى أمية فلما بلغ سيرة سليمان بن عبد الملك

قال له بلغني يا أمير المؤمنين انه كان نهماً وكان يؤتى بالكبش مشوياً فيتسعجل أخذ كلاه قبل ان يبرد فيلف جبته على يده فيتقى بها الحرارة فيأخذ الكلى فقال له الرشيد قاتلك الله ما أعلمك بسير القوم ودعى بصاحب بيت الامتعة فاتاه بجبب ملوك بني أمية فاستخرج منها جبب سليمان فاذا أكمامها دسمة. ومن ذلك قصة كأس أم حكيم بنت يحيى بن الحكم ابن أبي العاص امرأة هشام بن عبد الملك وهي ان أحد المغنين عند أحد خلفاء بني العباس وأظنه الواثق غنى بشعر فيه ذكر كأس أم حكيم وكان كأساً مشهوراً فسر من غنائه واستدعى بالكأس فاحضر من خزائن الامتعة وأمر بأن يشرب فيه ليلته

(١٤) — الاستئذان قبل الدخول في المحلات اما بدق الباب أو غيره . وفي القرآن الكريم «يا أيها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون» وفي الاحاديث أدلة على ذلك كثيرة

(١٥) — تقديم ورقة الطعام قبل الاكل وفيها أسماء الاطعمة التي ستقدم في الخوان أو تعديد الاسماء حتى تعلم وفي الكتب الاسلامية ما يفيد وقوع مثل هذا عندهم ففي كتاب الاحياء ان الامام أبا حنيفة اضافه رجل فلما حضر الطعام قدم له خريطة فيها أسماء ما عنده من الطعام . ومثله ما هو مذكور في قصة عبد الاعلى بن عبد الله بن عامر بن كريز وذلك ان بلال بن أبي بردة سأل أحد جلساء عبد الاعلى فقال له ما يفعل هذا الشيخ معكم اذا قدم لكم الطعام . فقال اذا أتيناه وحضر وقت الطعام دعا القائم على الطعام فيسأله عما عنده فيسمى له أنواع الطعام واحداً فواحداً فسأله بلال بن أبي بردة عن سبب ذلك وماذا يقصد به فقال له ليمسك كل رجل عما لا يشتهى ويأخذ فيما يشتهى .

(١٦) — وفي أوائل كتاب الحيوان للجاحظ هذه العبارة «مقالة من أبوا وجوب الامامة ومن يروا الامتناع من طاعة الائمة الذين زعموا ان ترك الناس سدى بلا قيم عليهم وهملا بلا راع لهم أجدر ان يجمع ذلك بين سلامة العاجل وغنيمة الآجل وان تركهم نشرا لا انتظام لهم أبعد من المفاسد وأجمع لهم على المراشد» وهذه العبارة تفيد ولا شك انه كان هنالك فرقة تشبه فرق الفوضويين والنهايست وتقول بقولهم وترى رأيهم: الى غير ذلك من عادات أخرى كثيرة

هذا ومن الوفاقات في الالفاظ كلمة (حماد) فانها توافق كلمة (مرسى) الفرنجية ومعناها أحمدك وأشكرك. وكذلك كلمة (المسمعة) فانها توافق كلمة (التليفون كما في شرح القاموس)

قطعة

أَشَعْرَةٌ بَيْضَاءُ أَمْ
أَوَّلُ خَيْطِ الكَفَنِ
أَمْ تِلْكَ سَهْمٌ مُرْسَلٌ
لَا يُتَّقَى بِالْجُنَنِ
وَالزَّرْعُ انْ هَاجَ فَقَدْ
حَانَ الحَصَادُ وَأَنِي
فَفِى سَبِيلِ اللهِ مَا
عَانَيْتُهُ فِي زَمَنِي

وكذلك كلمة (القهرمانة) فانها توافق فى الفرنجية (الكماريرا) أى الخادمة التى تقوم بحوائج البيت ، وكذلك كلمة (مرحى) تقال للرجل اذا أصاب المرمى فيمكن ان تقوم مقام كلمة (برافو) الفرنجية : ومن بحث فى مجد العرب وحضارتهم وجد الكثير من عاداتهم توافق عادات الفرنجة اليوم

(١) الجنن جمع جنة وهى كل ما وقى من سلاح . هاج الزرع يبس واصفر . أنى كرضى وضعت فى الاصل لمعنى ابطأ وتجىء بمعنى قرب حملا للفعل على ضده . عانى الشيء قاساه وعالجه

(المعنى) يقول أطال الله بقاءه وقد نجمت فى رأسه أول شعرة من شعرات الشيب . هل هذه شعرة بيضاء أم أول خيط من خيوط الكفن أم هى قد أرسله القضاء فلا درع يقى منه ولا جنة تصده ثم ضرب للشيب مثلا من أبدع الامثال وأقربها مناسبة فقال ان الزرع اذا هاج أى أخذ ان ييبس ويصفر فقد آن ميعاد حصاده وأنى قطافه . أقول ان من الشعر لما يدب الى مواضع التأثير من النفوس فيملك أجزاءها فيؤثر فيها تأثيره المطلوب وهذه روح قد خص الله بها من شاء من الشعراء وقليل ما هم . اذ ليس كل شاعر قادراً على التأثير فان الشاعرين قد يتفقان

في معنى واحد بل ربما سبحا في بحر واحد ونظما على روي واحد ولكنهما يفترقان في التأثير فاذا قرأت ما نظماه وجدت ان أحدهما قد ملك عليك مشاعرك ونال اربته من نفسك ورأيت الطلاوة بادية على شعره . فاذا عمدت ان تقرأ للثاني ما نظمه رأيته وقد نفر منك ولم يستقر في صدرك وند عن سمعك . فاذا تساءلت عن السبب في ذلك قلت لا سبب سوى الروح التي أودعها الله في شعر الاول واخلى منها شعر الثاني وهي الفيصل الفارق بين الشاعر والناظم

وهذه أربعة أبيات نظمها السيد في الشيب تمثل لك العبرة والعظة وتقف بك على باب الشيخوخة فتريك الصبا ونضارته عن يمينك . والهرم وعبوسته عن يسارك وهذه الصفة لا تتوفر في انسان الا اذا كان شاعراً بقلبه واسانه . ولنذكر قول الشعراء في الشيب اتماماً للفائدة قال لبيد في الكبر

أليس ورائى ان تراخت منيتى لزوم العصا تحنى عليها الاصابع
أخبر أخبار القرون التى مضت ادب كأنى كلما قمت را كع
فاصبحت مثل السيف اخلق جفنه تقادم عهد القين والنصل قاطع

وقال المخارق اليشكري

وكنت أباري الرائحين بلمتى فاصبح باقى نبتها قد تقضبا
وقد ذهبت الا شكيراً كانه على ناهض لم يبرح العش ازغبا

وقال مسلم بن الوليد

الشيب كره وكره ان يفارقنى أعجب بشيء على البغضاء مودود
يمضى الشباب ويأتى بعده خلف والشيب يذهب مفقوداً بمفقود

وقال الطائى

غدا الشيب مختطاً بفودي خطة طريق الردي منها الى الموت مهيع
هو الزور يجفى والمعاشر يحتوي وذو الالف يقلى والجديد يقلع
له منظر في العين أبيض ناصع ولكنه في القلب اسود اسفع
ونحن نرجيه على الكره والرضا وانف الفتى من وجهه وهو أجدع

وقال محمد بن هانىء

الم يأتها انا كبرنا عن الصبا وانا بلينا والزمان جديد
فليت مشيباً لا يزال ولم أقل بكاظمة ليت الشباب يعود

صلاح الدين ابن ايوب

إِذَا بَكَرَ العَارِضُ مِنْ جَانِبِ الجَوْلانِ . كَانَّ بِهِ كُثُباً مِنَ الرَّمْلِ أَوْ أَنَّ رُكْنَيْهِ رُكْنَا أَبَانٍ أَوْ أَنَّ فِيهِ فُحُولاً تجرجرْنَ مِنْ قَطَمٍ . اوْ كَتَائِبَ فِي الحَدِيدِ وَالبُرُوقُ اسِنَّةٌ وَخُذُمٌ . وَكَأَنَّ كُلَّ مُزْنَةٍ فِيهِ جَفْنٌ وَلْهَانٌ . اوْ اطْبَاءُ غُرَيْرِيَّةٍ رَعَتِ السَّعْدَانَ . فَيَاسَقَى الغَيْثُ وَقَدْ أَغْدَقَ . ذَلِكَ القَبْرَ بِجِلَّقَ [٢]

وقال التيمى

وان المرءا قد عاش سبعين حجة	الى منهل من ورده لقريب
اذا مامضى القرن الذى انت فيهم	وخلفت فى قرن فانت غريب

(١) بكر تقدم واتى : العارض السحاب المعترض فى الافق الجو لان جبل بالشام الكثب جمع كثيب وهو التل من الرمل و سمى بذلك لانه انكثب اى انصب واجتمع فى مكان واحد . ابان جبل شرقى الحاجر فيه نخل وماء . الفحول جمع فحل وهو الذكر من كل حيوان والمقصود به هنا ذكر الابل . تجرجر تردد اصواتها فى حناجرها . القطم هياج الفحل . الكتائب جمع كتيبة وهى القطعة من الجيش والاسنة جمع سنان وهو حديدة الرمح . الخذم جمع خذوم وهو السيف القاطع

(المعنى يقول اذا ورد السحاب مبكراً وجاء من جانب الجولان كانه وهو منعقد ملبد كثب وتلال من الرمال أو ان ظرفيه لضخامتهما كناذلك الجبل المسمى بابان او ان زمجرة الرعود فيه وهديرها جعجعة الفحول الهائجة أو ان ذلك السحاب لزرقة لونه كتائب غارقة فى الحديد والبروق فيه لبريقها ولمعانها اسنة وسيوف

(٢) المزنة كظالمة السحابة البيضاء . الولهان الذاهب العقل : اطباء جمع طبى بكسر ويضم حلمات الضرع التى من خف وحافر وظلف وسبع . غريرية نسبة الى غرير وهو فحل من فحول الابل . السعدان نبت من أفضل مراعى الابل ومنه المثل (سرعى ولا كالسعدان) : اغدق المطر كثر قطره • جلق بكسر اللام وفتحها دمشق

(المعنى) يقول وكأن كل مزنة اسحها وسيلانها جفن ولهاذ من العشق فان عينه ثرة على

أَضِنُّ عَلى القَطْرِ أَنْ يَسْتَهِلَ
عَلى غَيرِ اجْدَاثِكُمْ اوْيَصُوبَا
لوْ انبَتَتْ تُرَبُ الرِّجَال عَلَى
قدْرِ العُلَى وَنبَاهَةِ الذِّكرِ
نَبَتَتْ عَليْهِ مِنْ شَجَاعَتِهِ
تِلْكَ الجَنَادِلُ بِالْقَنَا السُّمْرِ ٢

انْتهَتِ الدَّوْلَةُ الفَاطِمِيَّةُ . الى الايَّامِ العَاضِدِيَّةِ ٣ . وَقدْ تَخطَّتِ الفرنْج

الدوام أو ان هذه المزنة ضرع ناقة رعت السمدان الذى هو افضل مراعى الابل فيكون دارها غزيراً فياسقى الغيث وهو مغدق ذلك القبر بدمشق وهو قبر صلاح الدين يوسف بن أيوب كما سيأتى وجملة فياسقى الغيث جواب اذا بكر العارض

(١) ضن بخل . القطر المطر . تستهل يشتد انصبابه . الاجداث جمع جدث و هو القبر يصوب ينصب وينزل

(المعنى) يقول انى لا أبخل ان يجود القطر قبوراً غير قبوركم وأجداثا غير اجداثكم بل يخصص تعميمه عليكم وعلى أمثالكم

(٢) الترب جمع تربة وهى المقبرة . نباهة الذكر اشتهاره . الجنادل جمع جندل وهى الحجارة الواحدة جندلة . السمر جمع اسمر وهو الرمح

(المعنى) يقول لوان مقابر الرجال تنبت على اقدار معاليهم فى هذه الحياة لانبتت جنادل صلاح الدين يوسف رماحاً سمراً وذلك لباسه وشجاعته

(٣) الدولة الفاطمية هم ملوك مصر من العبيديين أولهم المعز لدين الله وآخرهم العاضد وكانت بداءة ملكهم فى مصر من سنة ٢٩٧ ونهاية ملكهم فى سنة ٥٥٥ هجرية . واسماؤهم هى: المعز لدين الله . والعزيز بالله ابو النصر نزار بن المعز . والحاكم بامر الله ابو على منصور . والظاهر لاعزاز دين الله ابو الحسن على بن الحاكم . والمستنصر بالله أبو تميم . والمستعلى بالله ابو القاسم احمد . والآمر باحكام الله ابو على المنصور . والحافظ لدين الله عبد المجيد بن محمد . والظافر

الرِّبَاطُ. وَاحْـرَقَ شَاوَرُ الفُسْطَاطَ. وَقُرِعَتِ النَّوَاقِيسُ فِي القُدْسِ وَأَضْحَت

بإعداء الله اسماعيل. والفائز بنصر الله عيسى. والعاضد لدين الله عبد الله بن يوسف. وكان مقر الخلافة الفاطمية قبل مصر في القيروان من بلاد افريقية وكان ابتداء ملكهم فيها على يد أبي عبد الله الشيعي سنة ٢٩٧ وانتهاؤه في افريقيا سنة ٣٣٤ وهذه أسماء ملوكهم بافريقيا . عبد الله المهدي وابنه أبو القاسم محمد القائم بامر الله. واسماعيل المنصور بن القائم. العاضدية نسبة الى العاضد لدين الله وهو آخر ملوك مصر من العبيديين وذلك انه بعد وفاة الخليفة الفائز أخذ الصالح بن رزيك وزير العاضد يهتم في اقامة من يخلفه فقدموا له شيخاً من الاسرة الفاطمية لم يكن ثم أحق منه للخلافة فهم بمبايعته فجاء أحد أصدقاء الصالح وهمس في اذنه قائلا « ان سلفك في الوزارة كان أحسن تدبيراً منك لانه لم يسلم نفسه لخليفة سنه أكثر من خمس سنوات » وهو سن الفائز حينما تولى الخلافة. فرنت هذه العبارة في اذن الوزير فعدل عن تنصيب هذا الشيخ وعمد الى عبد الله بن يوسف بن الحافظ لدين الله ولم يكن بالغاً رشده فبايعه ولقبه بالعاضد لدين الله وهو الخليفة الرابع عشر للدولة الفاطمية ثم أزوجها بنته ومنها ثروة عظيمة. وقد كان الصالح محسوداً من أعدائه من وجهاء الدولة وأعيانها وقد فتحت أعينهم عليه وفي جملتهم عمة الخليفة فعزمت على قتله فارسلت أولاد الراعي فكمنوا له في دهاليز القصر وضربوه حتى سقط على الارض على وجهه وحمل جريحاً لا يعي الى داره فمات يوم الاثنين ١٩ رمضان سنة ٥٥٦ هجرية. ثم استوزر ابنه محيي الدين رزيك ولقب بالملك العادل وكنيته أبو شجاع وهذا استخلف شاور ثم استوزر بعد ذلك صلاح الدين يوسف بن أيوب فاستبد بالحكم واستولى على الديار المصرية وعزم على القبض على العاضد واشياعه واستفتى الفقهاء في قتله فافتوه بجواز ذلك لما كان عليه العاضد وأشياعه من انحلال العقيدة وفساد الاعتقاد وكثرة الوقوع في الصحابة والاشتهار بذلك . اما الخليفة العاضد فأصيب بسبب الاهانة التي لحقت به بمرض شديد ثم حجز عليه في احدى غرف القصر الداخلية وبعد أيام قليلة مات في يوم الاثنين ١١ محرم سنة ٥٥٧ هجرية وبموته انتهت أيام الدولة الفاطمية وخلفتها الدولة الايوبية التي ابتدأت بسلطنة السلطان صلاح الدين كما سيأتي في محله من شرح هذه الرسالة

(١) الرباط الثغر. الفسطاط بالضم علم لمصر القديمة ـ شاور هو الامير أبو شجاع شاور بن مجير بن نزار وخبره ان الصالح بن رزيك الذي تقدم ذكره كان قد ولى شاوراً الصعيد الاعلى من أرض مصر وأوصى ولده العادل ان لا يتعرض لشاور بمساءة ولا يغير عليه حاله فانه لا يأمن

عصيانه والخروج عليه فكان كما أوصى. وكان شاور ذا نجابة وشهامة وفروسية وهمة سولت له ان يأخذ الوزارة من الملك العادل ابن رزيك فسار لهذا الغرض من الصعيد فى جموعه من طريق الواحات حتى وصل الاسكندرية ومنها وصل الى القاهرة فدخلها يوم الاحد الثانى والعشرين من المحرم سنة ثمان وخمسين وخمسمائة فهرب الملك العادل وأهله من القاهرة ونال شاور بغتيه وأخذ موضعه من الوزارة. وقد كان الملك الصالح بن رزيك قد أنشأ فى وزارته أمراء يقال لهم البرقية وجعل فى مقدمتهم أحدهم ويقال له ضرغام أبو الاشبال فترقى هذا الرجل حتى صار صاحب الباب فلما تولى شاور الوزارة طمع ضرغام هذا فى سلبه اياها فجمع لذلك رفقته فتخوف منه شاور وجمع اليه رجاله فاصبح الجيش فرقتين فرقة مع ضرغام وأخرى مع شاور فلما كان بعد تسعة أشهر من وزارة شاور أى فى رمضان سنة ٥٥٨ هجرية ثار ضرغام وصاح على شاور فأخرجه من القاهرة وقتل ولده الاكبر المسمى بطى فخرج شاور من القاهرة يريد الشام واستقر ضرغام فى وزارة الخليفة العاضد بعد شاور وتلقب بالملك المنصور فحمد الناس سيرته فانه كان فارس عصره وكان عاقلا كريما لا يضع كرمه الا فى سمعة ترفعه أو مواراة تنفعه الا انه كان سريع العقوبة اذا ظن فى أحد شراً. وفى أثناء ذلك قصد الفرنجة بلاد مصر فخرج اليهم همام أخو ضرغام وحاربهم فغلبوه ونزلوا على حصن بلبيس وملكوا بعض السور ثم عادوا الى بلادهم. ثم جاء الخبر بقدوم شاور ومعه أسد الدين شيركويه بن شادي وهو كردي الاصل وكان شيركويه هذا وأخوه نجم الدين أيوب فى خدمة الاتابك نور الدين فى الشام منذ مدة طويلة وأظهرا من اللياقة ما جعل له فيهما الثقة التامة فلما سار شاور الى دمشق استنجد بنور الدين ليرجع الوزارة الى يده فنور الدين لم يرد اضاعة فرصة كهذه تجعل له يداً بأمور مصر فأرسل معه اسد الدين شيركويه فى كثير من الغز وسار معه يوسف ابن أخيه نجم الدين بن أيوب وكان صغير السن ولم يكن لأبيه رضى بسفره فى هذه الاخطار على صغر سنه الا انه أبى الا الرحيل طوعاً لهوى النفس فى حب المجد والعلى ولعل التقادير ساقته الى مصر ليكون سلطاناً عليها تمتد سلطته الى أقصى الممالك الاسلامية. وسار الاتابك مشيعاً بنفسه جيوشه حتى حدود مصر وقصده من ذلك ايهام الصليبيين المرابطين فى بلاده والذين فى طريقها انه آت لمحاربتهم فانحصروا فى مدنهم ومر جيشه بامان حتى وصل مصر فلما علم ضرغام بقدوم شاور ومن معه سار بالعسكر أول يوم من جمادي الآخرة سنة ٥٥٩ هجريه الى بلبيس وكانت له وقعة مع شاور انهزم فيها. ثم انه وقعت له بعد ذلك مع ضرغام جملة وقائع كان الظافر فيها شاور بضرغام وانتهى الامر اخيراً بقتل ضرغام من أيدي العامة وتولية شاور

الوزارة. فلما استلم شاور الوزارة صار يدفع للاتابك نور الدين ثلث محصولاتها مقابلة لما بذله في اعادته اليها الا ان الاتابك لم يكن هذا احد مطامعه في مصر فقد كان له بتلك الحملة غرضان الاول ان يقضي حق شاور الذي استصرخ به والثاني ان يستعلم أحوال مصر لانه بلغه انها ضعيفة من الجند وان نظامها مختل. وقد كان شاور اتفق سراً مع نور الدين أن يسلمه مصر وظن انه قادر على دفع جيوش نور الدين فينال السلطة لنفسه. فكتب الى شيركويه ان يسير الى سوريا وقد كان معسكراً بجوار القاهرة فأطلق شيركويه فرقة من جيشه استولت على بلبيس. فلما علم شاور بذلك عمد الى معاهدة الصليبيين على اخراج جنود شيركويه. فدخل الصليبيون القاهرة أخيراً. والى هنا أشار السيد المؤلف بقوله «وقد تخطت الفرنج الرباط. وأحرق شاور الفسطاط» ثم ان شيركويه تقدم وعسكر في الجيزة ووقعت بينه وبين الصليبيين مواقع كثيرة كانت الحرب بينهما سجالا واستولى شيركويه على الاسكندرية وأقام عليها ابن أخيه يوسف صلاح الدين. وقد جاءت للصليبيين نجدة من الشام فزادتهم عدداً فلما رأى شيركويه انه غير قادر على مقاومتهم أراد ان يعاهدهم على خروج الصليبيين والسوريين معاً من مصر وترجع الاسكندرية الى شاور فقبل الفريقان بذلك وعاد شيركويه وابن أخيه الى دمشق : أما الصليبيون فلم يبرحوا القاهرة الا اذا دفع لهم شاور مائة الف دينار وتبقى منهم حامية في القاهرة فقبل شاور بذلك وخرج الصليبيون. لكنهم بعد قليل نقضوا هذه المعاهدة وأرسلوا جيشاً جراراً استولوا به على مصر. فتحير شاور في ذلك واستنجد بالاتابك نور الدين فارسل له جيشاً تحت قيادة شيركويه وفي اثناء ذلك أمر شاور باحراق مدينة الفسطاط لكيلا يحتمي بها الصليبيون. ثم ان شيركويه قدم على مصر وأخرج الصليبيين من كل أرضها. ثم انه دخل القاهرة باحتفال عظيم وذلك في ربيع ثاني سنة ٥٦٤ هجرية وسار تواً الى مقر الخلافة فاستاء شاور من ذلك وأراد الانتقام من شيركويه فاظهر الحب له وأضمر البغض والوقيعة به ثم نوى على دعوته لوليمة يعد له فيها معدات الهلاك فعلم يوسف صلاح الدين بذلك وبعض كبار جيش السوريين فنووا عليه ما نواه على أميرهم وجعلوا يترقبون خلواته فبينما كان قادماً الى معسكر السوريين لزيارة احتاطوا به وقبضوا عليه وأوثقوه بالحديد فاتصل بذلك بشيركويه فشق عليه ذلك وطلب الى رجاله ان لا يوقعوا به شراً. ولكن الخليفة العاضد بعث يطلب رأسه فارسلوه له حالا وسطوا على داره فنهبوها ثم بموته انتهت مدته التي أضر فيها بمصر ضرراً عظيما وقد تولى بعده شيركويه الوزارة ولم يمكث في منصبه الا شهرين وخمسة ايام فقط وعاجلته المنية ثم بعد. وتولى العاضد ابن أخيه صلاح الدين الوزارة

الدُّنْيَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَهِيَ حَبْسٌ[١]

بَادَتْ وَأَهْلُوهَا مَعًا فَجَمِيعُهُمْ
بِبَقَاءِ مَوْلانَا الوَزِيرِ خَرَابُ[٢]

---

(١) النواقيس جمع ناقوس وهو مضراب النصارى

(المعنى) يقول انه بعد ان احرق شار الفسطاط وكان ذلك من سوء تدبيره وامتلك الفرنجة كثيراً من الشام ومصر وقرعت النواقيس فى القدس وضاقت الدنيا بالمسلمين حتى صارت مما نالهم من الجور والظلم كأنها حبس

(٢) بادت هلكت

(المعنى) هذا البيت الذى استشهد به سماحة المؤلف لاحد الشعراء يهجو به الوزير ابن العلقمى حيث كان سبباً فى خراب بغداد على يد التتر فيقول ان بغداد قد بادت وباد اهلها فالجميع فدى لمولانا الوزير وهو من باب التقريع — وابن العلقمى هو الوزير ابو طالب مؤيد الدين محمد بل محمد بن على العلقمى البغدادى الرافضى كان وزير المستعصم العباسى ولى الوزارة ١٤ سنة فاظهر الرفض وكان وزيرا خبيرا بتدبير الملك ولم يزل ناصحا لاصحابه واستاذه الى سنة ٦٥٦ هجرية ففيها افتتن السنية والشيعة ببغداد . فامر ابو بكر بن الخليفة وركن الدين الدوا دار العسكر فنهبوا الكرخ وكان اهله روافض واستباحوا الاعراض فعظم ذلك على ابن العلقمى وضعف جانبه وقويت شوكة الدوادار فكاتب التتر سراً واطمعهم فى بغداد وسهل لهم امر اخذها . وكان يريد بذلك فى اقامة خليفة علوى . قيل ومن الحيل التى استعملها فى مكاتبة التتر انه اخذ رجلا وحلق رأسه حلقاً بليغاً وكتب عليه بالابر ما اراد ونفض الكحل على الكتابة فصارت كالوشم وانزل الرجل عنده الى أن غزر شعره وغطى الكتابة فجهزه وقال له ان وصلت مرهم بحلق رأسك ودعهم يقرأوا الكتابة . وكان آخر ما كتبه على رأسه « اقطعوا الورقة » فلما قرأ التتر الكتابة ضربوا اعنق الرجل . وكتب ايضاً الى وزير ارسل رسالة يطلعه فيها على ذلك منها انه قد نهب الكرخ المكرم وقد ديس البساط النبوى المعظم . وقد نهبت العترة العلوية . واستؤسرت العصابة الهاشمية . وقد حسن التمثيل بقول القائل

أمور تضحك السفهاء منها ويبكى من عواقبها اللبيب

كَمْ مِنْ ظَلُومٍ تَزُولُ دَوْلَتُهُ
وَلَيْسَ مَا سَنَّ مِنْ أَذًى زَائِلْ

وقد عزموا على نهب الحلة والنيل . بل سولت لهم أنفسهم امرا نصبر جميل

اری تحت الرماد وميض نار ويوشك ان يكون لها ضرام
فان لم يطفها عقلاء قوم يكون وقودها جثث وهام
فقلت من التعجب ليت شعری أ أيقاظ أمية ام نيـام

الى آخر ما كتبه من اثارة النفوس والحض على قتال الخليفة فتمت له بغيته ونال اربته وكان ما اراد واقتتل الفريقان على مرحلتين من بغداد وكانت القيادة على جيش بغداد للدوادار ركن الدين وعلى جيش التتر لهولاكو ولتاجو . فانهزم عسكر الخليفة ودخل هولاكو بغداد من الجانب الشرقى وتاجو من الجانب الغربى . وخرج ابن العلقمى الى هولاكو فتوثق منه لنفسه وعاد الى الخليفة المستعصم وقال ان هولاكو يبقيك فى الخلافة كما فعل بسلطان الروم ويريد ان يزوج ابنته بابنك ابى بكر وحسن له الخروج الى هولاكو فخرج اليه المستعصم فى جماعة من اكابر دولته فنزلوا فى خيمة . واستدعى ابن العلقمى الفقهاء والاماثل فاجتمعوا هناك ومن جملتهم ركن الدين الدوادار والمستنصرى احد الشجعان واستاذ دار الخلافة محيى الدين بن الجوزى واولاده وهناك صار يخرج الى التتر طائفة بعد طائفة موهما لهم ابن العلقمى انهم يحضرون عقد ابن الخليفة على بنت هولاكو . فلما تكاملوا قتلهم التتر عن آخرهم ثم مدوا الجسر فدخل تاجو ووضعوا السيف فى بغداد وهجموا على دار الخلافة وقتلوا كل من كان فيها من الاشراف ولم يسلم الا من كان صغيرا فانه اخذ اسيرا ودام القتل والنهب فى بغداد اربعين يوماً وقتلوا ايضاً الخليفة المستعصم وابنه ابا بكر . قيل ودخل بعد ذلك على ابن العلقمى وهو جالس فى الديوان رجل من عامة التتر راكباً فرسه فسار الى ان وقف بفرسه على بساط الوزير وخاطبه بما اراد وبال الفرس على البساط فاصاب الرشاش ثياب الوزير وهو صابر لهذا الهوان يظهر قوة النفس وانه بلغ مراده وهكذا انعكس الحال مع ابن العلقمى بعد ان كان مؤملا من التتر النجاح وعض يديه ندماً وبخه هولاكو فمات غما فى أواخر سنة ٦٥٦ هجرية وهكذا كان على يد ابن العلقمى انقراض الدولة العباسية وقيام دولة التتر ببغداد ولله فى خلقه شؤون

(١) (المعنى) يقول ان الظالم يزول ملكه وتندثر دولته ولكن يبقى ظلمه فى الناس مقيما:

حُمْقُ الْأُولَى يَحْكُمُونَ النَّاسَ يُضْحِكُنِي
وَسُوءُ فِعْلِهِمِ فِى النَّاسِ يُبْكِينِي
مَا الذِّئْبُ قَدْ عَاثَ بَيْنَ الضَّأْنِ أَفْتَكَ مِنْ
هذِى الْوُلَاةِ بِهَا تِيكَ الْمَسَاكِينِ

(للمؤلف)

وَإِذَا قَدْ ظَهَرَ فِى الْأُمَّةِ سَمَيْذَعُ نِقَابٌ كَأَنَّهُ قَسْوَرُ غَابٍ قُلَّبٌ حُوَّلٌ
لَوْ عَادَتْهُ نُجُومُ الْأُفْقِ لَعَادَ ذُو الرُّمْحِ مِنْهَا وَهُوَ أَعْزَلُ [٢]. يَعْبِسُ وَهُوَ رَاضٍ

والظلم شيمة من شيم النفوس الخبيثة طالما كانت سبباً فى هدم اركان الدولات وخراب الممالك قيل ان رجلا قام الى عمر بن عبد العزيز وهو على المنبر فانشده

ان الذين بعثت فى اقطارها نبذوا كتابك واستحل المحرم
طلس الثياب على منابر ارضنا كل يجور وكلهم يتظلم
واردت ان يلى الامانة منهم عف وهيهات الامين المسلم

ويروى للمنصور قبل الخلافة

حتى متى لا نرى عدلا نسر به ولا نري لولاة الحق اعوانا
مستمسكين بحق قائمين به اذا تلون اهل الجور الوانا
يا للرجال لداء لادواء له وقائد ذى عمى يقتاد عميانا

(١) عاث افسد

(المعنى) يقول يضحكنى ما اراه من حماقة الذين يسوسون الناس وهم لا يدرون السياسة . ويبكينى ماأراه فى الناس من اثار افعالهم السيئة فيهم فالذئب بين قطيع الغنم اقل فتكا من فتك هؤلاء الولاة بهولاء المساكين المظلومين . وهذان البيتان هما من انظم السيد (المؤلف ودرتان من درره

(٢) السميذع السيد الكريم الشريف . نقاب الرجل العلامة ومنه قوله

كالسَّحَابِ . وَيَضْحَكُ وَهُوَ غَاضِبٌ كالقِرْضَابِ [١] عَاجِلُ العَفْوِ آجِلُ الاِنْتِقَامِ . كأنَّ المُلوكَ صَفٌّ وَهوَ الإمَامُ [٢] . طَبِيبٌ بأدْوَاءِ الأُمَمِ حَذَاقٌ . يُعَالِجُ تَارَةً بِالسُّمِّ وطَوْرًا بالتِّرْيَاقِ [٣] . وَاحِدٌ لم يَخْتَلِفْ في فَضْلِهِ اثْنَانِ. نَطَقَتْ بِمَا آثِرِهِ

كريم جواد اخو ما قط نقاب يحدث بالغائب

قسور غاب أي الاسد الرابض بالغاب • قلب حول أي بصير بتقليب الامور . ذو الرمح أي السماك الرامح وهو نجم قدام النكة يقدمه نجم مستطيل الشعاع يقولون هو رمحه . الاعزل الذى لا سلاح معه والاعزل أحد السماكين لانه لا سلاح معه كما كان مع الرامح

(المعنى) يقول فبينما الامر كما ذكرت والدنيا على ما وصفت والفرنجة فى القدس والمسلمون فى الضيق واذا قدمن الله على المسلمين برجل شريف النجار كريم سديد الرأى صائبه كالليث باسا وشجاعة بصير بتقلب الامور محتال لها لو عادته النجوم لا نقلب ذو الرمح وهو ذلك النجم الذي فى السماء اعزلا وهو النجم الثانى المسمى بالسماك الاعزل وهنا تورية حسنة

(١) القرضاب السيف القطاع

(المعنى) يقول انه يبتسم فى حالة الرضى فيكون مثله كمثل السحاب اذا اكفهر أمطر فكانه راض عن الارض التى يمطرها أو كمثل السيف فانه يضحك بريقا وهو يقتل

(٢) (المعنى) يقول انه مع قدرته على العقوبة فى كل وقت فانه يعجل عفوه ويؤجل انتقامه وهى صفة من صفات أهل النخوة والمروءة وملاك الامم وأرباب السياسة فانهم يأخذون المجرم بالعفو ليقلع عن جرمه وينصفون المحسن ليزداد فى احسانه وبذلك يقل المجرمون ويكثر الطيبون فتهدأ النفوس وتطمئن القلوب فينتشر العدل فى الامة فتعيش فى راحة تامة الى ماشاء الله

وقال حاتم

تحلم عن الادنين واستبق ودهم ولن تستطيع الحلم حتى تحلما
وعوراء قد اعرضت عنها فلم تضر وذى أود قومته فتقوما
واغفر عوراء الكريم ادخاره واعرض عن شتم اللئيم تكرما

(٣) الحذاق الماهر . الترياق دواء مركب يدفع السموم

(المعنى) يقول انه طبيب ماهر يداوى الامم تارة بالسم واخرى بالترياق وهى صفة ثانية

أَلْسُنُ الخُرْسَانِ وَالخُرْصَانِ ١ . فَقَرَّتْ بِظُهُورِهِ القُلُوبُ . وَإِذَا هُوَ صَلَاحُ الدِّين

من صفات الذين يرأسون الامم ويديرون حركة الدولات فانهم يضعون عقوبتهم فى من لا ينفع فيه العفو ويعفون عن من لا تجدى فيه العقوبة

قال النابغة الجعدى

ولا خير فى حلم اذا لم يكن له　　بوادر تحمى صفوه ان يكدرا

ولا خير فى جهل اذا لم يكن له　　حليم اذا ما اورد الامر اصدرا

وقال المتنبى

من الحلم أن تستعمل الجهل دونه　　اذا اتسعت فى الحلم طرق المظالم

وقال ابن قيس الرقيات

وأنى لآبى الشرحتى اذا أبى　　يجنب بيتى قلت للشر مرحبا

واركب ظهر الامر حتى يلين لى　　اذا لم أجد الا على الشر مركباً

(١) الخرسان جمع أخرس وهو الذي انعقد لسانه عن الكلام . الخرصان أسنة الرماح نسبة لبلدة بالبحرين تباع فيها الرماح

(المعنى) يقول انه واحد أجمعت الناس على الاقرار بفضله فلم يختلف فيه اثنان حتى ان الاخرس نطق به . وقال حسان بن ثابت فى الفخر

لعمرك ما الملهوف يأتى بلادنا　　لنمنعه بالضائع المتهضم

ولا ضيفنا عند القرى بمدفع　　ولا جارنا فى النائبات بمسلم

وما السيد الجبار حين يريدنا　　بكيد على ارماحنا بمحرم

مطاعيم فى المشتى مطاعين فى الوغى　　اذا الحرب كانت كالحريق المضرم

وتلقى لدى ابياتنا حين نجتدى　　مجالس فيها كل كهل معمم

وقال حبيب بن المزدلف

لقد علمت أبناء شيبان اننا　　قبيلة صدق فى الامور النوائب

وانا اذا ما الحق اعوز أهله　　أوي كل مطلوب الينا وطالب

وقال أبو فراس الحمدانى

انا اذا اشتد الزما　　ن وناب كل خطب وادلهم

يُوسُفُ بْنُ أَيُّوبَ (١)

ألفيت حول بيوتنا عدد الشجاعة والكرم
للقا العدا بيض السيوف وللندي حمر النعم
هذا وهذا دأبنا يودى دم ويراق دم

(١) (المعنى) يقول أن الذى ذكرته لكم ووصفته بما تقدم من الكلام والذي قرت بظهوره القلوب هو صلاح الدين يوسف بن أيوب ـ وصلاح الدين هو أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شادى الملقب بالملك الناصر صلاح الدين صاحب الديار المصرية والشامية والعراقية واليمنية اتفق المؤرخون على أن أباه من دوين آخر عمل اذربيجان وجميع اهل تلك البلاد أكراد وقد تقدم انه جاء الى مصر مع عمه أسد الدين شيركويه وقلنا انه تولى الوزارة بعد عمه المذكور فلما تولى الوزارة أبت الجيوش السورية الرضوخ له لصغر سنه فأخذهم باللين واستجلب خواطرهم فأجمعوا على ولائه والضرب بسيفه تعظم نفوذه وكثر نصراؤه فشاغل الحسد مؤتمن الخلافة (جوهر الخصى) وحدثته نفسه بخلع صلاح الدين ووافقه كثير من الجند والامراء المصريين واجمع رأيهم ان يبعثوا الى الافرنج ببلاد الساحل ليستدعوهم الى القاهرة حتى اذا خرج صلاح الدين لقتالهم بعسكره ثاروا هم بالقاهرة واجتمعوا مع الافرنج على اخراجه من مصر. فسيروا رجلا الى الفرنجة وجعلوا الكتب معه فى نعل فسار الرجل حتى قرب من بلبيس فاذا ببعض اصحاب صلاح الدين هناك فانكر امر الرجل بسبب انه جعل النعلين فى يده ورآهما وليس فيهما أثر المشى والرجل رث الهيئة فارتاب وأخذ النعلين وشقهما فوجد الكتب ببطنهما فحمل الرجل والكتب الى صلاح الدين فتتبع خطوط الكتب حتى عرفت فاذا الذى كتبها من اليهود الكتاب فامر بقتله فاعتصم بالاسلام وأسلم وحدثه الخبر فبلغ ذلك مؤتمن الخلافة فخاف على نفسه ولزم القصر وامتنع من الخروج فاعرض صلاح الدين عن ذلك جملة وطال الامد فظن الخصى انه قد اهمل أمره وشرع يخرج من القصر وكانت له منظرة بناها بناحية الخرقانية فى بستان فخرج اليها فى جماعة وبلغ ذلك صلاح الدين فانهض اليه عدة هجموا عليه وقتلوه فغضب لذلك العسكر المصرى وثاروا باجمعهم وقد انضم اليهم عالم كبير من الامراء المصريين فحاربهم صلاح الدين فانهزم أولا ثم اشتد عليهم ثانية حتى هزمهم وما زال راكبا أقفيتهم محكما فيهم السيف حتى لم يبق منهم الا الشريد وتلاشى من هذه الواقعة أمر العاضد. ومن غريب الاتفاق ان الذى فتح مصر للدولة الفاطمية بنى

القاهرة يدعى جوهراً والذي كان سبباً فى زوال هذه الدولة وخراب القاهرة يدعى جوهر الملقب بمؤتمن الخلافة. فلما انتهت هذه الواقعة عاد صلاح الدين الى السكون وولى أخاه طوران شاه الذى أبلى معه فى هذه الواقعة بلاءحسنا قوص واصوان وعيذاب. وكانت تولية صلاح الدين سببا لاضطراب الصليبيين فتشاوروا فى امرهم فقرر رأيهم على أن يرسلوا بطريرك صور وفريدريك مع يوحنا أسقف عكا لاستمداد ملوك فرنسا وانكلترا وسيسيليا وغيرهم من الامراء المسيحيين فلم ينجح مسعاهم غير أن امبراطور القسطنطينية أرسل عمارة مؤلفة من مائة وخمسين شراعاً ملآنة بالذخائر والمؤن والعدة والرجال فاتحدت مع جيوش عسقلان وساروا براً وبحراً الى مصر حتى اذا بلغوا الفرما ساروا حتى اتوا دمياط فعسكروا بينها وبين البحر وذلك فى سنة ٥٦٥ هجرية وكانت هذه الحملة تحت قيادة اموري نظن انه قادر على أخذ دمياط بالهجوم الا أنه رأي منها مقاومة ودفاعا الزماه الاقامة على الحصار فنفذت مؤونتهم فارادوا العبور فى النيل فاوقفهم حاجز اقامه المسلمون وهو عبارة عن سلسلة قوية من الحديد طرفها الواحد ممكن بمتاريس دمياط والطرف الاخر ببرج هائل منيع الجانب فلما علموا ذلك رجعوا الى اعقابهم خائبين وتوجهوا الى سوريا. وفى السنة التالية صار صلاح الدين فى جيش عظيم فدخل فلسطين فعلم اموري وهو فى عسقلان ان صلاح الدين قد حاصر قلعة دارون وهو دير قديم للنصاري فاسرع لمهاجمته فحاربه صلاح الدين وقهره ونزل على غزة فامتلكها ثم علم ان الفرنجة احتلوا أيلة فما زال بها حتى فتحها وقتل من كان فيها وأقام فيها من ثقاته من يعتمد عليهم وعاد الى القاهرة ثم بعد عودته اصبح الخليفة العاضد ليس فى يده الا السلطة الدينية فشرع صلاح الدين فى سلبه أياها فحرض أميرا فارسيا ليخطب فى الناس باسم الخليفة المستضيء بامر الله العباسي فخطب فى الناس بذلك فلم يعارضه أحد ثم انه عمم الخطبة فى جميع مساجد القاهرة ومن هذا الوقت انتقلت الخلافة من مصر الى بغداد ثانية ثم ان الامام العاضد توفى بعد أيام قليلة وذلك فى ١١ محرم سنة ٥٦٧ هجرية ومن هذا الوقت خلا الجو لصلاح الدين وأصبح لا معارض له وابتدأت به دولة الايوبيين فلما تولى أخذ يعمل خفية فى الاستقلال بمصر ويجتهد فى تربية الاحزاب واعداد الذوات ويعمل أيضاً على كيد الصليبيين واخراجهم من مصر وسوريا فجاهد فى ذلك كثيرا ووقعت بينه وبينهم حروب جمة حفظها له التاريخ فى صدور اسفاره وتركت له اسما لا تمحوه كرور الليالى والايام. ومن أشهر تلك المواقع واقعة حطين وفتح بيت المقدس الذى نصر الله به المسلمين على المسيحيين فبعد ما رأي الصليبيون أنهم غير قادرين على مقاومته لجأوا الى الصلح فاجابهم الى طلبهم فاتفق رأيهم على ان يقيموا

أَنْتَ الأَمِيرُ الَّذِي وَلَّتْهُ هِمَّتُهُ
بِغَيْرِ عَهْدٍ مِنَ السُّلْطَانِ مَعْهُودِ ١

* * *

أَقْبَلَتْ جُمُوعُ فِرِنْجَةَ مُهْطِعِينَ. وَأَرْسَوْا لِحَرْبِ الصَّلِيبِ عَلَى حِطِّينَ ٢. فَلَقِيَهُمْ

على شطوط السواحل . ومن ثم أراح الله صلاح الدين من الحروب التى كابدها على ان المنية التى عجزت ان تهاجم هذا الشجاع الباسل فى ساحة الحرب لم تخش مهاجمته وهو على فراشه بين أولاده ففى يوم الجمعة ١٥ صفر ركب السلطان لملاقاة الحجيج فعاد الى منزله كسلان ثم غشيته حمى ثم أصبح فى اليوم الثانى أشد كسلا منه فى اليوم الاول ومازال المرض يزداد عليه يوما بعد يوم حتى توفاه الله فى يوم الاربعاء ٢٧ صفر سنة ٥٨٩ وكان يوم موته يوما لم يصب الاسلام بمثله منذ فقد الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم وكان سنه عند وفاته ٥٧ سنة ومدة حكمه ٢٤ سنة ٥ فى مصر و ١٩ فى سوريا ودفن فى جلق وهى دمشق رحمه الله رحمة واسعة

(١) (المعنى) يقول انك أيها الامير جلست على عرش الملك من غير أن ترثه عن آبائك وانما رمت بك همتك اليه فتبوأته واخذته اغتصاباً . قال ابن الرومى يمدح ابا الصقر

وقل من ضمنت خيراً طويته	الا وفى وجهه للبشر عنوان
تلقاه وهو مع الاحسان معتذر	وقد يسىء مسىء وهو منان
اذا بدا رجه ذنب فهو ذو سنة	وان بدا وجه خطب فهو يقظان
اذا تيممك العافى فكوكبه	سعد ومرعاه فى واديك سعدان
أحيا بك الله هذا الخلق كلهم	فانت روح وهذا الخلق جثمان
قالوا أبو الصقر من شيبان قلت لهم	كلا ولكن لعمرى منه شيبان
وكم أب قد علا بابن ذري شرف	كما على برسول الله عدنان

(٢) مهطعين مسرعين . ارسوا ثبتوا . حرب الصليب تقدم ذكرها فى ترجمة شاور وصلاح الدين . حطين هى مدينة بالشام كانت بها وقعة عظيمة مشهورة بين الفرنجة وصلاح الدين كان النصر له فيها عليهم

(المعنى) يقول ان الفرنجة أقبلوا مسرعين على حطين وثبتوا للحرب

بِجَحْفَلٍ جَرَّارٍ. وَحَمَلَ عَلَيْهِمْ حَمْلَةَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ ١

بِأُحْدٍ وَبَدْرٍ حِينَ مَاجَ بِأَهْلِهِ

وَفُرْسَانِهِ أُحْدٌ وَمَاجَ بِهِمْ بَدْرُ

وَيَوْمَ حُنَيْنٍ وَالنَّضِيرِ وَخَيْبَرٍ

وَبِالْخَنْدَقِ الثَّاوِي بِعَقْوَتِهِ عَمْرُو ٢

---

(١) الجحفل الجيش . الجرار الكثير . المهاجرون الذين اتبعوا النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة من الصحابة . الانصار هم أنصار النبي صلى الله عليه وسلم غلب فيه جانب الاسمية على جانب الوصفية ولهذا نسب اليه على لفظه فقيل أنصارى

(المعنى) يقول أنهم لما أقبلوا على حطين ليحاربوا صلاح الدين لقيهم بجيش عرمرم وحمل فيهم حملة المهاجرين والانصار وهى تلك الحملات التى عرفها منهم الاسلام فى بداءته وقرت بها عيون المسلمين وأجزل الله بها لهم ثوابه

(٢) (المعنى) يقول ان حملاته فيهم كانت كحملات المهاجرين والانصار حينما كانوا بأحد وبدر وحينما كانوا بحنين والنضير وخيبر والخندق الذى قتل به عمرو بن ود العامري المشهور أحد هو جبل بالمدينة وكانت به الواقعة المشهورة التى كانت فى شوال سنة ثلاث من الهجرة يوم السبت لاحدى عشرة ليلة من شوال وخبرها مشهور لا حاجة لذكره ـ واقعة بدر هى الواقعة الكبرى التى أظهر الله بها الاسلام واعزه وقوى أهله وكان خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذه الغذوة يوم السبت لثنتى عشرة خلت من رمضان على رأس تسعة عشر شهرا ـ حنين هو أسم موضع فى طريق الطائف الى جنب ذى المجاز وكانت به الواقعة المشهورة المسماة باسمه وتسمى أيضا غزوة أوطاس وهو اسم لموضع كانت به الواقعة ـ النضير نسبة الى قبيلة كبيرة من اليهود يقال لهم بنى النضير ينسبون الى هارون أخى موسى عليهما الصلاة والسلام سكنوا مع العرب ودخلوا فيهم واختلف المؤرخون على السنة التى وقعت فيها هذه الغزوة واجمعوا على انها كانت فى السنه الرابعة وأمرها شهير خيبر بوزن جعفر وهى مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع ونخل كثير على ثمانية برد من المدينة الى جهة الشام خرج اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بقية المحرم سنة سبع واقام فى حصارها بضع عشرة ليلة الى ان فتحها فى صفر من السنة المذكورة . الخندق وتسمى غزوة

نَظَرُوا إِلَيْكَ فَقَدَّسُوا وَلَوْ أَنَّهُمْ
نَطَقُوا الفَصِيحَ لَكَبَّرُوا وَلَهَلَّلُوا[1]

تَجَمَّعْتُمْ مِنْ كُلِّ شَعْبٍ وَأُمَّةٍ
عَلَى وَاحِدٍ لَا زِلْتُمْ قِرْنَ وَاحِدِ[2]

أَلَا تَنْتَهِي عَنَّا مُلُوكٌ وَتَتَّقِي
مَحَارِمَنَا لَا يَبُوأُ الدَّمُ بِالدَّمِ[3]

الاحزاب وكانت سنة خمس وفيها قتل عمرو بن ود العامرى الشجاع المشهور قتله على بن ابى طالب رضى الله عنه وهذا معنى قوله (وبالخندق الثاوى بعقوته عمرو) يقصد به عمراً بن ود العامرى وخبر هذه الوقائع جميعها مشهور ولذلك لم نرد التفصيل فى جميعها ومن أرادها فليطلبها من كتب التاريخ والسير

(١) قدسوا يقال قدس الرجل نزهه ووصفه بكونه قدوسا والقدوس الطاهر المنزه وكل فعول مفتوح سوى قدوس وذروح وهو الذباب الهندى وفروج وهو فرخ الدجاجة. كبروا قالوا الله أكبر. هللوا قالوا لا اله الا الله وهو مأخوذ من الهيللة كالبسملة والحوقلة

(المعنى) يقول ان الاعداء نظروا اليك فقدسوا لان التقديس عام يكون بالقلب والجوارح ولو كانوا ينطقون الفصيح لكبروا وهللوا اجلالا واعجابا والفضل ما شهدت به الاعداء

(٢) الشعب بالكسر الحى العظيم · القرن النظير فى الشجاعة

(المعنى) يقول انكم جمعتم أنفسكم وانسللتم من كل شعب وأمة لتحاربوا واحداً لا زلتم على طول الدوام مع كثرتكم ووفرتكم نظير واحد والجملة الاخيرة من البيت دعائية ومعناها أودع الله قلوبكم الرهبة والخوف حتى انكم مع جمعكم الكثير تكونون قرناً لواحد مما أكسبه الله الشجاعة وألبسه رداء البأس والقوة . ويريد اجتماع أمم الافرنج لحرب الصليب

(٣) لا يبوا الدم بالدم يقال باء دمه بدمه أى عدله و باء فلان بفلان بواء قتل به وصار دمه بدمه فعادله ومنه المثل « باءت عرار بكحل » وهما بقرتان انتطحتا فماتتا يضرب لكل مستويين ويقال « بؤ به » أى كن ممن يقتل به ومنه قول المهلهل لبجير « بؤ بشسع نعل كليب »

خُمْسٌ يَقَابِلُ مِنْهُمُ الأَعْدَاءُ . أَمْثَالَ الْجَحَّافِ وَأَبِي بَرَاءٍ . كأنهم في

(المعنى) يقول الا تنتهي عنا هذه الملوك وتتقى محارمنا لاتنتهكها فان دمنا لا يعادل دمهم ولا يساويه فيبوأ به بل هو أشرف منه

(١) خمس جمع احمس وهو الشجاع — الجحاف هو الجحاف بن حكيم السلمي الذي ضرب به المثل فقيل (افتك من الجحاف) وخبر فتكه ان عمير بن الحباب السلمي كان ابن عمه فنهض في الفتنة التي كانت بالشام بين قيس وكلب بسبب الزبيرية والمروانية فلقى في بعض تلك المغاورات خيلا لبني تغلب فقتلوه فلما اجتمع الناس على عبد الملك بن مروان ووضعت تلك الحروب أوزارها دخل الجحاف على عبد الملك والاخطل عنده فالتفت اليه الاخطل فقال

ألا سائل الجحاف هل هو ثائر ‌ ‌ ‌ ‌ لقتلى أصيبت من سليم وعامر

فقال الجحاف مجيباً له

بلى سوف أبكيهم بكل مهند ‌ ‌ ‌ ‌ وأبكى عميراً بالرماح الخواطر

ثم قال يا ابن النصرانية ما ظننتك تجترىء على بمثل هذا ولو كنت مأسوراً فخم الاخطل فرقا من الجحاف فقال عبد الملك لا ترع فاني جارك منه فقال الاخطل يا أمير المؤمنين هبك تجيرني منه في اليقظة فكيف تجيرني في النوم فنهض الجحاف من عند عبد الملك يسحب كساءه فقال عبد الملك ان في قفاه لغدرة ومر الجحاف لطيته وجمع قومه واتى الرصافة ثم سار الى بني تغلب فصادف في طريقه أربعمائة منهم فقتلهم ومضى الى البشر وهو ماء لبني تغلب فصادف عليه جمعاً من تغلب فقتل منهم خمسمائة رجل وتعدى الرجال الى قتل النساء والولدان فيقال ان عجوزاً نادته فقالت حربك الله يا جحاف أتقتل نساء أعلاهن ثدي وأسفلهن دمى فانخزل ورجع فبلغ الخبر الاخطل فدخل على عبد الملك وقال

لقد اوقع الجحاف بالبشر وقعة ‌ ‌ ‌ ‌ الى الله منها المشتكى والمعول

فاهدر عبد الملك دم الجحاف فهرب الى الروم فكان بها سبع سنين ومات عبد الملك وقام الوليد بن عبد الملك فاستؤمن للجحاف فامنه فرجع — أبو براء هو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة فارس قيس ويقال له ملاعب الاسنة ضرب به المثل فقيل (افرس من ملاعب الاسنة) سمي بذلك لقول أوس بن حجر فيه

ملاعب أطراف الاسنة عامر ‌ ‌ ‌ ‌ فراح لها حظ الكتيبة أجمع

الصُّفُوفِ حُتُوفٌ . أَوْ أُسُودٌ أَظَافِرُهَا السُّيُوفُ وَكَأَنَّهُمْ مِنْ حُبِّهِمْ لِلْقِتَالِ يَرَوْنَ

اخذ اربعين مرباعاً فى الجاهلية وهو أحد بنى أم البنين الخمسة الذين يفتخر بهم لبيد فى رجزه المشهور وهو الذى يقول فيه

نحن بنو أم البنين الاربعة ونحن خير عامر بن صعصعه
والمطعمون الجفنة المدعدعة والضاربون الهام تحت الخيضعه

وهم مالك بن جعفر وطفيل ابو عامر المشهور الذى يضرب به المثل ايضاً فيقال افرس من عامر بن الطفيل وربيعة بن مالك وعبيدة بن مالك ومعاوية بن مالك وجعلهم لبيد اربعة لاجل القافية

(المعنى) يقول أن جند صلاح الدين حمس بواسل يلاقى منهم عدوهم أمثال الجحاف وأبى براء الفارسين المشهورين

(١) الحتوف جمع حتف وهو الموت

(المعنى) يقول كأنهم فى وسط الصفوف من العدو موت يجول فيهم أو أسود لهم أظفار من سيوفهم . قال بعض بنى مازن

يباشر فى الحرب المنايا ولا يرى لمن لم يباشرها من الموت مهربا
أخو غمرات مايوزع جأشه اذا الموت بالموت ارتدى وتعصبا

وقال ود أل بن نديل المازنى

مقاديم وصالون فى الروع خطوهم بكل رقيق الشفرتين يمانى
اذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم لاية حال أم بأي مكان

وقال بعض بنى مازن

وقد علموا بأن الحرب ليست لاصحاب المجامر والخلوق
ضربناكم على الاسلام حتى أقمناكم على وضح الطريق

ووصف بعضهم جنده فقال أنهم مكتهلون فى شبابهم غضيضة عن الشر أعينهم ثقيلة عن الباطل أرجلهم أنضاء عبادة واطلاح سهر ينظر الله اليهم فى جوف الليل منحنية أصلابهم مع أجزاء القرآن كلما مر أحدهم بآية من ذكر الجنة بكى شوقاً اليها واذا مر بآية من ذكر النار شهق شهقة كأن زفير جهنم بين أذنيه موصول كلالهم بكلالهم كلال الليل بكلال النهار اذا أكلت الارض ركبهم

النَّقْعَ لَيْلَ وِصَالٍ تَمُوجُ عَلَى صُدُورِهِمُ الفَضْفَاضَةُ السَّلُوقِيَّةُ . وَالزَّغْفُ الْحُطَمِيَّةُ .

وأيديهم وأنوفهم وجباههم استقلوا ذلك فى جنب الله حتى اذا راوا السهام قد فوقت والرماح قد أشرعت والسيوف قد انتصبت ورعدت الكتيبة بصواعق الموت وبرقت استخفوا بوعيد الكتيبة لوعيد الله ومضى الشاب منهم قدما حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه وتخضب بالدماء محاسن وجهه . وقال عبد العزيز بن زرارة فى الجلد وقلة المبالاة

وليلة من ليالى الدهر كالحة باشرت فى هولها مرآى ومطلعاً
ونكبة لو رمى الرامى بها حجراً أصم من جندل الصوان لانصدعا
مرت على فلم أطرح لها سلبى ولا اشتكيت لها وهناً ولا جزعاً

وقال الشنفرى

وانى لحلو ان أريدت حلاوتى ومر اذا نفس العزوف أمرت
أبى لما آبى سريع افادتى الى كل نفس تنتحى فى مسرتى
اذا ما أتتنى ميتتى لم اباها ولم تذر خالاتى الدموع وعمتى

(١) النقع الغبار

(المعنى) يقول أنهم من شدة حبهم للقتال وشغفهم به يخيل لهم أن سواد النقع وتلبده ليل وصال وهذا المعنى حسن جميل . قال ابن الرومي

ومعترك تبدو نجوم حديده وقد لفه ليل من النقع أقتم
شهدت القنا فيه تعطف والظبا تفلل والبيض الحصين تحطم
فلم أك ممن حاص عن غمراتها ولا غاص فيها حيث غاص المغنم
ولم أغشها الا عليما بأنها هى المجد أو مطرودة الحد سيلم

وقال الشريف الرضى

خفاف على أثر الطريدة فى الفلا اذا ماجت الرمضاء واختلط الطرد
كأن نجوم القذف تحت سروجها تهاوى على الظلماء والليل مسود
يعيد عليها الطعن كل ابن همة كأن دم الاعداء فى فمه شهد
يضار به حتى ما الصارمه قوى ويطعن حتى ما لذابله جهد
اذا عربى لم يكن مثل سيفه مضاء على الاعداء أنكره الجد

وَكأَنَّ كلَّ دِرْعٍ رُدْنٌ هَلْهَالٌ . أوْ غَدِيرٌ تحرَّكَ عَلَيْهِ شَمَالٌ[١] وَفى أيْدِيهِمُ السُّيُوفُ اليَزَنِيَّةُ . وَالسِّهَامُ الحِجْرِيَّةُ[٢] . وَكأَنَّ كلَّ سِنَانٍ أرْقَمُ . وَكلَّ كِنَانَةٍ

---

(١) تموج أى تضطرب فيبدو لها لألاء الفضفاضة الدروع الواسعة . السلوقية نسبة الى قرية باليمن تنسب اليها الدروع . الزغف الدروع الواسعة اللينة . الحطمية نسبة الى رجل يقال له حطمة بن محارب كان يصنع الدروع . الردن بالضم أصل الكم الهلهال الرقيق من الثياب والمقصود به هنا الرقيق من الدروع. الشمال بالفتح وبالكسر الريح التى تهب من قبل الحجر بين مطلع الشمس وبنات نعش

(المعنى) يقول وعليهم دروع تموج فكأن كل درع لدقته ثوب رفيق أو أنه فى لألائه غدير موجته الريح الشمالية فهو متموج .قال أبو العلاء المعرى يصف درعاً

وهي بيضاء مثل ما أودع الصيف	فحى أو هد نطفة الشؤبوب
فاذا ما نبذتها فى مكان	مستوهم سردها بالدبيب
كهلال الحياة أو كقميص	لهلال الحيات غير مجوب
واذا صادفت حدورا جرت فيه	اراق الشريب ماء الذنوب
كف ضرب الكماة فى كل هيج	فضلات من ذيلها المسحوب
نثرة من ضمانها للقنا الخطى	عند اللقاء نثر الكعوب
مثل وشى الوليد لانت وان كا	نت من الصنع مثل وشى حبيب

(٢) اليزنية نسبة الى ذى يزن وهو ملك لحمير . الحجرية نسبة الى ديار ثمود وقيل بلادهم بالشام عند وادى القرى

(المعنى) يقول وفى ايديهم السيوف المنسوبة الى ذى يزن والسهام المنسوبة الى ثمود وهى أحسن السيوف والسهام قال البحترى يصف السيف

ماض وان لم تمضه يد فارس	بطل ومصقول وان لم يصقل
يغشى الورى فالرمح ليس بجنة	من حده والدرع ليس بمعقل
مصغ الى حكم الردى فاذا مضى	لم يلتفت واذا قضى لم يعدل
متوقد يفري بأول ضربة	ما أدركت ولو انها فى يذبل
واذا أصاب فكل شيء مقتل	واذا اصيب فما له من مقتل

جِلْدَةُ شَيْهَمٍ ١

كَأَنَّ شُمُوساً نَازَعَتْ شُمُوسَا

دُرُوعَنَا وَالبِيضَ وَالتُرُوسَا ٢

أَخَذُوا قِسِيَّهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ

وقال الشماخ يصف القوس

اذا انبض الرامون عنها ترنمت ترنم ثكلى اوجعتها الجنائز

وقال آخر فيها

وهى اذا انبضت عنها تسمع ترنم الثكلى أبت لا تهجع

وقال أبو العيال الهذلى فى السهام

فترى النبال تغير فى اقطارها شمساً كان نصالهن السنبل

(١) الكنانة جعبة تجعل فيها السهام . الشيهم ذكر القنافذ وقيل ماعظم شوكه من ذكورها جمع شيام

(المعنى) يقول وكان كل سنان ثعبان فى التوائه وتعرجه وكان كل كنانة جلدة قنفذ وذلك لمشابهة السهام التى فيها لشوك القنفذ وهو معنى دقيق جدا . قال مزرد بن ضرار يصف الرماح

ومطرد لدن الكعوب كانما يغشاه منباع من الزيت سائل

أصم اذا ماهز مارت سراته كما مار ثعبان الرمال الموائل

له فارط ماضى الفرار كانه هلال بدا فى ظلمة الليل ناحل

وقال أبو تمام

من كل أزرق نظار بلا نظر الى المقابل ما فى متنه اود

كانه كان ترب الحب من زمن فليس يعجزه قاب ولا كبد

(٢) التروس جمع ترس بالضم وهو صفحة من الفولاذ مستديرة تحمل للوقاية من السيف ونحوه

(المعنى) يقول كان الدروع والسيوف والتروس لتموجها و بريقها ولمعانها شموس اختلطت

يَتَعَظَّلُونَ تَعَظُّلَ النَّمْلِ

وَإِذَا تَكَافُحٌ وَجِلادٌ. وَأَبْطَالٌ فِي عُصْوَادٍ. وَجُسُومٌ تَحْتَ الصَّعِيدِ وَرُؤُوسٌ فَوْقَ الصِّعَادِ ٢. وَعِثْيَرٌ فِي العَنَانِ. كَادَتْ تُفَرِّخُ فِيهِ العُقْبَانُ. أَصْبَحَتِ الأَرْضُ بِهِ سِتًّا والسَّمَاءُ ثَمَانٍ ٣ وَخَيْلٌ تَنْزَعُ قِبًّا. وَتَضْبَحُ وَثْبًا. كَأَنَّهَا فِي الجَدَدِ.

بشموس فكان لها لالاء شديد

(١) يتعظلون يقال تعظل القوم على فلان اجتمعوا عليه

(المعنى) يقول انهم لكثرتهم وأخذهم وردهم في ساحة الحرب وبايديهم قسيهم كالنمل في اجتماعه وتداخله البعض في البعض. قال ابان بن عيدة

بجيش تظل البلق في حجراته ... بيثرب أخراه وبالشام قادمه
اذا نحن سرنا بين شرق ومغرب ... تحرك يقظان التراب ونائمه

(٢) التكافح التضارب تلقاء الوجوه. الجلاد التضارب بالسيوف. العصواد بالضم والكسر الجلبة والاختلاط في ضرب أو خصومة. الصعيد التراب وقيل وجه الارض. الصعاد جمع صعدة وهي القناة المستوية

(المعنى) يقول وقد ابتدأ الكفاح والجلاد وعلا الصخب واللغب فاذا بالاجسام تحت التراب والرؤوس فوق الرماح: قيل لما بلغ عبد الله بن الزبير قتل المصعب خطب في الناس فقال في خطبته «أما والله لا نموت حتف أنوفنا ولكن قصفا بالرماح وموتا تحت ظلال السيوف ليس كما يموت بنو مروان». أقول والغريب انه لا يعلم في العرب ستة قد قتلوا في بيت واحد غير ال الزبير قتل عمارة يوم قديد وقتل أبوه مصعب في الحرب بينه وبين عبد الملك وقتل أبوه الزبير بوادي السباع وقتل أبوه العوام يوم الفجار وقتل أبوه خويلد في الجاهلية

(٣) العثير الغبار. العنان السحاب. تفرخ أي تصير ذات فرخ. العقبان جمع عقاب وهو طائر معروف

(المعنى) يقول ان الجنود أثاروا العثير حتى تلبد في الجو على رؤوسهم فكادت تفرخ فيه العقبان فكأنهم رفعوا أرضاً من الارضين السبع صارت به السموات السبع ثمان والارضين ستا

طيرٌ تنْجُو مِنَ الشُؤْبُوبِ ذِي البَرَدِ

وَالعَادِيَاتِ أَسَابِيُّ الدِّمَاءِ بِهَا
كأنَّ أَعْنَاقَهَا أَنْصَابُ تَرْجِيبِ [٢]

وَطَعنٌ كَلُّ طَعنَةٍ نَجلاءَ. لاَ يَنْفَعُ فِيهَا عَصَائِبُ الخُمُرِ وَلاَ ثَمَرُ الرَّاءِ [٣]

تَعلُو السيُوفُ بأيْدِيهِمْ جَمَاجِمَهُمْ
كَمَا يفلِّقُ مَرْوَ الأمْعَزِ الضَّرَحُ [٤]

---

(١) تنزع يقال نزع الفرس أي جرى. قبا أي ضمر خصره ودق وتنزع قبا أي من الضمر والدقة . تضبح تصوت فتسمع من أفواهها صوتاً ليس بصهيل ولا حمحمة وهو صوت أفواهها عند العدو . الجدد ما استرق من الرمل والارض الغليظة ومنه المثل (من سلك الجدد امن العثار) : الشؤبوب الدفعة من المطر • البرد حب الغمام

(المعنى) يقول والخيل تثب وتضبح كأنها وهى تعدو فى الجدد مسرعة طيور ذعرت من سقوط المطر فطارت مسرعة الى أوكارها لتنجو من البلل

(٢) العاديات الخيل الواحد عاد والانثى عادية • الاسابى الطرائق من كل شيء الواحدة اسباءة • انصاب ترجيب هو نصب ينصب لذبح رجب

(المعنى) يقول والخيل وقد خضبت بالدماء كان اعناقها تلك الانصاب التى جعلت ليذبح عليها فى رجب

(٣) الطعنة النجلاء أى الواسعة • العصائب جمع عصابة بالكسر وهى ما عصب به من منديل ونحوه • الخمر جمع خمار بالكسر النصيف وهو ما تغطى به المرأة راسها • ثمر الراء هو شجر واحدته راءة يذر على الجرح فيشفيه

(المعنى) يقول وكانوا يطعنون اعداءهم طعناً كل طعنة واسعة لا تشفى اذا عصبت بالخمر ولا يداويها ثمر الراء

(٤) الجماجم جمع جمجمة وهى عظم الرأس المشتمل على الدماغ • المرو حجارة بيض براقة • الامعز الارض الصلبة • الضرح الشق

(المعنى) يقول أن سيوفهم بايديهم تعلو جماجم الاعداء فتفلقها كما يفلق الحجارة الشق.
هذا وقد آن لنا ان نذكر باختصار جيوش العرب واسلحتها ووقائعها وفتوحاتها البرية والبحرية تتميما للفائدة فنقول. كانت اسفارهم لغزواتهم وحروبهم بظعونهم وسائر رحالهم واحيائهم من الاهل والولد وكانت النساء فى الحروب يقمن خلف الرجال ليقاتل الرجال ذبا عنهن فلا ينشلون مخافة العار بسبي الحرم. وكان الشعر فى حروب الجاهلية يقوم بمزية الآلات الموسيقية او القرع فى الطبول أو النفخ بالآلات عند العجم فكانوا فى خروجهم للغزوات يتغنون بالشعر فى مواكبهم فيطربون وتجيش نفوس الابطال عليه ويسارعون الى مجال الحرب وينبعث كل قرن الى قرنه واما القرع على الطبول والنفخ فى الابواق فلم يستعمله العرب فى حروبهم وما كان عندهم الا بعد الاسلام فى أيام العباسيين فى المشرق والعبيديين فى المغرب وكانوا ينصبون الرايات على أبواب بيوتهم لتعرف بها وكانوا يفتخرون بالراية الصفراء لانها راية لملوك اليمن واما الرايات الحمر فهي لاهل الحجاز وكان من عادة العرب قتل اسرى الحروب فان من أمثالهم المضروبة (ليس بعد السلب الا الاسار وليس بعد الاسار الا القتل) ولكن اذا اكل الاسير وشرب من مال من أسره امن من القتل فاذا منوا عليه واطلقوه جزوا ناصيته وكان الشريف اذا أسرى فدى بابل كثيرة ثم لما جاء الاسلام أبطل الاسر من العرب لما ورد فى الحديث لا سبأ على عربى ولا سبأ فى الاسلام ولا رق على عربى فى الاسلام وكانوا يقاتلون بالكر والفر ولا يعتبرون قتال الزحف صفوفا المعتبر عند سواهم من الاعاجم وكانوا يصفون الابل والظهر الذي يحمل ظعانهم وراء عسكرهم فيكون فئة لهم ويسمونها المجبوذة ثم فى مبادىء الاسلام جعل العرب حروبهم زحفا وابطلوا الكر والفر وذلك لسببين الاول ليقابلوا أعداءهم بمثل مقاباتهم والثانى لانهم كانوا مستميتين فى حروبهم والزحف اقرب الى الاستماتة وقد جاء القرآن بذلك (ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص) وكانت العرب تحسن حمل السلاح ويعدون للحرب عدتها من مثل الرمح والسيف والدرع والترس والقوس وغيرها من انواع الاسلحة المتعددة الاسماء والاوصاف. وكان من عادتهم انه اذا التقت فئتان منهم شد كل واحدة منهما زجاج الرماح نحو صاحبتها ومشى الساعون فى الصلح فان ابتا الا التمادي فى القتال قلب كل منهما الرماح واقتتلتا بالاسنة ولذلك يقولون فى المثل من عصى اطراف الزجاج اطاع عوالى الرماح وعالية الرمح ضد سافلته. وكانوا من شدة عشقهم للحروب وشغفهم بها يسمون سيوفهم باسماء اشتهرت بها وعرفت فمن ذلك ذو الفقار وذو الحيات وذو النون الى غير ذلك من الكنى والالقاب هذه

وَإِذَا العُدَاةُ بينَ هَارِبٍ بِذَمَائِهِ . وَبَارِكٍ مُتَجَعْجِعٍ فِي دِمَائِهِ

وَآخَرَ قَسْرًا أَنْزَلَتْهُ رِمَاحُنَا

فَعَالَجَ غُلاًّ فِي ذِرَاعَيْهِ مُقْفَلاَ

وَإِذَا جُمُوعُهُمْ كأَنَّهَا عَرْفَجٌ علِقَتْ بِهِ نَارٌ . أَوْ لَيْلٌ كَشَفَهُ نَهَارٌ[٢] . وَإِذْ بِالقُدْسِ قَدْ فُتِحَ لِلْمُسْلِمِينَ . وَكَانَتِ العَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ[٣]

كيفية حروبهم فى البر أيام الجاهلية ولم نعلم انهم حاربوا فى البحر ابدا الا بعد الاسلام فى ايام معاوية رضى الله عنه فانه مهد للمسلمين ركوب البحر والجهاد على اعواده واستخدم لهم من النوتية فئة تكررت ممارستها للبحر وانشأ السفن والشوانى (جمع شونة وهى مركب الحرب والقتال والعظيم منها يسمى بارجة) الى ان بلغت فى ايامه الفاً وسبعمائة واختصوا بذلك من ممالكهم وثغورهم ماكان اقرب للبحر وعلى حافته وكانوا يسمون صاحب قيادة الاساطيل (الملندا) نقل من لغة الافرنج وانشأ عبد الملك بن مروان دار الصناعة فى تونس لعمل الالات البحرية وما زال امر العرب يتقوى فى البحر حتى سادوا عليه جميعا واتسعت بذلك ممالكهم وافتتحوا كثيرا من السواحل والجزائر واتسعت تجارتهم اتساعا عظيما

(١) العداة جمع عادى وهو العدو ومنه قول امرأة من العرب (اشمت رب العالمين عاديك) أى عدوك . الذماء البقية . المتجعجع الضارب بنفسه الارض. القسر القهر. الغل الطوق من الحديد او القد يجعل فى العنق او فى اليد

(المعنى) يقول كلما كادت ان تنتهى الحرب اذا بالاعداء كل واحد منهم اما هارب بما بقى فيه من حياة واما جريح يتخبط فى دمائه واما مأسور يعالج قيده المقفل

(٢) العرفج شجر سهلى واحدته بهاء

(المعنى) يقول واذا بجموع العدو اضحت كالعرفج الهشيم فسرعان ماتسرى فيه النار اوكالليل الذى كشفه نور النهار وضوؤه

(٣) (المعنى) يقول فبعد ذلك فتح الله القدس للمسلمين وكانت العاقبة لمن اتقى وصبر . قال شاعر يصف قلعة عظيمة بعد هدم

مَحَا النَّاقُوسَ وَالصُّلْبَانَ عَنْهُ
وَأَثْبَتَ هَلْ أَتَى فيهِ وَطَاهَا

ابى

سَقَتْ رَحْمَةُ اللهِ الضَّرِيحَ وَمَا ضَمَّا

وحلقاء قدتاهت على من يرومها   بمرقيها العالى وجانبها الصعب
يزر عليها الجوجيب غمامه   ويلبسها عقداً بأنجمه الشهب
فابرزتها مهتوكة الجيب بالقنا   وغادرتها ملصوقة الخد بالترب

وسأل عثمان رضى الله عنه بعض من وفد عليه عن حصن بناحية هراة فقال

محقلة دون السماء كانها   غمامة صيف زال منها سحابها
فما يبلغ الاروى شماريخها العلى   ولا الطير الا نسرها وعقابها
وماخوفت بالذئب ولدان اهلها   ولا نبحت الا النجوم كلابها

(١) الناقوس مضراب النصارى . الصلبان جمع صليب وهو العود الذى تزعم النصاوى أن المسيح صلب عليه . هل اتى سورة هل اتى وهى من القرآن . طه سورة من القرآن واسم من اسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم

(المعنى) يقول محا الناقوس والصلبان من القدس وأقام فيه امر الاسلام

قبل أن نبدأ فى شرح هذه القصيدة نأتى بنبذة فى تاريخ بيت سماحة المؤلف نختصرها من خطط المرحوم على باشا مبارك قال . بيت أسس على التقوى بدعا ئم المجد الاثيل . وشرف سما هامة الثرايا فليس يحتاج فضله الى اقامة دليل . الفخار شعاره . ولو قارد ثاره فهو الغنى عن الاطراء . والاسهاب فى الثناء . كيف لا وهو البيت المشيد البناء . والشجرة المباركة التى اصلها ثابت وفرعها فى السماء . قد اجاب الحق سبحانه وتعالى فى تلك السلالة الشريفة دعاء جدها الصديق بقوله وأصلح لى فى ذريتى فليس فى أغلب المعمورة الاسلامية من جميع الانحاء مكان لا وقد طلعوا فيه بدور امنيرة • وأينعوا به رياضا زاهية نضيرة . مناهلها غزيرة . لا تنتك عنها

أعين المجد قريرة حتى ذكر سيدى أبو الحسن البكرى فى تفسيره أن جماعة من الاولياء وأكابر العلماء كانوا من البكرية المتصلين بهذا النسب الشريف لكنهم من بيت آخر وان كانت الشجرة المباركة تجمعهم الى الغاية القصوى وهى نسب سيدنا أبى بكر رضى الله عنه كالشيخ فخر الدين الرازى صاحب التفسير والشيخين الكبيرين عبد الرحمن بن الجوزى وعبد الرحمن البسطامى ومجد الدين صاحب القاموس والشيخ شمس الدين محمد الحنفى وكالامام بن الوردى بدليل قوله فى لاميته غير انى أحمد الله على نسبى اذ بأبى بكر اتصل

وغير ذلك من العلماء والفضلاء الذين طلعوا على الدنيا بدور هدى اذ منهم العالم الجليل والكاتب النبيل والشاعر المجيد والورع الصالح والولى التقى ممن خلص نسبهم وتمحص حتى قال شيخ السنة الشيخ عبد السلام اللقانى (كل الانساب داخلها الكذب الا ان الانسبة البكرية الى الصديق فانها صحيحة مقطوع بها ولنذكر هنا سلسلة البيت الطاهر نقلا عنها أيضاً تماماللفائدة فنقول ان مؤلف هذا الكتاب هو حضرة صاحب السماحة السيد محمد توفيق البكرى بن السيد على افندى البكري بن السيد محمد افندى البكرى بن السيد محمد أبى السعود بن السيد محمد بن السيد عبد المنعم بن السيد محمد البكرى بن السيد أبى المواهب بن السيد محمد أبى المواهب زين العابدين ابن السيد محمد بن السيد محمد أبى السرور زين العابدين بن السيد محمد ابى المكارم زين العابدين ابيض الوجه بن السيد محمد أبى الحسن المفسر بن السيد محمد ابى البقاء جلال الدين بن السيد عبد الرحمن جلال الدين بن السيد احمد بن السيد محمد بن السيد احمد بن الشيخ محمد بن الشيخ عوض بن الشيخ عبد الخالق بن الشيخ عبد النعم بن الشيخ يحيى بن الشيخ الحسن بن الشيخ موسى بن الشيخ يحيى بن الشيخ يعقوب بن الشيخ نجم بن الاستاذ عيسى بن الاستاذ شعبان بن الاستاذ عيسى بن الاستاذ داود بن الاستاذ محمد بن الاستاذ نوح بن الاستاذ طلحة بن سيدى عبدالله الصديقى بن سيدى عبدى الرحمن الصحابى بن سيدنا ومولانا ابى بكر الصديق عبدالله رضى الله تعالى عنه وعنهم اجمعين. بن ابى قحافة عثمان ابن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خذيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .. فيجتمع الصديق رضى الله تعالى عنه مع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجد السادس وهو مرة بن كعب كما تقدم هذا هو النسب البكرى وأما النسب الحسنى فمن جهة أم جدهم السادس عشر السيد احمد لانه ابن السيدة الشريفة فاطمة بنت ولى الله تعالى السيد تاج الدين بن السيد محمد بن السيد

وَرَوَّتْ بِهِ هَاماً وَرَوَّتْ بِهِ عَظْماً [1]
يَعُزُّ عَلَى العَلْيَاءِ أَنْ يَسْكُنَ النَّدَى
تُرَاباً وَأَنْ نُلْقِي بِهِ الحَسَبَ الضَّخْمَا [2]
وَأَنْ تُسْكِتَ الأَحْدَاثُ مِحْرَابَ مَاجِدٍ

عبدالملك ابن السيد عبد المؤمن بن السيد عبد الملك بن السيد يرحم بن السيدحسان ابن السيدسليمان بن السيدمحمد بن السيدعلى بن السيد محمد بن السيدعبدالملك بن السيدالحسن المكفوف بن السيدعلى بن السيدالحسن المثلث بن السيدالحسن المثنى بن سيدنا الحسن البسط ابن سيدتنافاطمة بنت سيدناومولانا محمدرسول الله صلى الله عليه وسلم وابن سيدناعلى بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وكرم وجهه. وهؤلاء السادة نسبة الى سيدناعمر الفاروق رضى الله تعالى عنه ففى كتاب العمدة نقلاعن الاستاذ أبى المكارم الصديقى انه قال «وبحمده تعالى جدتى لوالدتى من بنى مخزوم فولدنى من قريش ثلاثة بيوت. بنوتيم. وبنو مخزوم . وبنو هاشم .وذلك فضل الله يوتيه من يشاء» ثم قال (والذى فاق الحب والنوي وعلى العرش استوى ليس اعتمادى الاعليه ولااثتى الابه) انتهى ملخصاًعن كتاب الخطط لعلى باشا مبارك وقد ذكرعجالة مختصرة من ترجمة كل واحدمن السادة البكرية ممن ذكرهم فى هذه السلسلة الوثيقة فمن ارادها فليطلبها من محالها فى الكتاب المذكور

(١) رحمة الله مغفرته . الضريح القبر . ضم جمع . روت سقت . الهام جمع الهامة وهى الرأس

(المعنى) يقول سقى الله برحمته هذا الضريح وما ضمه من مجد عظيم وشرف باذخ وروى هامات وعظاما يحويها

(٢) يعز يشق الندى الكرم . الحسب مايكون للرجل من الرفعة والشرف . الضخم العظيم

(المعنى) يقول يعز على المجد والشرف أن يسكن الكرم فى الثري وأن نضع فيه الحسب العظيم . قال الشاعر

اذا ما دعوت الصبرا بعدك والبكا أجاب البكا طوعا ولم يجب الصبر

وَكَانَ بِهِ التَّسْبِيحُ يُفْعِمُهُ فَعْمَا

كَأَنَّكَ كَنْزٌ قَدْ دَفَنَّاهُ فِى الثَّرَى

كَأَنَّكَ غُنْمٌ قَدْ أُحِيلَ لَنَا غُرْمَا ٢

كَأَنَّكَ شَمْسٌ وَالْجُفُونُ غَمَائِمٌ

فَمُذْ حُجِبَتْ أَضْوَاؤُكَ انْسَجَمَتْ سَجْمَا ٣

***

فان ينقطع منك الرجاء فانه سيبقى عليك الحزن ما بقى الدهر

(١) الاحداث جمع حدث وهو الامر الحادث المنكر والنازلة. المحراب مقام الامام التسبيح مصدر سبح أى قال سبحان الله. يفعمه يملأه

(المعنى) يقول وشق على العلياء أيضاً ان تسكت احداث الزمان محراب ساجد الله قائم بطاعته وقد كان التسبيح يملأ ذلك المحراب ويفعمه.

(٢) الكنز المال المدفون فى الارض. الثرى التراب. الغنم الغنيمة. الغرم الغرامة

(المعنى) يقول كأنك وقد دفناك فى التراب كنز مدفون أو كأنك لما كنت بيننا غنم فاستحال الى غرم بعد موتك من فجيعتنا بك. قال عبد المحسن الصوري

قالوا ألم تحضر علياً بعد ما دفنوه قلت هناك بئس المحضر

لا أستطيع أرى المعالى بينكم محمولة وأرى المكارم تقبر

لم يعص قبلك من أراه اسوة فاقول هذا مثل ذاك فأصبر

ما كان أكثرهم وأنت حيالهم وأقلهم اذ شيعوك وكبروا

(٣) انسجمت أمطرت

(المعنى) يقول كأنك شمس وكأن جفوننا غمائم فان حجبت الشمس انسجمت هذه الغمائم والشمس اذا حجبت أمطر الغمام عادة. قال منصور النميرى

سأبكيك مافاضت دموعى فان تغض فحسبك منى ماتجن الجوانح

كأن لم يمت حى سواك ولم تقم على أحد الا عليك النوائح

أَلاَ فِي جِوَارِ اللهِ مَوْلًى عَهِدْتُهُ
يُجِيرُ عَلَى الأَيَّامِ إِنْ وَهَصَتْ ظُلْماً ١
لَهُ كَنَفٌ يُنْمَى لآلِ مُحَمَّدٍ
تَؤُمُّ المُلُوكُ الصِّيدُ أَبْوَابَهُ أَمًّا ٢
وَكَفَّانِ كَانَا كَالفُرَاتِ وَدِجْلَةٍ

لئن حسنت فيك المراثى وذكرها لقد حسنت من قبل فيك المدائح
فما أنا من رزء وان جل جازع ولا بسرور بعد موتك فارح

(١) ألا استفتاحية . جوار الله أي عهده وأمانه . وهص كلة جامعة من معانيها كسر ورمى ووطىء بالقدم وخرب وشدخ الرأس

(المعنى) يقول ألا فى ذمة الله وعهده مولى عهدنا به ان عض الدهر بانيابه ورمي بالفادح المثقل أجار منه ومن ظلمه . قال محمد بن منصور

انعى فتى الجود الى الجود فما مثل من انعى بموجود
أنعى فتى مص الثرى بعده بقية الماء من العود
فانثلم المجد به ثلمة جانبها ليس بمسدود
اليوم تخشى عثرات الندى وعدوة البخل على الجود

(٢) الكنف الجانب والمراد به هنا الموئل والملجأ . الآل الا هل تؤم تقصد . الصيد جمع أصيد وهو الملك الذى لا يلتفت يميناً ولا شمالاً من زهوه . اما قصدا

(المعنى) يقول له جانب ينسب لآل محمد صلى الله عليه وسلم تقصده عظماء الملوك وتؤمه

وقال حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه يرثى أمير المؤمنين أبا بكر الصديق

اذا تذكرت شجوا من أخي ثقة فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعدلها بعد النبى وأوفاها بما حملا
الثانى اثنين والمحمود مشهده وأول الناس طرا صدق المرسلا
وكان حب رسول الله قد علموا من البرية لم يعدل به رجلا

يَرِيشَانِ مَنْ خصًّا بِجُودٍ وَمَنْ عَمَّا

(١) الفرات نهر عظيم من أشهر انهار الدنيا قيل ان منبعه في ارمينيا ثم يتحول الى انهر عديدة ثم يصب فى دجلة فتصير دجلة والفرات نهراً واحداً عظيما وقد ورد الفرات في الشعر العربى فمن ذلك قول رفاعة بن أبي الصيفى

ألم ترها متى من حب ليلى   على شاطى الفرات لها صليل
فلو شربت بصافى الماء عذب   من الاقذاء زايلها العليل

دجلة نهر بغداد لا تدخله الالف واللام ومنبعه من موضع يقال له عين دجلة على مسيرة يومين ونصف من آمد وهذا النهر يتفرع منه انهار كثيرة على جملة جهات . وللشعراء فى وصف دجلة كلام طويل نأتى هنا بما فيه الكفاية منه . قال أبو العلاء المعري

سقيا لدجلة والدنيا مفرقة   حتى يعود اجتماع النجم تشتيتا
وبعدها لا أحب الشرب من نهر   كانما أنا من أصحاب طالوتا
ذم الوليد ولم اذمم بلادكم   اذ قال ما انصفت بغداد حوشيتا

ولابن التمار الواسطى يصف ضوء القمر على دجلة

قم فاعتصم من صروف الدهر والنوب   واجمع بكأسك شمل اللهو والطرب
أما ترى الليل قد ولت عساكره   مهزومة وجيوش الصبح فى الطلب
والبدر فى الأفق الغربى تحسبه   قد مد جسرا على الشطين من ذهب

يريشان مضارع راش يقال راش فلان فلاناً نفعه وأغناه وأعانه . خص خصص . عم شمل (المعنى) يقول ولأبي كفان كان لمجتديهما كنهر الفرات ونهر دجلة فى نفعهما ودرهما الخصب على الناس وكانا يغنيان وينفعان الخاص والعام والقريب والبعيد . وقال الأبيرد الرياحى

فتى الحى والاضياف ان روحتهم   بليل وزاد السفر ان أرمل السفر
سلكت سبيل العالمين فما لهم   وراء الذى لاقيت مغدى ولا قصر
وكل امرىء يوماً سيلقى حمامه   وان نأت الدعوى وطال به العمر
وابليت خيراً فى الحياة وانما   ثوابك عندى اليوم أن ينطق الشعر

وقالت الخنساء

ألا هبلت أم الذين غدوا به   الى القبر ماذا يحملون الى القبر

وَعِلْمٌ هُوَ اليَمُّ الَّذِى قَدْ تَنَوَّرَتْ
أَوَاذِيُّهُ الوُرَّادُ فَاسْتَصْغَرُوا اليَمَّا
وَبَطْشٌ لِمَنْ عَادَاهُ تَحْسَبُ أَنَّهُ
شِهَابٌ هَوَى فِي إِثْرِ عِفْرِيَةٍ رَجْمَا ٢
وَصَدْرٌ هُوَ الدَّهْنَاءُ فِى الأَزْمِ فُسْحَةً
وَلَيْلَةُ سِرٍّ عِنْدَ أَسْرَارِهِ كَتْمَا ٣

وماذا يوارى الموت تحت ترابه من الجود يابؤس الحوادث والدهر
فشأن المنايا اذ أصابك ريبها لتعدو على الفتيان بعدك أو ترى

(١) اليم البحر . تنورت تبصرت • الاواذى امواج البحر • الوراد جمع وارد وهو من يرد الماء

(المعنى) يقول وكان رحمه الله عالما علمه كاليم وهو البحر الخضم الذى لو أبصرته وراده لصغر فى أعينهم اليم الحقيقى

(٢) البطش القوة والعنف • الشهاب ما يرى كانه كوكب انقض • العفرية لغة فى عفريت وجمعه عفارية . الرجم مفرد رجم النجوم التى يرمي بها

(المعنى) يقول وكان له بطش وقوة على من عاداه كانه شهاب من شهب الرجم فى هويها اثر عفريت من الجن ممن يسترقون السمع كما ورد فى القرآن العظيم

(٣) الدهناء تقصر وتمد سبعة اجبل من الرمل فى عرضها وبين كل جبلين شقيقة وطولها من حزن ينسوعة الى رمل يبرين وهى من اكثر بلاد الله كلاء مع قلة اعذاء ومياه واذا اخصبت الدهناء ربعت العرب جمعا لسعتها وكثرة شجرها وهى عذاة مكرمة نزهة من سكنها لا يعرف الحمى لطيب تربتها وهوائها. وقد اكثر الشعراء من ذكر الدهناء قال اعرابى حبس بحجر اليمامة

هل الباب مفروج فأنظر نظرة بعين قلت حجر افطال احتمالها
الاحبذا الدهنا وطيب ترابها وارض خلاء يصدح الليل هامها

وَقَوْلٌ عَرِيقٌ فِى الفَصَاحَةِ لَوْ غَدَتْ
تُسَاجِلُهُ عُرْبٌ إِذاً أَصْبَحُوا عُجْمَا

ونص المهارى بالعشيات والضحى الى بتر وحى العيون كلامها
وقالت العيوف بنت اخى ذى الرمة
خليلى قوما فارفعا الطرف وانظرا لصاحب شوق تنظرا متراخيا
عسى ان نرى والله ماشاء فاعل باكثبة الدهنا من الحى باديا
وان حال عرض الرمل والبعد دونهم فقد يطلب الانسان ماليس رائيا
الازم مصدر ازم علينا الدهر اشتد وقتل خيره ليلة سر السرار آخر الشهر وهى ليلة تكون احلك الليالى واكتمها للاشياء لذلك قال الشاعر فى وصف زنجية ولدت لبعض الامراء ولد
وجاءت به ام من الزنج برة كليلة سر الجبت بهلال
(المعنى) يقول وله صدر فسيح الجوانب اذا اشتد دهر او ادلهم خطب اوعض الزمان الضعفاء والمساكين بانيابه العضل وهذا الصدر مع كونه كالدهناء فى الفسحة والرحب يكون لدى الاسرار كليلة السر التى لايظهر فيهـا شىء لحلوكتها . قال الشاعر فى حفظ السر وكتمانه
وفتيان صدق لست مطلع بعضهم على سر بعض غير انى جماعها
يظلون شتى فى البلاد وسرهم الى صخرة اعى الرجال انصداعها
لكل امرىء شعب من القلب فارغ وموضع نجوى لايرام اطلاعها
وقال الاخر
فلا تفش سرك الا اليك فان لكل نصيح نصيحاً
وانى رأيت غوات الرجال لايتركون اديما صحيحا
(١) العريق الاصيل . تساجله تباريه
(المعنى) يقول وله قول أصيل فى الفصاحة لوساجلته العرب وهم ارباب الفصاحة واللسن لاصبحوا أمامه عجماً لكنا ويريد بالعراقة فى الفصاحة ان النبى صلى الله عليه وسلم أفصح من نطق بالضاد وابو بكر رضى الله عنه وعلى وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما كانوا اجداده فسرت اليه

وَعَدْلٌ هُوَ العَدْلُ الَّذِي قَدْ قَضَى بِهِ
أَبُو حَفْصٍ الفَارُوقُ فِي طَيْبَةٍ حُكْمَا
فَهٰذَا أَبِي مِنْ بَيْتِ تَيْمِ بْنِ مُرَّةٍ

فصاحتهم ودبت الى موضع النطق منه فلذلك كان قوله عريقا فى الفصاحة. قالت الخنساء

وقافية مثل حد السنان   تبقى ويذهب من قالها
تسهلتها ثم أرسلتها   ولم يطق الناس ارسالها

وقال شاعر جاهلى

فان أهلك فقد أبقيت بعدى   قوافى تعجب المتمثلينا
لذيذات المقاطع محكمات   لو أن الشعر يلبس لارتدينا

(١) أبو حفص كنية سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ثالث الخلفاء الراشدين وجد الرائى والمرثى وهو اشهر من أن نترجمه فلا حاجة الى ترجمته. طيبة هو اسم لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم يقال لها طيبة وطابة قال ياقوت فى كتابه معجم البلدان عن ذكر طيبة. قرأت بخط أبى الفضل العباس بن على الصولى بن برد الخيار عن خالد عن الشعبى عن فاطمة بنت قيس قالت صعد النبى صلى الله عليه وسلم المنبر وكان لا يصعده الا يوم الجمعة فانكر الناس ذلك فكانوا بين قائم وجالس فأومأ النبى صلى الله عليه وسلم اليهم بيده أن أجلسوا ثم قال: انى لم أقم بمقامى هذا الا لامر ينفعكم ولكن تميما الدارى أخبرنى أن بنى عم له كانوا فى البحر فاخذتهم ريح عاصف فالجأتهم الى جزيرة فاذاهم بشىء أسود أهدب كثير الشعر فقالوا ما أنت قالت أنا الجساسة قالوا أخبرينا فقالت ما أنا بمخبرتكم بشىء ولكن عليكم بهذا الدير فان فيه رجلا وبالاشواق الى محادثتكم فدخلوا فاذا هم بشيخ موثق شديد الوثاق شديد التشكى مظهر للحزن فسألهم من أى العرب انتم فقالوا عن قوم من العرب من أهل الشام قال فما فعل الرجل الذي خرج فيكم قلنا بخير قاتله قومه فظهر عليهم قال فما فعلت عين زعر قالوا يشربون ويسقون قال فما فعل نخل بين عمان وبيسان قالوا يطعم جناه فى كل حين قال فما فعلت بحيرة طبرية قالوا يتدفق جانباها فزفر ثلاث زفرات ثم قال لو قد أفلت من وثاقى هذا لم أدع أرضا الا وطئتها برجلى الا طيبة فانه ليس لى عليها سلطان. ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم الى هذا تنتهى فرحى هذه طيبة والذى

نفس محمد بيده ما فيها طريق واسع ولا دقيق ولا سهل ولا جبل الا عليه ملك الى يوم القيامة وقال عبيدالله بن قيس الرقيات

يامن رأى البرق بالحجازي فما أقبس أيدى الولائد الضرما
لاحسناه من نخل يثرب فالحرة حتى أضا لنا راضما
أسقى به الله بطن طيبـ ـة فالروحاء فالاخشبين فالحرما
أرض بها تثبت العشيرة قد غشنا وكنا من أهلها علما

(المعنى) يقول وكان عادلا فى حكمه فكان عدله العدل الذى كان يقضى به بين الناس فى طيبة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فانه كان شهيراً بالعدل والانصاف

(١) من انتهى اليه الشرف من قريش فى الجاهلية فوصله بالاسلام عشرة رهط من عشرة أبطن وهم . هاشم. وأمية ونوفل. وعبد الدار. وأسد. وتيم . ومخزوم. وعدى وجمح وسهم. فكان من هاشم العباس بن عبد المطلب يسقى الحجيج فى الجاهلية وبقى له ذلك فى الاسلام .وكان من بنى أمية أبو سفيان بن حرب كانت عنده العقاب راية قريش واذا كانت عند رجل أخرجها اذا حميت الحرب فاذا اجتمعت قريش على أحد أعطوه العقاب وان لم يجتمعوا على أحد راسوا صاحبها فقدموه . وكان من بنى نوفل الحارث بن عامر وكانت اليه الرفادة وهى ما كانت تخرجه من أموالها وترفد به منقطع الحاج .وكان من بنى عبد الدار عثمان بن طلحه كان اليه اللواء والسدانة مع الحجابة والندوة أيضاً فى بنى عبد الدار وكان من بنى أسد يزيد بن زمعه ابن الاسود وكانت اليه المشورة وذلك أن رؤساء قريش لم يكونوا يجتمعين على أمر حتى يعرضوه عليه فان وافقهم ولاهم عليه والا تخير وكانوا له أعوانا واستشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطائف . وكان من بنى تيم أبو بكر الصديق رضى الله عنه وكانت اليه فى الجاهلية الاشناق وهى الديات والمغرم فكان اذا احتمل شيئا فسأل فيه قريشا صدقوه وامضوا احمالة من نهض معه وان احتملها غيره خذلوه . كان من بنى مخزوم خالد بن الوليد كانت اليه القبة والاعنة فاما القبة فانهم كانوا يضربونها ثم يجمعون اليه ما يجهزون به الجيش واما الاعنة فانه كان على خيل قريش فى الحرب وكان من بنى عدى عمر بن الخطاب وكانت اليه السفارة فى الجاهلية وذلك انهم كانوا اذا وقعت بينهم وبين غيرهم حرب بعثوه سفيرا وان نافرهم حتى لمفاخرة جعلوه منافرا ورضوا

وَمَا ذَاكَ فى مَدْحِيهِ شِعْرٌ وَإِنَّمَا
خَلائِقُهُ دُرٌّ أَجَدْتُ لَهُ نَظْمَا [1]

***

أَيَقْطُرُ هذَا الدَّمْعُ كالشَّمْعِ أَوْ أَحْمَى
وَيُصْبِحُ هذَا الهَمُّ كالسَّهْمِ أَوْ أَصْمَى [2]

به . وكان من بنى جمح صفوان بن أمية وكانت اليه الايسار وهى الازلام فكان لا يسبق بامر عام حتى يكون هو الذى تسييره على يديه . وكان من بنى سهم الحارث بن قيس وكانت اليه الحكومة والاموال المحجرة التى سموها لآلهتهم : فهذه مكارم قريش التى كانت فى الجاهلية . اقول من قرأ ما كتبناه وجد ان اليد المؤلف حفظه الله له فيمن ذكرنا ثلاثة أجداد كل واحد منهم له مفخرة فى الجاهلية قبل الاسلام ويتصل نسبه بقريش . أولهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه وهو من تيم بن مرة القرشى . وهو جده من جهة الصلب وهذا معنى قوله (فهذا أبى من آل تيم بن مرة). وثانيهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو من بنى عدي القرشى وجد السيد من جهة البطون كما ذكرنا فى أول شرح القصيدة نقلا عن على باشا مبارك . ثم قلنا هنا لك ان السيد ينتهى نسبه الى الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه وأمه فاطمة الزهراء رضى الله عنها بنت رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشى ومن عبد المطلب العباس ابنه وهو الثالث . ومن كان له هذا النسب الواضح فى الجاهلية والاسلام له ان يفتخر ويقول ماقاله غير مدافع ولا منازع . النضد العز والشرف . يفرع يعلو

(المعنى) يقول بعدما ذكر ما كان عليه أبوه من السجايا الكريمة فهذا أبى أى هذا الذي ذكرته لكم هو أبى الذي ينتهى نسبه الى تيم بن مرة وهو هو والذى ينتهى نسبه أيضا وشرفه ومجده الى هاشم ومن له هذا النسب الوضاح فان له شرفاً يعلو ذروة النجم

(١) مدحيه يريد فى مدحى اياه أوله وهو يستعمل كثيراً فى أشعار العرب

(المعنى) يقول ان كل ما ذكرته لأبى من السجايا والاخلاق الحسنة لم أذكره مدحاً فيه وافتخار ونسقتها به وانما هى اخلاقه التى كالدر نظمتها فكانت عقداً ثميناً

(٢) الشمع موم العسل يستصبح به . احمى اسخن . أصمى اسرع



وَتَخْشَعُ نَفْسِي كُلَّمَا شِمْتُ بِاللِّوَى
قُبُورَ بَنِي الصِّدِّيقِ إِذْ رُفِعَتْ ثَمَّا [١]

(المعنى) يقول ويستفهم استفهاماً انكاريا هل الدمع الذى يقطر من عينى كالشمع حينما تذيبه حرارة الذبالة فيتساقط حاراً أو هو أحمى منه ويقول وهل هذا السهم الذى بين جوانحى كالسهم فى سرعة اختراقه أو أسرع . وعلى ذكر الشمع الذى جاء فى المتن نذكر أبياتاً قالها كشاجم فى وصفه

وخود من بنات النحل تكسى　　بواطنها وأظهرها عوارى
كواكب لسن عنك بآفلات　　اذا ما اشرقت شمس العقار

وله يرثى اباه

تزدادفيك مصيبتى　　خطرا اذا نهنهت نفسى
وأرى الاسى منى عليك اليوم أعظم منه أمس
فأظل فيك مخالفاً　　أهل التسلى والتأسى
لا تبعدن أبى الشفيق　　وانغدوت رهين رمس
ولقد علت دنياى بعدك وحشة　　من بعد انس
وسقى ضريحك وابل　　يضحى بصوبته ويمسى
وعشيت فى ظلم الخطوب وكنت مصباحى وشمسى
وتركتنى غرضا لنبل　　الحادثات وكنت ترسى
فتمكنت انياب ريب الدهر من عضى ونهسى

(١) تخشع تسكن . شمت ابصرت . اللوى بالكسر وفتح الواو والقصر هو فى الاصل منقطع الرملة يقال قد الويتم فانزلوا اذا بلغوا منقطع الرمل وهو أيضا موضع بعينه قد اكثرت الشعراء من ذكره وخلطت بين ذلك اللوى والرمل فعز الفصل بينهما والمراد به هنا منقطع الرملة واما اللوى فهو واد من أودية بنى سليم ويوم اللوى وقعة كانت فيه لبنى ثعلبة على بنى يربوع ومما يدل على انه واد قول بعض العرب

لقد هاج لى شوقاً بكاء حمامة　　ببطن اللوى ورقاء تصدع بالفجر
هتوف تبكى ساق حر ولا ترى　　لها عبرة يوماً على خدها تجرى

وَقَرْنَ بِأَكْنَافِ البِطَاحِ كَأَنَّهَا
يَلَمْلَمُ أَوْ ثَهْلَانُ أَوْ جَبَلَا سَلْمَى ١

تغنت بصوت فاستجاب لصوتها ... نوائح بالاصناف من فنن السدر
واسعدنها بالنوح حتى كأنما ... شربن سلافاً من معتقة الخمر
دعتهن مطراب العشيات والضحى ... بصوت يهيج المستهام على الذكر
تجاوبن لحنا فى الغصون كأنها ... نوائح ميت يلتدمن على قبر
فقلت لقد هيجن صبا متيما ... حزيناً وما منهن واحدة تدرى

وقال نصيب

وقد كانت الايام اذ نحن باللوى ... تحسن لى لو دام ذاك التحسن
ولكن دهراً بعد دهر تقلبت ... بنا من نواحيه ظهور وابطن

بنو الصديق تقدم ذكرهم فى اول شرح هذه القصيدة . ثم هناك
(المعنى) يقول ان نفسى لتخشع وتسكن كلما نظرت قبور بنى الصديق هيبة واعتباراً اذ رفعت هنا لك باللوى . قال أبو العتاهية يرثى أخاه

بكيتك يا أخى بدمع عينى ... فلم يغن البكاء عليك شيا
وكانت فى حياتك لى عظات ... وانت اليوم اوعظ منك حيا

(١) وقرن سكن . الاكناف جمع كنف وهو الجانب : البطاح جمع بطحاء وهى مسيل واسع فيه دقاق الحصى — يلملم جبل فى الطائف على ليلتين أو ثلاث قال أبو دهبل

فما نام من راع ولا ارتد سامر ... من الحى حتى جاوزت بى يلملما

ثهلان جبل بالعاليه وهو من جبال نجد قال الفرزدق

ان الذي سمك السماء بنى لنا ... بيتاً دعائمه أعز واطول
بيتاً زرارة محتب بفنائه ... ومجاشع وأبو الفوارس نهشل
فادفع بكفك ان أردت بناءه ... ثهلان ذو الهضبات هل يتحلحل

جبلا سلمى اذا اطلق هذا اللفظ فانما يراد به جبلا طيء اجأ وسلمى وهما غربى فيد وبينهما مسير ليلتين وفيه قرى كثيرة ومنازل طيء فى الجبلين عشر لـ ال من دون فيد الى اقصى اجأ الى القريات من ناحية الشام وبين المدينة والجبلين على غير الجادة ثلاث مراحل وبين الجبلين وتيماء

وَإِمَّا تَرَاءَتْ هِيلَتِ النَّفْسُ عِنْدَهَا
قُشَعْرِيرَةً لِلْهَيْبِ أَوْ وَجَمْتَ وَجْمَا [١]

جبال وبين الجبلين وفدك ليلة وبينهما وبين خيبر خمس ليال . قال عارق الطائى

ومن جاء حولى رعان كانها قنابل خيل من كميت ومن ورد
أيوعدنى والرمل بينى وبينه تأمل رويداً ما امامة من هند

وقال زيد بن مهلهل الطائى

جلبن الخيل من اجأ وسلمى تخب نزائعاً خبب الركاب
جلبنا كل طرف اعوجى وساهبة كخافية الغراب
نسوق للخزام بمرفقيهـا شنون الصاب صماء الكعاب

وسميا بجبلى سلمى تسهيلا فى اللفظ وشهرة سلمى

(المعنى) يقول ان قبور بنى الصديق قد سكن بجوانب البطاح كانها الجبال التى ذكرها هيبة وعظمة

(١) تراءت تبدت . هيلت فزعت . القشعريرة وجل النفس . الهيب الخوف . وجمت عجزت عن التكلم من شدة الحزن

(المعنى) يقول اذا تراءت هذه القبور فزعت النفس من الانقبـاض والحزن واعتورها للهيبة وجوم فلم تنطق . قال كشاجم يرثى أباه

يا أبتى أي أسى لم تبق لابن ثكلك
خلفتـه متقفيـا الى المعـالى سبلك
وددت لو بجسدي كنت احتملت عالك
وددت انى للمنايا كنت يوماً بدلك
يا أبتى كل أب يورد يوماً منهلك
والحى يقفو من مضى به الردى حيث سلك
من أى شيء يعجب البا كون والراثون لك
أمن سرير حملك أم من تراب أكلك

أهيلَ على مِثْلَ العَوالى تُرابُها
وواَرَتْ لدَىَّ أطْباقِها الدِّينَ والعِلْما
إذا ما تَبدَّى الدَّجْنُ يحْبُو كأنَّما
تعلّقَ لُجُّ البَحْرِ أرْدانَهُ السُّحْما
ويَضحكُ فى خيطانِهِ البَرْقُ مُوهِنًا
كما ضَحِكَ الباكى إذا كَبَرَ الرُّحْمَا
فَحيَّا الحَيا تلكَ القُبُورَ فطالَما
سَقَى أهلُها الظَّمْآنَ مِن فَضْلِهِم نُعْمَى ٢

أم للضريح الضيق الا   رجاء كيف شملك

(١) اهيل صب. العوالى الرماح ورت سترت اطباق جمع طبق وهو وجه الارض.
(المعنى) يقول ان تراب هذه القبور اهيل على مثل الرماح طولا ونباذا وهى صفة ممدوحة عند العرب وانها ضمت اهل الدين والعلم . قال الشريف الرضى

غاض غدير الكلام ما بقى الد   هر وقرت شقاشق الخطب
ياعلم المجد لم هويت وقد   كنت أمين العماد والطنب
يا مقول الدهر لم صمت وقد   كنت زمانا أمضى من الشهب
ياناظر الفضل لم غضضت وما   كنت قديما تغضى على الريب

وقال يرثى

وجه كلمع البرق غاض وميضه   قلب كصدر العضب فل مضاؤه
ان الذى كان النعيم ظلاله   أمسى يطنب بالعراء خباؤه
قد خف عن ذاك الرواق حضوره   أبدا وعن ذاك الحمى ضوضاؤه

(٢) تبدى ظهر. الدجى الغمام الاسود • يحبو يدنو بعضه الى بعض . تعلق تمسك.

غابة بولونيا

يقْـبِلُ المَرْءُ عَلَى بَارِيسَ فَإِذَا حَدَائِقُ وَقُصُورٌ . وَلَيْلٌ كَسَوَادِ العَيْنِ كُلُّهُ نُورٌ . وَإِذَا البُرْجُ فِى طَخْيَةِ اللَّيْلِ . كَأَنَّ سِرَاجَهُ سُهَيْلٌ[٢]
خَطَّ الهِلَالُ عَلَى الدُّجَى بِبَنَانِهِ

لج البحر موجه . اردان جمع ردن وهو الـكم . السحم السود جمع أسحم . موهنا أى فى نصف الليل . أكبر الشيء رآه كبيرا . حيا من التحية . الحيا المطر . نعمى ضد بؤسى

(المعنى) يقول اذا ما ظهر الغمام يتدانى بعضه لبعض وهو مملوء بالقطر كأن موج البحر تعلق باهدابه السود وقد لمع البرق فأضاء خيطانه وهى مرسلة على الارض فأشبهت لمعته ضحكة الباكى اذا عظمت المصيبة وجل الخطب اذشر البلية ما يضحك اذا كان الامر كذلك والغيم على ما وصفت والبرق كما ذكرت فحيا هذا المطر هذه القبور فطالما اروى قطانها كل ظامىء من معروفهم وجودهم نعما كثيرة ورفدا عظيما .

(١) باريس هى عاصمة بلاد الفرنسيس ومن أحسن بلاد الله منظرا وجمالا ووضعاً ونظاماً

(المعنى) يقول اذا أقبل المرء على باريس رأي بها حدائق وقصورا وأبصر ليلا قد لمعت فيه الاضواء والانوار فصار كحدقة العين سوداء ولكنها ملئت بالنور . قال أبو العلاء المعرى يصف الليل

رب ليل كأنه الصبح فى الحسـ ـن وان كان أسود الطيلسان
قد ركضنا فيه الى اللهو لما وقف النجم وقفة الحيران
فكأنى ماقلت والبدر طفل وشباب الظلماء فى عنفوان
ليلتى هذه عروس من الزنـ ـج عليها قلائد من جمان

(٢) البرج المراد به هنا برج (أئفل) وهو برج مرتفع جدا أقيم على قواعد اربع فى وسط باريس الطخية الظلمة سهيل كوكب احمر من كواكب السماء

(المعنى) يقول وقد اقيم فى هذه المدينة برج مرتفع كان السراج الذى وضع فى ذروته سهيل

خطًّا رأيتُ الكونَ ضمنَ بيانِهِ

بُرْجٌ مائلٌ . كأنَّهُ بُرْجُ بابلَ . غيرَ أنَّ ذلكَ فرَّقَ البشرَ . وهذا جمعَ البدْوَ والحضرَ [٢] وإذا المدينةُ . كأنَّها في يومِ الزِّينةِ . وقدْ جاشَتِ الطُّرقُ بالسَّيَّارةِ . وزخرَتِ البرازيقُ بالنظَّارةِ . فكأنَّما انفضخَ سيْلُ العَرِمِ . وكأنَّما في كُلِّ سبيلٍ جَيْشٌ مُنْهَزِمٌ [٣] . وكأنَّ كلَّ بَهْوٍ إيوانٌ . وكأنَّ كلَّ شاهقةٍ رأسُ غُمْدانَ [٤] .

---

(١) (المعنى) يقول أن الهلال خط على الدجى خطا فأناره وكشف ظلمته فاستبان الكون وهو استشهاد حسن للغاية وذلك لمناسبة السراج الموضوع فوق البرج

(٢) المائل القائم . برج بابل تقدمت ترجمته فى غير هذا الموضع من الكتاب (المعنى) يقول ان هذا البرج القائم فى باريس وهو برج ايفل كانه برج بابل غير ان ذاك فرق البشر فى وقت تبلبل الالسنة كما ورد فى اسفار التاريخ وهذا جمع الناس بباريس فى المعرض المقام بها عند أنشائه سنة ١٨٨٩

(٣) جاشت من جاش البحر بالامواج هاج واضطرب . السيارة القوم يسيرون . زخرت امتلأت . البرازيق الطرق المصطفة حول الطريق الاعظم وهى كلمة حسنة جدا تؤدى معنى (الترتوار) تماما النظارة القوم ينظرون الى الشيء . انفضخ تدفق . سيل العرم هو الذى سال بارض اليمن فاغرقها وفرق أهلها أيدى سبا

(المعنى) يقول وكأن المدينة لاختلاط الناس وازدحامهم فى يوم زينة لان الطرق قد اكتظت بالمارة وزخرت افاريزها بالناس فكانهم وهم يموجوا بعضهم فى بعض سيل العرم فى ارتطامه أو انهم جيش منهزم فى تداخله واصطدامه

(٤) البهو البيت المقدم أمام البيوت وهو المسمى الآن فى لغة الافرنج بالصالون . الايوان الصفة العظيمة والمراد ايوان كسرى . الشاهقة مؤنث الشاهق وهو المرتفع من الابنية ـ غمدان هو قصر ليشرح بن يحصب بناه بين صنعاء وطيوة وجعله على أربعة اوجه وجعل فى أعلاه مجلسا بناه بالرخام الملون وجعل على كل ركن من اركانه تمثال أسد من أعظم ما يكون من الاسد فكانت الريح اذا هبت الى ناحية تمثال من تلك التماثيل دخلت فى جوفه فيسمع له زئير كزئير السباع

وَكَأَنَّمَا كُلُّ بُسْتَانٍ شِعْبُ بَوَّان. وَكُلُّ حَائِطٍ سَدُّ ذِي القَرْنَيْنِ. وَكُلُّ طَرِيقٍ

وكان يأمر بالمصابيح فتسرج فى ذلك البيت ليلا فكان سائر القصر يلمع كما يلمع البرق فاذا أشرف عليه الانسان من بعض الطرق ظنه برقا ولا يعلم ان ذلك ضوء المصابيح وفيه يقول ذو جدن الهمذانى

مصابيح السليط يلحن فيه ... اذا يمسى كتوماض البروق
فاضحى بعد جدته رمادا ... وغير حسنه لهب الحريق

وفى غمدان يقول دعبل بن على الخزاعى

منازل الحى من غمدان فالنضد ... فمأرب فظفار الملك فالجند
ارض التبابع والاقيال من يمن ... أهل الجياد واهل البيض والزرد
لم يدخلوا قرية الا وقد كتبوا ... بها كتاباً فلم يدرس ولم يبد
بالقيروان وباب الصين قد زبروا ... وباب مرو وباب الهند والصغد

وقال أبو الصلت يمدح ذايزن

فاشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا ... فى رأس غمدان دار منك محلالا
تلك المكارم لاقعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

وهدم غمدان فى ايام عثمان بن عفان رضى الله عنه

(المعنى) يقول وكأن كل بهو لاتساعه الايوان وكل شاهقة من البنيان رأس غمدان و ذاك القصر المشهور

(١) شعب بوان بارض فارس بين ارجان والنوبندجان وهو أحد المتنزهات المشهورة بالحسن وكثرة الاشجار وتدفق المياه وكثرة أنواع الاطيار قال الشاعر

فشعب بوان فوادي الراهب ... فثم تلقى ارحل النجائب

وهو موضع من أحسن ما يعرف فيه شجر الجوز والزيتون وجميع الفواكه النابتة فى الصخر. وعن المبرد انه قال قرأت على شجرة بشعب بوان

اذا أشرف المحزون من رأس تلعة ... على شعب بوان استراح من الكرب
والهاه بطن كالحريرة مسه ... ومضطرد يجرى من البارد العذب
وطيب ثمار فى رياض أريضة ... على قرب أغصان جناها على قرب

وَادٍ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ . وَكُلُّ قَنْطَرَةٍ قَنْطَرَةُ خُرَّازَاذَ . أَوْ قَنْطَرَةُ البَرَدَانِ بِبَغْدَاذَ[٢] .

فبالله ياريح الجنوب تحملى الى أهل بغداد سلام فتى صب
وذكر أهل الادب انه قرأ على شجرة دلب تظل عينا جارية بشعب بوان
متى تبغنى فى شعب بوان تلقنى لدى العين مشدود الركاب الى الدلب
وأعطى واخوانى الفتوة حقهـا بما شئت من جـد وما شئت من لعب
يدير علينا الكاس من لو رأيته بعينك مالمت المحب على الحب
وقال المتنبى فى شعب بوان
مغانى الشعب طيبا فى المغانى بمنزلة الربيع من الزمان
ولـكن الفتى العربى فيهـا غريب الوجه واليـد واللسان
ملاعب جنة لو سـار فيـها سـليمان لسار بترجمان
طبت فرساننا والخيل حتى خشيت وان كرمن من الحران
غدونا تنفض الاغصان فيها على أعرافهـا مثـل الجمان
فسرت وقد حجبن الحر عنى وجئن من الضيـاء بما كفانى
والقى الشرق منهـا فى ثيابى دنانيرا تفر من البنان
المعنى يقول وكان كل بستان فى نضارته وزهوه شعب بوان المنتزه الشهير

(١) سد ذى القرنين هو سد محكم البنا وهو المشهور بسد يأجوج ومأجوج وقد ورد ذكره فى القرآن واختلف المفسرون فى تعريفه واكثروا القول من ذلك فمن أراده فليطلبه من محاله ـ الوادى بين الصدفين أى بين رأسى الجبلين المتقابلين
(المعنى) يقول ان كل حائط فى باريس كانه لسموكه وارتفاعه ومحكم بنيانه سد ذى القرنين وكأن كل طريق واد بين الصدفين

(٢) قنطرة حرازاذ ام ازدشير بسمرقند بين ايدج والرباط من عجائب الدنيا طولها الف ذراع وعلوها مائة وخمسون أكثرها مبنى بالرصاص والحديد ـ قنطرة البردان ببغداذ نسبة الى البردان قرية من قرى بغداد على سبعة فراسخ منها قرب صريفين وهى من نواحى دجيل وفيه يقول جحظة
ادفع ورود الهم عنك بقهوة مخزونة فى حانة الخمار

وكلُّ قصرٍ قُصْرُ المُشْتَهَى . وَكُلُّ كَنِيسةٍ كَنِيسَةُ الرُّهَا [١]
تُلفِي بهَا نَفَرًا دَقَّتْ شُخُوصهمُ
مِنَ الرّهْبِ إلاَّ نِضْوَ أشْبَاحِ
يُكَرِّرُونَ نَوَاقِيساً مُرَجَّعَةً

جازت مدى الاعمار فهى كانها عند المذاق تزيد فى الاعمار
يسعى بها خنث الجفون منعم فى خده ماء النضارة جار
فى رقة البردان بين مزارع محفوفة ببنفسج وبهار
بلد يشبه صيفه بخريفه رطب الاصائل باردالاسحار

(المعنى) يقول وكان كل قنطرة فى باريس قنطرة حرازاذ المشهورة أو قنطرة البردان ببغداد وذلك لطولها وغرابتهما

(١) قصر المشتهى . هو قصر من قصور الملوك الفاطمين بمصر وكانوا قد أعدوه للنزهة فى أوقات فراغهم وترويحا لانفسهم من عناء الملك واعبائه

كنيسة الرها نسبة الى مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام بينهما ستة فراسخ :قال أبو الفرج الاصبهانى حدثنى أبو محمد حمزه بن القاسم الشامى قال اجتزت بكنيسة الرها عند مسيرى الى العراق فدخلتها لاشاهد ما كنت أسمعه عنها من العجائب فبينما أنا اطوف اذ رأيت على ركن من أركانها مكتوبا

ولى همة أدنى منازلها السها ونفس تعالت بالمكارم والنهى
وقد كنت ذا آل بمرو سرية فبلغت الايام بى بيعة الرها
ولو كنت معروفا بها لم أقم بها ولكننى أصبحت ذا غربة بها
ومن عادة الايام ابعاد مصطفى وتفريق مجموع وتبغيض مشتهى

قال فاستحسنت النظم لخفظته وقال عبيد الله من قيس الرقيات

فلوما كنت أروع ابطحيا ابى الضيم مطرح الدناء
لودعت الجزيرة قبل يوم ينسى القوم أطهار النساء
فذلك أم مقامك وسط قيس وتغلب بينها سفك الدماء

عَلى الزَّبُورِ بِإِمْسَاءٍ وَاصْبَاحٍ (١)

وقد ملائت كنانة وسط مصر   الى عليا تهامة فالرهاء

وقد نسب بن مقبل اليها الخمر فقال

سقتنى اصهباء درياقة   متى ما تلين عظامى تلن
رهاوية مترع دنها   ترجم من عود وعس مرن

(المعنى) يقول وكان كل قصر من قصورها الضخامة بنيانه وارتفاع أركانه قصر المشتهى وكل كنيسة كنيسة الرها

(١) النفر القوم دقت رقت. الشخوص الذوات والاجسام. الترهب التعبد. النضو المهزول الاشباح جمع شبح وهو الشخص . النواقيس جمع ناقوس وهو مضراب النصارى . الزبور الكتاب بمعنى المزبور اى المكتوب وغلب على مزامير داود النبي عليه الصلاة والسلام ومنه قول الشاعر   مقفرات دارسات   مثل آيات الزابور

(المعنى) يقول انك ترى فى الكنائس التى بباريس قوما من القسوس لم يبق منهم الا نضاء مهزوله فلا تسمع منهم الا اصوات النواقيس تضرب عند تلاوتهم لايات الزبور فى وقت المساء والصباح .قال كشاجم فى دير القصير بمصر

سلام على دير القصير وسفحه   فجنات حلوان الى النخلات
منازل كانت لى بهن مآرب   وكن مواخيرى ومنتزهاتى
اذا جئتها كان الجياد مراكبى   ومنصرفى فى السفن منحدرات
ولحمان مما امسكته كلابنا   علينا ومما صيد بالشبكات

وقال محمد بن العاصم المصري فيه

ان دير القصير هاج ادكاري   لهو أيامنا الحسان القصار
وزمانا مضى حميدا سريعا   وشبابا مثل الرداء المعار
ولو أن الديار تشكو اشتياقا   لشكت جفوتى وبعد مزارى
ولكادت تسير نحوى لما قد   كنت فيها سيرت من اشعارى
وكانى اذ زرته بعد هجر   لم يكن من منازلى ودياري
اذ صعودي على الجياد اليه   وانحدارى فى المعتقات الجواري

وَقَدْ أُقِيمَ عَلَى كُلِّ حَنِيَّةٍ. صَنَمٌ كَيَعُوقَ فِى الْجَاهِلِيَّةِ ١ . وَفَجَّرَ فِى كُلِّ رَحَبَةٍ عَيْنٌ تَجْرِي عَلَى صَخْرٍ. كَعَيْنِ الْخَنْسَاءِ عَلَى صَخْرٍ ٢. وَاجْتَمَعَ فِى كُلِّ مَرْجٍ. زُورٌ

بصقور الى الدماء صواد — وكلاب على الوحوش ضوارى

منزلا لست محصيا مالقلبى — ولنفسى فيه من الاوطار

وكأن الرهبان فى الشعر الاسـ — ـود سود الغربان فى الاوكار

كم شربنا على التصاوير فيه — بصغار محثوثة وكبار

صورة فى مصور فيـه ظلت — فتنة للقلوب والابصار

اطربتنا بغير شدو فاغنت — عن سماع العيدان والمزمار

لا وحسن العينين والشفة الـ — ـلمياء منها وخدها الجلنار

لاتخلفت عن مزارى دهرا — هى منه ولو نأي بى مزاري

(١) الحنية فى الاصل القوس وذلك لا نحنائها ثم تستعمل للمنعطفات. يعوق صنم لقوم نوح او كان رجلا صالحا من صالحى زمانه فلما مات جزعوا عليه فأتاهم الشيطان فى صورة انسان فقال امثله لكم فى محرابكم حتى تروه كلما صليتم ففعلوا ذلك به وسبعة من بعده من صالحيهم ثم تمادى بهم الامر الى ان اتخذوا تلك الامثلة أصناما يعبدونها

(المعنى) يقول وقد أقيم على كل منعطف من تلك المنعطفات صنم كيعوق الذى اقامه اهل الجاهلية اكراما له

(١) الرحبة الساحة المتسعة — الخنساء هى بنت عمر بن الحارث بن السويد واسمها تماضر والخنساء لقب وقع عليها وكانت من أشعر نساء العرب وصخر هو أخوها قتله زيد بن ثور الاسدي يوم ذى الاثل ولما قتل حزنت عليه حزنا شديدا وبكت عليه كثيرا ومن شعرها قولها ترثيه

الا مالعينك ام مالها — لقد اخضل الدمع سربالها

أبعد ابن عمرو من آل الشريد — حلت به الارض اثقالها

فان تك مرة أودت به — فقد كان يكثر تقتالها

سأحمل نفسى على خطة — فاما عليها واما لها

فان تصبر النفس تلق السرور — وان تجزع النفس اشقى لها

وَصَنجٍ . وَبَدَت فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ غَرَائِبُ هِنْدَمَنْدَ . وَعَجَائِبُ كَوْكَبَانَ وَالسُّغْدِ

***

وقالت أيضا ترثية

فان صخرا لوالينا وسيدنا وان صخرا اذا نشتو لنحار

وان صخرا لتأتم الهداة به كانه علم فى رأسه نار

لم ترأه جارة يمشى بساحتها لريبة حين يخلى بيته الجار

مثل الردينى لم تنفد شبيبته كانه تحت طي البرد اسوار

وقالت فيه أيضاً

أعينى جودا ولا تجمدا ألا تبكيان لصخر الندى

الا تبكيان الجرىء الجميل ألا تبكيان الفتى السيدا

طويل النجاد رفيع العما د ساد عشيرته امردا

يحمـله القوم ما عالهم وان كان أصغرهم مولدا

وان ذكر المجـد الفيته تأزر بالمجد ثم ارتدى

وقد ادركت الخنساء الاسلام واسلمت .

(المعنى) يقول وجرى فى كل رحبة عين ماء تجرى على الصخور والاحجار كانها عين الخنساء المشهورة على أخيها صخر المذكور

(١) المرج ارض واسعة فيها نبت كثير. الزور مجلس الغناء .الصنج صفيحة مدورة من الصفر يضرب بها على أخرى مثلها للطرب دخيل جمعه صنوج ـ هند مند قال فى القاموس هو نهر بسجستان ينصب اليه الف نهر فلا تظهر فيه الزيادة وينشق منه الف نهر فلا يظهر فيه النقصان وهو من عجائب الدنيا ـ كوكبان حصن باليمن رصع داخله بالياقوت فكان يلمع كالكوكب ـ السغد ناحية كثيرة المياه نضرة الاشجار متجاوبة الاطيار مؤنقة الرياض والازهار ملتفة الاغصان خضرة الجنان تمتد مسيرة خمسة ايام لا تقع الشمس على كثير من اراضيها ولا تبين القرى من خلال أشجارها وقصبتها سمرقند وربما قيلت بالصاد

(المعنى) يقول ان كل مرج فى باريس فيه حديقة للغناء وصنوج تضرب واجتمع فى كل ناحية غرائب كغرائب الدنيا المشهورة التى منها صرواح وهند مند

وَفِي هذِهِ الْمَدِينَةِ حَرَجَةٌ مِنْ نُزَهِ الدُّنْيَا. يُقَالُ لَهَا (غَابَةُ بُولُونْيَا)[1]. وَهِيَ بِطَاحٌ فِي بِطَاحٍ. وَرَوْضَةٌ فُسَاحٌ. وَشَجَرٌ دَوَّاحٌ. وَعِدٌّ جِلْوَاحٌ[2]. وَطُرُقٌ بَيْنَ الأَدْغَالِ. كَهُدًى فِي ضَلَالٍ[3]. وَشُمُوسٌ بَيْنَ الأَشْجَارِ. كَأَنَّهَا نِثَارٌ[4]. وَكَأَنَّ الأَزْهَارَ فِي حِيَالِهَا. فُرُشٌ. وَالأَنْهَارَ فِي خِلَالِهَا. صَوَارِمُ فِي كَفِّ مُرْتَعِشٍ.

---

(١) الحرجة مجتمع الشجر النزه جمع نزهة وهى الارض ذات الخضر والرياض ـ غابة بولونيا هى قطعة من الارض واسعة ممتدة كلها شجر وحياض وفيها طرق رحيبة للمركبات يخرج اليها أهل الثروة والجمال من أهل باريس فى مركباتهم الفاخرة ولاسيما فى الاحاد والاعياد

(المعنى) يقول وفى مدينة باريس قطعة من الارض مخضلة النبات ملتفة الاشجار من أحسن غياض الدنيا ونزهها يقال لها غابة بولونيا

(٢) البطاح جمع بطحاء وهى مسيل واسع فيه دقاق الحصى. الروضة هى الارض النضرة ولا تكون روضة الا معها ماء او الى جانبها. الفساح الواسعة. الدواح الشديد العلو. العد الماء الجارى. جلواح واسع

(المعنى) يقول ان هذه الغابة هى بطاح متسعة ورياض فسحة وشجر مرتفع وماء جار

(٣) الادغال جمع دغل وهو الشجر الكثير الملتف

(المعنى) يقول وفى هذه الحرجة طرق لمرور الناس بين أشجارها الملتفة المظلة كالهدى بين الضلال وهو معنى حسن جدا

(٤) النثار ماينثر فى العرس للحاضرين وكان نثار العرب من تمر فاما فى هذا العصر فالنثار من ذهب وفضة وغيرهما

(المعنى) يقول كان تخلل ضوء الشمس من بين أغصان الاشجار نثار طرح على الارض قال الشاعر يصف الخضرة والروض

أما ترى الارض قد أعطتك عذرتها مخضرة واكتسى بالنور عاريها
فللسماء بكاء فى جوانبها وللربيع ابتسام فى نواحيها

وَالنَّهَارَ فى ظِلاَلِهَا. فَجرٌ بَيْنَ الضِّيَاءِ وَالْغَبَشِ وَكَأَنَّ فى كلِّ غُصْنٍ صَوْتَ غِنَاءٍ.
وَفى كلِّ عُشٍّ بَيْتًا فِيهِ ضَوْضَاءُ [٢] . وَكَأَنَّ الأغْصَانَ . مُوَاصِلٌ غَضْبَانٌ . أوْ كَأَنَّهَا
وَهِيَ تَمِيلُ وَتَعتَدِلُ . شَارِبٌ ثَملٌ أوْ أنَّهَا تُرِيدُ العِنَاقَ وَيَمْنَعُهَا الخَجَلُ [٣]
مَا فِيهِ إِلاَّ رَوْضَةٌ أوْ جَوْسَقٌ

---

(١) حيال الشيء جانبه . خلال الشيء ماحوالى حدوده . الصوارم جمع صارم وهو السيف القاطع . الغبش ظلمة آخر الليل

(المعنى) يقول وكان الازهار بجانب هذه الحرجة فرش موشية بالاحمر والاخضر والاصفر وغيره وكان الانهار وهى تبدو من اعصانها المتكاثفة سيوف فى أكف مرتعشة وذلك لبريقها ولمعانها . وكان ضوء النهار فى ظلال الاغصان لكدورة لونه وعدم ظهوره وسطوعه تماما فجر اكتنفه ظلمة الليل وطلوع الصباح . قال كشاجم يصف روضاً

وروض عن صنيع الغيث راض	كما رضى الصديق عن الصديق
اذا ما القطر اسعده صبوحا	أتم له الصنيعة فى الغبوق
يعير الريح بالنفحات ريحا	كأن ثراه من مسك سحيق
كأن الطل منتثراً عليه	بقايا الدمع فى خد المشوق
كأن النرجس البرى فيه	مداهن من لجين للخلوق
يذكرنى بنفسجه بقايا	صنيع اللطم فى الخد الرقيق

(٢) العش موضع الطائر . الضوضاء الجلبة

(المعنى) يقول وكان فى كل غصن صوت غناء لما عليه من تغريد الطير وكان كل عش والعصافير تذقذق فيه بيت فيه ضوضاء وجلبة

(٣) الثمل المخمور

(المعنى) يقول وكان الاغصان وهى تميل بها الريح وتعدلها وهى تتراوح مواصل غضبان وذلك لانها بدنوها تكون موصلة وببعدها تكون غضبانة اوكانها وهى تتأود شارب مخمور قد عبث به السكر أوكانها حسناء تريد ان تعتنق ويمنعها حياء العذراء

أَوْ جَدْوَلٌ أَوْ بُلْبُلٌ أَوْ رَبْرَبُ

بَيْنَ دَيْرِ العَاقُولِ مُرْتَبَعٌ يُشْرِفُ

مُحتَلُّهُ إِلَى دَيْرِ قُنَّا

حَيْثُ بَاتَ الزَّيتُونُ مِنْ تَحْتِهِ

الكَرْمُ عَلَيْهِ وَرْقُ القَمَارِي تَغَنَّى [٢]

---

(١) الجوسق القصر . الجدول قناة الماء . البلبل طائر صغير ذو صوت حسن . الربرب القطيع من البقر

(المعني) يقول ان هذه الغابة مافيها الا روضة اوجدول ماء اوطائر البلبل يغرد فى اغصانها اوقطيع من البقر

(٢) دير العاقول بين مدائن كسري والنعمانية بينه وبين بغداد خمسة عشرة فرسخا على شاطىء دجلة وبالقريب منه دير قنا وفيه يقول الشاعر

فيك دير العاقول ضيعت أيا | مى بلهو وحث شرب وطرف
ونداماى كل حر كريم | حسن دله بشكل وظرف
بعد ماقد نعمت فى دير قنا | معهم قاصفين أحسن قصف
بين زين الديرين جنة دينا | وصفها زائد على كل وصف

دير قنا قال ياقوت فى معجم البلدان هو على ستة عشر فرسخاً من بغداد منحدراً بين النعمانية وهو فى الجانب الشرقى معدود فى اعمال النهروان و بينه و بين دجلة ميل وعلى دجلة مقابله مدينة صغيرة يقال لها الصافية و يقال له دير الاسكون وهو دير عظيم شبيه بالحصن المنيع وعليه سور عظيم عال محكم البنا . وفيه مائة قلاية لرهبانه وهم يتبايعون هذه القلالى بينهم من الف دينار الى مائتى دينار وحول كل قلاية بستان فيه من جميع الثمار وتباع غلة البستان منها سن مائتى دينار الى خمسين ديناراوفى وسطه نهر جار هذه صفته قديماواما لآ ن فلم يبق من ذلك غير سوره وقد وصفته الشعراء . فقال ابن جمهور

يامنزل اللهو بدير قنى | قلبى الى تلك الربى قد حنا
سقيا لايامك لما كنا | نمتار منك لذة وحسنا

وَفي جَوَانِبِ هٰذِهِ الحَرَجةِ صُخُورٌ وَشِعَابٌ . وَأَحْجَارٌ وَهِضَابٌ . يَتَفَجَّرُ مِنْهَا مَاءٌ عُرَانِيَةٌ ذُو دُفَّاعٍ . في حَفَافَيْهِ الآسُ وَالدُّلاعُ . وَتَجْرِي بَيْنَهَا خُلُجٌ كَأَنَّهَا أَرَاقِمُ جَدَّتْ في الهَرَبِ . أَوْ فَرَّتْ مِنْ طَلَبٍ . وَكَأَنَّ كُلَّ خَلِيجٍ حُسَامٌ . وَالظِّلُّ صَدَاهُ . أَوْ أَنَّهُ جَامٌ . وَالأَصِيلُ طَلَاهُ . أَوْ أَنَّ ذَاكَ الظِّلَّ عِذَارٌ في خَدٍّ أَسِيلٍ .

ايام لاانعم عيشا منا ... اذا انتشينا وصحونا عدنا
اذا فنى دن نزلنا دنا ... حتى يظن انا جننا
ومسعد فى كل ما أردنا ... يحكى لنا الغصن الرطيب اللدنا
احسن خاق الله اذ تحنا ... وجس زير عوده وغنا
بالله ياقسيس يا با قنا ... متى رأيت الرشأ الاغنا
متى رأيت فتنتى تجنى ... آه اذا ما ماس او تثنى

أسأت اذا حسنت فيك الظن

الكرم شجر العنب . ورق القمارى ضرب من الحمام

(المعنى) يقول ان بين دير العاقول ودير قنا مرتبع جميل فيه الزيتون والكرم وقد باتت تغرد عليه القمارى . وللشعراء فى وصف الاديرة براعة زائدة وكانت هى محل انسهم وشربهم فمن ذلك قول كشاجم

ياسن الدير تسبيحى وامساحى ... وخمرة فى الدجى صبحى ومصباحى
اقمت فيه الى ان صار هيكله ... بيتى ومفتاحه للانس مفتاحى
منادما فى قلاليه رهابنة ... راحت خلايقهم اصفى من الراح
وكم حننت الى حاناته وغدا ... شوقى يكاير أصواتا باقداح

(١) الشعاب جمع شعب بالكسر وهو مسيل الماء فى بطن واد . الهضاب جمع هضبة وهو المكان المرتفع على وجه الارض . العرانية ما يرتفع من أعالى الماء . الدفاع طحمة الموج والسيل . حفافيه طرفيه . الآس شجر الريحان . الدلاع نبت

(المعنى) يقول وفى جوانب هذه الحرجة صخور وشعاب وفيها هضبات مرتفعة وربى ينفجر فيها ماء وقد نبت على حافاته الآس وغيره من النباتات

أوْ طُـرَّةٌ عَلَى جَبِينٍ صَقِيلٍ [1] وكأنَّ الْحَصْبَاءَ . في المَاءِ . ثَنَايَا عِذَابٌ . في رِضَابٍ [2]

فَيَا حَبَّذَا ظَهْرُ الْحَزِيزِ وَبَطْنُهُ
وَيَا حُسْنَ وَادِيهِ إِذَا مَاؤُهُ زَخَرْ
وَيَا حَبَّذَا نَهْرُ الأُبُلَّةِ مَنْظَرًا
إِذَا مَدَّ فِي إِبَّانِهِ المَاءُ أَوْ جَزَرْ [3]

---

(١) الخلج جمع خليج وهو جزء من البحر . الجام الكاس . الاصيل وقت ما بين العصر الى غروب الشمس . الطلا اسم من اسماء الخمر . العذار أول ماينبت من الشعر على العارض . الاسيل الخد اللين الطويل . الطرة الناصية الصقيل الاملس

(المعنى) يقول وتجرى فى وسط هذه الحرجة خلجان كالاراقم الهاربة المذعورة وكأن كل خليج يجرى فى ظلال الاشجار لضوئه وصقالته سيف يعلوه من الظل صدأ أو أن كل خليج لابيضاض لونه وبريقه كاس من البلور وسقوط الاصيل عليه طلاء او كان ظلال الاشجار عليه عذار على خد املس أو انه طرة من الشعر على جبين براق

(٢) الثنايا الاسنان . العذاب الباردة . الرضاب الريق .

(المعنى) يقول وكان الحصباء تحت الماء لنصاعتها وشكلها ثنايا عذاب يجري عليها الريق

(٣) حبذا مركب من حب فعل مدح وذا اسم اشارة فاعل له فى الصحيح وتلزم هذه الصورة : ظهر الحزيز مواضع كثيرة من العرب وجمعه حزان واحزة . قال الشمردل بن شريك فى حزيز رامة .

ولقد نظرت فرد نظرتك الهوى بحزيز رامة والحمول غوادى

نهر الابلة نسبة الى بلدة تسمى بهذا الاسم على شاطىء دجلة البصرة العظمى فى زاوية الخليج الذي يدخل الى مدينة البصرة وهى اقدم من البصرة لان البصرة مصرت فى ايام عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكانت الابلة حينئذ مدينة فيها مسالح من قبل كسرى وقائد وكان سكانها قوما من الفرس يعملون فى البحر فلما قرب منهم العرب نقلوا ما خف من متاعهم مع عيالاتهم على اربعمائة سفينة وأطلقوها . وكان خالد بن صفوان يقول ما رأيت أرضا مثل الابلة مسافة ولا اغدى نطفة .

***

وَأَهْيَبُ ما تَكُونُ هٰذِهِ الحَرَجَةُ إِذَا غابَ النُّورُ . وَأَقْبَلَ الدَّيْجُورُ . وَأَمْسَى الكَوْنُ كأَنَّهُ لَوْحٌ مَمْسُوحٌ . أَوْ رَاهِبٌ فِي مُسُوحٍ [١] وَتَرَاءَتْ هِيَ كَأَنَّهَا حَسْنَاءُ فِي سِتْرٍ . أَوْ صَحِيفَةٌ بَيْضَاءُ كُسِّرَتْ عَلَيْهَا زُجَاجَةٌ مِنْ حِبْرٍ [٢] . وَكَأَنَّمَا صُبِغَ كُلُّ

ولا اوطأ مطية ولا اربح لتاجر ولا أصفى لعائد وأما نهرها الضارب الى البصرة فحفره زياد وحكى ان بكر بن النطاح الحنفى مدح أبادلف العجلى بقصيدة فاثابه عليها عشرة الآف درهم فاشترى بها ضيعة بالابلة ثم جاء بعد مديدة وأنشده أبياتا

بك ابتعت فى نهر الابلة ضيعة　　عليها قصير بالرخام مشيد
الى جنبها أخت لها يعرضونها　　وعندك مال للهبات عتيد

فقال أبو دلف وكم ثمن هذه الضيعة الاخرى فقال عشرة آلاف درهم فامر ان يدفع ذلك اليه فلما قبضها قال له اسمع منى يابكر . ان الى جنب كل ضيعة أخرى الى الصين والى مالا نهاية له فاياك ان تجئنى غدا وتقول الى جنب هذه الضيعة ضيعة أخرى فان هذا شيء لا ينقضى . المد ارتفاع ماء البحر . والجزر ضده

(المعنى) يقول ياحبذا ظهر الحزيز فى منظره الجميل وبطنه وياحسن ذلك الوادي اذا زخر وعج ماؤه وياحبذا منظر الابلة اذا جزر الماء اومد فيه والابلة الآذقرية ذات مياه وجنات يسقيها فرع من الفراط ويرتفع ماؤه بالمد حتى يغطى البساتين والنخيل ثم تنكشف بالجزر يعنى ان مظهر الغابة مثل هذا

(١) الديجور الظلام. اللوح كل صفيحه عريضة يكتب عليها. المسوح جمع مسح بالكسر وهو الكساء من شعر ثوب تلبسه الرهبان

(المعنى) يقول ان الانسان اذا ولج هذه الحرجة فى وقت غاب فيه النور وخيم الظلام عليها وامسى الكون كأنه لوح من الصفيح كان مكتوبا فمسح او انه راهب فى المسوح السود أصابته خشية ومستة هيبة

(٢) (المعنى) يقول وبدت هذه الحرجة فى الظلام كانها غادة حسناء فى خمار او انها لنضارتها وهى فى الظلام صحيفه بيضاء انصب عليها حبر فاحالها الى صحيفة سوداء

غُصْنٍ بِسَوَادٍ • وَكَأَنَّ كُلَّ فَرْعٍ جَنَاحُ غُرَابٍ مُنْآدٌ [١] . وَكَأَنَّ أَشْجَارَهَا لُجٌّ مُتَلَاطِمٌ . أَوْ قَنًا مُتَلَاحِمٌ . وَكَأَنَّ فِي كُلِّ أَيْكَةٍ قُبَّةً تَتَهَدَّمُ . وَفِي كُلِّ عُودٍ حَيَّةً تَتَرَنَّمُ [٢] . وَكَأَنَّ تُرْبَهَا إِثْمِدٌ . وَكَأَنَّ حَصْبَاءَهَا يَنَعٌ أَوْ زَبَرْجَدٌ . وَكَأَنَّ المَصَابِيحَ فِيهَا أُشْعِلَتْ لِتُرِيَ الظَّلَامَ . لَا لِتَكْشِفَ الأَعْتَامَ [٣] . وَكَأَنَّ النُّجُومَ

---

(١) المنآد المنحني المنعطف

(المعنى) يقول وكأنما اكتسى كل غصن من الظلام ثوبا اسود أوانه وهو منحنى ومنعطف على شجرته وهو قاتم اللون جناح غراب منآد

(٢) المتلاطم الضارب بعضه بعضا. القنا الرماح وكل عصا مستوية. المتلاحم المشتبك. الايكة الشجرة العظيمة. تترنم تغنى والمراد به الفحيح

(المعنى) يقول وكان اشجار هذه الحرجة لتكاثفها لج تدالتطام بعضه فى بعض او انها هذه لاشتباك غصونها قنا متلاحم وكان فى كل شجرة قبة مضروبة حتى اذا ضغط الريح على هذه الايكة وهوى بها صارت كان تلك القبة تتهدم وكان حفيف الريح بالاشجار حية لها فحيح

(٣) الاثمد بالكسر حجر يكتحل به. الينع حجر أسود. الزبرجد حجر يشبه الزمرد وهو اخضر قاتم. الاعتام السير فى العتمة

(المعنى) يقول وكأن ترب هذه الحرجة وقد خيم الظلام عليها اثمد وحصباءها زبرجد وينع ويقول ان الظلام حينما التى رواقه على هذه الغابة كان شديدا متلبدا حتى أن المصابيح التى اشعلت فى المرء الغابة لم تكن لكى تكشف الظلام بل لترى هذه الظلام فقط ولقد اكثر الشعراء فى وصف الليل واشتداد ظلامه فمن ذلك قول احمد بن مجد الانطاكى

ليلى بتنيس ليلى الخائف العانى	تفنى الليالى وليلى ليس بالفانى
أقول اذ لج ليلى فى تطوله	ياليل أنت وطول الدهر سيان
لم يكف انى فى تنيس مطرح	مخيم بين اشجان واحزان
ماصاعد البرق من تلقاء أرضهم	الا تذكرت أيامى بنعمان
ولو حننت الى نجران من طرب	الا تكنفنى شوق لنجران
لا تكذبن فما مصر وان بعدت	الا مواطن اطرابى واشجانى

فَوْقَ تِلْكَ الاغْصَانِ . أَسِنَّةٌ عَلَى مُرَّانٍ . أَوْ أَنَّ كُلَّ غُصْنٍ مِنْ ذَاكَ السَّمُرِ وَالخَطِّ . حَسْنَاءُ وَالثُّرَيَّا فِي أُذْنِهَا قُرْطٌ[١] . وَكَأَنَّ المَجَرَّةَ جَدْوَلٌ فِيهِ الْحُوتُ وَالسَّرَطَانُ . يَسْقِي مِنْ عَلُ ذَلِكَ الْبُسْتَانَ[٢]

***

ليالى النيل لاأنساك ما هتفت	ورق الحمام على دوح وأغصان
أصبو الى هفوات فيك لى سلفت	قطعتهن وعين الدهر ترعانى
مع سادة نجب غر غطارفة	فى ذروة المجد من ذهل بن شيبان
وذي دلال اذا ماشئت انشدنى	وان أردت غناء منه غنانى
مازال يأخذها صفراء صافية	حتى توسد يسراه وخلانى
كم بالجزيرة من يوم نعمت به	على تصاحب نايات وعيدان
سقيا لليلتنا بالدير بين ربى	باتت تجر عليها سحب نيسان
والطل منحدر والروض مبتسم	عن اصفر فاقع أو أحمر قان
والنرجس الغض منهل مدامعه	كأن أجفانه اجفان وسنان

(١) الاسنة الرماح . المران الصلبة اللدنة الواحدة مرانة . السمر شجر من العضاه وليس فى العضاه أجود خشبا منه . الخط نوع من الاشجار . الثريا سبعة نجوم متجمعة فى السماء القرط الذى يعلق فى شحمة الاذن من درة ونحوها

(المعنى) يقول وكان النجوم وقد ظهرت فوق تلك الحرجة اسنة على أغصانها التى شبهت الرماح الطويلة أو أن كل غصن لارتفاعه ولدونته حسناء والثريا كالقرط فى اذنها

(٢) المجرة نجوم كثيرة لاتدرك بمجرد النظر وانما ينتشر ضوؤها فيرى كانه بقعة بيضاء . الحوت برج فى السماء . السرطان أيضا برج فى السماء . من عل اسم بمعنى فوق فان أريد به المعرفة كان مبنيا على الضم وان اريد به النكرة كان معربا مجرورا والمراد به هنا المعرفة

(المعنى) يقول وكأن المجرة جدول ولذلك كان فيه الحوت والسرطان اللذان هما من دواب البحر وأتى بهما تورية عن البرجين اللذين هما فى السماء ويقول ان ذلك الجدول يسقى ذلك البستان من عل وقال بن هانىء فى النجوم

فإذا بَزغَ القَمَرُ . وَألْقَى نورَهُ بَيْنَ الشَّجَرِ . أَلْفَيْتَهَا كأَنَّهَا غادَةٌ كَعَابٌ عليْهَا نقَابٌ . وكأنَّ قِطَعًا مِنْ مَاسٍ . بَيْنَ الاَغْرَاسِ . وكأنَّ البَدْرَ عَيْنٌ . تَسيلُ عَلَيْهَا بِلُجَيْنٍ . وكأنَّ في كُلِّ خُوطٍ سِرَاجٌ . وكأنَّ في كُلِّ بِرْكَةٍ زِئْبَقٌ رَجْرَاجٌ.[٢]

كأن سهيلا فى مطالع أفقه	مفارق ألف لم يجد بعده ألفا
كأن بنى نعش و نعشا مطافل	بوجرة قد أضللن فى مهمه خشفا
كأن سهاها عاشق بين عود	فآونة يبدو وآونة يخفى

(١) بزغ طلع . الكعاب البارزة النهد . النقاب القناع على مارن المرأة تستر بها وجهها . الماس حجر متقوم أي ذو قيمة اعظم مايكون حجما كالجوزة . الاغراس جمع غرس وهو المغروس . العين مصب ماء القناة . اللجين الفضة

(المعنى) يقول اذا طلع القمر والقى اشعته على الشجر رأيت الحرجة كأنها حسناء إنتقبت بقاب وكان قطع اشعته البيضاء وهى ملقاة على الاغراس حبات ماس وكان القمر عين تسيل على الحرجة بفضة

(١) الخوط الغصن الناعم . البركة مستنقع الماء . الزئبق سيال معدنى . الرجراج المضطرب

(المعنى) يقول وكان كل غصن وقد اكتسى بضوء القمر عليه سراج وكأن فى كل بركة وقد تكسر عليها ضوء القمر وقد ارتعش ماؤها واضطرب زئبق مرتج وقال بعضهم

علل فؤادك باللذات والطرب	وباكر الراح بالبانات والنخب
اما ترى البركة الغناء لابسة	وشيا من النور حاكته يد السحب
واصبحت من جديد الروض فى حلل	قد ابرز القطر منها كل محتجب
من سوسن شرق بالطل محجره	واقحوان شبيه الظلم والشنب
فانظر الى الورد يحكى خد محتشم	ونرجس ظل يبدي لحظ مرتقب
والنيل من ذهب يطفو على ورق	والراح من ورق يطفو على ذهب
ورب يوم نقعنا فيه غلتنا	بجاحم من فم الابريق ملتهب
شمس من الراح حيانا بها قمر	موق على غصن يهتز فى كثب

وَكأنَّ عَلَى الشِّعَابِ . سَرَابٌ . وَكأنَّ كُلَّ زَهْرَةٍ ثَغْرٌ بَاسِمٌ . وَفى كُلِّ جَدْوَلٍ أَسِنَّةٌ وَصَوَارِمُ [١]

وَلَقَدْ خَبَطْتُ الغَابَ أَسْأَلُ لَيْلَهُ
عَنْ سِرِّ صُبْحٍ فِي حَشَاهُ مُضْمَرِ [٢]
تَدُوسُ الخَيْلُ إِنْ مَرَّتْ عَلَيْهِ
مُتُونَ سَجَنْجَلٍ مُتَرَاصِفَاتِ [٣]

***

فإِذَا مَا انْطَفَأَ النَّجْمُ مَعَ الصَّبَاحِ . كَأَنَّهُ مِصْبَاحٌ . وَبَدَا الفَجْرُ تَحْتَ الغَيْهَبِ كَأَنَّهُ مَاءٌ تَحْتَ طُحْلُبٍ [٤] وَتَلاَ الإِشْرَاقُ . كَالشَّجَّةِ السِّمْحَاقِ . أَوْ نَارٍ فِى رَمَادٍ

أرخى ذوائبه وانهز منعطفا   كصعدة الرمح فى مسودة العذب

(١) الشعاب جمع شعب بالكسر وهو مسيل الماء فى بطن الارض . السراب ما ترا نصف النهار من الحر كالماء يلصق بالارض

(المعنى) يقول وكان الشعاب وقد طفا عليها ضوء القمر سراب تموج عليها وكأن كل زهرة لنور القمر ثغر مبتسم وكأن فى كل جدول لاستطالة شبح القمر عليه أسنة وسيوف

(٢) خبطت وطأت . الغاب شجر ملتف

(٣) المتون الظهور . السجنجل المرآة : متراصفات مضموم بعضها الى بعض

(المعنى) يقول ان ضوء القمر على ارض الحرجة كالمرايا المتقاربات المتلاصقات فان مرت عليها الخيل كانت كأنها تدوس هذه المرايا . وكل ما تقدم وصف للنجوم والليل والانوار وطلوع القمر والزهور والرياض

(٤) الغيهب الظلام : الطحلب خضرة تعلو الماء المزمن

(المعنى) يقول فاذا ما طلع الصباح بضوئه رأيت النجم انطفأ كما يطفأ المصباح فى الصباح وقد بدا الفجر كالماء تحت الطحلب

أوْ سَيْفٍ عليْهِ دَمٌ جِسَادٌ[1] الْفَيْتَ الْحَرَجةَ كأنّ عليْها خُسْرَوانيَّةً . فَوْقها
وَشائعُ مِنْ ذَهَبٍ سائِلٍ . أوْ حُلَّةٌ مَوْشِيَّةٌ . بِهَا جَادِيٌّ جائِلٌ[2] . وكأنّما على كُلِّ
وَرَقةٍ دِينارٌ . وفي كُلِّ جَدْوَلٍ كأْسُ عُقَارٍ . وكأنَّ كُلَّ غَرْسٍ . عَبْهَرٌ
وَكُلَّ زَهْرةٍ شَنْفٌ أنْضَرُ[3]

نَزَلُوا بأرْضِ الزّعْفَرانِ وَغَادَرُوا
أرْضاً تَرُبُّ الشّيحَ وَالقَيْصُومَا[4]

---

(١) الاشراق طلوع الشمس . الشجة جراحة الراس خاصة . السمحاق قشرة رقيقة فوق عظم الرأس وبه سميت الشجه اذا بلغتها . جساد مصدر جسد الدم اى لصق
(المعنى) يقول وتلا الفجر طلوع الشمس كالشجة الطويلة التى بلغت السمحاق او النار المصهورة فى الرماد أو أنه سيف لصق به دم أحمر قانى

(٢) الخسروانية نوع من الثياب ملونة. الوشائع جمع وشيعة وهى الطريقة فى البرد وكل لفيفة وشيعة . الموشيه المطرزة . الجادى الزعفران . الجائل فى الاصل الغير مستقر والمقصود به هنا المتموج
(المعنى) يقول حتى اذا ما فاض نور الشمس على هذه الحرجة رأيت كانما نشرت عليها خسروانية وكان الجداول فيها وقد صبغتها أشعة الشمس وشائع أى طرق من ذهب سائل أو أن الحرجة حلة موشية أى مطرزة وأشعة الشمس عليها كالزعفران المتموج

(٣) العقار الخمر . العبهر نبت اصفر . الشنف بالفتح القرط . الانضر الذهب
(المعنى) يقول وكانما على كل ورقة من اوراق اشجار هذه الحرجة دينار من ذهب وذلك لاصفرار هذه الاوراق من ضوء الشمس وكان فى كل جدول ايضاً كاس من الخمر لصفرة الماء بلون الشمس وكان كل زهرة من زهراتها قرط من الذهب ومن امثال العرب (احسن من الشنف الانضر).

(٤) ترب تجمع . الشيح نبات أنواعه كثيرة وكله طيب الرائحة . القيصوم نبات ذهبى الزهر طيب الرائحة يتداوى به
(المعنى) يقول وقد أراد ان يستشهد اهو نيه من وصف الحرجة وهى مكتسية لون الذهب

***

وَفِي هٰذِهِ الغَابَةِ (حَدِيقَةُ النَّبَاتِ) وَهِيَ رَقْمَةٌ زَهْرَاءُ . وَوَدِيفَةٌ غَلْبَاءُ .
كأنَّمَا نُشِرَ كِتَابُ دِيسقُورِيدِسَ فِي بُسْتَانِهَا . وَنُثِرَتْ رَبِيعِيَّاتُ كُشَاجِمَ بَيْنَ
أَيْكِهَا وَخِيطَانِهَا [٢] . أَوْ كَأَنَّهَا رَامَةُ أَوْ خَمَّانُ . أَوْ أَنَّهَا سَفِينَةُ نُوحٍ حَمَلَتْ كُلَّ

من أشعة الشمس عليها فذكر هذا البيت لمشابهة لون الزعفران لصبغة الشمس فقال أن أحبابي الذين ترحلوا عن بلاد العرب نزلوا بأرض تنبت الزعفران وغادروا الارض التى تنبت الشيح والقيصوم وهى بلاد البداوة

(١) الرقمة الروضة . الزهراء المشرقة. الوديفة الروضة الخضراء . الغلباء المتكاثفة (المعنى) يقول وفى هذه الغابة المسماة (غابة بولونيا) حديقة النبات وهى روضة جمعت الكثير من أنواع النباتات على اختلاف أجناسها وتباين أنواعها فكانها وادي أشي الذى يقول فيه الشاعر

ياحبذا حين تمسى الريح باردة	وادى أشي وفتيان به هضم
ياليت شعرى عن جنبى مكشحة	وحيث يبنى من الحناءة الاطم
عن الاشاءِ هل زالت مخارمها	وهل تغير من آرامها أرم
وجنة ما يذم الدهر حاضرها	جبارها بالندي والحمل محتزم

(٢) ديسقوريدس نباتى مشهور جدا وعلى الخصوص فى كتب العرب ولد فى عين زربة وهى سيزاريا أوغسطا القديمة فى القرن الاول للميلاد وقد الف كتبا كثيرة فى النبات ولم يبق من كتب ديسقوريدس الطبية الاخمسة ومن لم يكن بين اليونان أشهر من ديسقوريدس وثيوفرست فى علم النبات وزاد ديسقوريدس على ثيوفرست بانه أشتغل فى معرفة خواص النباتات الطبية اكثر مما اشتغل فى ماهيتها الطبيعية ولذلك اعتبرت كتبه كثيرا وطبعت عدة مرات وينسب اليه أيضا كتاب فى المواد السامة ومايضادها من الادوية وآخر فى العلاجات . ووجد نسخة خط منسوبة اليه أتى بها بسبك من القسطنطينية الى فينا فى أواسط القرن السادس عشر وفيها صور النباتات وصور أشهر الاطباء الاقدمين وصورة ذلك يسقوريدس نفسه ويظن أنها تاليف ابنة الامبراطور اوليبروس ونسخة أخرى منسوبة اليه أيضا محفوظة فى المكتبة الملكية بفرنسا

تتضمن الفاظا عربية وقبطية يظن انها كتبت فى مصر نحو القرن التاسع وأقدم نسخة مطبوعة من تصانيف ديسقوريدس طبعت سنة ١٤٩٩ وآخر طبعة لها كانت ١٥٩٨ وهى أحسن نسخة وترجمت كتب ديسقوريدس الى كل اللغات الاوربية وأما علماء العرب فاخذوا عنها كثيرا وترجموها من اليونانية وشرحوا بعضها وطال زمان اشتغالهم بها وقد نص على كتبه كاتب جلبى المعروف بحجى خليفة فى كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون بقوله « كتاب الادوية فى خمس مقالات لديسقوريدس استوعبها ابن البيطار فى جامعه بنصه اولا فى الادوية العطرية ثانيا فى الحيوانات ورطوباتها والحبوب والبقول ثالثا فى أصول النباتات والبزور والصموغ رابعا فى حشائش باردة وحارة خامساً فى الكرم « أنواع الاشربة والادوية المعدنية ويذكر مقالتين فى سموم الحيوان منسوبتين اليه ولم يتكلم عن الادوية وفسر كتاب الادوية ابن البيطار المذكور فى كتاب وله السبق فى معرفة الادوية » وذكر كاتب جلبى لديسقوريدس كتابا فى الحشائش والنبات وقال داوم أربعين سنة على معرفة منافعها حتى وقف على منافع البذور والحبوب والقشور واللبوب وصنف واخبر به تلاميذه وقال فى موضع آخر « كتاب ديسقوريدس الحكيم صور فيه الحشائش بالتصوير الرومى وكان مكتوبا بالقلم الاغريقى الذى هو اليونانى القديم وفى سنة ٣٤٠ هجرية بعث رومانس قيصر صاحب القسطنطينية الى الملك الناصر صاحب الاندلس براهب يسمى نيقولا لاستخراج ما جهل من اسماء عقاقير كتاب ديسقوريدس الى اللسان العربى وترجمه اسطفان بن بسيل الترجمان » وهذا دليل كاف على اعتناء العرب بكتب هذا الحكيم - كشاجم هو أبو الفتح محمود بن السند بن شاهك الكاتب المعرف بكشاجم كان اديبا شاعرا مجيدا متفننا وقد اشتهر فى شعره بوصف الربيع والزهور والرياض حتى ضرب به المثل فقيل انضر من ربيعيات كشاجم ومن ربيعاته قوله

ياطيب يوم خلاعة وبطالة	قصرته بتمتع ولذاذة
فى روضة جليت على أبصارنا	فى ما اكتسته من الحلى النابت
والغيث يبكى فى خلال نباتها	والبرق يضحك منه ضحك الشامت
والورد كالوجنات والانفاس من	ظبى غرير عند صب بايت
وتعلق الاترج فى أغصانه	مثل النهود قد اتكت او كادت
وتجاوبت نغم الحمائم بالضحى	يسجعن بين بلابل وفواخت
يوم حمدت به الزمان وحكمت	فيه الشمول من العقول خارت

حَيَوَانٍ . فَفِيهَا (القَسْوَرَةُ) أَبُو الأَشْبَالِ . يَرْسُفُ فِى الأَغْلالِ . كَأَنَّهُ فِى

وقال

حى الربيع تحية المستقبل	اهدي السرور لنا بغيث مسبل
متكاثف الانواء منغدق الحيا	هطل الندي هزم الرعود مجلجل
جاءت بعزل الجدب فيه فبشرت	بالخطب أنواء السماك الاعزل
فى ليلة حجب السماء نجومها	فكانها أفلت وان لم تافل
والبدر من خلل الغمام كأنه	قبس يضيء وراء ستر أكحل
وكأن لمع البرق فى وجناته	كف الشجاع تهز متن المنصل
يدنو فيحسب للرياض معانقا	طورا ويعطفه هبوب الشمأل
كالصب هم بقبلة حتى اذا	لحظته عين رقيبه لم يفعل
فامنح أخاك الغيث وجه طلاقة	والق الربيع بأنسة وتهلل
واعرف له حق القدوم بقهوة	عذراء تمزج بالزلال السلسل
صهباء تجلى فى الزجاج ويتقى	منها اليم القتل ان لم تقتل
كالخد لافته العيون فعصفرت	مبيض وجنته بلحظ مخجل
من كف مياس القوام كانه	ريحانة ريانة لم تذبل

الايك جمع ايكة وهو الشجر العظيم . الخيطان جمع خوط وهو الغصن الناعم

(المعنى) يقول فكانما حديقة النبات نشر كتاب ديسقورس فى بستانها أو فرقت ربيعيات كشاجم بين أشجارها واغصانها

(١) رامة منزل بينه وبين الرمادة ليلة فى طريق البصرة الى مكة ومنه الى أمرة وهى آخر بلاد بنى تميم وبين رامه وبين البصرة اثنا عشر مرحلة وفيها جاء المثل (تسئلنى برامتين سلجما) وقيل رامة هضبة وقيل جبل لبنى دارم وهى مشهورة بالغزلان وقال جرير

حى الغداة برامة الاطلالا	رسما تحمل أهله فأحالا
ان السواري والغوادي غادرت	للريح مخترقا به ومجالا
لم الق مثلك بعد عهدك منزلا	فسقيت من سبل السماك سجالا
أصبحت بعد جميع أهلك دمنة	قفرا وكنت محلة محلالا

لرِّتَاجِ . يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ فِي سِجْنِ الْحَجَّاجِ . فِي هَامَةٍ . كَهَضْبَةٍ مِن

ويقال له خفية وقال الشاعر

من المحميات الغيل غيل خفية ترى تحت لحييه الفريس المعفرا

سفينة نوح هى السفينة التى ورد ذكرها فى القرآن والتى نجا نوح بها وقومه وكثير من أنواع الحيوان من الطوفان

(المعنى) يقول ان هذه الحديقة جمعت كثيرا من أنواع الحيوان فكانها رامة او خفان فى الاولى الظباء وفى الثانية الاسود او لانها لجمعها الصنوف من الحيوان سفينة نوح وقد ذكرها مجملة وفى التالى تفصيل لبعض مافيها من الحيوان ووصف كل على حدته

(١) القسورة الاسد . الاشبال جمع شبل وهو ولد الاسد . يرسف يمشى مشية المقيد. الاغلال جمع غل وهو القيد . الرتاج الباب العظيم — يزيد بن المهلب هو ابو خالد يزيد بن المهلب بن ابى صفرة الازدى. لما مات أبوه المهلب بن أبى صفرة استخلف ولده يزيد مكانه ويزيد ابن ثلاثين سنة فمكث نحوا من ست سنين من يومئذ فعزله عبد الملك بن مروان برأى الحجاج بن يوسف وولى مكانه فى خراسان قتيبة بن مسلم الباهلى وصار يزيد فى يد الحجاج وكان الحجاج زوج اخته هند بنت المهلب وكان يكره يزيد لما يري فيه من النجابة ويخشى منه لئلا يترتب مكانه فكان يقصد بالمكروه فى وقت كى لا يثبت عليه وهرب يزيد من حبس الحجاج الى الشام يريد سليمان بن عبد الملك فاتاه فشفع له الى أخيه الوليد بن عبد الملك فامنه وكف عنه ثم ولاه سليمان خراسان حين أفضت اليه الخلافة فافتتح جرجان ودهستان وأقبل يزيد يريد العراق فتلقاه موت سليمان بن عبد الملك فصار الى البصرة فاخذه عدى بن ارطاة فاوثقه وبعث به الى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فحبسه عمر فهرب من حبسه وأتى البصرة ومات عمر فخالف يزيد وخلع يزيد بن عبد الملك فوجه اليه أخاه مسلمة فقتله . وكان يزيد فارسا شجاعا مدبرا حكيما جوادا كريما حكى الاصمعى قال ان الحجاج قبض على يزيد واخذوه بسوء العذاب فسأله أن يخفف عنه العذاب على ان يعطيه كل يوم مائة الف درهم فان اداها والا عذبه الى الليل قال فجمع يوما مائة الف درهم ليشترى بها عذابه فى يومه فدخل عليه الاخطل الشاعر فقال

ابا خالد بادت خراسان بعدكم وصاح ذوو الحاجات أين يزيد
فلا مطر المروان بعدك مطرة ولا أخضر بالمروين بعدك عود

تِهَامَةٍ . وَعَيْنَيْنِ . كَنَارَيْنِ فِي غَارَيْنِ . وَنَابٍ . كَأَنَّهُ سَيْفُ زُهَيْرِ بْنِ جَنَابٍ [٢] وَظُفْرٍ . كَأَنَّهُ هِلَالٌ فِي أَوَّلِ شَهْرٍ [٣] . وَ(الفِيَلَةُ) كَأَنَّهَا بُرُوجٌ مُشَيَّدَةٌ : أَوْ بِنَاطِرٍ مُقَرْمَدَةٌ . اوْ قِطَعٌ مِنَ اللَّيْلِ عَلَى الارْضِ . اوْ لُجَجُ البَحْرِ يَدْفَعُ بَعْضُهَا بَعْضًا

فما لسرير الملك بعدك بهجة   ولا لجواد بعد جودك جود

فاعطاه المائة الف فبلغ ذلك الحجاج فدعا به وقال يامروزى أفيك هذا الكرم وانت بهذه الحالة قد وهبت لك عذاب اليوم وما بعده واخبار يزيد بن المهلب كثيرة وتاريخه طويل وفى هذا القدر كفاية ـ الحجاج بن يوسف الثقفى قد تقدمت ترجمته فى غير هذا الموضع من الكتاب

(المعنى) يقول فمن هذه الحيوانات الاسد يرسف فى قيوده واغلاله كيزيد بن المهلب فى سجن الحجاج

(١) الهامة الرأس ـ الهضبة الارض المرتفعة . تهامة موضع معروف . الغار الكهف «المعنى» يقول ان هذا الاسد له رأس تبلغ فى ضخامتها الهضبة وله عينان كانهما وهما فى جحاظيهما ناران فى كهفين

(٢) الناب السن خلف الرباعية . سيف زهير بن جناب من سيوف العرب المشهورة واسمه البج

(المعنى) يقول ولهذا الاسد ناب محدد الطرف كانه سيف زهير المرىء المشهور فى سيوف العرب

(٣) الظفر من الاسد البرثن

(المعنى) يقول وله ظفر كانه فى أعوجاجه والتوائه هلال فى أول الشهر

(٤) الفيلة جمع فيل وهو حيوان معروف : البروج الحصون . المشيدة المطلية بالشيد المقرمدة المطلية بالقرمد أو مبينة بالآجر والحجارة . قطع الليل القطع من الظلام . اللجج جمع لجة

«المعنى» يقول وفى هذه الحديقة من أنواع الحيوان الفيلة ووصفها لضخامة اجسامها بالحصون المرتفعة اوانها قطع من الظلام المتراخى على الارض اوانها وهى مزدحمة فى الحديقة ومضطربة فى حبسها امواج البحر تصطدم وتلتطم

أو سَحَابٌ ثِقَالٌ: أو أنَّ أخفافَهَا رَحىً تُطْرَحُ وَتُشَالُ [1]. أو أنَّهَا لَيْلٌ وَالنَّابُ هِلالٌ. أو أنيَابُهَا رِمَاحٌ طِوَالٌ [2]

إِذَا مَا رَكِبَ الفِيلَ
لِحَرْبٍ أوَ لِمَيْدَانِ
رَأَتْ عَيْنَاكَ سُلْطَانًا
عَلَى مِنْكَبِ شَيْطَانِ [3]

«١» الثقال الثقيلة الممتلئة. الخفاف جمع خف بالضم للبعير والنعام بمنزلة الحافر من غيرها. الرحى طاحون وهى حجر مستدير. تطرح وتشال توضع وترفع

«المعنى» يقول أو ان هذه الفيلة لضخامتها وسيرها كالسحب الثقيلة الممتلئة بالماء وان اخفافها وهى تنقلها فى السير رحى توضع وترفع لثقلها

«٢» الناب السن. الرماح جمع رمح

«المعنى» يقول أو أن هذه الفيلة لاسوداد جلدها ظلام وموضع الناب من شدقها موضع الهلال من السماء او ان انيابها رماح طويلة

«٣» المنكب مجتمع رأس الكتف والعضد

«المعنى» يقول اذا ركب الفيل للحرب او للمواكب رأيت ملكا على منكب شيطان ولم نر فى وصف الفيل غير ما اورده الثعالبى فى كتاب يتيمة الدهر عند ذكر الصاحب بن عباد قال. لما حصل الصاحب فى وقعة جرجان على الفيل الذى كان فى عسكر خراسان امر من بحضرته من الشعراء ان يصفوه فى تشبيب قصيدة على وزن قافية قول عمرو بن معدى كرب

اعددت للحدثان سا بغة وعداء علندا

فقال أبو الحسن

فيل كرضوى حين يلبس — من رقاق الغيم بردا
مثل الغمامة ملئت — اكنافها برقا ورعدا
فتراه من فرط الدلال — مصعرا للناس خدا

(وَالفَهْدُ) كأنما عَلَيْهِ مِنْ حَدَقٍ نِطَاقٌ . أوْ نَثَرَ عَلَيْهِ الشَّجَرُ الاوْرَاقَ[1] .
يُرِيدُ الفَتْكَ وَلَا يُرِيدَ . (أمَكْرٌ وَأنْتَ فِي الحَدِيدِ)[2] . وَ (الظِّبَاءُ) تَمْرَحُ بَيْنَ
الآكَامِ . كَظِبَاءِ مَكَّةَ صَيْدُهَا حَرَامٌ[3] . كأنَّ كُلَّ ظَبْيَةٍ دُمْيَةٌ . وَكأنَّ فِي

يزهى بخرطوم كمثل الصولجان يرد ردا
متمرد كالافوان تمده الرمضاء مدا
او كم راقصة تشير به الى الندمان وجدا
أذناه مروحتان اسندتا الى الفودين عقدا

(١) الفهد سبع يصاد به وهومن السباع شديد الغضب ذو وثبات • الحدق جمع حدقة وهي سواد العين • النطاق مايشدبه الوسط

(المعنى) يقول ومن حيوانات هذه الحديقة الفهدوهو كانه لرقشةجلده كانما انتطق بحدق العيون او انه لنقشة أديمه نثر الشجر عليه اوراقه

(٢) (امكر وأنت فى الحديد) هذا مثل يضرب لمن اراد ان يمكر وهومقهور وقائله عبد الملك بن مروان قاله لسعيد بن عمرو بن العاص وكان مكبلا فلما أراد قتله قال يا أمير المؤمنين ان رأيت ان لاتفضحني بان تخرجني للناس فتقتلني بحضرهم فافعل وانما اراد سعيد بهذه المقالة ان يخالفه عبد الملك فيما أرادفيخرجه فاذا اظهره منعه أصحابه وحالوا بينه وبين قتله فقال ياأمية أمكر وأنت فى الحديد

(المعنى) يقول ان الفهد لغدره ومكره . ولسجنه فى قفص من حديد يريد ان يغدر ولاقدرة له على الغدروضرب لذلك المثل وهو من أحسن الاستشهادات التى انفرد بها السيد المؤلف فى كتابته

(٣) الظباء جمع ظبى . تمرح تنشط وتفرح . الآكام جمع اكمة وهى التل .

(المعنى) يقول ومن حيوانات هذه الحديقة الظباء تثب بين آكام اصطناعية تصنع تقليداً للطبيعية لتانس بها الحيوانات الوحشية وهى فى محل مأمون بحيث لاتمتد اليها يد قانص ولا يذعرها صائد فكانها ظباء مكة فى حرمة صيدها

مَحَاجِرِهَا عُيونَ لَيْلَى وَمَيَّةَ
شَادِنٌ يَرْتَعِي الزُّهُورَ بِبَارِيسَ
وَلا يَرْتَعِي الْخَلاَ بِالنِّبَاجِ [٢]

وَ(حِمَارُ الوَحْشِ) أَحقَبُ مُدْمِجٌ . كأنَّه المِحلَجُ . مُلَمَّعُ الاطْرَافِ . كأنْما بُسِطَ عَلَيْهِ طِرَافٌ [٣] : بِهِ شَامٌ . كأنَّها خُطُوطُ الاقْلاَمِ [٤] . وَإلى جَانِبِهِ قُودٌ

---

(١) الدمية الصورة من عاج . المحاجر جمع محجر وهو عظم العين . ليلى ومية اسمان من اسماء نساء العرب.

(المعنى) يقول كان كل ظبية فى الحسن والنصاعة دميه أو ان فى محاجرها عيون ليلى ومية لحلاوة عيون العربيات.

وقال عدى بن الرقاع

وكأنها بين النساء اعارها عينيه احور من جآزر جاسم
وسنان اقصده النعاس فرنقت فى عينه سنة وليس بنائم

(١) الشادن الغزال . يرتعى يرعى . الخلا الرطب من النبات . والوحدة خلاة . النباج بالفتح الآكام العالية.

(المعنى) يقول ان هذه الظباء بوجودها فى باريس ترعى الزهور بها ولا ترعى الرطب من النبات بين التلال والاكام وانى لها ذلك وقد انتقلت من بلاد البدو والوبر الى الحضر.

(٣) الاحقب حمار الوحش فى موضع حقبه بياض . المدمج المتداخل فى بعضه . المحلج ما يحلج عليه القطن . ملمع الاطراف أى ملونها : طراف الطراف الثوب الملون.

(المعنى) يقول ومن حيوانات هذه الحديقة حمار وحش وهو أحقب متداخل فى بعضه فكانه لصلابته وخفته عود المحلج وقد تلون جلده فكانما بسطت عليه طرافا.

(٤) الشام جمع شامة وهى خطوط سود مخالفة لما فى جرارها.

(المعنى) يقول وبجلد هذا الحمار خطوط سود كانها خطوط الاقلام فى الصحف البيضاء.

ثمَان .كأَمْرَاسِ الكَتَّانِ . يَدُورُ بِهَا بَيْنَ الاسْوَارِ . كأَنَّهُ إِسْوَارٌ[١] وَقَدْ ذَكَرَ بَطْحَاءَ عَمَّانَ . وَالغَوَيْرَ وَالصَّمَّانَ . حَيْثُ كَانَ يَرْعَى الجَزَعَ وَالأَرْطَابَ . إِلَى أَن تَتَصَوَّحَ الأَعْشَابُ[٢] . فَيَسُوقُهَا في البَيْدَاءِ . إِلى عُيُونِ المَاءِ . تَنْجُدُ فِي

---

(١) القود جمع قوداء وهى الذلولة .المنقادة امراس الكتان الحبال منه . الاسوار جمع سور وهو الحائط المقام.. الاسوار قائد الفرس

(المعنى) يقول ان هذا الحمار الوحشي يمشي وبجانبه ثمان أتن من جنســه كالحبال من الكتان فى ضمورها وصلابتها يدور بها بين حواجز الحديقة كقائد وهو يقود جنده

(٢) البطحاء الارض المتسعة — عمان بلدة على سيف البادية ذات قري ومزارع ورستاقها البلقاء وهى معدن الحبوب والانعام بهاعدة انهار وارحية يديرها الماء . قال الاحوص بن محمد الانصارى

اقول بعمان وهل طربى به ... الى اهل سلع ان تشوقت نافع

اصاحِ الم يحزنك ريح مريضة ... وبرق تلالا بالعقيقين لامع

وان غريب الدار مما يشوقه ... نسيم الرياح والبروق اللوامع

وكيف اشتياق المرء يبكى صبابة ... الى من نأى عن داره وهو طامع

وقد كنت اخشى والنوى مطمئنة ... بنا وبكم من علم ماالله صانع

اريد لانسى ذكرها فيشوقنى ... رفاق الى ارض الحجاز رواجع

وقال الخطيم العكلى يذكر عمان

اعوذ بربى أزارى الشام بعدها ... وعمان ما غنى الحمام وغردا

فذاك الذى استنكرت ياأم مالك ... فاصبحت منه شاحب اللون اسودا

وانى لماضى العزم لو تعلمينه ... وركاب اهوال يخاف بها الردى

الغوير ماء لكلب بين العراق والشام بارض السماوة وقيل ماء بين العقبة والقاع فى طريق مكة فيه بركة وقباب لام جعفر تعرف بالزبيدية ــ الصمان ارض غليظة دون الجبل والصمان ارض فيها غلظ وارتفاع وفيها قيعان واسعة تنبت السدر ورياض معشبة واذا أخصبت ربعت العرب جمعاوكانت الصمان فى قديم الدهر لبنى حنظلة والصمان ايضا من نواحى

الأَوْعَاثِ . وَتَرْمِي أَيْدِيهَا بِالْعَرَارِ وَالْجَثْجَاثِ[1] . مُسْتَوِيَاتٍ فِي الصَّفِّ . كَأَصَابِعِ الْكَفِّ . تَحِيدُ عَنْ اظْلالِهَا فَرَقًا . وَتَهْوِي فِي الصَّوَّانِ زَلَقًا[2] . حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْمَنْهَلَ وَرَدَتْهُ تَمْصَعُ بِالأَذْنَابِ . مِنْ لَوْحٍ وَذُبَابٍ[3] . وَقَدِ اخْتَبَأَ لَهَا الصَّائِدُ فِي غِيلٍ قَصْبَاءَ . وَنَامُوسٍ فِي جَوْفِ شَجْرَاءَ . وَفِي يَدِهِ سِهَامٌ حَجْرِيَّةٌ

الشام بظاهر البلقاء قال حسان بن ثابت

لمن الديار أقفرت بمعان   بين شاطى اليرموك فالصمان

فالقريات من بلاس فداريا   فشكاء فالقصور الدوانى

الجزع مجتمع الشجر . الارطاب جمع رطب كصرد نضيج البسر . تتوصح تيبس . الاعشاب جمع عشب بالضم وهو الكلاء الرطب

(المعنى) يقول ان هذه الحمر تتذكر وهى بباريس مواطنها الاصلية من مثل بطحاء عمان ومياه الغوير وخضر الصمان وهى المواضع التى يرعى بها الكلاء والارطاب الى ان تيبس اعشابها فينكفىء يبحث عن غيرها

(١) البيداء الفلاة المتسعة . تنجد تعلو . الاوعاث جمع وعث وهو الطريق الخشن . العرار بالفتح بهار ناعم اصفر طيب الرائحة . الجثجاث نبت من امرار الشجر

(المعنى) يقول ان هذا الحمار الوحشي يسوق القود التى معه فى البيداء ليوردها الماء فتظل سائرة معه فى كل ارض خشنة وهضبة مرتفعة وتخبط بيديها البنت فتدهسه

(٢) تحيد من حاد عن الشيء مال عنه . فرقا خوفا . تهوى تسقط . الصوان الحجر الصلب . زلقا زللا

(المعنى) يقول فاذا سارت هذه الحمر تسير وهى مستويات فى صفها استواء أصابع اليد وانتظامها فاذا مارأت اظلالها واشباحها فى الارض حادت عنها خوفا وجزعا فتثب لتنجو منها فلا يزال الظل يتبعها فمن ذعرها تعثر فى الجلاميد فتسقط

(٣) المنهل المورد . وردت بلغت . تمصع تحرك ذنبها وتضرب به . اللوح العطش الذباب هو البعوض الذى يكون على المناهل

(المعنى) يقول حتى اذا بلغت الماء وردته وهى تحرك اذنابها من حرقة العطش ومن

وَكَبْدَاءُ نَبْعِيَّةٌ[١] . فَرَمَى فَأَلْقَى أَتَانَاً وَانْصَاعَ البَاقُونَ مَثْنَى وَوُحْدَانَا[٢]
وَالتَّمَاسِيحُ وَالتَّيَاتِلُ وَالأَيِّلُ

لسع الذباب

(١) اختبأ اختفى وكمن . الغيل بالكسر الشجر الكثير . القصباء قال سيبويه واحد وجمع وهي الاجمة . الناموس بيت الصائد . الشجراء الشجر الملتف كالاجمة . حجرية نسبة الى الحجر وهي ديار ثمود بوادالقرى بين المدينة والشام وقال الاصطخرى الحجر قرية صغيرة قليلة السكان وهو من وادى القرى على يوم بين جبال وبها كانت منازل ثمود قال الله تعالى «وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين» قال ورأيتها بيوتاً مثل بيوتنا فى اضعاف جبال وتسمى تلك الجبال الاثالث وهى جبال اذا رآها الرائى من بعد ظنها متصلة فاذا توسطها رأى كل قطعة منها منفردة بنفسها يطوف بكل قطعة منها الطائف وحواليها الرمل لا يكاد يرتقى كل قطعة منها قائمة بنفسها لا يصعدها احد الا بمشقة شديدة وبها بئر ثمود التى قال الله فيها وفى الناقة «لها شرب ولكم شرب يوم معلوم» وقال جميل

اقول لداعى الحب والحجر بيننا ووادى القرى لبيك لمادعانيا
فما احدث النأى المفرق بيننا سلوا ولاطول اجتماع تقاليا

كبداء القوس يملا الكف مقبضها . نبعية نسبة الى النبع وهو شجر تتخذ منه القسى ومن اغصانه السهام

(المعنى) يقول وقد اختبأ لها الصائد فى اجمة ملتفة الاشجار وفى يد ذلك الصائد سهام منسوبة الى حجر التى تقدم ذكرها وقوس مصنوعة من النبع

(٢) الاتان الحمارة مؤنثة . انصاع انفتل راجعاً . مثنى ووحداناً ازواجاً وافرادا

(المعنى) يقول حتى اذا رمى فاصابت سهامه انثى منهن فذعر الباقون وانقلبوا فى البيداء راجعين وكل ماتقدم من هذه الفقرات وصف للحمر الوحشية فى مواطنها الاصلية وكيف كانت تسير فى البيداء وترد المناهل وترعى العشب وكيف كان يختبىء الصائد فى الغابات والاوغال وقد اجاد السيد فى كل ذلك غاية الاجادة حتى انك عندما تقرأ هذه الفقرات ظننت نفسك فى جزيرة العرب ايام الجاهلية تستظل بالسلم والضال وتستنشق الشيح والقيصوم وقد مرت عليك هذه الحمر ورأيتها كما وصفها السيد المؤلف وهى براعة فى التصوير وقدرة فائقة على التعبير

شَتّى وَالرِّيمُ وَاليَعْفُورُ

وَ (الكِلاَبُ) . عَلَى أَضْرَابٍ . فَمِنْهَا الضَّارِي . الّذِي أَعَدَّهُ الشَّاعِرُ للطَّارِي

أعْدَدْتُ لِلضِّيفَانِ كلْبًا ضَارِيًا
عِنْدِي وَفَضْلَ هِرَاوَةٍ مِنْ أرْزَنِ [٢]

وَمِنْهَا الاَلُوفُ . الدَّاعِي للمَعْرُوفِ

وَفَرْحَةٍ مَنْ كِلاَبِ الْحَيّ يَتبَعُهَا
مَحْضٌ يَزُفُّ بِهِ الرَّاعِ وَتَرْعِيبُ [٣]

«١» التماسيح جمع تمساح وهو حيوان بحري • التياتل جمع تيتل نوع من البقر الوحشي • الايل كتنب وخلب وسيد الوعل • شتى كثيرة • الريم الظبي • اليعفور ولد البقر الوحشي.

«المعنى» يقول وفي هذه الحديقة كل ما ذكره من الحيوانات من مثل التمساح والتيتل والايل والظبي واليعفور يعني انها جمعت الكثير من الحيوانات على الاختلاف انواعها

«٢» الاضراب الانواع • الضارى المتعود على الصيد الخبير به • الطارى المقبل • الضيفان جمع ضيف • الفضل البقية • الهراوة العصا • الارزن شجر صلب تتخذ منه العصى

«المعنى» يقول وفي هذه الحديقة من الحيوانات الكلاب وهي انواع مختلفة فاراد ان يفصل ويذكر كلا على حدته فقال ان منها الضارى وهو المتعلم العقور الذي أعده صاحبه لكل من يطرأ عليه وذكر بيتا لشاعر من الشعراء وهو قوله انى اعددت كلبا ضاريا لكل ضيف يطرقني وعصا صلبة متخذة من شجر الارزن.

«٣» الالوف الكثير الالفة والمستأنس • الفرحة المسرة • الحي القبيلة • المحض الخالص والمراد به هنا اللبن الخالص وهو من اطلاق العام وارادة الخاص . يزف يسرع : الترعيب جمع ترعيبة وهي القطعة من السنام.

«المعنى» يقول ومن هذه الكلاب المستأنس الذي يفرح بطروق الضيفان لانه يناله

وَمِنْهَا السَّلُوقِيُّ الَّذِي كَأَنَّهُ القَوْسُ إِلاَّ أَنَّهُ السَّهْمُ. وَالعِفْرِيتُ إِلاَّ أَنَّهُ الرَّجْمُ - إِذَا وَقَفَ فَهُوَ نُونٌ. أَوْ سَابَ فَهُوَ مَنُونٌ[١]. وَ(الْحَيَّاتُ) كَأَنَّهَا دُرُوعٌ مَطْوِيَّاتٌ. وَكَأَنَّ نَفْحَهَا غَلَيَانُ مِرْجَلٍ أَوْ صَرِيفُ نَابَيْ جَمَلٍ[٢]. وَبَيْنَهَا الْحَارِيَةُ وَأُخَرُ كَأَنَّهَا جُزُوعُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ[٣]

تَرَى قِطَعًا مِنَ الأحْنَاشِ فِيهِ

شيء من الجزور الذى يذبح للضيف فينبح الطارق نبح الفرح ويتبع هذه الفرحة أن يجيء الراعى باللبن ويقطع اللحم لتقدم للاضياف

(١) السلوقى نسبة الى قرية باليمن تنسب اليها الكلاب والدروع . النون حرف من حروف الهجاء . ساب انفلت

(المعنى) يقول ومن هذه الكلاب الضنف المعروف بالسلوقى الذى هو كالقوس فى شكله وانحناء متنه الا أنه فى الانفلات كسهم هذه القوس والذى هو كالعفريت فى توهم شكله الا أنه كالشهاب الذى ترجم به العفاريت والذى هو فى وقوفه يشبه حرف النون فى تقوسه واذا انطلق وراء الطريدة كان فى سرعة المنون وهو الموت

(٢) الحيات الافاعى . الدروع جمع درع معروف . مطويات عكس منشورات . النفح صوت الحية . غليان مرجل صوت القدر . الصريف صوت اصطكاك أنياب الجمل

(المعنى) يقول ومن الحيوانات التى فى هذه الحديقة الحيات وهى لرقش ظهورها كالدروع المطويات فاذا فحت كان فحيحها كصوت القدر فى الغليان او انها صريف أنياب الجمل اذا اصطك بعضها ببعض .

(٣) الحارية الافعى التى كبرت ونقص جسمها ولم يبق الا رأسها ونفسها وسمها وهى أخبث مايكون . جزوع نخل خاوية أى أصول نخل متآكله الاجواف

(المعنى) يقول ومن هذه الحيات صنفان أحدهما الحارية وهى الضئيلة كبراً وهرماً وثانيهما الجسيمة التى كأنها جزوع نخل ضخامة وعظما

جَمَاجِمُهُنَّ كَالْخَشَلِ النَّزِيعِ

وَ (النَّاقَةُ) ثَمَّةَ كَأَنَّهَا عَرَبِيٌّ فِي سُوقِ الأَهْوَازِ . أَوْ كَلاَمٌ اسْتُعْمِلَ عَلَى الْمَجَازِ ٢ قَدْ أَضْنَاهَا الشَّوْقُ إِلَى كُلِّ مُرَوْرَاةٍ أَقْفَرَ مِنْ أَبْرَقِ الْعَزَّافِ . وَمِن

---

(١) الاحناش جمع حنش وهو الحية . الجماجم الرؤوس . الخشل الدوم اليابس . النزيع المقطوف

(المعنى) يقول انك ترى جملة من الاحناش في هذه الحديقة كأن رؤوسهن دوم مقطوف قال النابغة يصف حية حارية

صل صفاً لا تنطوى من القصر طويلة الاطراق من غير خفر

داهية قد صغرت من الكبر كأنما قد ذهبت به الفكر

مهروتة الشدقين حولاء النظر تفتر عن عوج حداد كالابر

وقال الهذلى يصف اثارها على الطريق

كأن مزاحف الحيات فيه قبيل الصبح آثار السياط

(٢) ثمة هناك — الاهواز كورة بين البصرة وفارس وسوق الاهواز من مدنها وأهل الاهواز معروفون بالبخل والحمق وسقوط النفس وقد سكن بها قوم من أشراف العرب فانقلبوا الى طباع أهلها وهي كثيرة الحمى ووجوه أهلها مصفرة مغبرة وسوق الاهواز تخترقها مياه مختلفة منها الوادى الاعظم وهو ماء تستر يمر على جانبها ومنه يأخذ واد عظيم يدخلها على هذا الوادى قنطرة عظيمة عليها مسجد واسع وعليه ارحاء عجيبة ونواعير بديعة وماؤه في وقت المدود احمر يصب الى الباسيان والبحر ويخترقها وادى المسرقان وهو من ماء تستر أيضاً وسكرها اجرد سكر وعلى الوادى الاعظم شاذروان حسن عجيب متقن الصنعة معمول من الصخر المنهدم يحبس الماء على انهار عدة وبازائه مسجد لعلى بن موسى الرضا رضى الله عنه بناه في اجتيازه به وهو مقبل من المدينة يريد خرسان وقد غزا المغيرة بن شعبة سوق الاهواز في ولايته بعد ان شخص عتبة بن غزوان من البصرة في آخر سنة ١٥ وأول سنة ١٦ فقاتله البيروان دهقانها ثم صالحه على مال ثم نكث فغزاها أبو موسى الاشعرى حين ولاه عمر البصره بعد المغيرة ففتح سوق الاهواز عنوة كما فتح سائر بلاد خراسان — المجاز الكلمه المستعملة في غير ماوضعت له

بَرِّيَّةِ خَسَافِ[1] . لامَاءَ بِهَا الاّ مأْجٌ زُعَاقٌ كأَنَّهُ خَمْرُ بُرَاقَ[2] يحْدُوهَا هَنَاةٌ .

المعنى يقول ومن حيوانات هذه الحديقة الناقة وهى لكونها فى مواطن غير مواطنها كالعربى الغريب النازل من بلاد الاعاجم فى سوق الاهواز أو انها كلة وضعت فى غير موضعها على سبيل المجاز

(١) أضنى أعيى . المروراة الارض لاشىء فيها — أقفر من ابرق العزاف. هى برية بين السوجير ويانس بأرض الشام بستة فراسخ وقيل هو ماء لبنى أسد بن خذيمة بن مدركة مشهور وهو فى طريق القاصد الى المدينة من البصرة يجاء من حومان فالدراج اليه ومنه الى بطن نخل ثم الطرق ثم المدينة وانما سمى العزاف لانهم كما يزعمون يسمعون فيه عزيف الجن قال حسان بن ثابت

طوى أبرق العزاف يرعد متنه   حنين المتالى فوق ظهر المشايع

وقال رجل يهجو بنى سعيد بن قتيبة الباهلى

ابنى سعيد انكم من معشر   لايعرفون كرامة الاضياف
قوم لباهلة بن اعصران هم   غضبوا حسبتهم لعبد مناف
قرنوا الغداء الى العشاء وقربوا   زادا لعمر أبيك ليس بكاف
وكانني لما حططت اليهم   رحلى نزلت بأبرق العزاف
بينا كذاك أتاهم كبراؤهم   يلحون فى التبذير والاسراف

ومن برية خساف هى مفازة بين الحجاز والشام وقيل أنها برية بالر وحلب مشهورة عند أهل هذين البلدين وكان بها قرى واثر عمارة وهى تمتد خمسة عشر ميلا قال الاعشى

فمن ديار بالهضب هضب التليب   فاض ماء الشؤون فيض الغروب
أحلفتنى به قتيلة ميعا   دى كانت للوعد غير كذوب
ظبية من ظباء بطن خساف   ام طفل بالجو غير ربيب
كنت أوصيتها بالا تطيعى   فى قول الوشاة والتخبيب

(المعنى) يقول ان هذه الناقة قد انحلها الشوق الى محالها من كل أرض مقفرة جدبة كأبرق العزاف وبرية خساف

(٢) المأج الماء الاجاج. الزعاق المر الذى لا يطاق شربه. خمر براق نسبة الى قرية من

أَرْفَقُ بِالإِبِلِ مِنْ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةٍ . فَتَصِلُ كُلَّ عَشِيَّةٍ بِسُحْرَةٍ • وَتَشْكُرُ أَخْفَافُهَا كُلَّ مَجْهَلٍ بِحُمْرَةٍ.[٢]

ضَرَبْنَ بِأَلْحِيهِنَّ وَالرِّيحُ قَرَّةٌ
عَلَى قُلَّتَيْ إِرْوَنْدَ بَعْدَ كَلَالِ[٣]

قرى حلب تسمى بهذا الاسم وبينها وبين حلب نحو فرسخ ولعل الأخطل أياه عنى بقوله

وماء تصبح القلصات منـه كخمر براق قـد فرط الاجونا

(المعنى) يقول ان هذه المروراة التى تشتاقها الناقة لاماء بها الا كل ماء اجن مر كأنه فى مرارته خمر براق

(١) يحدو يرفع صوته بالحداء. هناة الرجـل الحاذق اـ أرفق بالابل من مالك ابن زيد مناة هو سبط تميم ابن مرة وكان يتحمق الا أنه كان آبل اهل زمانه ثم انه تزوج وبنى بامرأته فأورد الابل أخوه سعد ولم يحسن القيام عليها والرفق بها فقال مالك

اوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا تورد ياسـعد الابل

فاجابه سعد وقال

تظل يوم وردها مزعفرا وهى خناطيل تدوس الخضرا

(المعنى) يقول أن هذه الناقة يحدوها حاد حاذق أرفق بالابل من الرجل المعروف فى العرب بكثرة الابل والرفق بهن المسمى بمالك ابن زيد مناة

(٢) العشية وقت المساء. السحرة آخر الليل. تشكل تخلط. الاخفاف جمع خف وهو من البعير بمنزلة الحافر من غيره المجهل الارض التى لا يهتدي فيها

(المعنى) يقول انها تشتاق تلك الاماكن التى كانت تسير بها فى العشية حتى كانت تصلها بالسحرة أي أنها تسرى الليل باجمعه فيصيبها الوجى فتدمى اخفافها فتخلط أكدار تراب المجاهل بحمرة الدم السائل من أخفافها .

(٣) الالح جمع لحى وهو عظم الحنك. القرة الباردة. القلة رأس الجبل ـ أروند اسم جبل نزه خضر نضر مطل على مدينة همذان وأهل همذان كثيرا ما يذكرونه فى احاديثهم واسجاعهم وأشعارهم ويعدونه من أجل مفاخر بلدهم وكثيرا ما يتشوقونه فى الغربة وفيه يقول عين القضاة

مَجَالُ وُحُوشٍ وَمَجْلَى أَنِيسٍ

عبدالله بن محمد الميانجي فى رسالة كتبها الى أهل همذان وهو محبوس

الا ليت شعرى هل تري العين مرة ... ذرى قلتى اروند من همـذان
بلاد بها نيطت عـلى تمائمى ... وارضعت من عفانها بلبان

وقال بعض شعرائهم يفضله على بغداد ويتشوقه

وقالت نساء الحى اين ابن أختنا ... الا خبرونا عنه حييتم وفدا
رعاه ضمان الله هـل فى بلادكم ... اخو كرم يرعى لذى حسب عهدا
فان الذي خلفتموه بارضكم ... فتى ملا الاحشاء هجرانه وجدا
ابغدادكم تنسيه اروند مربعا ... الاخاب من يشرى ببغداد اروندا
فدتهن نفسى لم سمعن بما ارى ... رمى كل جيد من تنهده عقدا

وقال محمد بن بشار يصف اروند

تزينت الدنيا وطاب جنانها ... وناح على اغصانها ورشانها
وامرعت القيعان واخضر نبتها ... وقام على الوزن السواء زمانها
وجاءت جنود من قري الهند لم تكن ... لتأتى الاحين يأتى اوانها
مسودة دعج العيون كانما ... لغات بنات الهند تحكى لسانها
لعمرك مافى الارض شيء نلذه ... من العيش الافوقه همذانها
اذا استقبل الصيف الربيع واعشبت ... شماريخ من اروند شم قنانها
وهاج عليه بالعراق واهـله ... هواجر يشوى اهلها لهبانها
سقتك ذرى اروند من سيح ذائب ... من الثلج انهارا عذاباً رعانها
ترى الماء مستناً على ظهر صخرة ... ينابيع يزهى حسنها واستنانها
كان بها شوبا من الجنة التى ... تفيض على سكانها حيوانها
فياساقى الكاس اسقيانى مدامة ... على روضة يشفى المحب جنانها
مكللة بالنور تحكى مضاحكا ... شقائقها فى غاية الحسن بانها
كان عروس الحى بين خلالها ... قلائد ياقوت زهاها اقترانها
تهاويل من حمر وصفر كانها ... ثنايا العذارى ضاحكا اقحوانها

فَيَا حُسْنَ لَهْوٍ وَمَنْظَرِ

واشعار اهل همذان فى اروند ووصفهم منتزهاتها كثير · الكلال التعب
المعنى) يقول ان النياق ضربن بمشافرهن على قلتى اروند بعد تعب فى السير ومسقة
(١) المجال موضع الجولان . المجلى المظهر . المنظر مانظرت اليه فاعجبك
(المعنى) يقول ان هذه الغابة بما فيها من حديقة النبات والحيوان هى مجال الوحش يرتع فيها . ومظهر من مظاهر الانس تلذه النفس ومنظر من مناظر الجمال يروق للعين فياحسن ملهى به ويامنظرا ترتاح اليه النفس ويهدأ له الخاطر وتقر به العين

يظن بعض الناس ان الشعر هو كما قيل فى تعريفه (الكلام الموزون المقفى) وهو ليس كذلك بل الشعر هو كما قال صاحب السماحة المؤلف فى وصف احد البلغاء الحكماء فى أول رسالة من هذا الكتاب وهى رسالة القسطنطينية وهو قوله (قد بذ الاوائل والاواخر . شاعر الا انه فيلسوف وفيلسوف الا انه شاعر . فكره عالم الحقيقة والمثال . لان الفلسفة شعر الا انها حقيقة والشعر فلسفة غير انه خيال) . اما الكلام الموزون المقفى هو المحل المختار الذى يسكنه الشعر ومن ألطف تعبيرات العرب تسمية هذا المحل (بالبيت) فية ولوف بيت الشعر الذى يسكنه وقلت المحل (المختار) لان الذي جرى عليه الاختيار من قديم هو وضع كثير من الشعر ذلك المحل وهى (الاوزان الموسيقية). على ان معظم الشعر واجوده لم يوضع فى ذلك المحل بل اختير له النثر المرسل والمرسل المسجع فى العربية وهذا الذى يسميه الافرنج (الشعر المنثور) ومن انفس و عظم ما كتب فى ذلك باللغة العربية هو كتاب (صهاريج اللؤلؤ) هذا الذى نشرحه . اما القافية فقد جرى الاصطلاح عليها أيضا تتميما للنغم الموسيقى أي الوزن الا أن العجم من فرس وافرنج وغيرهم جعلوها بطريقة سهلة لانهم جعلوا لكل شطرتين قافية او لكل اربع شطرات قافية ونحو ذلك فلم يقيدوا الشعر الا بقيد خفيف يسهل معه البلوغ الى جميع الاغراض وتناول كثير من الافكار اما العرب فقد جعلوا القافية واحدة فى كل القصيدة فاصبحت الاجادة فى الشعر عندهم أو البلوغ به الى التعبير عن المقاصد المختلفة من اصعب الامور . على انه كان للعرب نوع من نظم الشعر يشابه ماقلناه عن شعر العجم وهو النوع المسمى بالمسمط · قال فى لسان « العرب الشعر المسمط ما قفى ارباع بيوته وسمط فى قافية مخالفة يقال قصيدة مسمطة وسمطية » قال امرؤ القيس

ذات القوافي

سقى دُورَمَيّةَ بالأجرَع
مُسِفٌّ مِنَ الدَّجْنِ لَمْ يُقْلِع
وَلَوْ تَرَكَ الشَّوْقُ دَمْعًا بجفني
سَقَيْتُ المَنَازِلَ مِنْ أَدْمُعِي

***

ومستلئم كشفت بالرمح ذيله أقمت بعضب ذي سفا سف ميله
فجعت به فى ملتقى الخيل خيله تركت عناق الخيل تحجل حوله
كأن على سرباله نضح جربال

ولرجز أيضاً من هذا القبيل . وقد أراد المؤلف حفظه الله بهذه القصيدة التى أسماها « ذات القوافى » ايجاد مثال للشعر المتعدد القوافى فى العربية وفك هذا القيد الشديد المانع للشعر من الارتقاء فتجول أفكار الشعراء فى كل ميادين الخيال • وتتناول كل شاردة وواردة من حقيقة ومثال

(١) دور جمع دار . ميــة إسم من الاسماء التى تطلقها العرب على نسائهم . الاجرع الجرعاء وجمعه اجارع كابطح وأباطح لانه ما خوذ مأخـذ الاسماء دون الصفات يقـال (نزلوا بالاجارع) قال ذو الرمة

ومايوم حزوى ان بكيت صبابة لعرفان ربع أولعرفان مــنزل
يوول ما هاجت لك الشوق دمنة بأجرع مقفـار مرب محـال

ولا يكون مربا محلا الا وهو ينبت النبـات والاجرع المكان فيه سهولة ورمل ويقـال جرع وجرع وجرعاء وجرعة ومنه جرعاء مالك بالدهناء قرب حزوى وقال ذو الرمة أيضا

وما استجاب العينين الامنـازل بجمهور حزوى أو بجرعاء مالك
أربت رويا كل دلوية بهـا وكل مما كى ملث المبـارك

شَجِيٌّ يَحِنُّ لِالافِهِ
وَيَصْبُو إِلى دَهْرِهِ الغَابِرِ
فَهَلْ عَائِدٌ لِي زَمَانٌ مَضَى
بِنَعْفِ الغُوَيْرِ إِلى الحَاجِرِ [١]

***

مسف المسف من الدجن القريب من الارض لثقله . الدجن المطر الغزير . يقلع ينكشف
(المعنى) يقول سقى المطر الغزير الدائم التهطال دارا لمية بالاجرع ولولم ينفد دمعى
ويستنزفه الشوق لسقيت هذه الدور منه فارويتها . قال كثير فى الدور

ومنها باجزاع المقاريب دمنة وبالسفح من فرحان آل مصرع
مغانى ديار لا تزال كأنها بافنية الشطان ريط مضلع

وللسيد مؤلف هذا الكتاب

دار لليلى باللوى اضحت يبابا دثره
فمن يزرها يلقها معرفة كنكره

وقال ابن المعتز

لمن دار وربع قد تعفى بنهر الكرخ مهجور النواحى
محاه كل هطال ملح بربل مثل أفواه اللقاح
فبات بايل باكية ثكول ضرير النجم متهم الصباح
وأسفر بعد ذلك عن سماء كأن نجومها حدق الملاح
سقى أرضا تحل بها سليمى ولاسقى العوازل واللواحى
مهفهفة لها نظر مريض وأحشاء تضيع من الوشاح

(١) الشجى المشغول والحزين يوشدد باخراجه على فعيل وجعل بمعنى مشجو . يحن
يشتاق . الالاف جمع الف وهو الانيس المعاشر . يصبو يميل . الغابر الماضى . نعف الغوير
العنف المكان المرتفع والغوير تصغير غور وهو ماتداخل وماهبط ومنه غور تهامة يقال للرجل

أَرَى بَيْنَ أَحْنَاءِ صَدْرِي نَارًا
تُؤَجِّجُهَا الرِّيحُ إِمَّا هَفَتْ
وَبَيْنَ جُفُونِيَ سُحْبًا ثِقَالاً

قد أغار اذا دخل تهامة قال اعرابى

ارانى ساكناً من بعد نجد … بلاد الغور والبلد التهاما
وربما مشيت بحر نجد … وربما ضربت به الخياما
وربما رأيت بحر نجد … على اللأواء اخلاقاً كراما
أليس اليوم آخر عهد نجد … بلى فاقروا على نجد السلاما

والاغوار فى بلاد العرب كثيرة ومواضعها مشهورة فمن أشهرها غور ملح وهو ماء لبنى العدوية قال الهيش بن شراحيل

فان قتلت اخى اذحم مقتله … فلست اول عبد ربه قتلا
لقيته طيبا نفسا بميتته … لما رأى الموت لا نكسا ولا وكلا
وقد دعوتك يوم الغور من ملح … الى النزال فلم تنزل كما نزلا
فلا عدمت امرأ ها لتلك خيفته … حتى حسبت المنايا تسبق الاجلا
ولا اسنة قوم ارشدوك بها … سبل الفرار فلم تعدل بها سبلا

وقالت ماجدة البكرية

الا ياجبال الغور خلين بيننا … وبين الصبا تجرى علينا شنينها
لقد طال ماحالت ذراكن بيننا … وبين ذرى نجد فما نستبينها

وقال جميل

يغور اذا غارت فؤادى وان تكن … بنجديهم منى الفؤاد الى نجد
اتيت بنى سعد صحيحا مسلما … وكان سقام القلب حب بنى سعد

وقال الاحوص

وانك ان تنزح بك الدار آتكم … وشيكا وان يصعد بك العيس اصعد
وان غرت غر ناحيث كنت وغرتم … او انجدت انجدنا مع المتنجد

إِذَا مَاتَأَلَّقَ بَرْقٌ هَمَتْ [1]

***

وَسَاوَرَنِى الحُبُّ حَتَّى ثَوَى

كَأَيْمٍ عَلَى مُهْجَتِى مُلْتَوِي

وَمَا الحُبُّ إِلاَّ كَرَوْضٍ غَدَا

بِغَيْرِ المَدَامِعِ لاَيَرْتَوِى [2]

***

الحاجر منزل للحاج بالبادية

(المعنى) يقول انى شجى احن واشتاق الى الف بعد وتناءى واصبو الى زمن الغبطة والسرور الذى مضى فهل عائد لى ذلك الزمن ايام كنا بالغوير والحاجر . وهذه سنة الشعراء فى الغزل والنسيب وتذكر الامكنة

(١) الاحناء الجوانب . هفت تطايرت . الثقال الممتلئة . تألق لمع واضاء . همت سالت

(المعنى) يقول انى احس بنار كامنة فى صدرى اذا ما هبت الريح اججتها وبدموع غزيرة فى جفنى اذا ما لمعت البروق ارسلتها لان الريح اذا هبت على النيران اوقدتها واذا اومض البرق امطر الغيث • وذلك لهبوب الريح وايماض البرق من ناحية تلك الامكنة المذكورة فى الابيات المتقدمة

قال ابن المعتز يصف سحابة تألق فيها برق

باكية يضحك فيها برقها	موصولة بالارض مرخاة الطنب
رأيت فيها برقها منذ بدا	كمثل طرف العين أو قاب يجب
جرت بهاريح الصبا حتى بدا	منها لى البرق كامثال الشهب
تحسبه طورا اذاما انصدعت	احشاؤها عنه شجاعا يضطرب
وتارة تخاله كأنه	سلاسل مفصولة من الذهب

(٢) ساوره غالبه . ثوى أقام . الايم الثعبان .

وَقَدْ هَجَرَتْ مُقْلَتَايَ الكَرَى
كَأَنَّ بِهُدْبِي رُؤُوسَ الإِبَرْ
وَلَوْ كَانَ مَابِي بِهَذَا الغَمَامِ
لأَمْطَرَ بِالجَمْرِ أَوْ بِالشَّرَرْ
فَجِسْمِيَ أَصْبَحَ كَالشَّمْعِ يُفْنِيهِ
سَكْبُ الدُّمُوعِ وَوَقْدُ الحُرَقْ

(المعنى) يقول وغلب على الحب فصار على قلبي كثعبان ملتو عليه ثم عرف الحب فقال. لعمرك ما الحب الا كروضة لاتورق أغصانها ولا تتفتح زهراتها الا اذا سقيت بالدموع قال بن الرومى

لاتعجبا ان دمعاً فاض عن حرق ماء أفاضته نار من مراجله
أراق دمعى هوى ظبي أراق دمى ياللقتيل بكى من حب قاتله

وقال أيضاً

لا تنفسا عبرة أجود بها فلست ابكى بها على الدمن
لم يخلق الدمع لامرىء عبثا الله أدرى بلوعة الحزن

وقال المتنبي

اتراها لكثرة العشاق تحسب الدمع خلقة في المآقى
حلت دون المزارى فاليوم لو زرت لحال النحول دون العناق

الكري النوم الهدب شعر اشفار العين
(المعنى) يقول وقد هجرت عيونى المنام كأن أطراف هدبى أسنة الابر فاذا ما انطبق الجفن على الجفن منعته تلك الاسنة ولو كان الذى بى من الشجا وحرقته بهذا الغمام لما أمطرنا غيثا مدرارا بل أمطرنا جمرا وشرارا

فَلاَ أَلْبَسُ الثّوْبَ إِلاّ وَجِسْمِي
مِنْ تَحْتِ ثَوْبِي كَثَوْبٍ خَلَقْ
نَحَلْتُ فَلَوْ زُرْتُهَا مَاخَشِيـ
ـتُ رَقِيبًا يَرَانِيَ فِيمَنْ يَرَى
وَلَوْ زُرْتُ مَيّةَ فِي يَقْظَةٍ
لَظَنّتْ بِأَنِّي خَيَالٌ سَرَى ٢

قال أبو طاهر الواسطى

عهدى بنا ورداء الشمل يجمعنا والليل أطوله كاللمح بالبصر
فالان ليلى مذ غابوا فديتهم ليل الضرير فصبحى غير منتظر

(١) الشمع موم العسل. سكب الدموع هطلانها الدائم وقد اتقاد الحرق جمع حرقه وهو ما يجده الانسان من لذعة الحب. خلق قديم بالى.
(المعنى) يقول ان جسمى من الحب أصبح كالشمع يفنى كلما سالت دموعه والتهبت ذبالته
(٢) الخيال ما تشبه لك فى الحلم وهو الطيف
(المعنى) يقول انى نحلت فلو زرت مية لم أخش الرقيب فانه من شدة نحولى لا يرانى. لو زرتها وكان ذلك فى اليقظة لظنت انى من نحول جسمى خيال طرقها فى المنام

قال عمر بن ابى ربيعه فى النحول .

رات رجلا اما اذا الشمس عارضت فيضحى وبما العشى فيحضر
اخا سفر جواب أرض تقاذفت به فلوات فهو اشعث اغبر
قليلا على ظهر المطية شخصه خلا ما بقى منه الرداء المحبر

وقال خالد الكاتب

يَمُرُّ وَلَمْ أَدْرِ شَهْرٌ فَشَهْرُ
كَأَنِّى فِى فَلَكٍ لَمْ يُدَرْ
وأَرْتَاحُ إِمَّا تَمَنَّيْتُهَا
وَيَارُبَّ أُمْنِيَّةٍ كَالظَّفَرْ ١
أَسِيرٌ وَلاَ أَرْتَضِى بِالْعِتَاقِ
وَمُضْنًى وَأَجْزَعُ أَنْ أَبْرَأَ
وَإِذْ سَلَّمَتْ خِلْتُهَا وَدَّعَتْ

هذا محبك حباً لا حياة به لم يبق من جسمه الا توهمه

وقال ابن عبد ربه

لم يبق من جثمانه الا حشاشة مبتئس
قدرق حتى ما يرى بل ذاب حتى ما يحس

(١)الظفر الفوز

(المعنى) يقول يمر شهر على اثر شهر وأنا لم أدر وذلك من الهوى كانى فى فلك غير سائر لانى لا أعلم الايام والليالى وارتاح اذ تذكرت المحبوبة وتمنيتها ويارب أمنية كالظفر وأخرجه مخرج المثل . قال الشريف الرضى فى ذكر الحبيب وتمنيه

بنفسى واهلى من اذا عن ذكرهم اماتَ الهوى منى فؤادا وأحياه
تمنيتهم بالرقمتين ودارهم بوادى الغضى يابعد ما اتمناه

وقال المخزومى

بينما نحن من بلاكث بالقا ع سراعا والعيس تهوى هويا
خطرت خطرة على القلب من ذكراك وهنافما استطعت مضيا
قلت لبيك اذ دعانى لك الشوق وللحاديين كرا المطيا

وَأحْسَبُ مُقْتَرِبِى مُنْتَأْىْ

إِذَا كُنْتُ وَحْدِى أكُونُ وَإِيَّاكِ

أوْ خَالِيًا فَاشْتِغَالِى بِكِ

وَأطْلُبُ الَمجْدَوَ المَكْرُمَاتِ لِتَحْسُنَ لِى شِيمَةٌ عِنْدَكِ [٢]

لِيَحْنُوَ قَلْبُكِ رِفْقًا عَلَىَّ

فَالصَّخْرُ بِالْمَاءِ قَدْ يَنْبَجِسْ

وَصُونِى الوِدَادَ وَفِيهِ الذَّمَاءُ

فَلَنْ يُورِقَ العُودُ إِمَّا يَبِس [٣]

---

(١) لاسير المأسور. العتاق الخروج عن الرق. المضنى المريض. المقترب القرب بعد

... نى يقول انى أسير من الهوى ولكننى لا ارتضى أن اعتق وانى مريض معنى منه ولكنى اجزع من البرء لاننى اري أسري فى الحب عتقاً وسقمى فيه شفاء ومن شدة الشغف اتخيل انها ان سلمت كانها ودعتنى واذ قربت منها كانها بعيدة عنى

(٢) الشيمة الخصلة والسجية

(المعنى) يقول اننى اذا كنت وحدى اكون معك بذكراك واذا خلوت من اشغالى ويرانى الناس ويظنوننى خالياً اكون فى ذلك الوقت مشتغلا بك مفكراً فيك وانني لأسعى فى طلب العلى والمجد والمكرمات الالتحسن خصالى لديك فاكون محبباً عندك

(٣) ليحنوا اى لينعطف . ينبجس ينفجر . الذماء البقية

لِمَيَّةَ خَدٌّ بِهِ وَرْدَةٌ
تَفَتَّحُهُ نَظْرَةٌ أَوْ خَجَلْ
وَقَدٌّ قَضِيفٌ إِذَا مَا انْثَنَى
يُخَالُ بِهِ رَنَحٌ أَوْ ثَمَلْ
وَوَجْهٌ إِذَا مَا نَظَرْتَ الَيْهِ
نَظَرْتَ لِوَجْهِكَ فِى مَائِهِ
وَجَفْنٌ تَرَنَّقَهُ فَتْرَةٌ
كَمُسْتَيْقِظٍ بَعْدَ إِغْفَائِهِ [٢]

(المعنى) يقول لينعطف قلبك رفقاً فانه ان كان من صخر فقد ينبع من الصخر المــاء وصونى البقية من الوداد ولا تفرطى فيها فان العود اذا يبس لا يورق ثانية. قال المتنبى

ذودينا من حسن وجهك ما دام فحسن الوجوه حال تحول
وصلينا فى هــذه الدار نكرمك فان المقام فيها قليل

(١) القد القوام . القضيف الاهيف . الرنح التمايل . الثمل اخذ الشراب

(المعنى) يقول ان مية لها خد عليه وردة تنفتح هذه الوردة اذا نظروا اليها فانها من الحياء يحمر الوجه وكذلك عند ما تخجل ولها أيضا قوام اذا ماتأود حسبته مال من الرنح أو السكر

(٢) ترنق رنق النوم عينيه خالطهما . الفترة الضعف والانـكسار

(المعنى) يقول ولها وجه اذا نظرت اليه كان كالمرآة صقاله فانك ترى وجهك فى مائه ولها أيضا جفن قد خالطه انكسار وضعف اذا نظرته رأيته كمن قام من نومه وبه شدة التهويم والنعاس

كأنّي في مَدْحِها ساجِعٌ
وَدَمْعِيَ في عُنُقِي طَوْقَهُ
تَشُوقُ فُؤَادِي فأُثْنِي عَلَيـ
ـهَا كعُودٍ يَضَوِّعُهُ حَرْقُهُ [1]

***

زَمَانٌ اذَا مَا تَذَكَّرْتُهُ
تَخَيَّلْتُهُ حُلُمًا في الكَرَى
وَعَهْدُ الشَّبَابِ رُؤْيَا اذَا
مَضَتْ أدْرَكَتْهَا نفوسُ الوَرَى [2]

---

(١) الساجع الحمام • الطوق مادار بعنق الحمامة • العود ضرب من الطيب يتبخر به
يضوع ينشر رائحته

(المعنى) يقول كأني في وصفها ومدحها والثناء عليها ساجع وكان دمعي طوق ذلك الساجع
وهي كلما شاقت فؤادي ازيدها ثناء ومدحا كالعود الذي كلما وضعته في النار انتشرت رائحته

(٢) الكرى النوم . الرؤيا الحلم

(المعنى) يقول وقد أعاد ذكر الزمن الذي وصفه في هذه القصيدة وهو زمان الصبا اني
اتخيله الآن كالحلم الذي يراه النائم في نومه فانه بعدا نقضائه تدركه نفس الحالم ولك ان تقرأ
هذا البيت هكذا

المولود

يَمَنَّ اللهُ طَلْعَةَ المَوْلُودِ

وَحَبَى أَهْلَهُ بِطُولِ السُّعُودِ

فَهُمُ الضَّامِنُونَ حِينَ تَوالى

مُنْسِيَاتُ العُهُودِ حِفْظَ العُهُودِ

لاَ عَقِمْتُمْ يَا آلَ وَهْبٍ فَمَا الدُّنْ

يَا لِقَوْمٍ أَمْثَالِكُمْ بِوَلُودِ

فَسَلاَمٌ عَلَى جَنَابِكَ وَالمَنْهَلِ

وَالظِّلِّ وَالأَيَادِي الجِسَامِ

إِذَا جَنَى الدَّهْرُ عَلَى أَهْلِهِ

وعهد الشباب كرؤيا اذا ماانـ قضت ادركتها نفوس الوري

وقال ابن الرومي في عهد الشباب

كان الشباب وقلبي فيه منغمس في لذة لست ادري ما دواعيها

يمضي الشباب ويبقى من لبانته شجو على النفس لا ينفك يشجيها

(١) يمن بارك . الطلعة الرؤية والوجه . حبى أعطى لا عقمتم أي لا أصابكم العقم وهو عدم الولادة

(المعنى) بارك الله في طلعة هذا المولود وأعطى اهله السعود الدائم فان أهل هذا المولود ضامنون حفظ العهود في وقت ينسى الانسان فيه حفظ العهد

وَزَادَ فِى عِدَّتِكُمْ أَعْتَبَا

(مَاوَرَاءَكَ يَاعِصَامُ) . (يَابُشْرَاىَ هٰذَاغُلَامٌ)[2]. سَيْفٌ سُلَّ مِنْ قِرَابٍ . وَلُؤْلُؤَةٌ جَاءَ بِهَاعُبَابٌ . وَلَيْثُ غَابٍ . فِى شَبْلٍ . وَبَاقِعَةٌ نِقَابٌ . فِى طِفْلٍ[3]. وَعَالَمٌ كَبِيرٌ . فِي شَخْصٍ صَغِيرٍ . كَالشَّمْسِ فِى المَاوِيَّةِ . وَالأَرْضِ فِى مُصَوَّرِ الْجُغْرَافِيَّةِ[4].

---

(١) الجناب الفناء. المنهل المورد. الظل الفيء والمراد به هنا الكنف . الايادى جمع يد وهى النعمة والعطية .الجسام الكبار. اعتب أرضى

(المعنى) يقول أقري السلام هذا الجناب والكنف والموردو العطايا الجسام ويقول أن الدهر اذا جنى على ابنائه ووالى عليهم الخطوب والشدائد ثم زاد فى عدتكم فماجنى لانه أرضانا فاغتفرنا له جناياته

(٢) ماوراءك ياعصام هذا مثل عربى قيل ان المتكلم به النابغة الذبيانى قاله لعصام ابن شهبر حاجب النعمان وكان النعمان مريضا فسأله النابغة عن حال النعمان فقال ماوراءك ياعصام ومعناه ماخلفت من أمر النعمان وقيل غير ذلك. يابشراي هذا غلام هذه الفقرة تضمين آية من كتاب الله فى سورة يوسف وذلك ان اخوة يوسف حينما القوه فى الجب وجاءت سيارة فارسلوا واردهم فادلى دلوه قال يابشراي هذا غلام وأسروه بضاعة والله عا يعملون) ثم أخرجوه واخذوه معهم الى مصر

(المعنى)يقول وقد ابتدأبأحسن ابتداء فى تهنئة بمولود ماوراءك ياعصام فكان الجوب من أحسن الاجوبة فى الموضوع عينه وهوقوله يابشراى هذا غلام أى الغلام المولود

(٣)القراب غمد السيف . العباب البحر العظيم. الليث الاسد .الشبل ولد الاسد الباقعة الذى لايفوته شيء ولا يدهى. النقاب الرجل العلامة

«المعنى» يقول ان هذا المولود وقد خرج للوجود كالسيف الذي سل من غمده أو كاللؤلؤة التى جاء بها بحر خضم وهو كناية عن أبيه او انه أسد عظيم فى شبل صغير أو حاذق بصير فى طفل

«٤»الماوية المرآة.مصور الجغرافية هو صورة الارض فى طرس صغير

«المعنى» يقول بل هوعالم كبير فى شخص صغير كالشمس وهى اكبر الاجرام السماوية

وَالعنْوَانِ منَ الكِتَابِ . وَالفذْلَكَةِ . مِنَ الحِسَابِ . وَالنَّخْلَةِ العَيْدَانَةِ فى النَّوَاةِ . وَالكِتَابِ المُؤَلَّفِ فى الدَّوَاةِ . وَالثَّقَلَيْنِ . فى حَدَقَةِ العَيْنِ [٢] . أميرٌ . سَرِيرُهُ سَرِيرٌ [٣] . تَنقَّلَ فى أَصْلاَبِ أَوَائِلِهِ . كالقَمَرِ فِي مَنَازِلِهِ . حَتَّى لاَحَ كالهِلاَلِ . وَسَعَى كَالبَدْرِ لِلكَمَالِ [٤] . صَغيرٌ وَهُوَ الأوَّلُ قَدْراً . كَمَا يُبْتَدَأُ فى العَدّ بالأَصْبُعِ الصُغْرَى . إِنْ تأخَّرَ عَنْ غَيْرِهِ فى الزَّمَنِ فَكَمَا تَأَخَّرَ وَاثِبٌ . أَوْ

فاذك ترى صورتها فى المرآة أو كالأرض العظيمة فى مصور الجغرافية فانك تراها مع سعتها مرسومة فوق صحيفة صغيرة

(١) العنوان سمة الكتاب وديباجته الفذلكة يقال فذلك حسابه فذلكة أنهاه وهى منحوتة من قول الحاسب اذا أجمل حسابه فذلك كذا وكذا اشارة الى حاصل الحساب ونتيجته فالفذلكة كل ما هو نتيجة متفرعة على ماسبق حسابا كان أو غيره

(المعنى) يقول بل هو كالعنوان يعرف به الكتاب كله أو كالنتيجة من الحساب وهى حاصلة

(٢) العيدانة الطويلة النواة بذر الثمر . الثقلان الانس والجن حدقة العين سوادها الاعظم

(المعنى) يقول بل هو كالنخلة فانها مع طولها فى نواة صغيرة . وكالكتاب المؤلف فانه يكون فى الدواة وكالثقلين فان حدقة العين مع صغرها تحيط بهما . أقول أن كل ماتقدم هو وصف للشيء الكبير يكون فى جسم صغير وذلك لمناسبة صغر جسم المولود ولكن انظر الى هذه الفقرات كم جاء السيد المؤلف فيها بالمعانى العالية فى معنى واحد وكيف قلبها فكأنه سار فيها على ماوصف

(٣) السرير الاول المراد به مهد الطفل والسرير الثانى سرير الملك

(المعنى) يقول انه أمير فمهده سرير ملك ودست رئاسة

(٤) اصلاب جمع صلب . أوائله أى آباؤه منازله جمع منزلة وهى ماينزل بها القمر

(المعنى) يقول ان هذا المولود قد تنقل فى أصلاب آبائه الاولين واحدا فواحدا كما ينتقل البدر فى منازله فكانت اصلاب أوائله له بمثابة المنزل للقمر وما زال حتى طلع على الدنيا كالهلال ثم سعى فيها كما يسعى البدر ليبلغ الكمال

(٥) (المعنى) يقول هو صغير ولكنه ان عد أولى القدر كان فى اوائلهم فمثله كمثل الخنصر

تَقَدَّمَ عَلَيْهِ سِوَاهُ فَكَمَا تَقَدَّمَ الفَجْرُ الكَاذِبُ[١] وَكَأَنِّي بِهِ وَقَدْ شَدَا يَلْعَبُ بِالْكُرَةِ . كَمَا يَلْعَبُ الصَّبِيُّ بِالْكُرَةِ[٢] . وَإِذَا هُوَ (أَجْوَدُ مِنْ حَاتِمٍ) . وَ(أَبَأَى مِنْ حُنَيْفِ الحَنَاتِمِ)[٣] . (وَأَحْزَمُ مِنْ سِنَانٍ) . وَ(أَعْدَلُ مِنَ

من أصابع اليد يبتدأ بها عند العدو لا يبتدأ بهما هو أكبر منها

(١) الفجر الكاذب الفجر اثنان الاول الكاذب وهو المستطيل ويبدو أسود معترضا ويقال له ذنب السرحان والثاني الصادق وهو المستطير ويبدو ساطعا في الافق بياضا يطلع بعد الاول وبطلوعه يبدو النهار

(المعنى) يقول ان هذا المولود وان كان قد تأخر عن غيره في الزمن وجاء أخيرا فانه كالواثب عند ما يثب يتأخر قليلا ويثب ليتجاوز مسافة بعيدة في وثبته وانه ان كان تقدم عليه غيره في الزمن وجاء قبله فكالفجر الكاذب قبل الفجر الصادق

(٢) شدا بمعنى أخذ . الكرة الاولى هي الكرة الارضية والثانية هي كرة من قطن أو جلد أو نحوه يلعب بها الصبيان

(المعنى) يقول وكأن بهذا المولود قد كبر ونبه وصار ذا نجابة ورئاسة في الامم فيلعب بالكرة الارضية كما يلعب الصبي بالكرة

(٣) (أجود من حاتم) هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج كان جوادا شجاعا مظفرا اذا قاتل غلب واذا غنم نهب واذا سئل وهب واذا ضرب بالقداح سبق واذا أسر أطلق واذا أثري أنفق وكان أقسم بالله لا يقتل واحد أمه . ومن حديثه انه خرج في الشهر الحرام يطلب حاجة فلما كان بأرض عنزة ناداه أسير لهم يا أبا سفانة اكلني الاسار والقمل فقال ويحك ما أنا في بلادي وما معي شيء وقد أسأتني اذ نوهت باسمي ومالك مترك ثم ساوم به العنزيين واشتراه منهم فخلاه وأقام مكانه في قده حتى اتي بفدائه فأداه اليهم ومن حديثه أن ماوية امرأة حاتم حدثت ان الناس أصابتهم سنة فأذهبت الخف والظلف فبتنا ذات ليلة بأشد الجوع فأخذ حاتم عديا وأخذت سفانة فعللناهما حتى ناما ثم أخذ يعللني بالحديث لا نام فرققت لما به من الجهد فأمسكت عن كلامه لينام ويظن أني نائمة فقال لي أنمت مرارا فلم أجبه فسكت ونظر من وراء الخباء فاذا شيء قد أقبل فرفع رأسه فاذا امرأة تقول يا أبا سفانة أتيتك من عند صبية جياع

المِيزَانِ)[١] . وَ (أَحْمَي مِنْ مُجِيرِ الظُّعْنِ) . وَ(أَعْقَلُ مِنْ ابْنِ تِقْنِ)[٢] . وَ (أَحْيَا

فقال احضريني صبيانك فوالله لاشبعنهم قالت فقمت مسرعة فقلت بماذا ياحاتم فوالله ما نام صبيانك من الجوع الا بالتعليل فقام الى فرسه فذبحه ثم أجج نارا ودفع اليها شفرة وقال استوى وكلي واطعمي ولدك وقال لى ايقظى صبيتك فايقظتهما ثم قال والله ان هذا اللؤم ان تأكلوا واهل الصرم حالهم كحالكم فجعل يأتى الصرم بيتاً بيتاً ويقول عليكم النار فاجتمعوا وأكلوا وتقنع بكسائه وقعد ناحية حتى لم يوجد من الفرس على الارض قليل ولا كثير ولم يذق منه شيئا . وزعم الطائيون ان حاتما أخذ الجود عن أمه غنية بنت عفيف الطائية وكانت لا تحرز شيئا سخاء وجودا . فضرب به المثل فقيل أجود من حاتم ـ أبأي من حنيف الحناتم) من البأى وهو الفخر وكان بلغ من مفخره ان لا يكلم أحدا حتى يبدأه هو بالكلام فضرب به المثل فقيل ابأى من حنيف الحناتم

(المعنى) يقول فاذا بهذا المولد وقد ظهر فى الوجود كحاتم فى العطاء وحنيف الحناتم فى الاباء

(١) (أحزم من سنان) قيل لم يجتمع الحزم والحلم فى رجل فسار المثل بهما الا فى سنان وهو مثل عربى ـ (أعدل من الميزان) وذلك ان الميزان يعطى كل ذي حق حقه من غير محاباة وهو مثل عربى

(المعنى) يقول واذا بهذا المولود أيضا صار كسنان فى الحزم وكالميزان فى العدل

(٢) (أحمى من مجير الظعن) هو ربيعة بن مكدم الكنانى . ومن حديثه أن نبيشة ابن حبيب السلمى خرج غازيا فلقى ظعنا من كنانة بالكديد فأراد أن يحتويها فمانعه ربيعة بن مكدم فى فوارس وكان غلاما له ذؤابة فشد عليه نبيشة فطعنه فى عضوه فأتى ربيعة امه فقال شد على العصب أم سيار · فقد رزئت فارسا كالدينار . فقالت أمه

أنا بنى ربيعة بن مالك نرزأ فى خيارنا كذلك

من بين مقتول وبين هالك

ثم عصبته فاستقاها ماء فقالت اذهب فقاتل القوم فان الماء لا يفوتك فرجع وكر على القوم فكشفهم ورجع الى الظعن وقال انى لمائت وسأحميكن ميتاً كما حميتكن حياً بأن أقف بفرسي على العقبة واتكىء على رمحى فان فاضت نفسى كان الرمح عمادى فالنجاء النجاء فانى ارد بذلك

(مِنْ كِعَابٍ). وَ(أَحْلَمُ مِنْ فَرْخِ عُقَابٍ) . وَ« أَجْمَلُ مِنْ ذِي العِمَامَةِ » . وَ« آثَرُ مِنْ كَعْبِ بْنِ مَامَةَ »[٢] وَ« أَجْسَرُ مِنْ قَاتِلِ عُقْبَةَ » . « أَحْكَمُ مِنْ هَرِمِ بْنِ

وجوه القوم ساعة من النهار فقطعن العقبة ووقف هو بأزاء القوم على فرسه متكئا على رمحه ونزفه الدم فغاظ والقوم بأزائه يحجمون عن الاقدام عليه فلما طال وقوفه فى مكانه ورأوه لا يزول عنه رموا فرسه فقمص وخر ربيعة لوجهه فطلبوا الظعن فلم يلحقوهن ثم ان حفص بن الاحنف الكنانى مر بجيفة ربيعة فعرفها فأمال عليها أحجارا من الحرة وقال يبكيه

لا يبعدن ربيعة بن مكدم وسقى الغوادي قبره بذنوب
نفرت قلوص من حجارة حرة بنيت على طلق اليدين وهوب
لا تنفرى يا ناق منه فانه شراب خمر مسعر لحروب
لولا السفار وبعده من مهمه لتركتها تحبو على العرقوب

ولم يعلم أن قتيلا حمى ظعائن غير ربيعة بن مكدم فضرب به المثل وهو مثل عربى (أعقل من ابن تقن)هذا رجل يقال عمرو بن تقن وهو الذى يضرب به المثل فيقال ارمى من ابن تقن وكان من عاد و عقلائها ودهاتها وكان لقمان بن عاد أراده على بيع ابل له معجبة فامتنع عليه واحتال لقمان فى سرقتها منه فلم يمكنه ذلك ولا وجد غرة منه وفيه قال الشاعر

اتجمع ان كنت بن تقن فطانة وتغبن أحيانا هنات دواهيا

فضرب بعقله المثل وهو مثل عربى

(المعنى) يقول وهو أيضا يحمى من احتمى به كربيعة بن مكدم ويفطن لما فطن به عمرو بن تقن

(١) (أحيا من كعاب) هذا مثل عربى ومعناه ان الكعاب وهى الفتاة الناهد تكون أشد حياء من غيرها من النساء الكبيرات ــ أحلم من فرخ عقاب ذكر الاصمعى انه سمع اعرابيا يقول سنان بن أبى حارثة احلم من فرخ عقاب قال فقلت له وما احلمه فقال يخرج من بيضه على رأس نيق فلا يتحرك حتى يقر ريشه ولو تحرك سقط فضرب به المثل وهو مثل عربى

(المعنى) يقول وايضا فهو فى الحياة كالفتاة الناهد وفى الحلم كفرخ العقاب

«٢» أجمل من ذى العمامة هذا مثل من أمثال أهل مكة . وذو العمامة هو سعيد بن العاص بن أمية وكان فى الجاهلية اذا لبس قرشى عمامة لا يلبس قرشى عمامة على لونها واذا خرج لم تبق

قُطْبَةَ). (وأَبْطَشُ مِنْ دَوْسَرٍ). (وَأَجْرَأُ مِنْ قَسْوَرٍ)

امرأة الا برزت للنظر اليه من جماله ولما افضت الخلافة الى عبد الملك بن مروان خطب بنت سعيد هذا الى اخيها عمرو بن سعيد الاشدق فأجابه عمرو بقوله

فتاة أبوها ذو العمامة وابنه　　اخوها فما اكفاؤها بكثير

وزعم بعض اصحاب المعانى ان هذا اللقب انما لزم سعيد بن العاص كناية عن السيادة قال وذلك لان العرب تقول فلان معمم يريدون ان كل جناية يجنيها الجانى من تلك القبيلة والعشيرة فهي معصوبة برأسه فالى مثل هذا المعنى ذهبوا فى تسميتهم سعيد بن العاص ذا العصابة وذا العمامة فضرب به المثل وهو مثل عربى — (آثر من كعب بن مامة) أو اجود من كعب بن مامة هو ايادى ومن حديثه انه خرج فى ركب فيهم رجل من النمر بن قاسط فى شهر ناجر فضلوا فتصافنوا ماءهم وهو ان يطرح فى القعب حصاة ثم يصب فيه من الماء بقدر ما يغمر الحصاة وتلك الحصاة هى المقلة فيشرب كل انسان بقدر واحد فتعدوا للشرب فلما دار القعب فانتهى الى كعب ابصر النمرى يحدد النظر اليه فآثره به وقال للساقى اسق اخاك النمري فشرب النمرى نصيب كعب ذلك اليوم من الماء ثم نزلوا من غدهم المنزل الآخر فتصافنوا بقية مائهم فنظر اليه النمرى كنظره امس فقال كعب كقوله امس وارتحل القوم وقالوا يا كعب ارتحل فلم يكن به قوة للنهوض وكانوا قد قربوا من الماء فقالوا له رد كعب انك وراد فعجز عن الجواب فلما يئسوا منه خيلوا عليه بثوب يمنعه من السبع ان يأكله وتركوه مكانه ففاظ فقال ابوه مامة يرثيه

ما كان من سوقة اسقى على ظمأ　　خمرا بماء اذا ناجودها بردا

من ابن مامة كعب حين عى به　　زو المنية الا حرة وقدا

اوفى على الماء كعب ثم قيل له　　رد كعب انك وراد فما وردا

زو المنية قدرها وعى به اى عيت به الاحداث الا ان تقتله عطشا

(المعنى) يقول واذا هى أيضا كسعيد بن العاص جمالا وسيادة وككعب بن مامة جودا واثرة

(١) (اجسر من قاتل عتبة) هو عتبة بن سلم من بنى هناءة من أهل اليمن صاحب دار عقبة بالبصرة وكان ابو جعفر وجهه الى البحرين واهل البحرين ربيعة فقتل ربيعة قتلا فاحشا قال فانضم اليه رجل من عبد القيس فلم يزل معه سنين وعزل عقبة فرجع الى بغداد

بَيْنَ الأَشَجِّ وَبَيْنَ قَيْسٍ بَاذِخٌ
بَخْبَخْ لِوَالِدِهِ وَلِلْمَوْلُودِ
كُنْتُمْ لَهُ خَلَفًا يُهْدِى الثَّنَاءَ لَهُ

ورحل العبدى معه فكان عقبه واقفاً على باب المهدى بعد موت ابى جعفر فشد عليه العبدى بسكين فوجأه فى بطنه فمات عقبة وأخذ العبدى فادخل على المهدى فقال ماحملك على مافعلت فقال انه قتل قومى وقد ظفرت به غير مرة الا انى احببت ان يكون أمره ظاهراً حتى علم الناس انى ادركت ثأرى منه فقال المهدى ان مثلك لاهل ان يستبقى ولكن اكره ان يجترىء الناس على الولاد فأمر به فضربت عنقه . ويقال ان الوجأة وقعت فى شرجه منطقة عقبة قال فجعل المهدى يسائل العبدى والعبدى يبكى الا ان دخل داخل فقال ياأمير المؤمنين مات عقبة فضحك العبدي فقال له المهدى مم كنت تبكى قال من خوف ان يعيش فلما مات ايقنت انى ادركت ثأري فضرب بجسارته المثل وهو مثل عربى — (احكم من هرم بن قطبة) هذا من الحكم لا من الحكمة وهو الفزارى الذي تنافر اليه عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة الجعفريان فقال لهما انتما ياابنى جعفر كركبتى البعير تقعان معاً ولم ينفر واحداً منهما على صاحبه فضرب به المثل وهو مثل عربى

(المعنى) يقول وهو فى الجراءة والجسارة كقاتل عقبة وفى الحكومة كهرم بن قطبة

(ابطش من دوسر) تقدم شرح هذا المثل فى سير هذا الموضع من الكتاب —

(اجرأ من قسور) هو الاسد وجرأته مشهورة فلذلك ضرب به المثل وهو مثل عربى

(المعنى) يقول وان هذا الوليد فى البطش كدوسر وهى من أحسن كتائب النعمان كما تقدم وفى الجرأة والاقدام كالاسد

(١) الاشج وقيس اسمان . الباذخ العالى الطويل . بخبخ قال له بخ بخ وهى كلمة استحسان

(المعنى) يقول ان بين الاشج وبين قيس شرف باذخ فبخبخ للوالد وهو الاشج وكذلك المولود وهو قيس

كالماءِ لِلوَرْدِ أوْ كالوَرْدِ لِلماءِ

***

وَكَيْفَ لا يَكُونُ ذلِكَ وَهُوَ سَلِيلُ بَيْتٍ مَجِيدٍ . كأنَّهُ في البُيُوتِ بَيْتُ القَصِيدِ وَضِنْءُ الدِلو قُلْتُ لابْنِهِ يا ابْنَ خَيْرِ أبٍ فَقَدْ أسمَيْتَهُ لِلعَجَمِ والعَرَبِ[٢]. عُذَيْقٌ مُرَجَّبٌ . لَوْ رَآهُ النّابِغَةُ لَمَا قالَ أيُّ الرِّجالِ المُهَذَّبُ[٤]. طَلّاعُ الثَّنايا. كأنَّ اللهَ خَيْرَهُ مَا وَهَبَهُ مِنَ السَّجَايا. كَرِيمٌ مِعْوانٌ. في زَمَنٍ تَرْكُ الإساءَةِ فيهِ

---

(١) (المعنى) يخاطب المولود ويقول انكم كنتم لابائكم خير خاف ترك لهم الثناء من الناس وذلك من افعالكم الممدوحة فيما انتم وهم الا كماء الورد وقال المتنبي
وذلك ماء الورد ان ذهب الورد

(٢) سليل ابن
(المعنى) يقول ولم لا يكون كما وصفت وهو ابن ذلك البيت المجيد الذى كانه لحسنه بيت القصيد فى ابيات القصيدة

(٣) الضنىء الابن
(المعنى)يقول وهو ابن ذلك الوالد الذى لو قلت لابنه يا ابن خير اب عرفه الناس

(٤) العذيق تصغير العذق القنو وهو من النخل كالعنقود من العنب. المرجب المدعم من النخل وهو شطر من مثل عربى وهو (انا جديلها المحكك وعذيقها المرجب) يضرب لمن يستشفى برأيه ويعتمد عليه ـ النابغة هو النابغة الذبيانى وتقدمت ترجمته فى غير هذا الموضع من الكتاب وقوله لما قال (اي الرجال المهذب) هو قوله

ولست بمستبق اخا لا تلمه على شعث اي الرجال المهذب

وهو مثل عربى
(المعنى) يقول انه يستشفى برأيه ويعتمد فلو كان فى زمن النابغة الذبيانى لما قال أي الرجال المهذب لانه يجد فيه مطلوبه

غَايَةُ الاِحْسَانِ يَذْكُرُ المَوَاعِدَ وَيَنْسَى الاِحَنَ. وَيَفِي وَقَدْ خَانَ الزَّمَنُ[٢]. سَبَّاقٌ الى العُلا. كَأَنَّما الزَّمَنُ زُعَاقٌ مُزِجَ بِهِ فَحَلا[٣]. أَلِي حِمًى كَأَنَّهُ مَا بَيْنَ أَنْيَابِ اللُّيُوثِ وَالأَظْفَارِ. وَجَارٍ كَأَنَّهُ جَارُ الأَرَاقِمِ يَوْمَ ذِي قَارَ[٤]. وَصَدْرٍ

---

(١) طلاع الثنايا أي ركاب الشاق. السجايا جمع سجية وهي الخصلة والطبيعة المعوان الكثير المعونة للناس

(المعنى) يقول انه ركاب للمشاق كان الله خيره في أي الخصال الحميدة يوجده عليها فاختار احسنها فمن خصاله انه كريم ذو معونة للناس في الوقت الحرج الذي من ترك فيه اساءته للناس، فكانما أحسن اليهم غاية الاحسان

(٢) المواعد جمع موعد. الاحن جمع احنة وهي الحقد واضمار العداوة

(المعنى) يقول انه يذكر مواعيده للناس وينسى ما يسيؤونه به فلا يضمر لهم حقدا وانه ليفي بما اوعد وقد خان الزمن: قال البحتري في الوفاء

فوا أسفا الا اكون شهدته ... فخاست شمالي عنده ويميني

والا لقيت الموت أحمر دونه ... كما كان يلقى الدهر اغبر دوني

وان بقائي بعده لخيانة ... وما كنت يوماً قبله بخؤون

(٣) سباق كثير السبق. الزعاق الماء المر الغليظ الذى لا يشرب

(المعنى) يقول انه سباق الى المعالي وان الزمان طاب للناس بوجوده فيه فكانه زعاق مزج بشيء حلو فساغ للناس

(٤) الحمى ما حمي من الشيء. الليث الاسد — يوم ذي قار. ذو قار ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط وحنو ذي قار على ليلة منه وفيه كانت الوقعة المشهورة بين بكر بن وائل وللفرس وهو اليوم العظيم الذى انتصرت به العرب على الفرس وانتصفت منهم وكان من حديث هذه الوقعة ان النعمان بن المنذر كان قد قتل عدي بن زيد فتنكر منه ولده زيد بن عدى وسعى به عند كسرى حتى غضب عليه فخرج النعمان يطوف احياء العرب يحتمي من كسرى فاتى طيئاً فابوا ان يحموه خوفا من كسرى ومر ببني عبس فلم يجيروه ولم يزل طائفا في القبائل حتى وصل الى بني شيبان فلقي هانيء بن مسعود الشيباني وكان سيدا منيع

بِالْفَضْلِ مُفْعَمْ. كَصَدْرِ العُودِ لا يَنْتَهِي مَا بِهِ مِنْ نَغَمٍ وَكَرَمٍ يَرَى أَنَّ الوَفْرَ. كَالظُّفْرِ. إِنْ تُرِكَ عَابَ. وَإِنْ حُذِفَ آبَ. وَفِكْرٍ كَالنِّبْرَاسِ. يَحْتَرِقُ

الجانب فاقام عنده فى ذى قار . ثم ورد كتاب كسري يستدعى النعمان على الامان فاستودع ماله وأهله هانىء ابن مسعود وسار الى كسرى فقتله وولى مكانه على العرب اياس بن قبيصة الطائى . ثم طلب من هانىء ودائع النعمان فابى تسليمها فارسل كسرى الجيوش الكثيرة من عرب وعجم وحشد هانىء القبائل وفرق دروع النعمان على القوم وكانت سبعة آلاف درع والتقت الجيوش فى حنو ذي قار وشبت نار الحرب ونادي منادى العرب ان اليوم يفرقونكم بالنشاب فاحملوا عليهم حملة رجل واحد فكان الاستظهار فى اول يوم للفرس ثم كان ثانى يوم . ووقع بينهم قتال شديد فجزعت الفرس من العطش فسارت الى الجبانات فتبعتهم بكر وباقى العرب يوماً واشتد العطش بالفرس فمالوا الى بطحاء ذي قار وبها اشتدت الحرب وانهزمت الفرس وكسرت كسرة هائلة وقتل اكثرها وأبلت بنو عجل فى ذلك اليوم بلاء حسناً وخارت ايادوهى مع الفرس وانهزمت لتنكسر شوكة الفرس . وكانت هذه الوقعة يوم مولد النبى صلى الله عليه وسلم وقيل يوم منصرفه من وقعة بدر الكبرى وكان اول يوم انتصفت فيه العرب من العجم وافتخرت بكر بن وائل بهذا الظفر واشتهر هانىء بن مسعود شهرة عظيمة وكثر ذكر هذا اليوم فى اشعارهم وكانت احياء من تغلب تسمى الاراقم ابلت فى هذه الحرب بلاء عظيما وهم ستة احياء جشم . ومالك . وعمرو . وثعلبة . ومعاوية . والحرث بنو بكر ابن حبيب بن غنم بن تغلب بن وائل

(المعنى) يقول ولهذا الوالدحمى كان ذلك الحمى بين ناب الليث والظفر وكان جاره جاور بنى بكر بن وائل المسمون بالاراقم فى ذلك اليوم المشهور وهو يوم ذى قار لعزة جوارهم

(١) مفعم مملوء . العود آلة الغناء . النغم الصوت

(المعنى) يقول وله صدر مملوء بالفضل والعلم ذاخر بهما فهو كصدر العود كلما ضربت عليه اعطاك نغما فكما انه لا تنتهى نغماته فكذلك صدره لا تنتهى معلوماته وفضله

(٢) الوفر المال المتوفر . الظفر مادة قرنية تنبت فى اطراف الاصابع . حذف طرح . آب رجع

لِيَسْتَضِيءَ النَّاسُ

لَهُ هِمَّةٌ غَيْرَى عَلَى الْمَجْدِ بَرَّحَتْ

بِنَفْسٍ عَلَى الأَيَّامِ مِن تِيهِهَا غَضْبَى [٢]

وَمَنْزِلَةٍ بَيْنَ الغَفْرِ وَالعَيُّوقِ . وَسُؤْدَدٍ لا لاَحِقٍ وَلا مَلْحُوقٍ [٣] . وَفَصَاحَةٍ

(المعنى) يقول وانه لكريم يرى ان المال المتوفر عنده مثله كمثل الظفر ان حذفه رجع كما أن وان ترك عاب اصابعه ولاجرم فالمال كلما انتقص منه في الخير عوضه الله عنه خيراً وان ابقى عليه بخلا كان ذلك داعياً لنقيصة والعاب

(١) النبراس المصباح

(المعنى) يقول وله فكر مثله كمثل السراج يحترق ولكن منفعة احتراقه لغيره وهي الاستضاءة يعني انه وهب فكره لمنفعة الناس

(٢) احسن تعريف للهمة هو ما قيل في التعريفات للجرجاني (الهمة توجه القلب وقصده بجميع قواه الروحانية الى جانب الحق لحصول الكمال له او لغيره). غيرى مؤنث غائر . برحت اجهدت واتعبت . غضبى مؤنث غاضب

(المعنى) يقول ان له همة تتيم على المجد وتحافظ على اكتسابه وقد اتعبت نفسه تلك النفس العالية التي لا ترضى عن الايام وافعالها تيهاً وعجباً وقال الاخطل في هذا المعنى

وانا لحي الصدق لا غرة بنا ... ولا مثل من يترى البلى المضرما

نسير فتختل المخوف فروعه ... ونجمع للحرب الخميس العرمرما

واني لحلال بي الحق اتقي ... اذا نزل الاضياف ان اتجهما

اذا لم تذد الباناء عن لحومها ... حلبنا لهم منها باسيافنا دما

(٣) الغفر ثلاثة منازل ينزلها القمر وهي من الميزان . العيوق نجم . السؤدد الشرف .

(المعنى) يقول وله رتبة علت النجم المسمى بالغفر والنجم المسمى بالعيوق على سبيل المجاز وله أيضاً شرف ومجد لا لاحق اي لا يطلب ولا ملحوق اي لا يلحقه الغير يحصل على مثله

مَاأُعْطِيهَاجِرْوَلٌ وَضِرَارٌ . وَلاَ الاَعْشَيَاذِ وَالمُرَّارُ . وَلاَ قَامَ بِهَا ابْنُ الحُسَيْنِ.

---

(١) جرول هو أبو مليكة جرول بن أوس بن مالك بن جوابة المشهور بالحطيئة أحد فحول الشعراء و متقدميهم وفصحائهم متصرف فى جميع فنون الشعر من المديح والهجاء والفخر والنسيب مجيد فى ذلك جميعه وقد اشتهر فى الهجاء فانه كان ذا سفه وشر وقد كان قبيح المنظر رث الهيئة دميا قصيرا وقد بلغ من حبه للهجاء انه هجا نفسه وأمه وبنيه وزوجته وسائر أهل بيته واقاربه وقد هجا الزبرقان بن بدر فاستعدى عليه الزبرقان عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاستدعاه عمر وحبسه فى بئر فقال الحطيئة

ماذا تقول لافراخ بذي مرخ   زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
القيت كاسبهم فى قعر مظلمة   فاغفر عليك سلام الله ياعمر
انت الامام الذي من بعد صاحبه   القى اليك مقاليد النهى البشر
لم يؤثروك بها اذ قدموك لها   لكن لانفسهم كانت بك الاثر

فأخرجه وقال له أياك وهجاء الناس قال اذا يموت عيالى جوعاً هذا مكسبى ومنه معاشى قال فاياك ان تقول فلان خير من فلان ثم سلمه للزبرقان فقاده بعمامته فاستوهبته منه غطفان واخبار جرول كثيرة وكانت وفاته فى حدود الثلاثين للهجرة — ضرار هو ضرار بن الخطاب بن مرداس بن كثير بن عمرو بن حبيب القرشى الفهرى كان أبوه الخطاب رئيس بنى فهر فى زمانه وكان يأخذ المرباع لقومه وكان ضرار يوم الفجار على بنى محارب بن فهر وكان من فرسان قريش وشجعانهم وشعرائهم المطبوعين المجودين وهو أحد الاربعة الذين وثبوا الخندق. قال الزبير ابن بكار لم يكن فى قريش أشعر منه ومن ابن الزبعرى ومن شعره يوم الفتح

يانبى الهدى اليك لجا حى   قريش وانت خير لجاء
حين ضاقت عليهم سعة الار   ض وعاداهم اله السماء
والتقت حلقتا البطان على القو   م ونودى بالصيلم الصلعاء
ان سعد ايريد قاصمة الظه   ر باهل الحجون والبطحاء

يريد سعد بن عبادة حيث قال يوم الفتح اليوم تستحل الحرمة وقال ضرار يوماً لابى بكر رضى الله عنه نحن كنا لقريش خيرا منكم ادخلناهم الجنة وأوردتموهم النار يعنى انه قتل المسلمين فدخلوا الجنة وان المسلمين قتلوا الكفار فادخلوهم النار واختلف الاوس والخزرج فمن كان

أشجع يوم احد فمر بهم ضرار بن الخطاب فقالوا هذا شهد ناوهو عالم بها فسألوه عن ذلك فقال لاأدرى ماأوسكم من خزرجكم لكنى زوجت منكم يوم أحد أحد عشر رجلا من الحور العين وكان له صحبة وشهد مع أبى عبيدة فتوح الشام وأسلم يوم فتح مكة وقد اشتهر اسلامه وشعره ـ الاعشيان يريد بهما أعشى قيس وأعشى تغلب فاما أعشى قيس فهو الاعشى الاكبر المسمى بميمون بن قيس المكنى أبا بصير وهو أحد الاعلام من شعراء الجاهلية وفحولها وهو أول من سأل بشعره وانتجع به أقاصى البلاد وكان يغنى بشعره فكانت العرب تسميه صناجة العرب وقيل انه وفد الى النبي صلى الله عليه وسلم وقد مدحه بقصيدته التي مطلعها

الم تكتحل عيناك ليلة ارمدا وعادك ماعاد السليم المسهدا

ومنها وذكر الناقة

وآليت لاارثى لها من كلالة ولا من حفى حتى تزور محمدا

نبى يرى مالا ترون وذكره أغار لعمري فى البلاد وانجدا

متى ماتناخى عندباب ابن هاشم تراحى وتلقى من فواضله ندا

فبلغ قريشاً خبره فرصدوه على طريقه وقالوا هذا صناجة العرب مايمدح أحدا قط الا رفع من قدره. فلما ورد عليهم قالوا أين اردت ياأبا بصير قال أردت صاحبكم هذا لاسلم على يده قالوا انه ينهاك عن خلال ويحرمها عليك وكلها بك رافق ولك موافق قال وماهن. قال سفيان بن حرب. الزنا. قال لقد تركنى الزنا وما تركته قال ثم ماذا قال. القمار. قال لعلى ان لقيته اصبت منه عوضا من القمار قال ثم ماذا قال الربا. قال ماادنت وما أدنت. قال ثم ماذا قال الخمر. قال أوه أرجع الى صبابة بقيت لى فى المهراس فأشربها. فقال له أبو سفيان فهل لك فى شيء خير لك مما هممت به قال وماهو قال نحن وهو الان فى هدنة فتأخذ مائة من الابل وترجع الى بلدك سنتك هذه حتى تنظر مايصير اليه أمرنا فان ظهرنا عليه كنت قد أخذت خلفا وان ظهر علينا أتيته قال ما أكره ذلك قال أبو سفيان يامعشر قريش هذا الاعشى فوالله لئن اتى محمداً واتبعه ليضرمن عليكم نيران العرب بشعره فاجمعوا له مائة من الابل ففعلوا فاخذها وانطلق الى بلده فلما كان بقاع منفوحة رماه بعير فقتله. قال محمد بن ادريس قبر الاعشى بمنفوحة وانا رأيته فاذا أراد الفتيان ان يشربوا اخرجوا الى قبره فشربوا عنده وصبوا عليه فضلات الاقداح واما أعشى تغلب فهو النعمان بن يحيى بن معاوية شاعر من شعراء الدولة الاموية وساكنى الشام اذا حضروا اذا بدا نزل فى قومه بنواحي الموصل وديار ربيعة وكان نصرانيا وعلى ذلك مات وكان

الوليد بن عبد الملك محسنا الى أعشى بنى تغلب فلما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة وفد اليه ومدحه فلم يعطه شيئاً وقال ما أرى للشعراء فى بيت المال حقاً ولو كان لهم فيه حق لما كان لك لانك امرؤ نصرانى فانصرف الاعشى وهو يقول

لعمرى لقد عاش الوليد حياته أمام هدى لا مستزاد ولا نزر
كأن بنى مروان بعد وفاته جلاميد لا تندي وان بلها القطر

وأخباره كثيرة ـ المرار هو بن سعيد بن حبيب بن خالد شاعر مخضرمى مجيد ومن شعره قوله وقد حبسه عثمان بن حبان والى المدينة يومئذ فى ذنب اقترفه هو وأخوه بدر بن سعيد فقال المرار وهو فى السجن

انار بدت من كوة السجن ضوؤها عشية حل الحى بالجزع العفر
عشية حل الحى أرضا خصيبة يطيب بها مس الجنائب والقطر
فيا ويلتا سجن اليمامة أطلقا أسير كما ينظر الى البرق مايغري
فان تفعلا أحمد كما ولقد أرى بأنكما لاينبغى لكما شكرى
ولو فارقت رجلى القيود وجدتنى رفيقا بنص العيس فى البلد القفر
جديراً اذا أمسى بأرض مضلة بتقويمها حتى يري وضح الفجر

وقد هرب المرار من سجنه وبقى بدر أخوه فمازال به حتى مات فيه فقال المرار يرثى أخاه

ألا يا لقومى للتجلد والصبر وللقدر السارى اليك وماتدرى
وللشيء تنساه وتذكر غيره وللشيء لاتنساه الا على ذكر
وما لكما بالغيب علم فتخبرا وما لكما فى أمر عثمان من أمر

وهى طويلة يقول فيها

الا قاتل الله المقادير والمنى وطيراً جرت بين السعافات والحجر
وقاتل تكذيبى العيافة بعد ما زجرت فما أغنى اعتيافى ولا زجرى
تروح فقد طال الثواء وقضيت مشاريط كانت نحو غايتها تجري
وما لقفول بعد بدر بشاشة ولا الحى آتيهم ولا أوبة السفر
تذكرت بدرا بعد ماقيل عارف لما نابه يالهف نفسى على بدر
اذا خطرت منه على النفس خطرة مرت دمع عينى فاستهل على نحرى
وما كنت بكاء ولكن يهيجنى على ذكره طيب الخلائق والخبر

بَيْنَ السَّمَاطَيْنِ . وَلَا هَدَرَ بِمِثْلِهَا الْبُحْتُرِيُّ فِي الْجَعْفَرِيِّ

***

وأخبار المرار كثيرة وفى هذا القدر كفاية

(المعنى) يقول وله فصاحة ما أعطها هؤلاء الذين اشتهروا فى الجاهلية والاسلام بالفصاحة والبلاغة بل أن هذا المولود يربو عليهم

(١) ان الحسين هو احمد بن الحسين المكنى ابا الطيب المتنبى أشهر الشعراء ذكراً وأعظمهم قدراً الكوفى المولد الشامى المنشأ شاعر سيف الدولة بن حمدان وأبى شجاع وكافور الاخشيدى. هذا وقد أردنا ان نأتى بشيء من شعره فرأينا ان سماحة المؤلف كان قد وضع قديماً كتاباً فى أخبار أبى الطيب المتنبى ثم لم يرتض تأليفه وترصيعه فالغاه من جملة مؤلفاته، وانا ننقتطف منه هذا الفصل فى مناقب أبى الطيب ومثالبه افادة للمطلع بن قال حفظه الله

مناقب أبى الطيب ومثالبه

« الشجاعة » أى التهاون بالآلام والاقدام على ما ينبغى كما ينبغى. فكان أبو الطيب رجلا شجاعاً مقداماً لا يهاب الموت كأنه لا يعرفه. وكان سيف الدولة فطن لذلك وعرف الشجاعة فى سيماه عند التحاقه به فاسلمه للرواض فعلموه الفروسية والطراد والمثاقفة وكان يصحبه معه فى غزواته. قيل انه كان معه فى غزوة العشاء فى بلاد الروم وهى تلك الغزوة التى أبلى فيها سيف الدولة البلاء الحسن ووقف فى فناء الموت حتى فنيت جيوشه ولم يبق معه الا ستة أنفس كان المتنبى أحدهم .

وربما خرج المتنبى من الشجاعة والحماسة الى التهور والخرق والقاء النفس فى التهلكة كما وقع له فى مفتتح أمره مع أبى عبدالله معاذ بن اسماعيل حيث نهاه عن التهور فى أمر الدعوة والتعرض لما يجرع من البلايا فقال له المتنبى

أبا عبد الاله معاذ انى ... خفى عنك فى الهيجا مقامى
ذكرت جسيم ما طلبى وانى ... اخاطر فيه بالمهج الجسام
امثلى تأخذ النكبات منه ... ويجزع من ملاقاة الحمام
ولو برز الزمان الى شخصا ... لخضب شعر مفرقه حسامى

فوقع له من جراء ذلك ما وقع من النكبة والسجن والقيد حتى كاد يتلف كما قال

دعوتك عند انقطاع الرجاء والموت مني كحبل الوريد

ومثل ذلك ما وقع له في اخريات أمره مع أبي نصر محمد الجبلي لما أعلمه بحقد بني أسد عليه وتربصهم له وأشار عليه بالاحتياط واستصحاب الخفراء فأبى عليه ذلك وقال. لا أرضى أن يتحدث الناس بأني سرت في خفارة احد غير سيفي ثم قال ياأبا نصر كواسر الطير تخشاني ومن عبيد العصا تخاف علي والله لو ان مخصرتي هذه ملقاة على شاطىء الفرات وبنو أسد معطشون بخمس وقد نظروا الى الماء كبطون الحيات ماجسر لهم خف ولا ظلف ان يرده معاذ الله أن أشغل قلبي بهم لحظة عين. ثم ركب وسار فوقع في الهلاك وقتل هو وغلمانه جميعهم فكأنه في هذه الحالة لم ينظر الى قوله

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني

وبالجملة فقد قضي أبو الطيب معظم حياته في طلب الحرب والضرب والغارة والغلب واظهار الشجاعة والباس والاكثار من ذكر ذلك في تضاعيف كلامه بحيث لا تكاد تخلو قصيدة من شعره أو أرجوزة من قوله عن ذلك

وله في وصف الحروب والوقائع ونعتها طريق عجيب وأسلوب غريب لا يكاد يبلغه غيره من المتأخرين قال بن الاثير في المثل «أما أبو الطيب فحظي في شعره بالحكم والامثال واختص بالابداع في مواقع القتال وانا أقول فيه قولا لست فيه متأثما ولا منه متلثما وذلك انه اذا خاض في وصف معركة كان لسانه أمضى من نصالها وأشجع من أبطالها وقامت اقواله للمسامع مقام افعالها حتى يظن ان الفريقين قد تقابلا والسلاحين قد تواصلا فطريقه في ذلك يضل بسالكه ويقوم بعذر تاركه»

فمن طرق ابي الطيب في نعت الحروب ان يهون خطبها على النفوس ويذكر فضائلها ومناقبها ويأخذ في الموت وأمره فيلاطفه ويرفقه فاذا الموت ايسر مركب يركب وذلك كقوله

ولو ان الحياة تبقى لحي لعددنا اضلنا الشجعانا

واذا لم يكون من الموت بد فمن العجز ان تموت جبانا

وقوله

وغاية المفرط في سلمه كغاية المفرط في حربه

وقوله

اذا راغمت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم

فطعم الموت فى أمر حقير كطعم الموت فى أمر عظيم

وقوله

أرى كلنا يبغى الحياة لنفسه حريصاً عليها مستهاما بها صبا
فحب الجبان النفس أورده التقى وحب الشجاع النفس أورده الحربا

وله كذلك طريقة اخرى غريبة فى بابها ساقه اليها عشقه للحروب وشغفه بها وذلك انه يعبر عنها بالفاظ الغزل والنسيب وعبارات التشبيب ومن هذا الباب قوله

والطعن شزر والارض واجفة كأنما فى فؤادها وهل
قد صبغت خدها الدماء كما يصبغ خد الخريدة الخجل
والخيل تبكى جلودها عرقا بادمع ما تسحها مقل

وقوله

أعلى الممالك ما يبنى على الاسل والطعن عند محبيهن كالقبل

وقوله

شجاع كأن الحرب عاشقة له اذ زارها فدته بالخيل والرجل

وقوله

وكم رجال بلا أرض لكثرتهم تركت جمعهم ارضاً بلا رجل
مازال طرفك يجرى فى دمائهم حتى مشى بك مشى الشارب الثمل

وقوله

فاتتك دامية الاظل كانما حذيت قوائمها العقيق الاحمر

وقوله

قد سودت شجر الجبال شعورهم فكأن فيه مسفة الغربان
وجرى على الورق النجيع القانى فكأنه النارنج فى الاغصان

وقوله

حمى اطراف فارس شمرى يحض على التباقى بالتفانى
فلو طرحت قلوب العشق فيها لما خافت من الحدق الحسان

(عظم الهمة) أى استصغار ما دون النهاية من معالى الامور: فكان أبو الطيب ذا همة لا منتهى لها وأظنه أكبر الشعراء المتاخرين علو همة وكبر نفس

بلغ هذا الرجل بشعره من الدرجات الرفيعة مالم تبلغه الشعراء وتحظ به الادباء فقد تنافست فيه الرؤساء وتحاسدت عليه الامراء ونال من الجوائز والعطايا والاقبال مبلغاً وافراً وحظاً جزيلا حتى كان يمدح الامير او الرئيس فينزل له من السرير ويجلسه بجانبه ومع هذا كله فكانت همة الرجل ترمى به فوق ذلك بمرام فيرى فى نفسه الغبن وان الزمان يعاكسه والدهر يحاربه ويبكى من حاله ويقول

ماذا رأيت من الدنيا واعجبه　　أنى بما أنا باك منه محسود

ويقول أيضاً

الى كم ذا التخلف والتوانى　　وكم هذا التمادى فى التمادى

وشغل النفس عن طلب المعالى　　ببيع الشعر فى سوق الكساد

وما ماضى الشباب بمسترد　　ولا يوم يمر بمستعاد

وهذا كله تعال بالهمم على الامم وخروج من خطة الشعراء الى مراتب الملوك والامراء فان الرجل كان يتطلب الملك ويرى نفسه أهلا له ويخاله من حقوقه المغصوبة منه ويأمر نفسه بالصبر والسكينة حتى تحين الفرص فيتناوله من ايدى الملوك والرؤساء ويستعين على ذلك بالخيل والرجل ويذكر ذلك فى اشعاره ومقالاته كقوله

سأطلب حقى بالقنا ومشايخ　　كأنهم من طول ما التثموا مرد

ثقال اذا لاقوا خفاف اذا دعوا　　كثير اذا شدوا قليل اذا عدوا

وطعن كأن الطعن لا طعن عنده　　وضرب كأن النار من حره برد

اذا شئت حفت بى على كل سابح　　رجال كأن الموت فى فمها شهد

وكقوله

وان عمرت جعلت الحرب والدة　　والسمهرى اخاً والمشرفى أبا

بكل أشعث يلقى الموت مبتسما　　حتى كأن له فى موته أربا

قح يكاد صهيل الخيل يقذفه　　من سرجه مرحاً بالعز او طربا

فالموت أعذر لى والصبر اجمل بى　　والبر اوسع والدنيا لمن غلبا

وقوله أيضاً

لئن تصبرت حتى لات مصطبر　　فالآن أقحم حتى لات مقتحم

لاتركن وجوه الخيل ساهمة　　والحرب اقوم من ساق على قدم

بكل منصلت مازال منتظرى حتى ادلت له من دولة الخدم
شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة ويستحل دم الحجاج فى الحرم

وكقوله

ذرينى انل مالا ينـال من العلا فصعب العلا فى الصعب والسهل فى السهل

ومازال حب الملك يدور فى رأسه ويلعب فى صدره حتى بعثه على الخروج على السلطان والاستظهار بالشجعان فلم ينجح فى ذلك واصابه من جرائه ما كاد يتلفه . فلما رأى ان الامر لا يؤتى من هذا الطريق مال الى الحيلة والراى فراى ان يقصد اميرا من اغبياء الامراء وضعفاء الملوك فيتوسل اليه بالشعر حتى يقربه اليه ويدنيه فاذا تمكن الانس واستحكمت المودة بينهما رغب اليه ان يوليه ولاية بعض الاطراف ثم يؤلف هنالك الرجال ويصطنع الموالى ويجمع لفيفا من الغوغاء والدهماء فيخرج بهم للفتوحات ويدوخ الارض ويملك الملك ويقتل العالمين كما قال

افكر فى معـاقرة المنـايا وقود الخيل مشرفة الهوادى
زعيما للقنـا الخطى عزمى بسفك دم الحواضر والبوادي

ثم تأمل ابو الطيب فلم يجد فى ملوك عصره ورؤسائه اقل واضعف فى عينه من كافور فقصده ووقع له منه ما وقع

ومن الغريب ان همة هذا الرجل لم تقف عند حد الملك بل تعالت به فادعى النبوة وخرج يدعو الناس اليها كما هو مشهور

﴿ الحمية ﴾ اى الغضب عند الاحساس بالنقص • وكان ابو الطيب من اشد الناس غضباً عند الاحساس بالنقص وهو القائل

ما ابعد العيب والنقصان من شرفى انا الثريا وذان الشيب والهرم

وانظر اليه كيف فارق سيف الدولة لما رأى منه النقص فى حقه والتقصير فى معاملته فى مسئلة ابن خالويه ونحوها ولم تمسكه العطايا والمنح والدنيا وزينتها بل فارقه غير آسف وخاطبه من مصر يقول له من قصيد

انى أصاحب حلمى وهو بى كرم ولا أصاحب حلمى وهو بى جبن
ولا أقيم على مال أذل به ولا ألذ بما عرضى به درن
وان بليت بود مثل ودكم فاننى بفراق مثله قمن

(الانفـة) أي بعد النفس عن الامور الدنيئة فكان من طبع أبى الطيب النفور

البعد عن الامور الدنيئة والمواطن الخسيسة ونحوها وهو القائل

ذل من يغبط الذليل بعيش ... رب عيش أخف منه الحمام

من يهن يسهل الهوان عليه ... ما لجرح بميت ايلام

وقال أيضا

واحتمال الاذى ورؤية جانيه ... غذاء تضوى به الاجسام

وقال أيضا

ولا يروق مضيما حسن بزته ... وهل يروق دفينا جودة الكفن

﴿ التثبت ﴾ وهو الفضيلة التى يقوى بها الانسان على احتمال الآلام. فكان ابو الطيب صبورا على احتمال الآلام غير محتفل بالحوادث قد جرب الزمان وحلب اشطر الدهر وعانى مصائبه وآلامه حتى صارت له عادة مالوفة لا يفزع لها كما قال

أنكرت طارقة الحوادث مرة ... ثم اعترفت بها فصارت ديدنا

وقال أيضا

ألا لا أرى الاحداث حمدا ولا ذما ... فما بطشها جهلا ولا كفها حلما

ثم قال

عرفت الليالى قبل ماصنعت بنا ... فلما دهتنى لم تزدنى به علما

وقال وهو فى السجن بين القيد والنطع

كن ايها السجن كيف شئت فقد ... وطنت للموت نفس معترف

(النجدة) أى ثقة النفس عند المخاوف حتى لا يجاورها فزع. فقال أبو الطيب

أطاعن خيلا من فوارسها الدهر ... وحيدا وما قولى كذا ومعى الصبر

وأشجع منى كل يوم سلامتى ... وما ثبتت الا وفى نفسها امر

تمرست بالآفات حتى تركتها ... تقول أمات الموت أم ذعر الذعر

وأقدمت أقدام الاتى كأن لى ... سوى مهجتى أو كان لى عندها وتر

دع النفس تأخذ وسعها قبل بينها ... فمفترق جاران دارهما العمر

(الشهامة) وهى الحرص على الاعمال العظام توقعا للاحدوثة فقد قضى أبو الطيب معظم عمره فى هذا السبيل وشعره مفعم بهذا المعنى ومن قوله فيه من قصيدة

وتركك فى الدنيا دويا كأنما ... تداول سمع المرء انمله العشر

وقال ايضا

اذا لم تجد مايبتر الفقر قاعداً　　فقم واطلب الشيء يبتر العمرا

هما خلتان ثروة أومنية　　لعلك ان تبقى بواحدة ذكرا

(القحة) وهى الجاهاة بالكلام الغليظ واستصغار الغير فى عينه. ولم يخل ابو الطيب منها بل كانت تظهر عليه فى بعض الاحايين وتثبت فى اشعاره وقد اصابه من جرائها عناء شديد فى كثير من الاحوال حتى كانت هى السبب فى قتله وذلك انه هجا ضبة الاسدى بشعر مملوء بالسفه والوقاحة منه قوله

ما انصف القوم ضبه　　وأمه الطرطبه

ومايشق على الكلا　　ب ان يكون ابن كلبة

فهاج ذلك بنى اسد عليه فقتلوه

(الحقد) وهو أضمار الشر اذا لم يتمكن من الانتقام. فانظر كيف كان حقده على كافور وذمه له كلما دن ذلك سواء كان مادحاً او راثياً أو مهنئاً. قال يرثى أبا شجاع فقال فى أثناء القصيدة

أيموت مثل ابى شجاع فاتك　　ويعيش حاسده الخصى الاوكع

ايد مقطعة حوالى رأسه　　وقفاً يصيح بها الا من يصفع

ابقيت أكذب كاذب أبقيته　　وأخذت اصدق من يقول ويسمع

وتركت انتن ريحة مذمومة　　وسلبت أطيب ريحة تتضوع

وروى له بعض الرواة قصيدتى مدح فى سيف الدولة لم يثبتا فى ديوانه وفيهما هجاء شديد فى كافور

واما (الكبر) اى استعظام المرء نفسه واستحسانه فعله دون غيره. فكان ابو الطيب ذا كبرياء وتيه كما قال فيه القائل

كان من نفسه الكبيرة فى جيـ　　ش وفى كبرياء ذى سلطان

ومن كبره انه كان اذا مدح سيف الدولة انشده قاعدا دون جميع الشعراء وبينما هو يمدحه يوماً بقصيدة له وهو قاعد اعترضه بعض رجال الحضرة وعذله فى قعوده فنظر اليه ابو الطيب وقال له أما سمعت مطلعها وكان ذلك المطلع قوله (لكل أمرىء من دهره ما تعودا) وقد اشترط على سيف الدولة أول أتصاله به انه اذا أنشده لا ينشده الا وهو قاعد وانه لا يكلفه تقبيل

الارض بين يديه فنسب الى الجنون ودخل سيف الدولة تحت هذه الشروط . وهذه الامور وان كانت تعد من مناقب ابى الطيب وتلحق بالانفة التى هى صون النفس عن الامور الوضيعة والحمية التى هى عدم قبول النقص والحرية والاباء الا انها لما كانت حالات معروفة واموراً مألوفة لشعراء ذلك الوقت فخروج أبى الطيب عنها وخرقه لاجماعهم عليها يعد من كبريائه وتعاليه ثم ان أبا الطيب لما قصد كافوراً ولم يتمكن عنده من هذه الحالة مال الى حالة أخرى ليتميز بها عمن سواه وهى انه كان اذا قام لمديحه وقف بين يديه وفى رجليه خفان وفى وسطه سيف ومنطقة ويركب بحاجبين من مماليكه وهما بالسيوف والمناطق

قال أبو على الحاتمى فى رسالته المشهورة كان أبو الطيب عند وروده مدينة السلام قد التحف برداء الكبر والعظمة لا يرى احداً الا ويرى لنفسه مزية عليه حتى اذا ثقلت وطأته على أهل الادب بمدينة السلام قصدت محله فحين استؤذن لى نهض من مجلسه ودخل بيتاً الى جانبه ونزلت عن بغلتى وهو يرانى ودخلت الى مكانه فلما خرج الى نهضت فوفيته حق السلام غير مشاح له فى ذلك وكان سبب قيامه من مجلسه ان لا يقوم لى عند موافاتى واعرض عنى ساعة لا يعيرنى طوفاً ولا يكلمنى حرفا وكدت اتميز غيظا وأقبلت أسفه رأيى فى قصده وهو مقبل على تكبره ملتفت الا الجماعة الذين بين يديه وكل واحد منهم يومىء اليه ويوحى بطرفه ويشير الى مكانى ويوقظه من سنته فما يزداد الا ازوراراً جرياً على شاكلة خلقه ثم توجه الى فما زادنى على قوله «أى شىء خبرك»

ومن كبره انه كان يري نفسه فى عداد الرؤساء ومنزلته فى منازل الملوك فيخاطبهم كما يخاطب القرين قرينه والصاحب صاحبه كقوله يخاطب ابن العميد

تفضلت الايام بالجمع بيننا ... فلما حمدنا لم تدمنا على الحمد

ونحو ذلك فى قوله كثير

ومن كبره أيضاً وهوسه بنفسه انه كان يرى مدحه الرؤساء نعمة عليهم وانهم ان فارقهم بكوا لذلك واعولوا كما قال فى سيف الدولة بعد فراقه له

رحلت فكم باك باجفان شادن ... على وكم باك باجفان ضيغم

وما ربة القرط المليح مكانه ... باجزع من رب الحسام المصمم

وكما قال أيضاً

لئن تركن ضميراً عن ميامننا ... ليحدثن لمن ودعتهم ندم

ومن كبره انه اذا هم بعتاب ملك أو أمير تغطرف فى القول واستهان به كقوله يعاتب سيف الدولة

وما انتفاع أخى الدنيا بناظره اذا استوت عنده الانوار والظلم
كم تطلبون لنا عيبا فيعجزكم والله يكره ماتأتون والكرم

(البخل) كان أبو الطيب شحيحا تضرب ببخله الامثال وله فى ذلك أخبار مشهورة فمنها ماروا اه أبو الفرج الببغا (قال) كان أبو الطيب يانس بى ويشكو من سيف الدولة ويأمننى على غيبته وكان بينى وبينه عمار دون باقى الشعراء وكان سيف الدولة يغتاظ من تكبره وتعاظمه ويجفو عليه اذا كلمه والمتنبى يجيبه فى أكثر الاوقات ويتغاضى فى بعضها واذكر ليلة قد استدعى سيف الدولة ببدرة فشقها بسكين الدواة فمد أبو عبدالله بن خالويه طيلسانه فحثا فيه سيف الدولة صالحا ومددت ذيل ذراعى فحثالى جانبا والمتنبى حاضر وسيف الدولة منتظر منه أن يفعل مثل ذلك فمافعل كبر اعليه فغاظه ذلك فنثرها كلها على الغلمان فلما رأى المتنبى أنه قد فاتته زاحم الغلمان يلتقط معهم فغمزهم عليه سيف الدولة فداسوه وصارت عمامته فى رقبته فاستحى ومضت به ليلة عظيمة

ومن بخله انه دخل مجلس ابن العميد وكان يستعرض سيوفا فلما نظر أبا الطيب نهض من مجلسه واجلسه فى دسته ثم قال له اختر سيفا من هذه السيوف فاختار واحدا ثقيل الحلى واختار بن العميد غيره فقال كل واحد منهما سيفى الذي اخترته أجود ثم اصطلحوا على تجربتهما فقال ابن العميد فيماذا نجربهما فقال أبو الطيب فى الدنانير يؤتى بها فينضد بعضها على بعض ثم تضرب به فان قدها فهو قاطع فاستدعى ابن العميد عشرين دينارا فنضدت قال ضربها أبو الطيب فقدها وتفرقت فى المجلس فقام من مجلسه المفخم يلتقط الدنانير المتبددة فقال ابن العميد ليلزم الشيخ مجلسه وأحد الخدام يلتقطها ويأتى بها اليه فقال بل صاحب الحاجة أولى (قال) ابو بكر الخوارزمى كان المتنبى قاعدا تحت قول الشاعر

وان احق الناس باللوم شاعر يلوم على البخل الرجال ويبخل

وانما اعرب عن طريقته وعادته بقوله

بليت بلى الاطلال ان لم اقف بها وقوف شحيح ضاع فى الترب خاتمه

(قال) وحضرت عنده يوما وقد احضر مالا بين يديه من صلات سيف الدولة على حصير قد فرشه فوزنه واعيد الى الكيس وتخللت قطعة كاصغر ما يكون بين خلال الحصير

فأكب عليها بجامعه يستنقذها منه واشتغل عن جلسائه حتى توصل الى اطهارها وانشد قول قيس بن الخطيم

تبدت لنا كالشمس تحت غمامة   بدا حاجب منها وضنت بحاجب

ثم استخرجها فقال بعض جلسائه اما يكفك مافى هذه الاكياس حتى ادميت صبعك لاجل هذه القطعة فقال انها تحضر المائدة

(وقال) أبو البركات بن أبى الفرج المعروف بابن ابى زيد الشاعر قد بلغنى انه قيل للمتنبى قد شاع عنك البخل فى الآفاق حتى صار مثلا وأنت تمدح فى شعرك الكرم وأهله وتذم البخل الست القائل

ومن ينفق الساعات فى جمع ماله   مخافة فقر فالذى فعل الفقر

ومعلوم أن البخل قبيح ومنك أقبح لأنك تتعاطى كبر النفس وعلو الهمة وطلب الملك والملك ينافى سائر ذلك فقال ان للبخل سبباً وذلك أنى أذكر وقد وردت فى صباى من الكوفة الى بغداد فأخذت خمسة دراهم فى جانب منديلى وخرجت أمشى فى أسواق بغداد فمررت برجل يبيع الفاكهة فرأيت عنده خمسة من البطيخ باكورة فاستحسنتها ونويت أن أشتريها بالدراهم التى معى فتقدمت اليه وساومته ثمنها فقال بازدراء اذهب فليس هذا من أكلك فتماسكت معه وقلت أيها الرجل دع ما يغيظ واقصد الثمن فقال ثمنها عشرة دراهم فلشدة ماجبهنى به لم أستطع ان أخاطبه فى المساومة فوقفت حائرا ودفعت له خمسة دراهم فلم يقبل واذا بشيخ من التجار قدمر بنا فوثب اليه صاحب البطيخ ودعا له وقال يامولاي ها بطيخ باكورة بأجازتك أحمله الى منزلك فقال الشيخ ويحك بكم هذا فقال بخمسة دراهم فقال بل بدرهمين فباعه الخمسة بدرهمين وحملها الى داره ودعا له وعاد فرحاً مسرورا فقلت ياهذا مارأيت أعجب من جهلك استمت على فى هذا البطيخ وفعلت فعلتك التى فعلت وكنت أعطيتك فى ثمنه خمسة دراهم فبعته بدرهمين محمولا فقال اسكت هذا يملك مائة الف دينار . فقلت فى نفسى ان الناس لايكرمون أحداً اكرامهم من يعتقدون أنه يملك مائة الف دينار واعتمدت أن يكون عندى مثلها فانا أجد فى ذلك على ماتراه حتى يقولوا ان أبا الطيب قدملك مائة الف دينار وقد وقع فى شعر أبى الطيب الوصية بالحزم وضبط الاموال كقوله فى قصيدته التى أولها

أود من الايام مالا توده   واشكو اليها بيننا وهى جنده

ومنها   واتعب خلق من زاد همه   وقصر عما تشتهى النفس وجده

فلا ينحلل فى المجد مالك كله　　فينحل مجد كان بالمال عقده
ودبره تدبير الذى المجد كفه　　اذا حارب الاعداء والمال زنده
فلا مجد فى الدنيا لمن قل ماله　　ولا مال فى الدنيا لمن قل مجده

يصف كافورا بالبخل ويرغبه فيه

(التهاون) وهو نقص القادر على التمام كما قال هو

ولم أر فى عيوب الناس شيئاً　　كنقص القادرين على التمام

وقد جاء كثير من هذا فى شعره . قال الصاحب بن عباد

وكان الناس يستبشعون قول مسلم * شلت وشلت ثم شل شليلها * حتى جاء هذا المبدع بقوله

وأفجع من فقدنا من وجدنا　　قبيل الفقد مفقود المثال

فالمصيبة فى الراثى أعظم منها فى المرثى * واطم مايتعاطاه التفاصح بالالفاظ النافرة والكلمات الشاذة حتى كأنه وليد خباء أو غذى لبن ولم يطأ الحضر ولم يعرف المدر

(فمن ذلك قوله)

أيفطمه التوارب قبل فطامه　　ويأكله قبل البلوغ الى الاكل

وما أدرى كيف عشق التوارب حتى جعله عوذة شعره

(ولما) سمع الشعراء قبله قد أبدعوا فقالوا

بيد السماك خطامها وزمامها　　وله على ظهر المجرة مركب

تشبه بهم فجعل البنين حلواء فقال

وقد ذقت حلواء البنين على الصبا　　فلا تحسبنى قلت ماقلت عن جهل

مازلنا نتعجب من قول أبى تمام * لا تسقنى ماء الملام

فخف علينا بحلواء البنين

قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه ماهى طامة الا فوقها طامة (وما زال) فى الشعر كقول النابغة * اذن فلا رفعت سوطى الى يدي * وكقول الاشتر

بقيت وفرى وانحرفت عن العلا　　ولقيت اضيافى بوجه عبوس

الى كثير من هذا الجنس للمتقدمين والمخضرمين والمحدثين فأراد التشبه بهم والصب على قوالبهم فقال

ان كان مثلك كان أو هو كائن　　فبرئت حينئذ من الاسلام

وحينئذ هاهنا أنفر عن عير مفلت . ومن ابتداآته العجيبة فى التسلية عن المصيبة

لايحزن الله الامير فاننى لآخذ من حالاته بنصيب

ولا أدرى لم لا يحزن سيف الدولة اذا أخذ أبو الطيب بنصيب من القلق أترى هذه التسلية أحسن عند امته أم قول أوس

أيتها النفس أجملى جزعا ان الذى تحذرين قد وقعا

ومن تعميده الذى لا يشق غباره ولا تدرك آثاره

وللترك للاحسان خير لمحسن اذا جعل الاحسان غير ربيب

وما أشك أن هذا البيت أوقع عند حملة عرشه من قول حبيب

أساءة الحادثات استنبطى نفقا فقد أزالك احسان ابن حسان

(وسأله) سيف الدولة عن صفة فرس يقوده اليه أو يحمله عليه فقال أبياتاً منها

ومن اللفظ لفظة تجمع الوصـ ـف وذاك المطهم المعروف

ومن هذا وصفه يقاد اليه المراكب من مربط النجار وكنت أتعجب من كلام أبى يزيد البسطامى فى المعرفة والفاظه المعقدة وكلماته المبهمة حتى سمعت قول شاعرنا هذا فى صفة فرس

* سبوح لها منها عليها شواهد * وما أحسن ماقال الاصمعى لمن أنشده

فما للنوي جذ النوي قطع النوى كذاك النوى قطاعه لوصال

لو سلط الله على هذا البيت شاة لأكلت هذا النوى كله (ولم تنفك) مستحسنين جمع الاسامى فى الشعر كقول الشاعر

ان يقتلوك فقد ثللت عروشهم بعتيبة بن الحرث بن شهاب

وقول الاخر عباد بن اسماء بن زيد بن قارب. واحتذي هذا الفاضل حذوهم على مثالهم وطرقهم فقال

وأنت ابو الهيجا بن حمدان يا ابنه تشابه مولود كريم ووالد

وحمدان حمدون وحمدون حرث وحرث لقمان ولقمان راشد

وهذه من الحكمة التى ذكرها ارسطاطاليس وافلاطون لهذا الخلف الصالح وليس على حسن الاستنباط قياس ومن بدائعه الظريفة عنده بمتعلقى حبله وفواكه البديعة عند ساكنى ظله

شديد البعد من شرب الشمول ترنج الهند او طلع النخيل

فلا أدرى استهلال الابيات أحسن أم المعنى أبدع ام قوله ترنج افصح. ومن لغاته الشاذة

وكلماته النادرة

كل آخائه كرام بنى الدنـ ـيا ولكنه كريم الكرام

ولو وقع الاخاء فى رائية الشماخ لاستثقل فكيف مع أبيات منها

قـد سمعنا ماقلت فى الاحـلام وانلناك بدرة فى المنـام

والكلام اذا لم يتناسب زيفه جهابذته وبهرجه نقاده . وله بيت لايدري أمدح القائل به أم رقاة وهو

شوائل تشوال العقارب بالقنا لها مرح من تحته وصهيل

فلم يرض بان سرق من بشار قوله

والخيل شائلة لشق غبارها كعقارب قد رفعت أذنابها

حتى ضيع التشبيه الصائب بين الفاظ كالمصائب والذى لا امتراء فيه أن عالماً من المناضلين عنه عندهم ان شوائل تشوال أبدع فى صفة الخيل من قول أمرىء القيس

له ايطلا ظبي وساقا نعامة وأرخاء سرحان وتقريب تتفل

ومن او ابده التى لايسمع طول الدهر مثالها قوله فى سيف الدولة

اذا كان بعض الناس سيفاً لدولة ففى الناس بوقات لها وطبول

وهذا التحاذق كغزل العجائز قبحا ودلال الشيوخ سماجة ولكن بقى أن يوجد من يسمع وفى هذه القصيدة يقول

فان تكن الدولات قسما فانها لمن ورد الموت الزؤام تدوم

فان قوله الدولات وتدول من الالفاظ التى لو رزق فضل السكوت عنها لفاز ومن افتتاحه الذى يفتح طرق الكرب ويغلق أبواب القلب قوله

أراع كذا كل الانام همام وسح له رسل الملوك غمام

ولو لم يتكلم فى الشعر الا من هو من أهله لما سمع مثل هذا . ومن اسرافه الذى لا يصبر عنه قوله

يا من يقتل من أراد بسيفه اصبحت من قتلاك بالاحسان

فانه اخذ قول الشاعر . اصلحتنى بالجود بل أفسدتنى . فجعل الافساد قتلا عجرفية وتهورا هذا ومذهب الشعراء المدح بالاحياء عند العطاء وبالاماتة عند منع الحياء ولهذا ستحسن قول الشاعر

شتان بين محمد ومحمد حي أمات وميت أحياني
فصحبت حيا في عطايا ميت وبقيت مشتملا على الخسران

ومن هؤلاء العوام الذين يتهالكون فيه من هذا عنده ابدع من قول البحتري

اخجلتني بندى يديك فسودت مابيننا تلك اليد البيضاء
صلة غدت في الناس وهي قطيعة عجباً لبر راح وهو جفاء

ومن ركيك صفته في وصف شعره والزراية على غيره

ان بعضا من القريض هذاء ليس شيأ وبعضه احكام

ومن هذا نتيجة قريحته في نعت الشعر كيف يطمع له فيه بادعاء السبق لولا التلميذ الذى صار آفة العقول وعاهة الالباب . ومما لم اقدره يلج سمعا اوير داذنا قوله

جواب مسائلى اله نظير ولالك في سؤلك لاالا لا

وقد سمعت بالتمتام ولم أسمع باللالا حتى رأيت هذا المتكلف المتعسف الذي لا يقف حيث يعرف . ومن استرساله الى الاستعارة التي لا يرضاها عاقل ولا يلتفت اليها افاضل

في الخدان عزم الخليط رحيلا مطر تزيد به الخدود محولا

فالمحول في الخدود من البديع المردود . ومن مدحه ببعد الغور وقد غور فيه لعمرى وما انجد قوله

تتقاصر الافهام عن ادراكه مثل الذى الافلاك فيه والدنا

فالمصراعان لتنافيهما يتبرأ احدهما من صاحبه تبرؤ زياد من آل ابى سفيان وآل مروان ثم الدنا من الالفاظ التي لا يبالى الانسان ان تعدم من شعره . ومن شعر الذى يدخل في العزائم ويكتب في الطلسمات

لم ترمن نادمت الاكا لالسوى ودك لى ذاكا

واحسب انه بهذا البيت أشد سرورا من أم الواحد بواحدها وقد آب بعد فقد أو بشرت به عقب ثكل . ومن ابياته السنية الجماعية

لعظمت حتى لو تكون امانة ماكان مؤتمنا بها جبرين

وقلب هذه اللام للنون ابغض من وجه المنون ولا أحسب جبريل عليه السلام يرضى منه بهذا المجاز . ومن وسائط مقتة قوله يحكى جور السلاف ويستأذن في الانصراف

ذال الذى ذات منه منى لله ماتصنع الخمور

وذا انصرافى الى محلى   فأآذن ايها الامير

ولعمرى ان الخمرة اذا دبت فى الكريم سلست طبعه وأظهرت مثل هذا اللفظ له. وكنت اقرأ الالفاظ فلم ار أجمع من قوله

الحازم اليقظ الاعز العالم ال   فطن الالد الاريحى الاروعا

الكاتب اللبق الخطيب الواهب الند   دس اللبيب الهبرزى المصقعا

ومن اضطرابه فى الفاظه مع فساد اغراضه

قد خلف العباس غرتك ابنه   مرأى لنا والى القيامة مسمعا

وللشعراء فن فى اشتقاق اسماء الممدوحين كقول على بن العباس

كان اباه حين سماه صاعدا   رأى كيف يرقى فى المعالى ويصعد

فقتل المتنبى فى حبل اختنق به وقال

فى رتبة حجب الورى عن نيلها   وعلا فسموه على الحاجبا

ومن عيون قصائده التى تحير الافهام وتفوت الاوهام وتجمع من الحساب مالا يدرك بالارتماطيقى وبالاعداد الموضوعة للموسيقى

أحاد أم سداس فى أحاد   لييلتنا المنوطة بالتنادى

وهذا كلام الجكل ورطانة الزط وماظنك بممدوح وقد تشمر للسماع من مادحه فصك سمعه بهذه الالفاظ الملفوظة والمعانى المنبوذه فاى هزة تبقى هناك وأى اريحية تثبت. ومن مساءلته للطلول البالية وكلامه اشد منها بلى واكثر اخلاقاً

أسائلها عن المتديريها   فما تدرى ولاتذرى دموعا

فان لفظة المتديريها لو وقعت فى بحر صاف لكدرته ولو ألقى ثقلها على جبل سام لهدته وليس للمقت غاية ولا للبرد نهاية (وهاهنا) بيت نرضى باتباعه فيه وماظنك بحكم مناويه ثقة بظهور حقه وايراعز ندهوان لم يكن التحكيم بعد أبى موسى من مقتضى الحزم وموحب العزم وهو

أطعناك طوع الدهر ياأبن يوسف   لشهوتنا والحاسد ولك بالرغم

وان كنا قد حكمناهم فيما بيعدهم من ان ينضلوا هذا على قول أبى عبادة

عرف العارفون فضلك بالعل   م وقال الجهال بالتقليد

ومما يتصل بالفن المتقدم

عظمت فلما لم تكلم مهابة   تواضعت وهو العظم عظما على العظم

فما أكثر عظام هذا البيت مع انه قول الطائى

تنظمت عن ذاك التعظم فيهم   وأوصاك نبل القدر ان لا تنبل

وكان الرجل محرباً فقال فى وصف الحروب وماينتج من رعب القلوب

فغدا أسيرا قد بلات ثيابه   بدم وبل ببوله الافخاذا

فكانه حسب الاسنة حلوة   أوظنها البرنى والآزاذا

فلا يدرى أكان فى الحرب أم فى سوق التمارين بالبصرة . ومن افتخاره بنفسه وماعظم الله من قدره

أنا عين المسود الجحجاح   هجنتنى كلابكم بالنباح

ولا أدري اهذا البيت أشرف أم قول الفرزدق

ان الذى سمك السماء بنى لنا   بيتا دعائمه أعز وأطول

بيتا زرارة محتب بفنائه   ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

وعهدت الادباء وعندهم أن أبا تمام افرط فى قوله

شاب رأسى وما رأيت مشيب الرأ   س الا من فضل شيب الفؤاد

فعمد هذا الى المعنى فأخذه ونقل الشيب الى الكبد وجعله خضابا ونصولا فقال

الا يشب فلقد شابت له كبد   شيبا اذا خضبته سلوة نصلا

ومن معانيه التى تنبىء عن هوسه وعشقه لنفسه قوله

لجنية أم غادة رفع السجف   لوحشية لاما لو حشية شنف

وفى هذه القصيدة سقطة عظيمة لا يفطن لها الا من جمع فى علم وزن الشعر بين العروض والذوق وهى قوله

تذكره علم ومنطقه حكم   وباطنه دين وظاهره ظرف

وذاك ان سبيل عروض الطويل ان تقع مفاعلن وليس يجوز ان تأتى مفاعيلن الا اذا كان البيت مصرعا اللهم الا ان يضعه عروضى لتمام الدائرة فهذه العروض قد الزمت القبض لعلل ليس هذا موضع ذكرها ونحن نحاكمه الى كل شعر للقدماء والمحدثين على بحر الطويل فلم نجد له على خطئه مساعدا ومنها بيت قد حشا تضاعيفه بالضعف وهو

ولا الضعف حتى يتبع الضعف ضعفه   ولا ضعف ضعف الضعف بل مثله الف

وهؤلاء المتعصبون له يصلح عندهم ان ينقش هذا البيت على صدور الكواعب وله

لو لم تكن من ذا الورى اللذ منك هو عقمت بمولد نسلها حواء

وانا أقول ليت حواء عقمت ولم تأت بمثله وما أظرف قول الشاعر

فرحمة الله على آدم رحمة من عم ومن خصصا

لو كان يدري انه خارج مثلك من احليله لاختصى

ومن تصريفه الحسن وضعه التقييس مكان القياس فى قوله

بشر تصور غاية فى آية تنفى الظنون وتفسد التقييسا

ويليه بيت ان لم يستحى أصحابه منه سامناه لهم وهو

وبه يضن على البرية لابها وعليه منها لاعليها يوسى

وليس بالحلو قوله

صدق المخبر عنك دونك وصفه من بالعراق يراك فى طرسوسا

وما انتصف فيه عند نفسه فكان الباحث المديته والكاشف لعورته

رمانى خساس الناس من صائب استه وآخر قطن من يديه الجنادل

وقد كنت اسمع رواية المعلى للخليل بن أحمد

لكن جهلت مقالتى فعذلتنى وعلمت أنك جاهل فعذرتكا

واقتفاه هذا فقال

ومن جاهل بى وهو يجهل جهله ويجهل علمى انه بى جاهل

وفى رافعى رأيته من يشغف بهذا البيت أشد من شغفنا يقول حبيب بن اوس

أبا جعفر ان الجهالة أمها ولود وأم العلم جداء حائل

ومن افصاحه عن عظيم محله وابانته عن علو همته قوله

وربما أشهد الطعام معى من لايساوى الخبز الذى آكله

وما ادري الى اين ينخفض قائل هذا المقال فى سقوط النفس والسفال ومن تشبيهاته المتناسقة فى الخذلان قوله

وشوق كالتوقد فى فؤاد كجمر فى جوانح كالمحاش

ومن مجازاته التى خلقها خلقاً متفاوتاً تخفيفه الغاش وهذا مالا اعلم سامعاً باسم الادب يسوغه أو يتسمح فيه فيجوزه وذلك فى قوله

كانك ناظر فى كل قلب فما تخفى عليك محل غاش

ولا يزال يركب القوافي الصعبة ثقة بالقريحة السمحة فيبتديء زائيــة بقوله كفرندي فرند سيفي الجراز حتى امتد به النفس فقال

تقضم الجمر والحديد الاعادي   دونه قضم سكر الاهواز

وهذا السكر اذا جمع الى البرني والآزاذ فيما تقدم من شعره تم الامر وليس العجب منه ولكن ممن يظنه معصوماً لا يرى له زلل ولا يوجد في شعره خلل وفي هـذه يصف الممـدوح ومعرفته بالمديح فيقول

ملك منشـد القريض لديه   يضع الثوب في يدي بزاز

وفي اقل مما ذكرنا غنى للمنصف وان لم يكن في اكثر منه كفاية للمتعسف ومما دلنا به على حفظ الغريب قوله

جخفت وهم يجخفون بهابهم   شيم على الحسب الاغر دلائل

يريد بالجخف البذخ والفخر من قول الشاعر

أيرعدوني بجخف بني عمير   وقـد افحمت شاعر كل حي

وليس هذا الا كلام صبية وله بزيدان يذيد على الشعراء في وصف المطايا فأتى باخزى الخزايا

لو استطعت ركبت الناس كلهم   الى سعيـد بن عبد الله بعرانا

ومن الناس امه فهل انبسط لركوبها والممـدوح ايضاً لعل له عصبة لا يحب ان يركبوا اليه فهل في الارض افحش من هذا السحب واوضع من هذا البسط وكانت الشعراء تصف المآزر تنزيها لالفاظها عما يستبشع ذكره حتى تخطى هذا الشاعر المطبوع الى التصريح الذي لم يهتدي له غيره فقال

اني على شغفي بما في خمرها   لاعف عما في سراويلاتها

وكثير من العهر احسن من عفافه ـ هذا ما كتبه سماحة المؤلف في مناقب ابو الطيب ومثالبه ـ البحتري. هو ابو عبادة ويكنى ابا الحسن واسمه الوليد بن عبيد بن يحي وينتهي نسبه الى يعرب ابن قحطان الطائي البحتري الشاعر المشهور كان فصيحاً فاضلا حسن المشرب والمذهب نقي الكلام مطبوعاً متصرفاً في فنون الشعر سوى الهجاء حتى انه لما قارب الوفاة دعا بهجوه فاحرق كل ما وجد منه. ولد بمنبج ونشأ وتخرج بها ثم خرج الى العراق ومدح جماعة من الخلفاء اولهم المتوكل العباسي وخلقاً كثيراً من الاكابر والرؤساء واقام ببغداد دهراً طويلا ثم عاد الى الشام. قيل ولما كان بمنبج كان يكثر قول الشعر يمدح به اصحـاب البصل والباذنجان ومن من صفهم وينشد الشعر في كل مكان يكون فيه . وكان اول امره في الشعر ونباهته فيه انه سار الى ابي تمام الطائي وهو

بحمص فعرض عليه وكانت الشعراء تقصده لذلك فلما سمع البحتري اقبل عليه وترك سائر الناس فلما تفرقوا قال انت اشعر من انشدني فكيف حالك فشكا اليه القلة فكتب ابو تمام الى اهل معرة النعمان وشهد له بالحذق وشفع له اليهم وقال امتدحهم فسار اليهم فاكرموه بكتاب ابي تمام ورتبوا له اربعة الاف درهم فكانت اول مال اصابه ٠ وشعره في الطبقات العليا ويقال له سلاسل الذهب وشرح ديوانه ابو العلاء المعري وسماه عبث الوليد ومن نخب قصائده قوله يمدح المتوكل ويهنئه بالعيد

اخفي هوى لك في الضلوع واظهر   والام من كمد عليك وأعذر

ومنها في المدح

بالبر صمت وانت افضل صائم   وبسنة الله الرضية تفطر

فانعم بيوم الفطر عينا انه   يوم أغر من الزمان مشهر

اظهرت عز الملك فيه بجحفل   لجب يحاط الدين فيه وينصر

خلنا الجبال تسير فيه وقد غدت   قدرا يسير بها العديد الاكثر

فالخيل تصهل والفوارس تدعي   والبيض تلمع والاسنة تزهر

والارض خاشعة تميد بثقلها   والجو معتكر الجوانب اغبر

والشمس طالعة توقد في الضحى   طورا ويطفئها العجاج الاكدر

حتى طلعت بضوء وجهك فانجلى   ذاك الدجى وانجاب ذاك العثير

فافتن فيك الناظرون فاصبع   يومي اليك بها وعين تنظر

يجدون رؤيتك التي فازوا بها   من انعم الله التي لا تكفر

ذكروا بطلعتك النبي فهللوا   لما طلعت من الصفوف وكبروا

حتى انتهيت الى المصلى لابساً   نور الهدى يبدو عليك ويظهر

ومشيت مشية خاضع متواضع   لله لا يزهى ولا يتكبر

فلوان مشتاقاً تكلف فوق ما   في وسعه لمشى اليك المنبر

ابديت من فصل الخطاب بحكمة   تنبي عن الحق المبين وتخبر

ووقفت في برد النبي مذكراً   بالله تنذر تارة وتبشر

وانتقل البحتري في اخر عمره الى الشام ثم رجع الى منبج وتوفي بها بداء السكتة سنة ٢٨٤ الجعفري تقدمت ترجمته في غير هذا الموضع من الكتاب وهو قصر الخليفة المتوكل واتيناهنا

فِدًى لتيكَ الفَصَاحَةِ كلُّ شُوَيْعِرٍ نَعَّابٍ فى لُكْنَةِ النَّبَطِ وَجَاهِلِيَّةِ الأَعْرَابِ[١] . قَالَ فلَهْوَجَ . فأرْخَصَ الثَّلْجَ وَأَغْلا العَرْفَجَ كلُّ بيتٍ غيرُ مَطْبُوعٍ . كأنَّهُ نَافِقَاءُ اليَرْبُوعِ[٢] . وَكَلامٌ كالوَزِينِ . جَيِّدُهُ مائَةٌ إلاّ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ[٣] .

لك يقول البحترى وغيره فيه

(المعنى) يقول وانه لفصيح فصاحة ماقالها المتنبي بين السماطين فى قصور الملوك الذين مدحهم ولا نطق بها البحترى فى دار الخليفة المتوكل . وكان المتنبي يقعد بين السماطين اذا انشد ولا يقف كغيره من الشعراء فلم فى ذلك وهو ينشد سيف الدولة قصيدته الدالية فقال هل سمعت اول هذه القصيدة التى انشدها ان اولها « لكل امرء من دهره ماتعودا » فسكت اللائم

(١) فدى مصدر فدى ومعناه هنا الدعاء أى نفدى بما سيأتى . اسم اشارة لتوسط المؤنث وتصغيرها تياك وتدخل عليها هاء التنبيه فيقال هاتيك . الشويعر تصغير شاعر نعاب كثير النعب وهو صوت الغراب واستعمل هنا مجازاً للذم . اللكنة العى وعدم القدرة على النطق النبط جيل من العجم ينزلون بالبطائح بين العراقين

(المعنى) يقول فدى لهذه الفصاحة كل شويعر ينعب نعب الغراب ولا يغرد تغريد الحمائم كناية عن اللكنة

(٢) لهوج الامر لم يحكمه ولم يبرمه . الثلج معروف . العرفج شجر سهلى مطبوع يقال شاعر مطبوع أي يأتى بالشعر من دون تكلف وتتبع قاعدة موضوعة لذلك وغير مطبوع ضده . نافقاء اليربوع احدى حجرة اليربوع يكتمها ويظهر غيرها فاذا أتى من جهة القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفقت

(المعنى) يقول انه شاعر اذا قال لم يحكم قوله ولم يبرمه فللبرودة التى فى كلامه كثر الثلج فصار رخيصاً فاحتاج الناس الى الوقد لدفع هذه البرودة فغلا العرفج وكأن كل بيت من ابياته نافقاء اليربوع لحقارته

(٣) الوزين الحنظل

(المعنى) يقول وكلام لمرارته كالحنظل والجيد منه واحد فى المئة ولكن السيد المؤلف حفظه .

وَصُحُفٌ لاتُنَوِّرُ الابْصَارَ . إِلاَّ إِذَا أُحْرِقَتْ فى النَّارِ

زَمَانٌ حَوَى العِيَّ أَبْنَاؤُهُ
فَأَفْصَحُ مِنْ نَاطِقٍ رَاغِيَهْ [٢]

وَمَا الكِبْرُ طِبِّى فِيهِمُ غَيْرَ أَنَّنِى
بَغِيضٌ إِلَى الْجَاهِلِ الْمُتَعَاقِلُ [٣]

***

يَامَالِكَيْ سَرْحَ القَرِيضِ أَتَتْكُمَا
مِنِّى حَمُولَةُ مُسْنِتَـينَ عِجَافِ [٤]

لا تَعْرِفُ الوَرَقَ اللَّجِينَ وَإِنْ تَسَلْ
تُخْبِرْ عَنِ القُلاَّمِ وَالْخِذْرَافِ

سَوَائِرُ شِعْرٍ جَامِعٍ بَدَدَ العُلَى

الله تلطف فى التعبير فجاء له بالمائة او لأتم استثنى منها تسعة و تسعين فكان الجيد واحد فى كل مائة

(١) (المعنى) يقول وان الصحف التى تقرأ فيها شعرهم لا تضىء للابصار الا اذا احرقها الانسان فى النار ليرتفع لهيبها فتضىء وهو معنى فى غاية الدقة

(٢) الراغية الناقة

(المعنى) يقول فاننا اصبحنا فى زمن نضب ماء الفصاحة فيه ولم يحو ابناؤه غير العى والحصر فان الناطق منهم والفصيح فيهم افصح منه الناقة الراغية

(٣) الطب الدواء

(المعنى) يقول وما تكبرت عليهم لاداويهم مما بهم كلا ولكنى ابغض الجاهل الذى يدعى العقل والفضل

(٤) السرح المال السائم . القريض الشعر . الحمولة الابل التى تحمل . مسنتين اصابهم

تَعلَّقنَ مَن قبلي وَأتْعبن مَن بَعْدِي
يُقدِّرُ فِيهَا صَانِعٌ مُتَعمِّدُ
لاحْكامِهَا تَقْدِيرَ دَاوُدَ فِي السَّرْدِ
لِكَيْمَا تَحمِلَ الرُّكبَانُ شِعْرِي
بِوَادِي الطَّلحِ أَوْ وَادِي الخُزَامَا
وَكَيمَا تَعْلَمَ الفُصَحَاءُ أَنِّي
خَطِيبٌ عَلَّمَ السَّجْعَ الحَمَامَا
وَقَدْ أَطْلَعْتُهُنَّ بِكُلِّ أَرْضٍ

الجدب . عجاف جمع عجفاء . وقال الشاعر

عمرو العلا هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف

اللجين الورق اللاصق بالارض . القلام كرمان القاقلي وهو نبت . الخذراف نبات ربعي اذا احس الصيف يبس الواحده خذرافة

(المعنى) يقول ما لكي سرح القريض والشعر اتتكما قصيدة بدوية من نظم أهل البدو الذين تصيبهم السنون الشديدة لا تعرف الورق اللجين وهو ما يكون في اراضي الحضر وانما ان سألتها عن غذائها اخبرتك انه القلام والخذراف وهو من اشجار البادية والمقصود بالبيتين ان القصيدة عربية بدوية

(١) سوائر جمع سائرة . البدو المتفرق . السرد اسم جامع للدروع وسائر الحلق لانه مسرد فيثقب طرفا كل حلقة بمسمار

(المعنى) يقول سوائر شعر أي قصائد سائرات في البلاد لتجمع العلاء المتفرق وانها لتزحزح من قبلي وتسبقه بالفضل وانها اتعبت من يجيء بعدي وانها يفكر فيها صانع ماهر تعمد احكامها واتقانها تفكير داود عليه السلام في نسجه للدروع

بُدُورًا لا يُفارِقْنَ التِّمامَا

هذا آخِرُ ما أملاهُ في هذا السِّفْرِ عَبْدُ اللهِ الفقيرُ اليهِ أبُو النَّجْمِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ المُلَقَّبُ بِتَوْفِيقٍ البَكْرِيِّ الصِّدِّيقِيُّ العُمَرِيُّ التَّيْمِيُّ الهَاشِمِيُّ القُرَشِيُّ سِبْطُ آلِ الحَسَنِ عُفِيَ عَنْهُ وَالحَمْدُ للهِ وَحْدَهُ . وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلى مَنْ لا نَبِيَّ بَعْدَهُ . وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ . وَتابِعِيهِم بِإحْسانِهِ

---

(١) وادى الطلح والخزاما وضمان . السجع تغريد الحمائم • اطاعتهن اظهرتهن . التماما الكمالا (المعنى) يقول انى صنعت هذا الشعر لتحمله الركبان الى البلاد القاصية ولان تعلم الفصحاء والبلغاء انى خطيب مصقع مفوه تعلمت الحمائم سجعه ويقول وانى اظهرت هذه القصائد فى كل صقع وناد واطاعتهن بدوراً طوالع لا يدركهن المحاق ولا يفارقهن التمام . وهذا آخر ما عن لنا ان نشرح به هذا الكتاب الجليل القدر الجم الفائدة الكثير المنفعة راجيين من الله ان يجعله نافعا مقبولا باسطين اكف الضراعة اليه ان يكثر فى الامة العربية مثل سماحة مؤلفه حفظه الله ليجدد عهد الفصاحة العربية • والبلاغة اليعربية والحمد لله اولا وآخراً وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات . وبعد فقد تم وكمل طبع كتاب (صهاريج اللؤلؤ) لمبدعه ومنشيه رب الفصاحة والبلاغة صاحب السماحة السيد محمد توفيق البكرى حفظه الله الطبعة الثانية نظراً انفاد الطبعة الاولى وطلب الجماهير من أهل العلم والادب لهذا الكتاب النفيس الفاخر المستطاب الذي رق لفظه وراق معناه وحوى النفائس والجواهر والدرر من المعانى والبيان والبديع وفصيح اللغة وأطايب الامثال العربية لهذا تقدمنا لنشره بعد الاستئذان ممن لهم حقوق الطبع محفوظة فتكرموا علينا بطبعه باذن خاص ولهم الفضل والثناء الجميل والدعاء الجزيل. وقمنا بطبعه على أجود ورق وأحسن تصحيح بعد الاعتناء والدقة والاتقان خدمة لاهل العلم والفضل والادب. فلاغرو اذا تهافت على مورده العذب ومنهله الصافى الذى هو كالسلسبيل السلسال عشاق الادب للارتشاف من مائه ولتنزه الافكار فى رياضه الغناء (لمثل هذا فليعمل العاملون) وصلى الله على سيدنا محمد خاتم الانبياء والمرسلين وعلى اله الاطهار وصحابته الاخيار .

محمد محمود حجاج

الفهرس

تم الفهرس

